الجزء ١ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٨ هـ

١٩٠٠

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— جزؤه الثامن —

« كلمة المجمع »

كتاب نشوار المحاضرة او جامع التواريخ تصنيف القاضي ابي علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ من أمثل ما ألفه الاخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الاسلامي . وربما كان هذا المصنف نسيج وحده في موضوعه . فهو لم يسرد وقائع التاريخ واخبار رجاله كما سرده غيره وانما هو املى من خاطره اخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفوة رجال الدولة العباسية في القرن الرابع للهجرة .

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالكتاب — لما ان مجمعنا ومجلته واعضاءه قد وفوه حقه من التقريظ والتعريف عند ظهور جزئه الاول الذي نشره المستشرق المشهور العلامة الاستاذ مرجليوث احد اعضاء

مجمعنا . وكان ظفر بهذا الجزء في خزانة الكتب الوطنية بباريز منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ فاعتنى بتصحيحه وطبعه بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢١ م . في ثلاثمائة وصفحتين وقد اهدى نسخة منه الى مجمعنا. فكتب عليها الاستاذ رئيس المجمع تقريظاً نشر في مجلد السنة الثانية من مجلة المجمع الصفحة ١٨٩ ، واستخرج منه الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع محاضرة بعنوان (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) القاها في ردهة المجمع في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ م وقد نشرت في مجموعة محاضرات المجمع (جزء ١ ص ٣١٣) وكتب العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء المجمع عدة مقالات بعنوان (تفسير الالفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) استخرجها من الجزء الاول المذكور ونشرت في مجلدي السنتين الثانية والثالثة من مجلة المجمع . كما بحث الاستاذ المغربي في تلك الالفاظ العباسية الواردة في الجزء الاول المذكور من جهة ثانية غير الجهة التي بحث فيها الاستاذ تيمور باشا ووضع ثلاث مقالات بعنوان (طاقة ازهار من كتاب النشوار) نشرت في مجلد السنة الرابعة من مجلة المجمع . ومن تتبع ما ذكرناه من تعاليق رئيس المجمع واعضائه على الجزء المذكور من (نشوار المحاضرة) ادرك قيمة هذا الكتاب وعرف شرف موضعه من مصنفات التاريخ والادب في الاسلام . وأسف ان لا يعثر على غير هذا الجزء من (النشوار) والجزء الثاني الذي في مكتبة الاستاذ احمد تيمور باشا ، وتمنى لو برز الى حيز الطباعة والنشر شيء من اجزائه الاخرى التي تبلغ احد عشر مجلداً . ومضت بضع سنين ونحن وغيرنا نتحدث عن كتاب النشوار ونتساءل

عن بقية اجزائه وهل عثر على شيء منها ، واذا المستشرق الكبير نفسه « الاستاذ مرجليوث » يرسل الينا الجزء الثامن من النشوار ويقول انه ظفر به مخروم الاول في المتحف البريطاني بارشاد صديقه الاستاذ كرنكو . وانه حقق بعض الفاظه وصحح بعضاً وترك تصحيح الباقي الى اعضاء المجمع . فهو يرغب اليهم ان ينشروه تباعاً في مجلتهم ثم يفردوه على حدة في كتاب . فلبوا طلب الاستاذ . مرجليوث وقرروا في جلستهم المنعقدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ امر تصحيحه وطبعه في المجلة ثم نشره في كتاب على حدة كما اقترح الاستاذ وألفوا لجنة منهم اخذت على عاتقها بذل الجهد في تصحيحه وتحقيق كلماته وتفسيرها والتعليق على ما أبهم منها . ثم شرعت اللجنة في العمل فحققت معظم ما كان يقع تحت نظرها من الكلمات وشرحت كثيراً من مواضع الابهام والغموض . لكنها كانت احياناً تصطدم بجمل وتعابير تقف عندها موقف الشبهة والريب ولا تهتدي الى حلها فتتركها على حالها وتكتفي بالتنبيه عليها . ولم يرسل الاستاذ مرجليوث الينا بالنسخة الاصلية التي ظفر بها وانما ارسل نسخة عنها بخطه وعلق عليها تعاليق اثبتناها له في الذيل غير معزوة اليه . اما تعاليق لجنة المجمع فقد صدرناها بحرفي « م . ع » تمييزاً لها عن تلك .

وفي الكتاب هنات كان يجب حذفها لولا ان الناس يحبون ان يروا الكتاب على ما ألفه صاحبه عليه فرأينا اثباتها رعاية لامانة النقل . لكننا جعلنا فيها حرف اللام بدلا من الكاف واعتمدنا في فهمها على نباهة القارئ ولم نضع البسملة في فاتحة الكتاب حتى لا يتوهم متوهم ان ما بعدها هو اول الكتاب وقد اسلفنا ان هذه النسخة مخرومة

مقدمة المصحح

« الاستاذ مرجليوث »

اخبر ياقوت الرومي في ترجمة القاضي ابي علي المحسّن التنوخي (١) ان له كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه انه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب . أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبة — قال غرس النعمة صنف ابو علي المحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة اولها سنة (٣٦٠) اه. واول مجلد منه نشرناه في سنة ١٩٢١ عن نسخة في مكتبة باريس العمومية وبذل البحاثة الشهير احمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب فنشر ثمرات افكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق. وقد اخبرنا ان عنده نسخة من الجزء الثاني. ومنذ سنتين نبهني صديقي المستشرق كرنكو على وجود خط (٢) في المتحف البريطاني رقمه (٩٥٨٦ شرقي) تتعلق مضامينه بتجارب الامم لمسكويه (٣) وهو غير معنون ولا مؤرخ لذهاب صدره وانما يذكر عند الانتهاء انه الجزء الثامن فطالعت الخط فوجدت المصنف يقول في مقدمته :

« ارجو ان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته »

وتشبه هذه الجملة ما ورد في مقدمة الجزء الاول من النشوار (٤) « فلو

« ١ » ارشاد الاريب ٦ : ٢٥١ « ٢ » « م.ع » اي مخطوط « ٣ » « م . ع » المعروف ان تجارب الامم لابن مسكويه . « ٤ » ص ١١

لم يكن فيه الا انه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة ان شاء الله »

ثم وجدت في معجم البلدان لياقوت (١) حكاية طويلة في اشتقاق اسم نهروان منسوبة لابي علي التنوخي في « نشوانه » وهي في خطّنا لفظاً بلفظ . وفي ارشاد الاريب لياقوت (٢) حكاية منقولة عن كتاب ابي علي التنوخي وهي ايضاً في الخط (٣) ثم دلني صديقي كرنكو على موضع من كتاب بدائع البدائه لابن ظافر (٤) يقول فيه : وذكر القاضي ابو علي التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني ابو طاهر الخ والحكاية في خطنا (٥) ثم وجدت في الكتاب دلائل تدل على ان المؤلف هو المحسن التنوخي : منها ذكر مولى ابيه الذي اسمه مبشر وهو مذكور في الجزء الاول ايضاً والتاريخ ٣٦٣ وروايات وردت في كتاب الوزراء لهلال منسوبة لابي الحسين علي بن هشام المعروف ابوه بابي قيراط صدرها مؤلف النشوار بالعبارة : « حدثني » وجعل هلال مكان ذلك « حدثنا » ولا يبقى شك في ان الجزء الثامن المذكور هو الجزء الثامن من نشوار المحاضرة

وعدد اوراق الخط ١١١ تحتوي الصفحة منها على ١٥ سطراً . ولم احذف شيئاً فان المؤلف لم يخل بالادب في هذا الجزء الا نادراً.

ولما علمني الاختبار ان المترجم يلفت نظره ما يذهب عن غيره رأيت ان ابدأ بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ، قبل الاقدام على

« ١ » ٤ : ٨٤٧ « ٢ » ٥ : ٤٤٤ « ٣ » ص ١٠٦ من الاصل . « ٤ » بهامش معاهد التنصيص « مصر ١٣١٦ » ٢ : ٢٢ « ٥ » ص ٧٠ من الاصل

نشر اصله ،فصارت الترجمة تصدر فى مجلة تظهر في حيدر اباد دكن اسمها The Islamic Review وقد آن ان اقدم الاصل العربي الى اعضاء المجمع العلمي راجياً منهم المسامحة اذا زلت القدم وداعياً لهم بدوام النعم.

د . س . مرجليوث

* *
* *

وهذا هو الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة نبدأ بنشره من أوله المخروم ونثبته كما هو فيما يلي :

. . . .

. . . .

اكثرها قولا وتغيراً العوائد في اخلاق اكثر العالم ومعاملاتهم ورسومهم فتلقطت هذا الفن واثبته وخلطت به ما حدث وتحدث (١) من مليح شعر لمن ضمنا واياه دهر ممن لم يخلق شعره بالاشتهار ولا بشمه الناس بالاستكثار ومن رسالة غريبة او فائدة ادبية او حكم جديدة او ما يغلب على ظني من اشباه ذلك — وان قدم — انه لم يدون او منام طريف او حادث عجيب او رسم غريب او مستنبط مفيد قريب ليعرف الفرق بين الامرين والتباين في الحالين ويهش لذلك من قد فرغ من الآداب والعلوم وسبر اكثر الافهام والحلوم وقوم (٢) الى معرفة اسرار الامور والعادة في الجمهور والتدبيرات والاختيارات والملح في جميع الحالات التي لا يكشفها له الفكر الا في الطويل من العمر واذا وقفت (٣) عليها من ها هنا قربت من يديه وخف تناولها عليه ولم اجعل ذلك مرتباً على ابواب لملل واسباب قد ذكرتها فيما قبل هذا واوردت فيه جمل هذا القول وشرحت في رسالة كل جزء ما يغني عن الاطالة فيها ويوضح المغزا (٤) ويقوم بالعذر وارجو ان لا اكون مذموما عما جمعته ان لم احمد على ما صنعته وان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته ان شاء الله .

«١» م.ع لعل صوابه ويحدث «٢» لعله قوم «٣» لعله وقف «٤» «م.ع» كذا في الاصل

حدثني ابو الحسين علي بن هشام بن عبدالله الكاتب البغدادي المعروف ابوه بابي قيراط كاتب ابن الفرات قال سمعت ان ابا القاسم كان اذا خلا وتذكر امر الآخرة وما هو منقطع (١) عنها من امر السلطان يقول اللهم لا تخرجني من الصدر الى القبر لا فرجة لي بينهما . قال ابو الحسين فاجيبت دعوته وجلس في منزله قبل موته نحوا من سنة تائباً من التصرف تاركا لطابه فلما اعتل علة موته جاءته رسالة الراضي يستدعيه ليقرر معه امر الوزارة وبوليه اياها فقال : آلآن !! لئن كان قبل مدة لعله لو جاءني هذا الامر وانا تائب لما رددته ولعلي كنت انقض التوبة فالحمد لله الذي لم يتم عليّ ذلك .

حدثني (٢) ابو الحسين قال اقرأني ابو عبدالله احمد بن محمد الحكيمي (٣) كتابا بخط علي بن عيسى واخبرني انه كتبه اليه في وزارته الاخيرة وهو يتقلد له طساسيج (٤) طريق خراسان يحثه على حمل المال ويستحثه قال قد كنت اكرمك الله عندي بعيداً من التقصير غنياً عن التنبيه والتبصير راغباً فيما خصك بالجمال وقدمك على نظرائك من العمال واتصلت بك ثقتي وانصرفت نحوك عنايتي ورددت الجليل من العمل اليك واعتمدت في المهم عليك ثم وضح لي من اثرك وصح عندي من خبرك ما اقتضى استزادتك وردفه ما استدعى استبطاءك ولا عتك وانت تعرف صورة الحال وتطلعي مع شدة

« ١ » لعله سقط « به » « ٢ » راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٣٣٩ . « ٣ » عند هلال (الحليمي) « ٤ » م.ع الطساسيج لاهل الاهواز كالمخاليف لاهل اليمن والكور لاهل العراق والطسوج ايضاً ربع الدانق

الضرورة الى ورود المال وكان يجب ان تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى تدر حمولتك (١) وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا يتأخر فنشدتك الله لمّا تجنبت مذاهب الاغفال والاهمال وقرنت الجواب من كتابي هذا بمال تبتزه من سائر جهاته وتحصله وتبادر به وتحمله فان العين اليه ممدودة والساعات لوروده معدودة والعذر في تأخره ضيق وانا عليك من سوء العاقبة مشفق والسلام

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبد الله بن علي الباقطائي (٢) قال حدثنا ابو جعفر احمد بن اسرائيل قال : كان سبب رفعة عبيدالله بن يحيى طاب المتوكل لحدث من اولاد الكتاب يوقع بحضرته في الابنية والمهمات لانه كان قد اسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٣) واقتصر على اصحاب الدواوين وامرهم ان يعرضوا الاعمال بانفسهم وجعل التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها . فاسمى له جماعة فاختار عبيدالله من بينهم فحضر اول يوم فصلى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على رسم الكتاب قال ابو الحسين لانه لم يكن احد يصل الى الخليفة الا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم الا القضاة لا في موكب

« ١ » عند هلال (ترد حمولك) ٢٢ « م . ع » : قال ياقوت في المعجم باقطايا ويقال باقطيا من قرى بغداد ينسب اليها الحسين بن علي الكاتب الاديب ذكرته في كتاب معجم الادباء . « ٣ » الصواب الجرجرائي

ولا غيره فاذا كان يوم موكب كانت الاقبية كلها سوادا واذا كان غير يوم موكب فربما كانت من بياض وفي الاكثر سوادا . فلما صلى عبيدالله وجلس لم يجتز به احد من الحاشية كبير ولا صغير الا قام اليه قائماً وسلم عليه حتى قام الى رئيس الفراشين . فرآه بعض الحاشية فقال من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس حتى قام الى الكلاب؟ فقيل له فلان . ثم اذن له المتوكل لما خلا فدخل اليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية وكان طويل العنق فظهرت عنقه فلما رآه المتوكل اومى بيده الى قفاه ومسحه شبه صفعة فاخذ عبيدالله يده فقبلها . فنفق عليه وخف على قلبه وسر بذلك واستخف روحه وقال له اكتب فكتب وهو قائم (انا فتحنا لك فتحاً مبينا) الى قوله عز وجل (وينصرك الله نصراً عزيزا) فكتب (وينصرك يا امير المؤمنين نصراً عزيزا) فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتفاءل بذلك وقال له الزم الدار فكان يلزمها منذ السحر والى وقت نوم المتوكل في الليل . وقوي امره مع الايام حتى صار يعرض الاعمال كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير . والتاريخ لوصيف . فامره المتوكل في بعض الايام ان يكتب نسخة في امر الابنية فقال نعم فلما كان بعد ساعة سأله هل كتبت؟ فقال لم يكن معي دواة فقال اكتب الساعة فاستحضر دواة وكان ايتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك فلما خرج عبيدالله قال له انما طلبك امير المؤمنين اتكتب بين يديه فاذا حضرت بلا دواة فلاي شيء تجيء ؟ فقال له عبيدالله واي مدخل لك انت في هذا ؟ انت حاجب او وزير ؟ فاغتاظ من ذلك فامر به فبطح وضربه على رجليه عشرين مقرعة وقال

انه الآن علمت ان لي فيه مدخلا . فلم يتأخر عبيدالله عن الخدمة وعاد فجعل يمشي ويمرج. فسأل المتوكل عن خبره فعرف الصورة فغاظ عليه ذلك وقال انما قصده ايتاخ لمحبتي له . وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظائم مما كان يعمل به في ايام الواثق ولا يقدر له على نكبة لتمكنه من الاتراك فامر بان يخلع على عبيدالله من الغد وان لا يعرض احد من اصحاب الدواوين عليه شيئاً وان يدفعوا أعمالهم اليه ليعرضها واجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم .فندم ايتاخ على ما فعله وجعل يداري عبيد الله ويثاقفه (١) وقوي امر عبيدالله حتى حذف بنفسه من غير امر اسم وصيف من التاريخ واثبت اسمه. ثم امر له المتوكل برزق الوزارة ثم خوطب بالوزارة بعد مديدة وخلع عليه ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه وضم المتوكل الى ابنيه بضعة عشر الف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله وكان وزيراً اميراً .فلما تمكن هذا التمكن بالجيش والمحل عارض ايتاخ وبطأ (٢) حوائجه وقصده ووضع من كتّابه . ولم يزل ذلك يقوى من فعله الى ان دبر على ايتاخ فقتله على يد اسحاق بن ابراهيم الظاهري ببغداد بعد عود ايتاخ من الحج .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في ايام حامد بن العباس ديوان بيت المال قال سمعت الفضل وهو يحكي

« ١ » « م.ع » : المثاقفة المنافسة في الحذق والفطانة وادراك الشيء وفعله . ومحاولة اصابة الغرة في مسابقة ونحوها.« ٢ » «م . ع »: المعروف ان ابطأ وبطأ يتعديان بحرف الجر

عن ابيه وهو ابو الفضل بن مروان قال كان في نفس الواثق على محمد بن عبد الملك الزيات المظائم مما كان يعامله به في ايام ابيه فمن ذلك ان المعلم شكا الى المعتصم ان الواثق لا يتعلم فاذا طالبه بذلك شتمه ووثب عليه فأمر المعتصم محمداً بان يضرب الواثق اربع مقارع فخرج محمد واستدعى الواثق وضربه ثلاث عشرة مقرعة حتى مرض. فلما عرف ابوه الخبر انكر ذلك وحلف للواثق انه ما أمر محمدا الا ان يضربه اربع مقارع فاخفاها في نفسه فكان يبغضه وعلم محمد بذلك وكان يقصده في ضياعه واملاكه لما ترعرع وصار اميراً. فوقع المعتصم يوماً ان يقطع الواثق ما ارتفاعه الف الف درهم فمحاها محمد وكتب (ما قيمته الف الف درهم) فلما دخل اليه الخادم وعرفه ما عمله محمد وثب الى ابيه وعرفه ذلك وعرض التوقيع عليه فقال له المعتصم ما أغير ما وقعت به وما ارى في التوقيع اصلاحاً. وكان محمد قد اجاد محوه وعلم المعتصم ان رأي محمد في الاقتصاد اصلح فبطل ما كان يريده الواثق وانصرف فقال للخادم قد تم علي من هذا الكاتب كل مكروه فان افضت الخلافة الي فقتلني الله ان لم اقتله. ثم قال له انت خادمي وثقتي فان افضى هذا الامر الي فقتله ساعة اخاطب بالخلافة ولا تشاورني وجئني برأسه قال فمضت الايام وتقلد الواثق فحضر الدار في اول يوم محمد بن عبد الملك مع الكتاب فتقدم الواثق الى الكتاب دونه بان يكتب كل منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة فكتبوا باسرهم وعرضوا ذلك عليه فلم يرضه فقال لمحمد اكتب انت فكتب في الحال بلا نسخة كتابا حسناً وعرضه فاستحسنه وامر بتحرير الكتب عليه ولم يبرح حضرته حتى اقره على الوزارة

وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه .قال الخادم فعجبت من ذلك وقلت تراه أنسي ما كان امرني به ؟ لم لا استأذنه في ذلك واذكره به؟ فتقدمت اليه لما خلا ، واذكرته الحديث واستأذنته فقال ويحك السلطان الى محمد بن عبدالملك احوج من محمد الى السلطان دعه . قال فرقاه الواثق الى ما لم يرقه اليه المعتصم . قال الفضل بن مروان ولا نعلم وزيراً وزر وزارة واحدة بلا صرف لثلاثة خلفاء متسقين غير محمد بن عبدالملك.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال حدثني وكيع القاضي قال ابو الحسين وقد رأيت محمد بن خلف وكيع وكتبت عنه اشياء كثيرة ليس هذا منها قال كنت اتقلد لابي حازم وقوفاً في أيام المعتضد منها وقوف الحسن ابن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسيني ادخل اليه بعض وقوف الحسن بن سهل كانت في يدي ومجاورة للقصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مالها الا ما اخذه المعتضد فجئت الى ابي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبله وعلى اهل الوقف فقال لي فهل جبيت ما على امير المؤمنين فقلت ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع او تأخذ ما عليه ووالله لئن لم يزح العلة لاوليت له عملاً . ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل انك رسولي انفذتك في مهم فاذا وصلت فعرفه ما قلت لك فجئت وقلت لصافي ذلك فاوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي

الخليفة ظن امراً عظيما قد حدث فقال لي هي (١) قل. كأنه متشوف.

فقلت له ان الى عبدالحميد قاضي امير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد ادخله امير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى ان اجبي ما على امير المؤمنين وانفذني الساعة قاصداً لهذا السبب فامرني ان اقول اني حضرت في مهم لا صل. قال فسكت ساعة متفكراً ثم قال اصاب عبدالحميد يا صافي هات الصندوق قال فاحضر صندوقاً لطيفاً فقال كم يجب لك فقلت الذي جبيت عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار قال فكيف حذقك بالنقد والوزن فقلت اعرفهما قال هاتوا ميزانا فجاؤا بميزان حراني حسن عليه حلية ذهب فاخرج من الصندوق دنانير عيناً فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت الى ابي حازم بالخبر فقال اضفها الى ما اجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لابي حازم بهذا السبب واقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه في انصافه

حدثني (٢) ابو الحسين علي بن هشام ابي قيراط الكاتب البغدادي قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد ابن الفرات يحدث قال كان النهيكي العامل قد لازم ابا القاسم عبيدالله بن سليمان في ايام نكبته فلم يكن لما ولي الوزارة الا الاحسان اليه فقلده بادوريا (٣) وكان لا يتقلدها الا جلة الناس واقد

«١» «م . ع» يقال عند الاغراء بالشيء هي هي «٢» راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٧٦ . «٣» «م . ع» طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد

سمعت اخي ابا العباس (١) يقول انه من صلح لتقلد بادوريا صلح ان يتقلد ديوان الخراج ومن صلح لديوان الخراج صلح للوزارة .قال والسبب في هذا ان المعاملات ببادوريا كثيرة مختلفة وانها عرصة المملكة وعاملها يعامل اولاد الخلافة والوزراء والقواد والكتاب ووجوه الاشراف والرعية فاذا ضبط اختلاف تلك العادات وقام بارضاء هذه الطبقات صلح للامور الكبار .قال ابو الحسن فاقام النهيكي يتولى بادوريا نحو سنتين مدة تقلد عبدالرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج في ايام عبيدالله ثم مدة ايام (٢) ابي العباس احمد بن محمد بن ابي الاصبغ لديوان الخراج في ايام عبيدالله الى ان طلقت (٣) انا واخي وتقلد ديوان زمام (٤) الخراج وزمام ديوان الضياع وخلفته عليهما فكنا اذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب لم يجبنا ادلالاً لمحله من الوزارة وتعفيه (٥) فانه كان مشهوراً بالعفة واذا كاتبناه في شيء من امور العمل اقل الحفل بكتبنا فلما طالت المدة عليه الححنا عليه بالمطالبة برفع الحساب وشكوناه الى الوزير فوكل به من (٦) داره مستحثاً له في رفع الحساب لعدة سنين فتشاغلت انا بعمل مؤامرة له فلم اجد عليه كثير تأول وحضرنا بين يدي عبيدالله لمناظرته وقد كنت صدرت اول باب من المؤامرة بانه فصل تفصيلاً عن الغلة المبيعة جملته على حسب مايوجبه التفصيل اكثر

«١» معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٦٠ «٢» الصواب تقلد «٣» «م . ع» اي تركت . وله شواهد في كتب اللغة «٤» م ع : هكذا جاءت في الاصل «٥» م. ع: كذا في الاصل . ولعل الصواب تعففه : الا ان يكون من قبيل تمطى وتظنى. «٦» عند هلال: من لازمه «م . ع» لعل الاصل داوره.

من الجملة التي اوردها بالف دينار فقال اتتبع. فما زال يتتبع الى ان صح الباب عليه وقال وما هذا (١) غلط الكاتب في الجملة فبدأت اكلمه فاسكتني اخي واقبل على عبيدالله فقال يا ايها الوزير صدق هذا غلط في الحساب فالدنانير في كيس من حصلت . فقال له عبيدالله صدق ابو العباس والله لا وليت لي عملاً يا لص . ثم اتبعت هذا الباب بباب آخر وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها فلما لاحت عليه الحجة قال اريد كتابي بعينه فبدأت اكلمه فاسكتني اخي ثم قال ايها الوزير يطعن في ديوانك ونسخ الكتب الواردة والنافذة شاهدا عدل . فقال صدق يا عدو الله وامر بسحبه فسحب وما برحنا حتى اخذ خطه بثلثة عشر الف دينار واهلكناه بهذا وما عمل بعد هذا كثير عمل

« للبحث صلة »

«١» عند هلال : وماذا يكون هذا .

درس الآداب العربية الحديثة

« مناهجه ومقاصده في الحاضر »

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle
ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ ردح من الدهر يزيد على ربع قرن وانا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات جمة اما خارجية عن الموضوع واما داخلة فيه ولست أعرف أيها كان اكبر عقبة لدرسي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن ينابيع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلها وحدهم خزنتها ومادتها فاني لم أزر اماكن النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر الا مرة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحرب مواصلاتنا بتاتاً من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ تقريباً . وماوصلني طول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لا يروي غليلاً ولا يغني فتيلا . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي على خزائني الخاصة فقط وقد جمعتها بكدّ النفس وصرفت عليها من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزائن الشهيرة في بلاد العرب ولا سيما معاشرة أفاضلها وأساتذتها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانية ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي وندرة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطبعات المحصة لتآليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الاوربية . ومهما يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في بحثي ودرسي راجياً ان ينتفع بثمار أتعابي من يسير على آثاري .

ولقد تراكمت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطرحها على بساط

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر. فصاحب البيت بالطبع أدرى بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته ·

ولسائل ان يسألني لماذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب · فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينهما في منهج درسها لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد · وهذا مما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بحالة الدروس الادبية في الغرب · وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مهيعاً فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق · فترى في كل البلاد المتمدنة خزائن الكتب والمخطوطات المرتبة المنظمة · والقاهرةُ او بيروت اودمشق من أحسن الدلائل على علو الهمم في ادارة الامم · وقد جمعت هذه المجموعات طرفاً حسناً من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب · اما فهارس المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية · وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الچلبي الذي لم يكن يخطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة · ومن جهة الأبحاث المخصصة لا تضعف همة الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها نعم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس · وكُتُب طه حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز الميمني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة · اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ولا اهتماماً بجمع مآخذها وموادّها في الغرب ولا في الشرق · ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لان الفرصة التي تفوت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى ·

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المتقدمة ولا فرق بينهما · ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر · وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي و بخيوط لا ترى ولا حدّ محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه · ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الأطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معينة بل يتدرّج عما قبله تدريجا . وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخيـة حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيـادة نابوليون التي جرت على الشرق العربي نتائج جمة منهـا سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته باوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير الا انهـا توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا مايدعونا لان نبتدئ بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم ننس ما قلنـاه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة اوجه تكون مصدر أفكارنا وهي اولاً قلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . وثالثاً تنوّع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولا حاجة هنا الى وصف احوال البحث في الآداب العربية الحديثة فانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فان الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه اكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء العادي الذي لاقيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والاثرية تنقب عن آثار المصريين والاشوريين والحثيين ولم نر الا نزراً قليلاً منها خاصاً بآثار الدور الاسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق في ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوّعهم الا اختصاصياً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإمعان الا وهو مارتين هارتمان الالماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفماير الالماني . ولذلك نرى في المانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

ببعض كتبة العصر او بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب · اما البلدان الاخرى فلا نعرف فيها الا عالماً واحداً ساح وتجوّل في اماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأتعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي · وعلى قلة المهتمين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متأمل ان علماء اوربا في النصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعريفها لعالم العلم والأدب أقوى وأشد فان الاساتذة رينو في فرنسا او فليشر في المانيا لم يفتهما شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة العهد في وقتهما او اعمال المجامع المؤسسة حديثاً · فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها ونقدها · اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الأدب وآثاره فلا يسعنا الا ان نحكم على علماء اوربا ومستعربيها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكا منه مراراً الاستاذان كامفماير وجيب ·

فلو رجعنا بعد ماقلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب لرأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق بقليل لكنها ناقصة من عدة وجوه · ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإجمالية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب · وقد كُتب عنها مايغني عن الإسهاب في هذا المحل · وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدّد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذه · ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن · ولو كمل هذا الكتاب لسدّ ثغراً في معارفنا بيّناً · ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الاوربية إجمالاً · اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غاية ما يطلبه الآن المنهج العلمي الدارج في اوربا · ولا نستثني من ذلك الا شيئاً يسيراً كأبحاث السيدة (ميّ) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية اوتاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها · اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية او تقاريظ دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع مرور

الايام وان كانت في بعضها مواد للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي ٠

هذه الأحوال التي نشاهدها في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم باحث يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه الى ان لا يضيّق حيّز بحثه بما تحتوي به اللغة العربية بل يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وان كانت بعيدة عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها او تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان نافعاً ومناسباً للغته وآدابها ٠ وللحقير من هذه الجهة مركز خاص ربما يجعله أسعد حظاً من علماء اوربا في الممالك الاخرى ٠ فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها النظر بين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تآليفهم من أحسن ما كُتب في هذا الموضوع في عالم العلم ٠ وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم تبتدئ درس آدابها الا من عشرات من السنين وبين يديك لغة الروسيا البيضاء وآدابها وهي وان كانت عريقة في القدم لم يبتدئ طورها الجديد الا منذ نصف قرن ولم يبتدئ درسها المرتب العلمي الا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقي التمدن في الروسيا البيضاء التي تحوّلت حديثاً الى اكاديمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء ٠ ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المهتمة بجمع كل ما له ادنى علاقة بالموضوع وتدوينه وترتيبه وإعداده للدرس العلمي ٠ ولا شك ان تجارب هذه الأمم ودوائرها العلميـة مما يفيد كل عالم مدقق يحب ترويج الدروس في تاريخ آداب لغته من اي بلد اولغة كان ٠ خصوصاً علماء العرب او المستعربين الذين ليس للغتهم أمثلة هذه الدوائر اوالاهتمام بالمناهج الراقية ٠

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره ٠ ولسنا نطلب من كل باحث في تاريخ الآداب ان يكون له اقل إلمام بكلٍّ من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها لان هذا يحتاج الى وقت طويل ودرس خصوصي لا يحتمله الا علماء النظريات ٠ ومما لا شك فيه ان الباحث الذي يريد ان يكون عمله على مستوى ماتطلبه حالة العلم الحاضرة لا مندوحة له من ان يتعرف الى بعض التآليف البارزة التي تعد من أجمل الأمثلة في لغاتها ٠ هذا أقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه ويتمكن في طريقه السديد ٠ اما المناهج التاريخية الادبية فكثيرة في اوربا الحاضرة منها

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن او علم الأخلاق او علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعاً لدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي تُعنى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنيـة . ولسنا نعني بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الادبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كاتبه كالجزء الذي لايتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل تقلباته وان يدرس بيئته التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها او الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يجعل نقطة الدائرة درس صورة التـأليف وأساليب المؤلف الفنيـة وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيلاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنها وقافيتهـا او المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا يخفى على احد انـ هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربيـة منذ القديم ولكن استعمالاً سطحياً لم يعنَّ لفكر الباحث الا بالصدفة او تواتر الافكار بدونـ سابق المعرفة بتجارب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجينا من غلطات المتقدمين ولا يوقعنا في الورطة التي وقعوا فيهـا . ولا حاجة لنا الى التعمق في المجادلات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقاتها وتهافتها — المجادلات التي تكثر في الدوائر العلمية الاوربية . لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف في استعماله ولا يضيق بحثه بحدود ضيقة ناشئة . ولا ننسى ايضاً انـ تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أحوج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام تافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيداتنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لايخفى على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمانـ : اولها جمع المواد ثانيها ترتيبهـا واختيارها وثالثهـا الدرس بمعناه الخصوصي وهو يحتوي خلا نقد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة او نظر إجمالي او تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه وهلم جرّاً . ولا يخفى ايضاً ان هذه الاقسام او المراتب باقيـة هي ذاتها في عمل شخصي او في اعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب او الدائرة التي

أنشئت بسببه · وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى · ولنا ان نسأل اولا ما ذا عُمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد · وقبل ان نتعمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مآخذه او ينابيعه كما يقول علماء اوربا · ولسنا نعني بالمصادر كل ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل وكل ما كُتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تآليفه من انتقاد وتذكار ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آلاته كقلمه او دواته او كرسيه الذي كتب كُتبه قاعداً عليه · بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخييل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية · ولا تنحصر المآخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجمع كل ما كُتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة · هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرتين شاعر فرنسا الشهير ذكراً لناصيف اليازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا نتصوره · وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عيّاد الطنطاوي في يوميات فالين السائح الفنلاندي تصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج · ويلزمنا ايضاً ألاّ يفوتنا شيء من آثار لها علاقة بالمؤلف فالكتابة على قبر الطنطاوي مثلاً أوضحت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يخالف عما في الأوراق الرسمية ·

ومما تقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم · وان خزائن الكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تآليف العصريين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب · وليس من المجاميع على ما نعلم الا مجموعة واحدة تستحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أبدانه في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من المانيا · وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشروح آنفاً · وليس من الحكمة ان ينحصر مجهودنا في الاعمال الشخصية فقط

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد ببث الرسائل الخصوصية ونشر الاعلانات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكرات من أفواه معاصريه · ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضاً الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس مايوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة ·

ومما لا شك فيه أن كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللائحة المخصوصة المرسومة بايدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لهم إلمام بمناهج البحث الأدبي التاريخي · ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي يهم العلم جمعها ودرسها ونذكر ايضاً المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التآليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي يهم درسها وتوضيحها · وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة ·

بجمع المآخذ يتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية · وهذا العمل الشاق متنوع تنوعاً ليس باقل من الاول والتالي · ولسنا نعني به الفهارس البسيطة السطحية أمثال فهارس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعني وصفاً دقيقاً علمياً يصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً يفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر · وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في المحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غربية ومجلات متنوعة في اللغات الغربية · مثال ذلك ان مكاتيب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنغفورس عاصمة فنلاندا وبعضها في قازان عاصمة الجمهورية التتارية · ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تآليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسعه علم عالم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب ·

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الاولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف سركيس والزركلي الشهيرة ولكنها لاتمثل الا خطوة اولى في هذا الطريق ويجب تدقيقها وترقيتها لكي يصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلمان الألماني عن الآداب العربية في القرن الوسطى · ومن العدالة ان لايختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصرونا الاحياء ممن يكون لهم شأن في المستقبل · وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال اللوائح المخصوصة المشتملة على الاسئلة المعينة على نحو ماعمل و بنغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمتن آساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة · ولنا مثال أقرب من هذا في سعي كامفماير العالم الالماني المذكور ونشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة باقلامهم إجابةً لسؤاله وكل ذلك من أوثق المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة · ومن قبيل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة العرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا · وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتبة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء تتلاشى بمرور الايام · وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زينب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد حسين هيكل فلا يتيسر معرفته لابنائنا ان لم نثبت هذا في كتاب ما · ومن قبيل الاعمال الاولية ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتب فيه او طُبع في وقته · وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقييد ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيما بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد · وهذه الفهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يعسر الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين ·

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتبة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المتفرقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد · وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده فالطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

بقيت الى يومنا وحسب كل طبعات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يعرقل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق جمة وقت ترتيب المواد لنشرتنا المنتخبات العصرية لانا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل في كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي كتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يك . . ناسب لدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع مد عاتها اوايضاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقاً بالحواشي والشروح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه وتبين له كل جليلة ودقيقة تستحق الذكر . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة ولذلك يهم الاعتناء بحسن حروفه واتقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحتوي ايضاً على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكاتب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما تدخل ايضاً نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المرتبة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج درس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لنا ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدرس الآداب العربية الحديثة وهي المذهب لاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية ولا لزوم الى اعادة ما قلناه عن هذه ـاهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي خل في الدرس وهي اكثر من ان تعد وتحصى فمن أهم الدروس بحث أحوال العمل ف ونظريته في مسائل الآداب ونفسية التأليف وانعكاس بيئته في تأليفه او امانيه اله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية ففي المحل الاول يحل درس فضائل ناعته او نقائصها من كل وجوهها . ولا يختصر درس الآداب بدرس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضاً كتاريخ الانتقاد الحديث او تاريخ الصحافة وقد

أتحفنا فيليب طرازي بنموذج حسن من هذا القبيل . وللدروس هذه المرتبة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة او أفرادها الكرام ولهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روائعه فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن اليازجي والبستاني الكبير وولي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتحفتنا بكتيّب في الشعر النسائي المصري يمثل لنا كبيرات نجومه . ومن هذه الجهة انفع الدروس كتب المنتخبات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تآليف العصر وكنا نودّ لو طبعت منتخبات من تآليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوربا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة عجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى نتيجتها النهائية وهي جلية لكل متأمل جلاءً واضحاً ونقول لا يسع عالماً واحداً مهما علت همته او قويت قريحته او حسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الاعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأيناه فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولاهما المتحف الخصوصي الحاوي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت بوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الروسي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق ببوشكين فقط بل وبسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً منها قسم الكتب الجامع لكل الطبعات من الشعراء والكتبة الروسيين وكل ما كُتب عنهم من الانتقاد وتاريخ حياتهم وتذكرات معاصريهم ومجلات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاوي تركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكاتيبهم منهم واليهم . ومنها المتحف بالمعنى المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصاوير تفسر حياتهم وتآليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيها

فهارس كل ما هو معروف عن الكاتب المفرد وتآليفه ووقته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له همة في ذلك . ووصف هذا المتحف بكل دقائقه يطلب محلاً واسعاً ويحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألّف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسوية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن المتحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك نقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدرس الآداب حسب الاوجه الثلاثة المشروحة آنفاً وحسب اللائحة المفصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالإنستيتوت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسماً منه يهتم بدرس الآداب العربية الحديثة خصوصاً . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل امعان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استحسان بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا بثه وسرده وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسنى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل المجهود من العلماء المجتمعين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكمت لدى هذا الحقير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربع قرن . ولأعضاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونلتمس من قراء المجلة الفضلاء الذين لهم اليد الطولى في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليقهم فباصطدام الآراء تنجلي الحقيقة ، وربما نتوفق في سعينا الى ترويج درس الآداب العربية الحاضرة ويكون في ذلك امتزاج همة الشرق وتجاريب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي ضالتنا .

كُتب في أسكي قريم : ا . كراتشقوفسكي

عضو المجمع العلمي العربي

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٣ —

(احاطة الوجود وسعته) : وذهب الى سعة في وجود الواجب (اي الله) واحاطة معنوية تامة تشمل الكون باجمعه ولا يشذ عنه شيء وهذا الرأي يوضح مذهب صدرالدين في القوة المبدعة (اي الله) كما انه يوضح معنى وحدة الوجود .

قال في كتابه (شواهد الربوبية) الاشراق العاشر في انه جل اسمه كل الوجود قول اجمالي كل بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحدته كل الاشياء والا لكان ذاته متحصل القوام من هوية امر ولا هوية امر ولو في العقل (قول تفصيلي) اذا قلنا لانسان يسلب عنه الفرس اوالفرسية فليس هو من حيث هو انسان لافرس والا لزم من تعقله تعقل ذلك السلب اذ ليس سلباً بحتاً بل سلب نحو من الوجود فكل مصداق لايجاب سلب المحمول عنه لايكون الا مركبا فان لك ان تحضر في الذهن صورته وصورة ذلك المحمول مواطأة او اشتقاقاً فتقايس بينهما وتسلب احدهما عن الآخر فما به الشيء هو هو غير مابه يصدق عليه انه ليس هو فاذا قلت زيد ليس بكاتب فلا يكون صورة زيد بما هي صورة زيد ليس بكاتب والا لكان زيد من حيث هو زيد عدماً بحتاً بل لا بد وان يكون موضوع هذه القضية مركبا من صورة زيد وامر آخر به يكون مسلوبا عنه الكتابة من قوة او استعداد . فان الفعل المطلق لايكون هو بعينه من حيث هو بالفعل عدم فعل آخر الا ان يكون فيه تركيب من فعل وقوة ولو في العقل بحسب تحليله الى مهية ووجود وامكان ووجوب واجب الوجود لما كان مجرد الوجود القائم بذاته من غير شائبة كثيرة اصلاً فلا يسلب عنه شيء من الاشياء لانه تمامها وتمام الشيء احق به واوكد له من نفسه واليه الاشارة في قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (مامن نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم) فهو رابع الثلاثة وخامس الاربعة وسادس الخمسة لانه بوحدانية

كل الاشياء وليس هو شيئاً من الاشياء لان وحدته ليست عددية من جنس وحدات الموجودات حتى يحصل من تكررها الاعداد بل وحدة حقيقية لا مكافي لها في الوجود ولهذا كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولو قالوا ثالث اثنين لم يكونوا كفاراً . ومن الشواهد البينة على هذه الدعوى قوله تعالى (هو معكم اينما كنتم) فان هذه المعيــة ليست ممازجة ولا مداخلة ولا حلولاً ولا اتحاداً ولا معية في المرتبة وفي درجة الوجود ولا في الزمان ولا في الوضع تعالى عن ذلك علواً كبيراً هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . ونسب اليه هذا الرباعي :

مجموعهٔ كونين باشين سبق كرديم تفحص ورقا بعد ورق
حقا كه نخوانديم ونديديم دراو جز ذات حق وشئون ذاتيه حق

اي تصفحنا صفحات الوجود ورقاً بعد ورق حقاً ما تلونا وما رأينا فيها الا ذات الحق تعالى وشؤون ذاته الحقة .

ونسب اليه هذا البيت ايضاً :

وما الناس في التمثال الا كثلجة وانت لها الماء الذي فيه [1] نابع

وهذا الرأي ايضاً يشبه مذهب (باسكال) السابق الذكر[2] .

وهذا المذهب كمذهب الماديين وان في المادة مبدأ مدبراً هو الله وان عنصر النظام الذي نعثر عليه في نواحي المادة هو الله ويشعر بل ينص بقدم المادة وازليتها لان المبدع ليس منفصلاً عنه وان كان ارتباطه بطريق مجهول . بقي شيء : وفرق بين المذهبين مذهب صدر الدين ووحدة الوجود ومذهب الماديين وهو ان الماديين ينكرون الشعور العام المسمى بالعلم وينكرون وجود الغاية والحكمة في خلق الكون واجزاء العالم ونواميسه الجارية ولكن صدر الدين يثبت العلم والغاية في كليهما في الوجود .

(مذهب صدر الدين في علم الباري تعالى) : من اعوص مسائل اللاهوت التي شغلت حيزاً من افكار الفلاسفة من اقدم عصور الفلسفة هي مسألة علم الباري (الله) اضطربت

---

(١) وجدنا البيت بنصه المنقول ولكن ضمير التذكير لا يستقيم الا بارجاعه الى التمثال .

(٢) ولد باسكال في كليرمون في ١٨ يونيه سنة ١٦٢٣م وتوفي سنة ١٦٦٢م .

فيه الآراء واختلفت المذاهب حتى بلغ اصول المذاهب الفلسفية في العلم الى ثمانية اقوال وآراء لان علم الواجب على المبادي الفلسفية لا يقاس بعلم الممكن ولما فكر صدر الدين في مذاهب الفلاسفة المتقدمين في العلم فوجدها لا تزيح النقاب عن وجه الحقيقة كما يريد — سلك مسلكاً في العلم يتصل الى مسلك وحدة الوجود ولكن العصر لم يكن يسمح له بالتصريح به خوفاً من الاضطهاد الديني ذكر (١) مذاهب المشائين وابي نصر وابن سينا و بهمينار (٢) مذهب الاشراقيين والسهروردي صاحب حكمة الاشراق (٣) مذهب المعتزلة (٤) مذهب فرفوريوس وقال ان لكل من هذه المذاهب الاربعة وجهاً صحيحاً لعلمه التفصيلي وقال ولا الذ تراحت اليه قلوب المتأخرين من العلم الاجمالي ·

بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سو ذه الطرق المذكورة ولا ارى في التنصيص عليه مصلحة لغموضه وعسر ادراكه على اكثر الافهام ولكني اشير اليه اشارة يهتدي بها اليه من وفق له وهو ان ذاته في مرتبة ذاته مظهر لجميع صفاته واسمائه كلها وهو ايضاً مجلاة يرى بها وفيها صور جميع الممكنات من غير حلول ولا اتحاد اذ الحلول يقتضي وجود شيئين لكل منهما وجود يغاير وجود صاحبه والاتحاد يستدعي ثبوت امرين يشتركان في وجود واحد ينتسب ذلك الوجود الى كل منهما بالذات وهناك ليس كذلك كما اشرنا اليه بل ذاته بمنزلة مرآة ترى فيها صور الموجودات كلها وليس وجود المرآة وجود ما يتراءى فيها اصلاً (اشارة تمثيلية) واعلم ان امر المرآة عجيب وقد خلقها الله عبرة للناظرين وذلك ان ما يظهر فيه و يتراءى من الصور ليست هي بعينها الاشخاص الخارجية كما ذهب اليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع ولا هي صور منطبعة فيها كما اختاره الطبيعيون ولا هي موجودات عالم المثال كما زعمه الاشراقيون فان كلاً من هذه الوجوه الثلاثة مقدوح مردود بوجوه من القدح والرد كما هو مشروح في كتب الحكماء بل الصواب ما اهتدينا اليه بنور الاعلام الرباني الخاص وهو ان تلك صو موجودات لا بالذات بل بالعرض بتبعية وجود الاشخاص المقترنة بجسم شف ... صقيل على شرائط مخصوصة فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية وهكذا يكون وجود الماهيات والطبائع الكلية عندنا في الخارج فالكلي الطبيعي اي الماهية من حيث هي موجودة بالعرض

لانه حكاية الوجود ليس معدوماً مطلقاً كما عليه المتكلمون ولا موجوداً اصلياً كما عليه الحكماء بل له وجود ظلي الخ ٠

« ايضاح هذا المطلب يتم بعدة مقدمات »

(الاولى) ان علم الباري يمثل بعلم النفس بذاتها فان العلم والمعلوم هناك واحد فالنفس عالمة ومعلومة والعلم ايضاً قائم بها ٠

(الثانية) ان وجود الباري ببساطته لا يشاب بعدم ونقص وله كمال لا نهائي فارفع درجات العلم وا كملها موجود هناك ولا يشوبه غيبة شيء ولا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اذ لو بقي شيء من الاشياء ولم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه وجهلاً بوجه آخر وصرف حقيقة الشيء لا تمتزج بغيره والا لم يخرج جميعه من القوة الى الفعل (اي لم يبلغ حد الكمال وهو خلاف الفرض) وعلمه راجع الى وجوده فكما ان وجوده لا يشاب بعدم ونقص فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشاب بغيبة شيء من الاشياء على انه تعالى محقق الحقائق ومشيء الاشياء فحضور ذاته تعالى حضور كل شيء ٠

(٣) الثالثة ان مثل الواجب الباري كمثل المرآة ومثل الموجودات الممكنات كمثل الصور المرئية فيها المنطبعة على صفحتها بواسطة اسبابها من محاذاة ذي الصورة لها ووجود النور وغيرهما فالصورة مرئية فيها وبها ولكن كيفية انطباعها وظهورها مجهولة لنا فتلك الموجودات تظهر في وجه الله وقيامها وظهورها يكون به تعالى فالطبائع الكلية لها وجود ظلي لولا وجود الباري لم يكن لها ظهور كما انه لولا المرآة لم يكن للصور ظهور ووجود ٠ فنحن نبصر الصور في المرآة ولا نعلم كيفية انطباعها فكذلك نرى الموجودات وهي قائمة به تعالى ولكن لا ندري ما هو الوجود الحق الواجب ٠

(٤) الرابعة فهو عالم بذاته وعلمه هو حضور الذات فنحن اذا فرضنا ان المرآة شعرت بذاتها المنطبعة فيها الصور يكون المثل أقرب الى المقصود ٠ فالوجود اللانهائي عالم بالوجود كافة هذه نهاية ما يصور ويدرك من فلسفة صدر الدين في العلم فهمناه من جملة كلامه المستور بستائر التقية ٠ ثم هذا العلم يتعلق بعلمه المتعلق بالايجاد ٠

ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له ٠

(مذهب صدر الدين في الحكمة في اجزاء الكون والقصد من وجودها) : من المسائل الفلسفية الغامضة التي تحير فيها كبار الفلاسفة مسألة وجود القصد والحكمة في تكون العالم (يقول صدر الدين) : زعم ايندقلس (انبـاذقلس) ان تكوّن الاجرام الاسطقسية بالاتفاق وذهب ذيمقراطيس ومن تبعه ان العالم وجد بالاتفاق وان لم يكن تكوّن الحيوان والنبات بالاتفاق ·

يقول الثاني ان مبادئ العالم اجرام صغار لا تتجزأ لصلابتها وهي مبثوثة في خلاء غير متناهي وهي متشاكلة الطبائع مختلفة الاشكال دائمة الحركة فاتفق ان تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة مخصوصة فتكوّن منها هذا العالم ·

ويقول الاول ان تكوّن الاجرام الاسطقسية بالاتفاق فما اتفق ان لم يكن كذلك لم يبق واحتج بحجج منها ان الطبيعة لا روية لها فلا يعقل ان يكون فعلها لاجل غرض · ومنها ان الفساد والموت والتشويهات والزوائد ليست مقصودة مع ان لها نظاماً لا يتغير كاضدادها فعلم ان الجميع غير مقصود للطبيعة فان نظام الذبول وان كان على عكس النشو والنمو لكن له كعكسه نظام لا يتغير ونهج لا يهمل ولما كان نظام الذبول ضرورة المادة من دون ان يكون مقصوداً للطبيعة فلا جرم يحكم بان نظام النشو والنمو ايضا بسبب ضرورة المادة بلا قصد وداعية للطبيعة وهـذا كالمطر الذي نعلم جزماً انه كائن لضرورة المادة اذ الشمس اذا بخرت الماء تخلص البخار الى الجو البارد فلما برد صار ماءً ثقيلاً فنزل ضرورة فاتفق ان يقع في مصالح فيظن ان الامطار مقصودة لتلك المصالح وليس كذلك بل لضرورة المادة ·

ومنها ان الطبيعة الواحدة تفعل افعالاً مختلفة مثل الحرارة فانها تحل الشمع وتعقد الملح وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب فهذه حجج القائلين بالاتفاق ·

وضع صدر الدين اولاً مقدمة في دحض حجج هذا المذهب مفادها ان الامور الممكنة على اربعة اقسام (١) الدائمي وهو يوجد بعلته ولا يعارضه معارض كحركة المنظومة الشمسية مثلاً (٢) والاكثري وهو قد يعارضه كالنـار في اكثر الامر تحرق الحطب وهو يتم بشرط عدم المعارض سواء أكان طبيعياً او ارادياً فان الارادة مع التصميم وتهيؤه للحركة وعدم مانع للحركة ونافض للعزيمة وامكان الوصول الى المطلوب فبين انه يستحيـل ان

لا يوصل اليه . (٣) ما يحصل بالتساوي كقعود زيد وقيامه . (٤) ما يحصل نادراً او على الأقل كتكون إصبع زائدة اما ما يكون على الدوام او على الاكثر فوجودهما لا يكون بالاتفاق لان الاتفاق معناه ان لا يخضع الشيء للنظام المستمر او الاكثر والثالث والرابع قد يكونان باعتبار ما واجباً اي خاضعاً لناموس لا يتغير مثل ان يشترط ان المادة في تكون كف الجنين فضُلت عن المصروف عنها الى الاصابع الخمس والقوة الفاعلة صادفت استعداداً تاماً في مادة طبيعية فيجب ان يتخلق اصبع زائدة فعند هذه الشروط يجب تكون الاصبع الزائدة ويكون ذلك ايضاً من باب الدائم بالنسبة الى هذه الطبيعة الجزئية وان كان نادراً قليلاً بالقياس الى سائر افراد النوع فاذا حقق الامر في تكون الامر الأقل انه دائم بشروطه وأسبابه ففي ضرورة المساوي اكثرياً اودائمياً بملاحظة شروطه وأسبابه لم يبق ريبة فالامور الموجودة بالاتفاق انما هي بالاتفاق عند الجاهل باسبابها وعللها واما بالقياس الى مسبب الاسباب والاسباب المكتنفة فلم يكن شيء من الموجودات اتفاقاً كما وقع في السنة الحكماء الاشياء كلها عند الاوائل واجبات فلو أحاط الانسان بجميع الاسباب والعلل حتى لم يشذ عن علمه شيء لم يكن عنده شيء موجوداً بالاتفاق فان عثر حافر بئر على كنز فهو بالقياس الى الجاهل بالاسباب التي ساقت الحافر الى الكنز اتفاق واما بالقياس الى من أحاط بالاسباب المؤدية اليه ليس بالاتفاق بل بالوجوب فقد ثبت ان الاسباب الاتفاقية حيث يكون لاجل شيء الا انها أسباب فاعلية بالعرض والغايات غايات بالعرض وربما يتأدى السبب الاتفاقي الى غايته الذاتية كالحجر الهابط اذا شج ثم هبط الى مهبطه الذي هو الغاية الذاتية وربما لا يتأدى الى غايته الذاتية بل اقتصر على الاتفاقي كالحجر الهابط اذا شج ووقف ففي الاول يسمى بالقياس الى الغاية الطبيعية سبباً ذاتياً و بالقياس الى الغاية العرضية سبباً اتفاقياً وفي الثاني يسمى بالقياس الى الغاية الذاتية باطلاً فاذا تحقق ذلك فقد علم ان الاتفاق غاية عرضية لامر طبيعي او ارادي اوقسري ينتهي الى طبيعة او ارادة فتكون الطبيعة والارادة أقدم من الاتفاق لذاتيهما فما لم يكن اولاً امور طبيعية او ارادية لم يقع اتفاقاً فالامور الطبيعية والارادية متوجهة نحو غايات بالذات والاتفاق طارٍ عليها اذا قيس اليها من حيث ان الامر الكائن في نفسه غير متوقع عنها اذ ليس دائماً ولا اكثرياً لكن يلزم ان يكون من شأنها التأدية اليها ثم اخذ في

دحض حجج الاتفاق على التفصيل : دحض الحجة الاولى بان الطبيعة اذا عدمت الروية ولا يستلزم او يوجب ان يكون الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غاية فان الروية لا تجعل الفعل ذا غاية بل انما يميز الفعل الذي يختار ويعينه من بين افعال يجوز اختيارها . ثم يكون لكل فعل من تلك الافعال غاية مخصوصة يلزم تأدي ذلك الفعل اليها لذاته لا بجعل جاعل حتى لو قدر كون النفس مسلمة عن اختلاف الدواعي والصوارف لكان يصدر عن الناس فعل على نهج واحد من غير روية كما في الافلاك فان الافلاك سليمة عن البواعث والعوارض المختلفة فلاجرم ان تكون افاعيلها على نهج واحد من غير روية ومما يؤيد ذلك ان نفس الروية فعل ذو غاية وهي لا تحتاج الى روية اخرى .

وايضاً ان الصناعات لا شبهة في تحقق غايات لها ثم اذا صارت ملكة لم يحتج في استعمالها الى الروية بل ربما تكون مانعة كالكاتب الماهر لا يروي في كل حرف وكذا العواد الماهر لا يتفكر في كل نقرة . واذا روى الكاتب في كتبه حرفاً والعواد في نقره يتبلد في صناعته فللطبيعة غايات بلا قصد وروية .

ودحض الحجة الثانية بان الفساد في هذه الكائنات تارة لعدم كمالاتها وتارة لحصول موانع وارادات خارجة عن مجرى الطبيعة . اما الاعدام فليس من شرط كون الطبيعة متوجهة الى غاية ان تبلغ اليها فالموت والفساد والذبول كل ذلك لقصور الطبيعة عن البلوغ الى الغاية (وها هنا سر ليس هذا المشهد موضع بيانه) واما نظام الذبول هو ايضاً متأد الى غاية وذلك لان له سببين احدهما بالذات وهو الحرارة والآخر بالعرض وهو الطبيعة ولكل منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبات فتسوق المادة اليه وتقيسها على النظام وذلك للحرارة بالذات والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما امكن بامداد بعد امداد ولكن كل مدد تال يكون الاستمداد منه اقل من المدد الاول . فيكون نقصان الامداد سبباً لنظام الذبول بالعرض والتحليل سبباً بالذات للذبول وفعل كل واحد منهما متوجه الى غاية ثم ان الموت وان لم يكن غاية بالقياس الى بدن جزئي فهو غاية بالقياس الى نظام واجب لما أعد للنفس من الحياة السرمدية وكذا ضعف البدن وذبوله لما يتبعها من رياضات النفس وكسر قواها البدنية التي بسببها تستعد للآخر على ما يعرف في علم النفس . واما الزيادات فهي كائنة لغاية ما فان المادة اذا فضلت أفادتها الطبيعة

الصورة التي تستحقها ولا يعطلها كما علمت فيكون فعل الطبيعة فيها بالغاية وان لم يكن غاية للبدن بمجموعه ونحن لم ندع ان كل غاية لطبيعة يجب ان يكون غاية لغيرها · واما ما نقل في المطر فممنوع بل السبب فيه أوضاع سماوية تلحقها قوابل واستعدادات ارضية للنظام الكلي وانفتاح الخيرات ونزول البركات فهي أسباب آلهية لها غايات دائمة او اكثرية في الطبيعة ·

ودحض الثالثة بان القوة المحرقة لها غاية واحدة هي احالة المحترق الى مشاكلة جوهرها واما سائر الافاعيل كالعقد والحل والتسويد والتبييض وغيرها فانما هي توابع ضرورية وستعلم اقسام الضروري الذي هو احدى الغايات بالعرض ·

وقد ذكر في كتاب الشفاء ابطال مذهب انباذقلس ببيانات مبنية على المشاهدات وشواهد موضحة. ولذلك حمل بعضهم كلامه في البحث والانفاق على انه من الرموز والتجوزات او انه مختلق عليه لدلالة ما تصفحه ووجده من كلامه على قوة سلوكه وعلوّ قدره في العلوم ومن جملة تلك الدلائل الواضحة ان البقعة الواحدة اذا سقطت فيها حبة برّ وحبة شعير أنبت البرّ برًّا والشعير شعيراً فعلم ان صيرورة جزء من الارض برًّا والآخر شعيراً لاجل ان القوة الفاعلة تحركها الى تلك الصور لا لضرورة المادة لتشابهها ولو فرض ان اجزاء الارض مختلفة فاختلافها ليس بالماهية الارضية بل لان قوةً في الحبة افادت تلك الخاصية لذلك الجزء الارضي فان كانت أفادت تلك الخاصية لخاصية أخرى سابقة عليها لزم التسلسل وان لم يكن كذلك كانت القوة المودعة في البُزْرة لذاتها متوجهة الى غاية معينة والا فلِمَ لا ينبت الزيتون براً والبطيخ شعيراً ؟

(نظر بنه في حس المادة وعشق الهيولي) : اذا ألقيت نظرك في كتب الفلسفة ألفيت بين الآراء الفلسفية المختلفة رأياً لبعض الفلاسفة القدماء وهو ان للهيولي شوقاً الى الصورة وكان هذا الرأي مجملاً ومبهماً لم يوضح المراد منه وناهيك ان مثل الشيخ الرئيس ابن سينا الفيلسوف اعترف بانه تعسر عليه فهم معنى شوق الهيولي الى الصورة ولذلك كان هذا الرأي موضع شك وارتياب بينهم حتى تفرقت الفلاسفة فيه الى نافٍ ·

احتج في نفيه بادلة لاتغني من الحق شيئاً وشاكٍّ لم تقنع نفسه بدليل النفي والاثبات ومثبت أنار برهانه في اثباته ونحن نورد كلام الرئيس ابن سينا المتضمن لدليل النفي

وشكه فيه ايضاحاً لرأي صدر الدين قال[1]: وقد يذكر حال شوق الهيولى الى الصورة وتشبيهها بالانثى وتشبيه الصورة بالذكر وهذا شيء لست أفهمه . اما الشوق النفساني فلا يختلف في سلبه عن الهيولى . واما الشوق التسخيري الطبيعي الذي يكون انبعاثه على سبيل الانسياق كما للحجر الى الاسفل ليستكمل بعد نقص له بعد في اينه الطبيعي فهذا ايضاً بعيد عنها ولقد كان يجوز ان يكون الهيولى مشتاقة الى الصورة لو كان هناك خلو عن الصورة كلها او ملال صورة قارنتها او فقدان القناعة بما يحصل له من الصور المكملة اياها نوعاً وكان لها ان تتحرك بنفسها الى اكتساب الصورة كما للحجر في اكتساب الاين (الانتهاء خ ل) ان كان فيها قوة محركة وليست خالية عن الصور كلها ولا يليق بها الملال للصورة الحاصلة فتعمل في نقضها ورفضها فان حصول هذه الصورة ان كان موجباً للملال لنفس حصولها وجب ان لا يشتاق اليها وان كان لمدة طالت فيكون الشوق عارضاً لها بعد حين لا امراً في جوهرها و يكون هناك سبب يوجبه ولا يجوز ان يكون ايضاً غير قنعة بما يحصل بل مشتاقة الى اجتماع الاضداد فيها فان هذا محال والمحال ربما ظن انه ينساق اليه الاشتياق النفساني واما الاشتياق التسخيري فانما يكون الى غاية في الطبيعة المكملة والغايات الطبيعية غير محالة ومع هذا فكيف يجوز ان يتحرك الهيولى الى الصورة وانما تأتيها الصورة الطارئة من سبب يبطل صورتها الموجودة لا لأنه يكتسبها بحركتها ولو لم يجعل هذا الشوق الى الصورة المقومة التي هي كمالات اولى بل الى الكمالات الثانية اللاحقة لكان نصور معنى هذا الشوق من المتعذر فكيف وقد جعلوا ذلك شوقاً لها الى الصورة المقومة .

قال صدر الدين في اول كلامه ان رأي شوق الهيولى الى الصورة مبنى على المكاشفات النورية والبراهين اليقينية بعد تصفية الباطن بالرياضات .

ثم قال بعد كلام الرئيس المذكور اني لاجل محافظتي على التأدب بالنسبة الى مشايخي في العلوم واساتيذي في معرفة الحقائق لست اجد رخصة من نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس عظم الله قدره في النشأتين العقلية والمثالية بالعجز عن دركه

(١) في طبيعيات كتاب الشفاء .

والعسر في معرفته بل كنت رأيت السكوت عما سكت عنه اولى والاعتراف بالعجز عما عجز فيه لصعوبته وتعسره احرى وان كان الامر عندي واضحاً ومنقحاً حتى اقترح على بعض اخواني في الدين واصحابي في ابتغاء اليقين ان اوضح بيان الشوق الذي اثبته افاخم الحكماء القدماء واكابر العرفاء من الاولياء في الجوهر الهيولاني واكشف قناع الاجمال عما اشاروا اليه واستخرج كنوز الرموز فيما ستروه وافصل ما اجملوه واظهر ما كتموه من التوقان الطبيعي في القوة المادية فالزمني اسعافه لشدة اقتراحه والجأني في انجاح طلبته لقوة ارتياحه فاقول من الله التأييد والتسديد : انه لا بد من وضع اصول لتحقيق هذا المقام تمهيداً وتأصيلاً .

(١) ان الوجود حقيقة واحدة عينية ليس مجرد مفهوم ذهني ومعقول ثانوي كما زعمه المتأخرون وان الاختلاف في مراتبه وافراده ليس بامور فصلية او عرضية بل بتقدم وتأخر وكمال ونقص وشدة وضعف وان صفاته الكمالية من العلم والقدرة والارادة هي عين ذاته لان حقيقة الوجود وسنخه وتجوهره مبدأ لسائر الكمالات الوجودية فاذا قوي الوجود في شيء من الموجود قوي معه جميع صفاته الكمالية واذا ضعف ضعفت .

(٢) ان حقيقة كل ماهية هي وجودها الخاص الذي يوجد به تلك المهية على الاستتباع وان المحقق في الخارج والفائض عن العلة لكل شيء هو نحو وجوده . واما المسمى بالمهية فهي انما توجد في الواقع وتصدر عن العلة لا لذاتها بل لاتحادها مع ما هو الموجود والمفاض بالذات عن السبب والاتحاد بين الماهيـة والوجود على نحو الاتحاد بين الحكاية والمحكي والمرآة والمرئي فان ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(٣) ان الوجود على الاطلاق مؤثر ومعشوق ومتشوق اليه واما الآفات والعاهات التي تتراءى في بعض الموجودات فهي اما راجعة الى الاعدام والقصورات وضعف بعض الحقائق عن احتمال النحو الافضل من الوجود . واما انها ترجع الى التصادم بين نحوين من الوجود في الاشياء الواقعة في عالم التضايق والتصادم والتعارض والتضاد .

(٤) ان معنى الشوق هو طلب كمال ماهو حاصل بوجه وغير حاصل بوجه فان العادم لامر ما رأساً لا يشتاقه ولا يطلبه اذ الشوق للمعدوم المحض والطلب للمجهول المطلق

مستحيل وكذا الواجد لامر ما لا يشتاقه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل انتهى ٠

وعلى مذهبه ان الوجود الكامل الذي لا نقص فيه هو الله وهو على ذلك لا يطلب شيئاً وينبغي ان يشتاق اليه الوجود الذي احتمل بواسطة حوصلة ذواتها ووعاء وجوداتها مرتبة دون مرتبة الواجب اي مرتبــة ناقصة وقال اذا تمهدت هذه الاركان والاصول فنقول اما اثبات الشوق في الهيولى الاولى فلان لها مرتبــة من الوجود وحظاً من الكون كما اعترف الشيخ الرئيس وغيره من محصلي اتباع المشائين ومرتبتها في الوجود مرتبة ضعيفة وعبارة عن قوة وجود الاشياء الفائضة عليها المتحدة بها اتحاد المادة بالصورة في الوجود واتحاد الجنس بالفصل في المهية واذا كان لها نحو من الوجود وقد علم بحكم المقدمة الاولى ان سنخ الوجود واحد ومتحد مع العلم والارادة والقدرة من الكمالات اللازمة للوجود اينما تحقق وكيفما تحقق فيكون لها نحو من الشعور بالكمال شعوراً ضعيفاً على قدر ضعف وجودها الذي هو ذاتها وهويتها بحكم المقدمة الثانية فيكون لاجل شعورها بالوجود النــاقص لها طالبة للوجود المطلق الكامل الذي هو مطلوب ومؤثر بالذات للجميع بحكم المقدمة الثالثة ٠

ولما كان بحكم المقدمة الرابعــة كل ما حصل له بعض الكمالات ولم يحصل له تمامه يكون مشتاقاً الى حصول ما يفقد منه شوقاً بازاء مايحاذي ذلك المفقود ويطابقه وطالباً تتميم مايوجد فيه لحصول ذلك التام فيكون الهيولى في غاية الشوق الى ما يكمله ويتممه من الصور الطبيعية المحصلة اياها نوعاً خاصاً من الانواع الطبيعية ٠

(ايضاح لهذا الرأي) : يتم وضوح هذا الرأي بان نذكر معنى الهيولى المستعمل في الفلسفة الاغريقية وهي لفظ يوناني معناه الاصل والمادة ٠

وعرّفه الرئيس ابن سينا في رسالة الحدود بقوله : الهيولى المطلقة هي جوهر ووجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية بقوة فيه قابلة للصور وقال ايضاً في حدّ المادة ان المادة قد تقال اسماً مرادفاً للهيولى وهي تطلق في الفلسفة الاغريقية والاسلامية على أصغر ذرة من المادة وهي التي يطلق عليهــا العلم الحديث بهبات او (اتوم) وهي الذرة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة لصغرها ٠ يقول ابن رشد الفيلسوف في كتابه ما بعد الطبيعة (الهيولى) الاولى غير مصورة والا لا تحقق في عالم المادة لما لا صورة له ولذلك قال الرئيس في كلامه السابق لا خلوّ لها من الصورة فاذا تحقق هذا فروح هذا المذهب

الفلسفي . ورأى صدرالدين ان ذرات المادة مطلقاً المعبر عنها بالهيولى ذات شعور وحس لان لها حظاً من الوجود والوجود نفسه كما تحقق في الاصل الاول الذي مهده صدرالدين له متحد مع العلم والارادة والقدرة اينما ظهر في أصغر ذرة في المادة او اكبر جرم من الفلك فلها نحو من الشعور بالكمال كما صرّح في كلامه وهذا الرأي هو نفس رأي (جاجاديس بوز) العالم النباتي الهندي في احساس الجماد والنبات وان المادة سواء اكان انساناً عاقلاً ام حديداً جامداً ام نباتاً او صخراً تحس .

اذا كشف بوز حس المادة بقوة جهازه (الكوسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف فقوة جهاز دماغ هؤلاء الفلاسفة الذين ذهبوا بهذا المذهب وسعة فكرهم لايقل عن قوة جهاز (بوز) والفضل بين فلاسفة الاسلام في انارة برهان هذا الرأي لصدر الدين وهو الفيلسوف الاسلامي الوحيد الذي اطلع هذا النور في سماء العلم والعجب ان مبنى رأي العالمين صدر الدين وبوز شيء واحد يقول بوز في احدى محاضراته عندماشاهدت هذه المشاهدات وجربت ضروب التجارب المختلفة وفهمت حس المادة ورأيت فيها وحدة شاملة ينطوي فيها كل شيء ورأيت كيف ان الذرة ترتعش في مويجات الضوء وكيف ان ارضنا تعج عجيجاً بالحياة وتلك الشموس المتسعة التي تضيء فوقنا عندئذ ادركت قليلاً من مغزى تلك الرسالة التي بشر بها اسلافي منذ ثلاثين قرناً على شطوط نهر (الكنج) وهم اولئك الذين لا يرون في جميع الظواهر المتغيرة في هذا الكون سوى واحد فقط اولئك وحدهم يعرفون الحقيقة الازلية .

و يقول صدر الدين ان الوجود حقيقة واحدة والاختلاف بين افراده ومراتبه ليس بتمام الذات والحقيقة بل بتقدم وتأخر وشدةٍ وضعفٍ وكمالٍ ونقص وان الصفات الكمالية من العلم والقدرة والشعور والارادة عين ذاته .

فنصيب الوجود الضعيف وذرة المادة من العلم والشعور والارادة على قدر وجوده ونصيبه من نفس الوجود .

(خاتمة في رأيه في العشق) : بحث في العشق وجعل عنوان البحث قوله فصل في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . وذكر اختلاف الآراء في حسنه وقبحه

وهل هو فضيلة او رذيلة . ثم قال والذي يدل عليه النظر الدقيق والمنهج الانيق وملاحظة الامور عن أسبابها الكلية ومباديها العالية وغاياتها الحكمية ان هذا العشق أعني الالتذاذ الشديد بحسن الصورة الجميلة المفرطة لمن وجد فيه الشمائل اللطيفة وتناسب الاعضاء وجودة التركيب لما كان موجوداً على نحو وجود الامور الطبيعية في نفوس اكثر الامم من غير تكلف وتصنع فهو لا محالة من جملة الاوضاع الالهية التي يترتب عليها المصالح والحكم فلا بد ان يكون مستحسناً محموداً ولا سيما قد وقع من مباد فاضلة لاجل غايات شريفة . اما المبادي فلانا نجد اكثر نفوس الامم التي لها تعليم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب والرياضات مثل اهل فارس واهل العراق واهل (الشام) والروم وكل قوم فيهم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق الذي منشؤه استحسان شمائل المحبوب ونحن لم نجد احداً ممن له قلب لطيف وطبع رقيق وذهن صاف ونفس رقيقة خالياً عن هذه المحبة في أوقات عمره لكن وجدنا سائر النفوس الغليظة والقلوب القاسية والطبائع الجافية من الاكراد والزنج خالية عن هذا النوع من المحبة .

وقال وبما ان هذه الرغبة والمحبة مودعة نفوس اكثر العلماء والظرفاء فلا بد لها من غاية وجعل من غاية العشق تعليم الصبيان والغلمان العلوم الجزئية كالنحو واللغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة والآداب الحميدة والاشعار اللطيفة الموزونة والنغمات الطيبة وتهذيبهم بالاخلاق الفاضلة وسائر الكمالات النفسانية فهذا العشق بمافيه تكميل النفوس الناقصة وتهذيبها من فائدة حكمية وغاية صحيحة لا بد ان يكون معدوداً من الفضائل والحسنات لا من الرذائل والسيئات .

وفي الانسان اثر جمال الله وجلاله واليه الاشارة في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقسم العشق بقسمين حقيقي ومجازي والاول هو محبة الله وصفاته وافعاله من حيث هي . والثاني ينقسم الى نفساني وحيواني الثاني سببه فرط الشهوة الحيوانية ومبدؤه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية ويكون اكثر اعجابه بظاهر المعشوق ولونه واشكال اعضائه لانها امور بدنية وهو لا يعد فضيلة .

والاول سببه استحسان شمائل المحبوب المعشوق وجودة تركيبه واعتدال مزاجه وحسن اخلاقه وتناسب حركاته وافعاله وغنجه ودلاله ومبدئه مشاكلة نفس العاشق والمعشوق في الجوهر و يكون اكثر اعجابه بشمائل المعشوق لانها آثار صادرة عن نفسه فهذا العشق يرقق القلب و يذكي الذهن و ينبه النفس على ادراك الامور الشريفة وقال : ولاجل ذلك امر المشايخ (اي الصوفية) مريديهم في الابتداء بالعشق وقيل العشق العفيف اولى سبب في تلطيف النفس وتنوير القلب وفي الاثر ان الله جميل يحب الجمال ·

ثم قال ينبغي استعمال هذه المحبة في أواسط السلوك العرفاني وفي حال ترقيق النفس وتنبيهها من نوم الغفلة ورقة الطبيعة ·

وأما عند استكمال النفس بالعلوم الالهية وصيرورتها عقلاً بالفعل محيطة بالعلوم الفلكيــة ذات ملكة الاتصال بعالم القدس فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصورة الحسنة اللحمية والشمائل اللطيفة البشرية لان مقامها صار أرفع من هذا المقام ·

وسرد الاقوال في ان العشق هل هو فضيلة او رذيلة او مرض :

ثم قال ومنهم من قال ان العشق هو افراط الشوق الى الاتحاد واستجود هذا الرأي ثم قال ولما كان العشق من آثار النفوس فالاتحاد يصير كما بينت في مباحث العقل والمعقول اتحاد النفس العاقلة بصورة العقل واتحاد النفس الحساسة بصورة المحسوس بالفعل فعلى هذا المعنى يصح صيرورة النفس العاشقة لشخص متحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرير المشاهدات وتوارد الانظار (النظرات) وشدة الفكر والذكر في أشكاله وشمائله حتى تصير متمثلة صورية حاضرة مندرجة في ذات العاشق وهذا ما أوضحنا سبيله وحققنا طريقه ·

وقال ان العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة وهي المعشوقة بالذات لا الامر الخارجي · وقال اذا تبين ووضح اتحاد العاقل بصورة المعقول واتحاد الجوهر الحساس بصورة المحسوس فقد صح اتحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر بعد ذلك الى حضور جسمه والاستفادة من شخصه كما قال الشاعر :

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا

وخصص قسماً من العشق وهو عشق الاآله الذي هو العشق الحقيقي بالعلماء المتألهين المتفكرين في حقائق الوجود وهم المشار اليهم في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ·

وهنالك نبض عرقه البانتيسحي وقال فانه في الحقيقة ما يحب الا نفسه لا غيره فالمحب والمحبوب شيء واحد في الطرفين ·

ونسب رضا قليخان هدايت هذا الرباعي اليه :

انان كه ره دوست گزيدند همه در كوي شهادت ارميدند همه
درمعركه دوكون فتح ازعشق است هرچند سپاه او شهيد ند همه

حاصل معنى الرباعي ان الفتح في النشأتين الدنيوية والاخروية للعشق وان كان جنده صريعاً في معركة الغرام اه ·

ابو عبد الله الزنجاني

عضو المجمع العلمي

(المجمع) اذا كان في هذه الرسالة غلط بعد العناية بتصحيحها فليس هو من الطابع ولا من المؤلف بل من تلميذ المؤلف الذي نسخ له اصول رسالته ·

العلامة السيد مسعود الكواكبي



نسبه ونشأته — هو محمد مسعود ابو السعود ابن الشيخ احمد بهائي بن محمد مسعود ابن الحاج عبد الرحمن ابن الحاج محمد بن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد بن يحيى بن محمد الشيخ ابي يحيى الكواكبي دفين الجامع المعروف به في محلة الجلوم الصغرى ابن برهان الدين ابراهيم بن علاء الدين علي ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الاردبيلي ابن الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي ابن الشيخ امين الدين جبريل بن الشيخ صالح ابن الشيخ ابي بكر قطب الدين احمد حيدر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ محمد الحافظ ابن الشيخ عوض الخواص ابن الشيخ فيروز شاه البخاري ابن الشيخ محمد المهدي ابن بدر الدين حسن شرف شاه ابن ابي القاسم محمد بن ثابت بن

حسين بن احمد بن الامير داود بن علي بن الامام موسى الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين السبط ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم · وآل الكواكبي قطنوا حلب منذ خمسة قرون وانجبوا اعلاماً في العلم والفضائل ·

ولد السيد مسعود في الثلاثين من شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين والف وحفظ نحو النصف من القرآن العظيم وقرأ العلوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده وعلى الشيخ محمد الكحيل والشيخ عبد القادر الحمصي وتعلم مبادئ التركية والرياضيات واللسان الفرنسوي في المدرسة الرشدية الرسمية بحلب ثم استزاد من الفرنسية قراءة وكتابة على معلمين مخصوصين اكب على المطالعة فأكمل التركية وحصل من الفنون العصرية مثل الطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ والهيئة على حظ وافر وتعلم الخط عند الشيخ محمد العريف في المدرسة الشرفية حينما كان يعلم فيها و برع في انواعه الثلاثة و بالممارسة تعلم الخط الفارسي والديواني ثم سمت نفسه الى تعلم الخط العبراني والرومي والارمني ·

وظائفه واعماله — كانت اول وظيفة وظفها وظيفة معاون محرر المقاولات وذلك في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ وفي غرة جمادى الثانية من سنة ١٣٠١ عين الى ترجمة محكمة التجارة · وفي ١٧ من المحرم من سنة ١٣٠٨ رقي الى رئاسة الكتاب فيها · وفي ١٣ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ طلب الى الاستانة وهنالك اقترح عليه انشاء جريدة تدعى (استقامت) امر السلطان عبد الحميد الثاني باصدارها باللغتين العربية والتركية لتدافع عن ادارته فذهب واجتهد في التنصل من هذا التكليف ·

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٤ عين مرة ثانية الى رئاسة الكتاب في محكمة التجارة وبقي الى ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٩ وعين عضواً في هيئة تدقيق المؤلفات في نظارة المعارف الى ان الغيت هذه الهيئة باعلان الدستور العثماني · وفي سنة ١٣٢٦ هـ صدر الامر بافتتاح مجلس النواب العثماني وكان المترجم في مقدمة من توجهت الانظار لانتخابه وذلك لما علم من مقدرته وكفاءته واستقامته فانتخب نائباً عن الشهباء · وكان من اعضاء الحزب الحر المعتدل

ثم عند الغاء هذا الحزب وتأليف حزب الحرية والائتلاف كان من اعضائه وصدر باسمه بضعة اعداد من جريدة للحزب دعيت (تقديرات) ثم الغتها حكومة الاتحاديين وبقي السنين الاربع التي هي الدورة الاولى · وفي ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ عين نقيباً لاشراف حلب وبقي فيها الى غاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ ·

وعلى اثر خروج الدولة التركية من حلب وحدت محكمتا الحقوق والجزاء فجعلتا محكمة واحدة وانتخب الى رئاستها فلم يقبلها ثم عين مديراً للاوقاف في ٢٩ محرم سنة ١٣٣٧ فبقي فيها عشرين يوماً واستعفى وكان اثناءها قد انتخب الى رئاسة نادي العرب فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم تجرد عن كل عمل ·

وفي سنة ١٩٢٣م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وكان يعهد اليه النظر في بعض الكتب المطبوعة التي ترد الى المجمع فيكتب عليها كتابة خبير بصير ويبين كثيراً مما وقع فيها من الاغلاط مما يدل على تضلعه من اللغة والادب · وفي شعبان سنة ١٣٤٠ اجتمعت جمعية من المفكرين فانتخبته في اثني عشر للمداولة فيما يجب عمله اصلاحاً للحالة الوطنية فقرروا مطالب ثلاثة وكتبوها فوقع عليها اهل الطبقة الاولى والثانية من الحلبيين وكان لها تأثير بتوحيد سورية بعد تفريقها الى دول · وفي الشهر المذكور اجتمع كبار متولي الاوقاف واسسوا نقابة للمتولين فانتخب للهيئة الادارية · ولما تألفت حكومة الاتحاد في ذي الحجة من هذه السنة عين كاتماً لاسرار الرئاسة فبقي الى جمادى الثانية من سنة ١٣٤١ ثم تقلد عضوية محكمة التمييز في دمشق فقام باعبائها احسن قيام وقد جمع الى الاستقامة وشرف النفس دقة النظر وسرعة الخاطر وعلو الهمة ولم يزل في هذه الوظيفة الى ان صرف عنها بانفضاض محكمة التمييز بامرها وذلك في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٩ وعين قاضياً لحلب فابى ولزم بيته ·

بعض صفاته العلمية — تولى مترجمنا خطابة جامع اوغلبك منذ سنة ١٣٠٥ ولم يكن مسلكه في الخطبة مسلك الجمهور من تلاوة بعض المواعظ المدونة المسجعة التي حفظها الناس بل كان في كل جمعة يخطب في موضوع اجتماعي له مناسبة بما عليه الناس من عادة سيئة فلذلك كان المستمعون يلقون الى خطبته السمع ·

وله كنثره شعر لطيف منسجم قليل التكلف فيه بعيد عن الألفاظ الغريبة يتوخى ان يفهمه العوام بسهولة وهو مجموع في ديوان . فمن نظمه في مطلع قصيدة غزلية :

قسماً بادعج مقلتيه وجفنه | هذا هو السحر الحلال بعينه
ان كان من شأن الغزال نفوره | فهل القتال بمرهف من شأنه

ومنها : لاشيء أثقل في الهوى من عاذل | قد راح معنّفاً بما لم يعنه

ومنها : هو ليس يدري ما الهوى وانا الذي | قد زدت في شرح الهوى عن متنه
ان كان غيري عاصراً خمر الهوى | فلقد سكرت بصرفه من دنه

وله مطلع قصيدة حكمية :

ما في زمانك من بحق ينطق | فانظر اذا حدثت كيف تصدق
ولقد فشا داء الخيانة في الملا | حتى باورعهم غدا لا يوثق
الفوا الفسوق فان يروا ذا عفة | نقموا عليه انه لا يفسق
والفخر عندهمو لمن هو ذو غنى | ان كان ينفق منه او لا ينفق
والناس ما لم تدعهم لملمة | ما فيهمو الا المحب المشفق
فاذا دعوتهمو لخطب لم تجد | احداً كأن جميعهم لم يخلقوا
من رمت منهم ان تبث بعقله | نور الحقيقة قال هذا أحمق
وتراه ان حدثته بخرافة | يهتز من طرب لها ويصفق
كم من ظلوم ليس يقعده سوى | عجز وما بيديه فهو تخلق
فاذا تولى الامر أظهر خلقه | وهناك أخلاق الرجال تحقق
ولرب مفساق تراه صويلحاً | فالسر في ان الصويلح ملق
ان رمت كشف السر فاملأ كيسه | وانظر أيفسق بعد ام يتصدق

وختامها كلا تراه يذم خلق رفاقه | والكل من ماء السفاهة قد سقوا

وقال على أسلوب الصوفية من قصيدة :

افرحا لي ما ازداد شوقي اوارا | فتمام الوصال يوم أوارى
كل حال ماازددت فيه هياما | انا منها استغفر استغفارا
حالتي في الغرام أعجب حال | ليس بدعاً للعقل بي ان يحارا

رامَ غيري عمن أحب سلواً ورأيت السلوان عنه خسارا
انا أدعو لحبه كل فرد واذا ما سواي شارك غارا
عشق العاشقون ذاتاً رأوها وانا اليوم أشهد الآثارا
كلما ازددت في المحبة قربا زادني قربه جوى واستعارا

وقال وقد اخذ منها شقيقه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي سبعة أبيات تمثل بها في مطلع كتابه (أم القرى) :

دراك فمن يدنف لعمرك يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فان الدين يزداد وهنه وقد صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلم الى فرض التعاون انه بإهماله اثم على كل مؤمن
وان الذي الأسياف شادنه قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا لألسن
الى مَ نماشي الغرب فيما يشيننا حنانيك ان المرءَ عبد التمرن
لقد شابنا نحن الحنيفين ملة مفاسد ما يدعونه بالتمدن
اذا كان نبذ الدين يدعى تفنناً فيا بئسما يسري لنا من تفنن
ومهما اجتنوا منا خلالاً حميدة فنحن سوى سفسافهم ليس نجتني
وكم خصلة للبعض زين ومدحة وفي جنب بعض مطعن اي مطعن
وقد كان عاراً نزع ثوب وعمة فما القول ان نقفوهمو بالتدين
همو أسرفوا لكن بمشار ربعهم ومن يفن رأس المال يفلس ويسجن
أنرجو واهل العلم أحلاس بيتهم شفاء لداء قد عرا الدين مزمن
وكان يعد العلم للصدر زينة وما لا به اصلاح عيش ومسكن
فكان له اهل يوفون حقه بهدي وتلقين وحسن تلقن
وما هان الا عندما هان نيله وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
متى كان هذا العلم ارثاً ومنحة ومن لم يعان العلم يلحد ويلحن
لقد ذل قوم خدمة العلم عندهم تناط بذي جهل لها غير محسن

وللمترجم به تفسير القرآن الحكيم مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي

كان يقرأ به . وله مولد شريف في ١٥ صحيفة سماه المولد المسعودي طبعه في بيروت في المطبعة الاهلية سنة ١٣٣٦ .

وفاته وأخلاقه — ابتدأ به المرض بالتهاب امعاء بسيط لم يدم اكثر من ثلاثة ايام وشفي منه تماماً لكن نوبة جديدة أصابته في الدماغ على اثر التوعك والضعف الذي أصابه من التهاب المعى ، وهذه النوبة تدعى في الطب (نزيف دماغي) لبث فيها مغمىً عليه لا حسّ به ولا حركة مدة اسبوع كامل ، ثم توفي ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ و١٩ ايلول سنة ١٩٢٩ ودفن حسب وصيته في اقرب تربة من البيت الذي يقطنه وهي تربة نبي الله ذي الكفل عليه السلام في جبل قاسيون بصالحية دمشق .

كان رحمه الله مربوع القامة حنطي اللون نحيف الجسم ازج الحاجبين اسود العينين تشفان عن زكاء مفرط وقلب زكي دمث الاخلاق كثير البشر عند الملاقاة متأنيا في اقواله وافعاله يأتيك بفصل الخطاب بعد ترو قليل محبوباً عند الجمهور من المسلمين وغيرهم لحسن سلوكه في كل عمل وليه فلم تكن تطلق حرية الكلام والانتخاب للناس مرة الا وكان في مقدمة من يرشح وينتخب للعمل ولكن لما كان يعقب ذلك تسلط المتسلطين على حرية الناس وعلى المناصب كان ينسحب ولا يزاحم . وكان محباً للنفع العام لا يدع فرصة يؤمل منها خدمة البلاد الا انتهزها فمن ذلك يوم اعلان الدستور العثماني سنة ست وعشرين وثلاثمائة اذ كان في الاستانة فانه خاف من سوء تفسير الحوادث التي حدثت وعودها على الموضوع بالعكس فاسرع الى كتابة تفاصيل الوقائع في رسائل طويلة يبعث بها الى بعض احبائه ولما رأيت ان فيها تهدئة للافكار جعلت اطبعها واذيعها على الناس في حلب فكان لها احسن وقع لما هو معهود في المترجم من صدق الحديث والوقوف على الحقائق واطمأن الناس اليها واتضح الكثيرون ممن لم يكونوا يعلمون ما هي الحرية فيظنونها شيئاً من الفوضى وخلع العذار . وكان رحمه الله متحلياً بالتقوى متمسكاً بالدين والصلاح صفة ذاتية له . وحسن المعاملة امر طبيعي فيه . لا ترى فيه شيئاً من العوج الذي عليه بعض ذوي المعرفة او مدعيها من اهل هذا العصر ، مبغضاً لمن كان على هذه الصفة مؤنباً له . بيد انه لم يكن له من الجرأة الادبية ما كان لاخيه المرحوم السيد عبد الرحمن

وقد ابي على صمته في المجلس النيابي الذي كان انعقد في الاستانة عدة سنوات فاعتذر عن ذلك بابيات . و بالجملة فقد كان حسنة من حسنات الشهباء . ودرة فريدة في تاج البلاد الشامية كان له هدي السلف وعلم السلف والخلف وهو امام في القانون والشريعة متمكن من الآداب العربية شهدت له مواقفه في جلسات المجمع العلمي ومجلته وفي المجمع انبعثت قريحته العلمية كما انبعثت في محكمة التمييز تدقيقاته الشرعية والمدنية ولا عجب ان عظم الخطب به وفجع به عارفو فضله فقد كان مثال العالم العامل متميزاً باخلاقه قليل المطامع زاهداً في الظهور رحمه الله عداد حسناته .

محمد راغب الطباخ
عضو المجمع العلمي

فصح وشوارد

راعت الارض وأرعت : كثر فيها المرعى . وأروت : كثر فيها شجر الراء .

واروضت كثر فيها الرياض . وأحمضت : كثر فيهـا الحمض وهو ماملح وامرّ من النبات وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة وهي ما حلا من النبات وهو كخبزها وهي متى شبعت من الخلة مالت الى الحمض فكأنها تهضم به .

واخملت كثرت خمائلها والخميلة هي الشجر الكثير الملتف حيث كان — والموضع الكثير الشجر .

وأعضّت : كثر عِضُّها وهو ما صغر من شجر الشوك وقيل هو الطلح والعوسج والسلم والسيال والسرح والعرفط والسمُر والشبهان والكنهبل .

وأعضهت : صارت عضهة اي كثيرة العضاه وهو كل شجر يعظم وله شوك وما صغر من شجر الشوك فهو العض .

وأشوكت : كثرفيها الشوك . وغَدِرت : كثرفيها الغدر وهي الحجارة مع الشجر .

وأنصت : كثر نصيها وهو نبت سبط من افضل المراعي مادام رطباً فاذا ابيض فهو الطريفة فاذا ضخم و يبس فهو الحليّ .

وكلأت وكلِئت وأكلأت : كثر كلأها ومثله استكلأت .

وأكمأت : كثر بها الكمأة .

وغضيت : كثر فيها الغضا وهو شجر عظيم من الاثل واحدته غضاة وخشبه من اصلب الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ . وهو مكان مكلئ وارض مُكلئة ومَكلأة وارض مِقصاب ومَقصبة ومَبهمة . ومفواة اي كثيرة الفوة . ووثيقة اي كثيرة العشب موثوق بها .

ومغروداء اي كثيرة المغاريد وهي ضرب من الكمأة . وغضياء كثيرة الغضا .

ومضلاة كثيرة الصلّيان وهو نبات . وملازة كثيرة شجر اللوز . ومألاة كثيرة الألاء وهو شجر مر دائم الخضرة . وحليفة كثيرة الحلفاء وهو نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ينبت في مغايض الماء والنزوز الواحدة حلفة وقيل واحدته

حلفاء . وَطَلِح كثيرة الطلح . وحميضة كثيرة الحمض . ومسبطة كثيرة السبط وهو نبات كالدخن مرعى جيد . وخضرة كثيرة الخضرة واليخضور . ومبطخة كثيرة البطيخ . ومدلبة كثيرة الدلب وهو شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر . ومرمنة كثيرة الرمان . ومحلَسة : صار النبات عليها كالحلس لكثرته . ومخلّة كثيرة الخلّة ليس فيها حمض . ومرطبة كثيرة الرطب اي العشب . وشجراء كثيرة الشجر وكذلك الشجِرة . والشجيرة والمشجرة . والثمراء الكثيرة الثمر . ومتانة كثيرة التبن . وغضياء كثيرة الغضا . ومذفورة : كثرت فيها البقول الذفراء . ومربال كثيرة الربل . ومُشرسة وشَرِسة كثيرة الشرس . ومجبأة كثيرة الجبأة . ومحِشّ ومحَشّة ومحِشّة اي كثيرة الحشيش . وعاشبة وعشيبة كثيرة العشب . ومنبات كثيرة النبات . وأركة كثيرة الاراك . ومجازة كثيرة الجوز .

وقالوا أدبت الارض : كثر دباها والدبى الجراد والنمل الواحدة دباة . وأذأبت صار فيها ذئاب . وأذبّت : صارت ذات ذباب . وأفرشت : كثر فراشها . وضبُبت صارت مضبّة . و برغثت كثر فيها البرغوث . وبقّت وبقّقت وأبقّت كثر بقّها . وهي أرض محياة اي ذات حيات . ومسبعة اي تكثر فيها السباع . ومدرجة كثر فيها طائر الدُرّاج . ومذبّة ذات أذباب . ومدباة ومدبية كثيرة الدبى . ومداكة ومديكة كثيرة الديكة . ومذابة فيها ذئاب . وذبوبة ومذبّة ومذبذبة ومذبّة اي ذات ذباب . ومربعة ذات يرابيع . ومرنبة ومؤرنبة كثيرة الارانب . ومزبرة كثيرة الزنابير . ومعقرة كثيرة العقارب .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

حاجة الحروف العربية الى الاصلاح

كل غيور على اللغة العربية يحس بالحاجة العظمى الى وجوب اصلاح حروفها التي اصبحت عقبة في سبيل ترقية اللغة وسبباً قويا من اسباب انتشار الأمية بين ابنائها في عصر يقاس رقي امه بعدد القارئين فيها وماذلك الا لصعوبة تعلمها واتقان ربط بعضها ببعض اضف الى ذلك ما يحدثه تنوع تلك الحروف وعدم تناسبها وما توجبه قواعد الخط الفنية من تعدد حروف مطبعتها حتى تكاد تناهز الاربعمائة علاوة على ضخامة اجسام الحروف فان العادي منها وهو الذي تستعمله الجرائد لا يقل عن ١٨ بنطاً والمسبوك منها على جسم ١٢ بنطاً لا يكاد يقرأ بل لا يكاد يسلم السطر منه من غلطة مطبعية وهناك عقبات اخرى كثيرة لا يدركها الا من عانى صف الحروف كتعدد بيوت الصندوق واستحضار الحروف المركبة من حرفين وثلاثة لتلائم قواعد الخط واختيار الحروف المختومة او المفتوحة حسبما تقتضيه الحروف التي تليها كما يقرره الخطاطون والمرتبون الفنيون الى مالا يحصى من تعب على العامل وضياع وقت وزيادة سطور في الصفحات وبذلك تتكاف نفقات الطبع وترتفع اثمان الكتب عن متناول عامة الناس خصوصاً الطلبة والصغار الذين هم احوج الكل الى المطالعة لتغذية عقولهم وتنمية مداركهم كما انهم احوج الناس الى الاقتصاد لقلة ذات ايديهم . وما نقوله عن المطبعة ينطبق ايضاً على الآلة الكاتبة (تايبرايتر) بل هي اولى ان يعتنى بها فالتايبرايتر العربية اليوم على مابذل فيها من جهود وتحسين لا اهمية لها ولا يدفع الناس الى استعمالها الا التقليد والفخفخة اذ لا فوائد جوهرية تترتب على استعمالها لكثرة ما يقع فيها من الاغلاط للكاتبين المتوسطين في المهارة وهم الاكثر علاوة على قلة جمال حروفها لشذوذها عن قواعد الخط الجميل بسبب اضطرار صانعيها الى اختصارها وصنع حروفها متناسبة مع انها لا تتناسب بطبيعتها . وثالثة الاثافي صعوبة التعلم فيها وكلنا يعلم ان التلامذة يصرفون وقتاً غير قليل على تهجئة الحروف وربطها واملائها وفي ذلك ما فيه من ضياع وقت وتعب .

ولئن كان آباؤنا استطاعوا ان ينشروا الثقافة العربية ومن جملتها الحروف العربية في كثير من الامم التي اخضعوها فلأن السلطة كانت بايديهم ولأن حاجات تلك العصور لاتقتضي الاقتصاد في الوقت والمال كما يقتضيه العصر الحالي ولان الناس كانوا يعتنون بجمال الحروف اكثر مما يعتنون بجوهرها وفائدتها المعنوية ومن ذا الذي لايبهره جمال الخط العربي الذي هو تحفة من التحف التي تتجلى فيها الاذواق الشرقية باجمل مظاهرها ولكن الجمال شيء والمصلحة شيء آخر ومن الذي يؤثر الزوجة الجميلة الخاملة على العادية الصالحة الا اذا اتبع هواه وشهوته فهذا شيء آخر ، اما وقد تبدل الزمن ودالت دولتنا وذهبت السلطة من ايدينا واصبحنا محكومين بعد ان كنا حاكمين فقد توفرت عوامل اضمحلال تلك الثقافة اوالتراث المقدس اذا لم نتدارك النقص ونعالجه بحكمة واذا لم نستطع زيادة نشرها فلا اقل من ان ندافع عنها وندخل عليها الاصلاحات حتى تظل صالحة للبقاء ، وها قد كثر المتبرمون من ابناء اللغة نفسها فكيف بالاجنبي يا ترى ؟ فالعاقل البصير يعذر الكماليين في تركهم الحروف العربية واستعاضتهم عنها بالحروف اللاتينية وعذرهم انها لا تلائم الوقت الحاضر وهم يحاولون ان يعلموا الشعب التركي باسره ولاسبيل الى ذلك لصعوبة الحروف وتعدد تراكيبها وهي حقيقة يجب ان نعترف بها ونحسب حسابها ونسعى الى تلافيها لئلا نفقد امة اخرى من الامم التي تستعمل الخط العربي وهناك امة اسلامية غير الترك اخذت تترك الحروف العربية شيئًا فشيئًا ولن يمضي قليل من الزمن حتى تنقرض الحروف العربية عندها ونحن لانعلم بها لبعدها عنا وهي امة الملايو فاكثر بنيها اليوم اخذوا يكتبون بالحروف اللاتينية لان الحكومة الهولندية تشجعهم على ذلك ولها دعاة في كافة انحاء البلاد ولهم في وضعية الحروف العربية حجة قوية لدعم آرائهم ونشر دعوتهم ولقد رأيت واحداً من الملايو يكتب بكليهما ولكنه يؤثر الحروف اللاتينية على العربية وعلمت منه ان الناشئة الجديدة كلها على شاكلته وقد قال لي لولا اضطرارهم الى درس القرآن لما كانت هناك حاجة الى تعلم الحروف العربية اصلاً ! فاذا كانت بركة القرآن حالت دون خروج الملايو عن عائلة الخط العربي فماذا يمنع وثنيي السند الذين اخذوا يتركون خطهم العربي ويكتبون بخطهم السندي القديم المشتق من الحروف السنسكرتية للأسباب نفسها كما ان كثيراً من مسلمي الهند في داخلية الهند كبنارس وما جاورها يستعملون الحروف البالبندية المشتقة

من القلم السنسكريتي في لغتهم الاوردو وقلمها الاصلي عربي ولهم في ذلك مطـابع وجرائد حتى الكتب الدينية اخذوا يطبعونها بها ماعدا القرآن وبعض المناسك والخط السنسكريتي وما اشتق منه جميل الوضع متناسب الحروف يدعو الى نفسه بنفسه ومع انه لا يخلو من تعقيد وزوائد لا فائدة منها ولكن طريقة تهجئته متقنة جداً حتى ان المتعلم الاجنبي لايجد في نفسه حاجة الى مراجعة معلم ما في النطق بالكلمات بلا خطأ فلا شذوذ في قواعده ولا تشابه بين حركاته فما عليه الا ان يقتبس من القواميس متى اتقن الكتـابة والقراءة وقد يعترض على ذلك بان الحروف السنسكريتية تنـاهز الستين عداً ولكن من المعلوم ان مخارج الحروف عند الهنود عديدة فبعض الحروف لها ثلاثة مخـارج ولكل مخرج حرف يرمز اليه حتى ان المسلمين اضطروا ان يضعوا عدة علامات او حروف في اللغة الاوردو المكتوبة بالحروف العربية ولست اقصد تحبيذ الخط السنسكريتي ولكني اخشى ان يكون مصدر خطر على الحروف العربية في الهند أم الملايين من البشر وهو خط حي منتشر كثير الاستعمال مألوف يتعلمه اكثر المسلمين في الوقت الذي نرى فيه مجددي ايران يدعون الى العودة الى استعمال خطهم القديم الفهلوي الميت لبساطته وهذه الفكرة تكاد تملأ ادمغة الناشئة الايرانية ولولا سقوط الملك أمان الله خان لكانت البلاد الافغانية اليوم أوفي القريب العاجل تحذو حذو الاتراك ، ولقد اسهبت في الموضوع لأبين الخطر المحدق بالخط العربي وسوف يعود غريباً كما بدأ الى اهله هذا اذا لم يمنَ بحكام طائشين مقلدين او حكومات اجنبيـة مستعمرة كالحكومة الهولندية فهنـاك الطـامة الكبرى والقضاء المبرم الهائل .

وكثير من الناس الآن يتصور ان في اصلاح الحروف مساساً لشعائر الدين ولو علم ان الخط الذي نستعمله الآن هو من استنباط الوزير ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وان خطي الرقعة والتعليق لم يشتقا الا بعد ذلك بزمان لزال عنه ذلك الوهم واصلاح ابن مقلة سبقته عدة اصلاحات على يد ابي الاسود الدؤلي وغيره ومن منا اليوم يستطيع ان يقرأ خطوط القرون التي سبقت ابن مقلة وخاصة ما كان منها في صدر الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه سواء في ذلك القلم المشتق من النبطي او الكوفي ومع ان مطابعنا في الايام الاخيرة اخذت تستعمل الخط الكوفي احياناً ويستعمله بعض الصحافيين

والناشرين لعنوانات جرائدهم وكتبهم فلا نكاد نتهجؤه الا بصعوبة وامعان نظر والانقلاب الذي احدثه ابن مقلة لم يعده علماء ذلك الوقت خروجاً على الدين والتقاليد القومية وهم اغير عليها منا الآن بل سرعان ماانتشرت قاعدته وطبقت العالم العربي برغم قلة وسائل الانتشار في ذلك الزمن وما ذلك الا لان الناس كانوا في حاجة عظيمة الى الكتابة السهلة البسيطة لارتقاء الدولة وكثرة الاعمال في الخاصة والعامة وكأني بهم كانوا يشعرون بنقص كتابتهم القديمة كما نشعر نحن الآن ويعانون نفس ما نعانيه ونحن لا نحاول ان نترك حروفنا العزيزة والتي هي رمز من رموزنا القومية ومفخرة من مفاخرنا بجمالها الفني البديع ولكن هذا الجمال لايكفي في عصر يتطلب السرعة والاقتصاد وما علينا الا ان نعيد عملية ابن مقلة بالتحوير والترتيب لنجعلها ملائمة للطبعة والآلة الكاتبة ولنا ايضاً مطلق الحرية في استعمال حروفنا الحالية في المكاتبات والعنوانات . اما المطبعة فيجب ان تضاهي المطابع الاخرى لنتمكن من تجهيزها بآلات اللينوتيب والمونوتيب المنتجة المفيدة او على الاقل تخفيض عدد الامهات في المسبك العربي فاننا مثلاً نجد ان المائة كيلو من الحروف اللاتينية تكفي لترتيب صفحات عديدة من الكتاب او الجريدة بينما هي لا تكاد تكفي لما يوازي ربع مقدارها من الحروف العربية ويمكن تلافي ذلك بما يأتي :—

(١) جعل الحروف ٢٨ حرفاً بسيطاً ونستغني عن بقية الحروف .

(٢) ان يراعى تناسب الحروف في حجمها حتى نتمكن من سبكها على بنط ٩ و٦ بوضوح وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه .

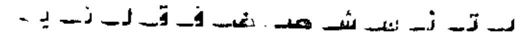
(٣) نقش بعضها وسبكه بهيئة خاصة حتى يصلح لأوائل الكلمات كحروف الكابيتال اللاتينية وجعل الحروف التي من جسم واحد بعضها اسود وبعضها عادي للعنوانات والاعلام وما شاكلها مما هو مصطلح عليه في المطابع الافرنجية .

واقرب الطرق الى تحقيق ذلك جعل الحروف مربعة الشكل ليسهل نقشها وتخفيفها وتدقيقها وجعل امتدادها افقياً لا عمودياً ليمكن سبكها على البنوط القليلة ومن المعلوم ان الحروف الحالية تتألف من متصلة اولى ووسطى واخيرة ، ومنفصلة فتكون لها اربعة اشكال فلنكتف منها بحروف اليمين وبعض الوسط الحالية ليمكن وصلها بعضها ببعض من يمينها ويسارها بعد ان نجعل لها علامات تسبك على حدة لتميزها في وضعياتها ويمكن فصلها بوضع

الحواجز من الاجسام القصيرة التي تفصل الكلمات عادةً · ويكون شكلها هكذا :



فهذه (٣٨) حرفاً ومتى علمنا ان الجيم والحاء يقومان مقام العين والغين اذا قلبتا امكننا ان نقتصر على (٢٦) حرفاً ، اما العلامات المميزة فنكتفي بوضع شرطة أفقية محددة الرأس هكذا تضاف الى الباء والسين والصاد والفاء واللام والنون والياء وأخواتها في حالتي التطرف والانفراد كذا :



وشرطة أخرى عمودية يقف رأسها الاعلى لتتصل بالحروف الاخرى فتميزها في حالتي التطرف والانفراد كذا : 

وبذلك تكون حروف المطبعة كلها (٢٨) حرفاً بسيطة او (٣٠) على الأكثر ماعدا الأرقام والترقيمات على ان هناك أحوالاً اذا اصطلح عليها يمكن بواسطتها ان يقلل من عدد الحروف كالاصطلاح على إهمال بعض المعجمات والاستعاضة عنها بقلب أخواتها فالسين تكون شيناً تكون تاءً وهكذا فاذا أردنا ان نكتب اسم المجمع العلمي العربي بدمشق الشام كتبناه هكذا :



وهي لا تختلف عن الكتابة العادية كثيراً ومتى تعهدها الخطاطون الفنيون بالتطريز والتحسين وضبطوها بالاقيسة فلا شك انها تظهر بمظهر جميل للغاية وهذه كتابتنا لم تصل الى ما وصلت اليه الا في قرون عديدة ·

هذا اذا أردنا مجاراة عواطفنا والمحافظة على تقاليدنا واصلاح حروفنا بحيث يحفظ اصلها وتبقى على ترتيبها المعمول به حتى يعم انتشارها بسهولة ويتعود على قراءتها بعد تمرن طفيف ولا تحتاج الى حكومة تنشرها بالمشانق ومحاكم الاستقلال في هذه الامة المتعددة الممالك والدول المتنازعة المختلفة والا فهنا طريقة أخرى ان استعملت فلن يبقى في الامة

العربية أمي واحد وهي وان كنا متى استعملناها نضيع بعض تقاليدنا الأدبية ولكنها تحفظ ايضاً بجزء منها . فمالنا وللحروف اللاتينية المركبة المعوبصة وامامنا حروفنا البسيطة المألوفة منا أليس من الاصلح والانسب ان تكون الحروف تسعة فقط ! وعلاوة على ذلك فهي قابلة لان تكتب طرداً وعكساً اي من اليمين الى اليسار و بالعكس حسبما نريد ان نصطلح عليه . تسعة حروف ? نعم تسعة فكلنا يعرف حساب الجمل و يعرف قيمة الحروف الأبجدية وما علينا الا ان نستبدل الحروف بالارقام بعد تحوير طفيف في وضعية الاصفار وشكلها . ولكي تكون بسيطة سهلة وقابلة لان تتحول حروفاً جميلة يجب ان نعمد الى شكلها فنجعله مربعاً وبذلك تكون متناسبة متراصة فنرسمها هكذا : ١٢٣٤٥٦٧٨٩

. : ؛ ؤ . لما هو عشرات و : للمئات و ⁝ للالف فتكون الألف ١ والياء .١ والقاف :١ والغين ⁝١ والباء ٢ والكاف .٢ والراء :٢ والجيم ٣ واللام .٣ والشين :٣ وهكذا الى ان تكون النقط الثلاث للغين فقط ويمكن ان نجعلها حرفاً قائماً بذاته مصطلحاً عليه . اما الارقام فيمكن ان نستعملها من نفس الحروف اذا خصصنا لها صفراً مربعاً متوسط الوضعية ١٠ ولتميزها نحصرها بين قوسين او نضع لها علامة أخرى ويمكن ان نرسم اسم المجمع من اليمين الى اليسار هكذا :

١٣٣٤.٧ ١٣٤.٧.٣١ ١.٣٤.٧.٣١ ٢٤٣٣.١ ٤.١٣٣١ و بالعكس :

١٣٣٤.٢٤٣ ١٣.٧.٣٤.١ ١٣.٧.٤٣١.٢٣٤٤.٣ ١٣٣١.٤

سنة ١٩٢٩ ميلادية ٥١.٣١٣١.٤ (١٩٢٩) ٥٥.٦.

سنة ١٣٤٨ هجرية ٥٣٤١.٥ (١٣٤٨) ٦.٥.٥

تسعة حروف وثلاثة للنقط وكفى ، ومما لا ريب ان التلميذ الصغير والأمي الكبير في استطاعتهما ان يتعلما هذه الحروف في ظرف اسبوع واحد وفي شهر على الاكثر والستة اشهر كافية لتعلم ابلد البلداء ، وحينئذ يسهل اقتناء المطابع والآلات الكاتبة

و يكثر سواد القراء وتنتشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترتقي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون سخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد الفرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام
— الجزء السادس —
« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :

البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس — الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقد العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — العادات والاخلاق . وعقب على ذلك بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض مافاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا نرى له حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا بما يشفي حاجة الطالب ، والعربية على قلتها لا نرى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما نرى في هذا الكتاب من علم جم ، واحصاء عم ، مجموعاً مبوباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغابرة بما انشأه آباؤنا الاولون من مستشفيات ومدارس، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب وللآثار ، الى غيرذلك من مقومات الحضارة

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه الا رجل قضى ما قضاه الاستاذ من بحث ومطالعة وتقييد ومدارسة .

وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك نفوس اصحابها واخلاقهم . وفي رأيي ، بل رأي كثير ممن مروا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون « السكوت عن المعايب حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« وكتمان العلة مدرجة الى الهلكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يملى لارضاء الناس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويعترف — وهو مثلنا جد آسف — ان ما اصاب هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابنائها امرها . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً يذكر وتقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ، ورزقت غنى الانكليز السكسونيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالتقويم . ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس وصديقك من صدقك لا من صدقك .

فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا

وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، ولا سيما في مصلحة البلاد .

على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننتقد ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسبها من اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجره وبجره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع . وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على الكتاب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الاديان والمذاهب ، فلقد كتب احدهم عن اليهود كتابة

تنحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم مظهر الصديق الحميم · وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم ·

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غيرانه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول وكان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية ·

و بحث احد الآباء اليسوعيين عن الكثلكة بحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تعصب لا يجيزها تاريخ مدني، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لا من سجلات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى وامليت لارضاء الناس » وهو ما نهى عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه ·

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضاً في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب ألسن العالية ممن شهدوا هذه العادات اوعرفوا شيئاً عنها كافعل السيدعبدالقادر القباني في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة ·

٣ — جاء في هذا الكتاب عبارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دواوين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع · ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة والاملاء كان حقاً على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه ·

٤ — وددنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه · فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه أراد امراً غير ترجمة نفسه وغير التاريخ ·

هذا بعض ما بدا لنا · ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كلماتنا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئاً منها في فصل (الاستدراكات والتصويبات) وقد رد على بعضها رداً نترك امره للقارئ ·

وها نحن نثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة، لما أسداه الى أمته من الخدمة الصادقة في وضعه لها هذا السفر الجليل ·

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

اتحاف اعلام الناس

« بجمال اخبار حاضرة مكناس »

تأليف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط
سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ ص ٤٧٠ الجزء الاول

هذا كتاب صادر عن مدينة من مدائن العلم الاسلامي في الغرب الاقصى يسرّ له طلاب البحث · فقد ضم فيه مؤلفه الاستاذ بعض ماله علاقة بعمران هذه المدينة وتاريخها ورجالها فكان يجيد الوصف عندما يتخلى عن السجع ويضيع رونق الكلام اذا تشبث بالتسجيع وهو قليل · وتكثر الفوائد المنتقطة من تضاعيف صفحات هذه السفر فهو في الحقيقة تاريخ الغرب الاقصى السياسي والاجتماعي والادبي · وتاريخ الرجال هو تاريخ السياسة · وبهذا الكتاب عرفنا الحالة الاجتماعية والحركة الادبية في تلك البلاد العربية السحيقة · فالشكر للمؤلف الفاضل الذي نهج بكتابه نهجاً عصرياً في الجملة وحلاه برسوم بعض الرجال والاماكن والوثائق وقدمه الى مولاي السلطان محمد بن يوسف سلطان الغرب · وسيكون لهذا الكتاب الاثر النافع بعد اتمام طبعه من حيث معرفة من ظهروا من الرجال كما كان لكتاب الاستقصا للسلاوي في كشف احوال تلك البلاد السياسية ·

م · ك

الاعلام

« تأليف السيد خير الدين الزركلي الجزء الثالث طبع بالمطبعة العربية سنة »
« ١٣٤٧ — ١٩٢٩ وبه انتهى الكتاب فبلغت صفحاته كلها ١١٨٧ »

تكلمنا مرتين في فائدة هذا الكتاب وسرعة متناول تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام وذكرنا مبلغ عناية الاستاذ المؤلف بالتدقيق · وقد بدأ هذا الجزء بحرف الكاف وانتهى بالياء وفي تراجم بعض المشاهير اختصار زائد وترجم لبعضهم من المعاصرين تراجم مطولة في الجملة وان كانوا لا يعدون في باب الانتاج العلمي

الا على شيء من التجوز او التكلف . و يزين هذا السفر النافع كما قلنا في الجزءين الاولين المعارضة بين التاريخ الميلادي والهجري وشكل الاسماء المشكلة من الاعلام والاشارة الى المطبوع او المخطوط من كتب المؤلفين . وهو مكتوب بسلاسة عرفت عن الاديب المؤلف فجاء كتابه تحفة لا يستغني عنها باحث يريد الوصول من اسهل طريق الى الوقوف على احوال الرجال في الجملة . فالشكر الجزيل للمؤلف على هذه الخدمة العلمية وعساه يوفق الى اصدار « المستدرك » لتتم به الفائدة .

م . ك

اهداء مكتبة برمتها

سلّم السيد ابو الخير الكزبري ادارة المجمع العلمي العربي مكتبة اخيه الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري التي أوصى بها في حياته لدار الكتب الظاهرية وتبلغ (٤٠٠) مجلد وهي تشتمل على فنون متنوعة في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ . منها مائة وخمسة عشر مجلداً مخطوطاً ومائتان وخمسة وثمانون مجلداً مطبوعاً ومن المخطوطات النفيسة خمسة عشر كتاباً منها ما هو محلى بالذهب والنقوش البديعة :

(١) جزء عم . بقلم حافظ عثمان الشهير محلى بالذهب وفواصل آياته بالذهب ايضاً كتب سنة ١٠٥٤ .

(٢) مصحف شريف . بقلم محمد صادق محلى بالذهب ونفيس الجلد كتب سنة ١٢٨٢

(٣) أنعام شريف . محلى بالذهب بقلم احمد المعروف بنائلي ومموّه جلده بالذهب كتب سنة ١٢٠٤ .

(٤) أنعام شريف ايضاً محلى بالذهب بقلم محمد سليم سنة ١٢٠٥ .

(٥) آيات الشفاء مذهبة ونفيسة الخط بقلم محمد كاتب السراي السلطاني .

(٦) الحزب الاعظم . محلى بالذهب وفيه نقوش بديعة جداً كلها بالذهب .

(٧) مصحف شريف . محلى بالذهب بقلم مصطفى المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٩

(٨) النفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية لاحمد بن محمد المقري صاحب

كتاب نفح الطيب كتب سنة ١٠٩٦ وهي نفيسة الخط جداً وفي هذه النسخة صورتان للنعل الشريف مذهبتان .

(٩) مجموع يشتمل على كتاب الرسالة للحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الواحد المعروف بالدقاق الاصبهاني في ٥٨ صفحة بقطع صغير كتب سنة ٥٣٠ هجرية وعلى كتاب منتقى ابي النصر بن حنون في علم الحديث كتب سنة ٦٠٥ وعلى فوائد ابي بكر الديباجي في الحديث ايضاً كتب سنة ٥٩٧ .

(١٠) حكم ابن عطاء الله الاسكندري لاحمد بن احمد الفاسي المعروف بابن زروق عدد صفحاته (٦٦٠) وهو بخط محمد تقي الدين الدمشقي الشهير بابي شعر وشعير .

(١١) مجموع فيه ثبت عبدالرحمن الشهير بابن الصناديقي . والقول السديد الحري باسانيد شيخنا الكزبري جمع ولده الشيخ عبد الرحمن الكزبري سنة ١٢١٧ .

(١٢) المنظومة في الآداب . نظم احمد الكيواني .

(١٣) المصباح في النحو للطرزي كتب سنة ١٠٧٥ ويليه كتاب الحدود للفاكي .

(١٤) سفر السعادة لابي طاهر محمد الفيروز ابادي الشيرازي (صاحب القاموس) (ص ١٣٠) مقابل على نسخة المؤلف كتب سنة ٨٥٢ .

(١٥) مجموع فيه تراجم ابي المواهب الحنبلي واسماء شيوخ شمس الدين محمد بن علي الكامل وثبت شمس الدين بن محمد الكزبري والقول السديد في اتصال الاسانيد للمنيني .

فالمجمع العلمي يشكر ورثة المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري وخاصة شقيقه الفاضل السيد ابا الخير على ما قاموا به من تنفيذ وصية فقيدهم المرحوم كما انه يدعو للفقيد بالرحمة والرضوان وان يثيب ورثته عن العلم خير الثواب .

الجزء ٢ — المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م — الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ — ١١٠

تصحيفات غريبة

في معجمات اللغة

« فَقَنَّس وقوقيس وقوق ومقوقس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الألفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غويدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدّمة للمؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة وينّا سنة ١٨٨٦[١] ومن المعلوم ايضاً ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة · ومن هذا القبيل لفظ الفَقَنَّس الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة انشاء الله ·

جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) ما نصه[٢] :

« (الفَقَنَّس كعَمَلَّس) اهمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

---

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, في semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) مابين هلالين لفظ القاموس ·

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوماً ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون) يحسن صوته (ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتنقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالعهدة عليه وقد ذكروه في شرح قوله (والذي حارت البرية فيه) بيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا [1] فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قرقيس [2] ثم ذكر قصته بمثل ماذكرها الدميري [3] وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له اجنحة فيطير [4] طيراً فيفعل كفعل الاول من الحك والاحتراق » .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

---

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ ﻫ (١٦٩٨—١٦٩٩م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ ﻫ (١٧٥٦ — ١٧٥٧ م) صاحب تآليف منها حاشية على القاموس ورحلة مهمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩—١١٤٠ ﻫ (١٧٢٧ — ١٧٢٨ م) . وقدسردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secols XVIII أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص ١٣٥—١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالتي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Lrbia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ — ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره(١) في ققنس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

اما نسب وصف الفقنس الوارد في القاموس الى الدميري فهو ظاهر من صاحب تاج العروس لان الفقنس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبرى(٢) وما قاله الدميري في قوقنس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبعات) غير ذلك ومأخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني(٣) هذا :

« قوقنش(٤) طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب(٥) هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للعش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تتأجج النار من حكهما في ذلك الحطب و يشتعل و يحترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لاالقزويني الذي لا ذكر للفقنس والقفنس في كتابه .

(٢) وعلى كل حال ولو كان ذكر الفقنس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ ﻫ وعاش الفيروزابادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüstenfeld, Gôltingen 1849 (ج ١ ص٤٢٣) . وفي الطبعات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ ﻫ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقنس » بالنون لانه جعله بين القُوق والقُوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalusi al - Garnati, Paris 1925 (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) ص ٢٤٠—٢٤١ .

يبقى[(١)] الدود منه ثم ينبت لها جناح وتكبر فتصير قوقنسا[(٢)] كما كان اصله ثم يفعل ما فعل اصله » .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فمن مرثية ابي العلاء المعري لفقيه حنفي مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير [(٣)] :

بان امر الاله واختلف النا ... س فداع الى ضلال وهاد

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعنيّ به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخويي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه ناقة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني [(٤)] . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً لكون المسند اليه موصولاً[(٥)] واتخذه بعده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الققنس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

---

(١) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبعات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » .

(٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص٢١٧) من طبعتي بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣— ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ .

بلاد الهند اسمه ققنس يضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالحان يعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله » . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح التفتازاني المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له القفنس يضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبة على عدد ايام السنة اذا صوت يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » .(١)

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣ — ١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجده في الترجمة اللاتينية لفن الحيوان من طبعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ايطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامر الانبراطور فريدريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٢٠ من طبعة غوتنجن) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزاوج اذا اتى عليه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بيضها وجدت لذلك الماً شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره و يحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيحضن الذكر البيض والانثى تمشي تصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب الفه ابن يعقوب المغربي بمكناسة سنة ١١٠٨ هـ .

وخمس وعشرين سنة فاذا كبر الفرخ فان كان انثى فالعنقاء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار ويضرم في ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وان كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر يفعل مثل ما فعل الانثى ويبقى الفرخ زوج الانثى » .

اما الدميري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العنقاء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة للميلاد) لان ابا الحسن بَرْ بهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي[1] المؤلف قبيل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عنقاء مغرب تحرق نفسها وتصير دودة ثم يتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) ... طير يسمي فنخس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه منديل واذا اتسخت يلقونها في النار فتنظف وتنقى وهي تصلح للملوك[2] ... (فونيكس) الوحيد

---

(١) Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule, ed, R. Duval, Pazisiis 1888 - 1896 عمود ١٥١٤ — ١٥١٥ . وعربيته كثيرة اللحن كما يظهر مما أنقله بدون تغيير لان اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعة بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَلَمَنْدْرَا وهي ما يسمى في كتب العرب السَّمَنْدر او السَّمَيْدر اوالسمند او السَّمَنْدَل او السَّبَنْدَل تقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المجلوبة من أقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لاتينية وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحرذون موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجتاز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فمنذ اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهند

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقـاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسمائة سنة اذا أراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني و يجعله في مكان و يحك نفسه عليـه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتنشو وتصير فرّوج و يصير لها جنـاحات وبعد سبعة ايام تصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً ققنس » .

* * *

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (قَقْنُس) او (قَقْنوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتهما ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قوقُنُس) « بقافين ايضاً ثانيتهما بالضم كالنون التالية » او (قوقُنوس) . وأطال الكلام في ققنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار[1] في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطق الطير[2] وقال ما هذا ملخصه : يوجد في بلاد هندوستان القَقْنُس[3] وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتهـا ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر واوائل الخامس عشر للميلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda).

(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩—١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttaïr, ou le Langage des oiseaux' poème de philo sophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥ — ٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦—١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .

(٣) ققنس بالفارسي وققنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبة لكل منها صوت وفي كل صوت سرٌّ خاص · فاذا صوَّت بانغامه تحركت الطيور والسمك وسكتت الوحوش طرباً · ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلَّم من صوته علم الموسيقى · وليس للققنس أنثى فيعيش منفرداً ويطول عمره الف سنة تقريباً وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حوالي نفسه اوراق مُقْل ويصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثير من الحيوانات · وفي أوقاته الاخيرة يحرّك أجنحته وريشه فتسبب هذه الحركة ناراً تحرق الخشب والطائر ويصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قَقْنُس صغير ·

واستدلّ فريد الدين عطّار بهذه الحكاية على استحالة الفرار من الموت مهما كانت الحيل التي دبرها الانسان ·

وحكاية فريد الدين عطار ادرجها مير علي شير نَوَائي في منظومته بلغة چغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها ققنوس[1] ·

* * *

يتضح عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية ان القَقْنَس والقُقْنُس والقوقنش والقوقيس وما اشبه ذلك في الحقيقة شيءٌ واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(أ) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cycnus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأُوَز الا انه أشد منه بياضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يُضرَب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شير نوائي في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد · اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بلنينگراد سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣ — ٧٤) ·

ولم يزل يضرب عند الافرنج · وكان القدماء يزعمون[1] انه عنـد الاحساس باقتراب الموت يصوّت بالنغمات العجيبـة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائج ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شـاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر · وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القفنس» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام ·

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق[2] للقـاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨ م حيث قال المؤلف ايضاحاً لتعريف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود للزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى ققنساً[3] » · ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك · اما ارسطوطاليس فاقتصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يغرّد لا سيما اذا اقترب من الموت » ·

(٢) هو كتاب كاد يجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقرأه في الازهر · ويقرؤه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق ·

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجده ايضاً في كتب الحيوان العربية » · ثم قال ان احد المطلعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ · وفات الشيخ كلمة القُقنّس وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القُقنس هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالايطالية

ان الساوي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زمانا » [١].

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiniks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالايطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها [٢] فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جعله بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية [٣] عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبة العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس اوفنقس) و (kyknos) (قوقنس او ققنس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا قوقنوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بتة في كتابه في الحيوان .

(٣) اقول هذا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكْس او فُونِكس او فونِكُوس فلو أخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونخس او فنخس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظر نص بَرْبهلول النسطوري المذكور آنفاً .

عند القدماء في شأن طائرين مختلفين احدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً ٠

وعلى كل حال فان القَقَنُّس المذكور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من كتب اللغة وانْ نقل به حبيب افندي بسترس لفظ (phoiniks) لما عرَّب ترجمة (Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس [1] وأظنه الكاتب العربي الوحيد الذي استعمل كلمة ققنّس ٠

والذي يجب ادراجه في القواميس العربية بدل الققنّس اثنان : (١) قُوقُنُس او قُقْنُس وهو (kyknos) اليونان ٠ (٢) فُونِقْس اوفُنِقْس وهو(phoiniks) القدماء ٠

ومما اراه ايضاً تصحيف قوقنس او ققنس (kyknos) كلمتان لم يذكرهما الجوهري المتوفى فيما بين سنة ٣٩٣ و٣٩٨ وانما فيدهما المتأخرون من علماء اللغة او الخبيرون بعلم الحيوان ٠

الاولى منهما قوق ٠ قال ابن منظور الافريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل لحض الجسم وانشد * كأنك من بنات الماء قوق * » ٠ وقال هذا ايضاً السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن الليث » [2] قبل « وانشد » ٠ وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب [3] » ٠

---

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم من الفرنسوية بقلم ٠٠٠ حبيب افندي بسترس ٠ بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ م ٠

(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ٠ ولا أعرف هل اصاب صاحب تاج العروس بزيادته هذه ٠

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (او الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ — ١٢٥٣ م) ٠ ولشغفه بالزيادات على كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون وليس لها اصل سوى التحريف او التصحيف كما دلَّ عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً ٠

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب المخلوقات .

ان وصف هذا الطائر يناسب القفنس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولاسيما الدميري على هذا الوصف بغير ادنى اشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالقوقنس (kyknos) . فالارجح ان المراد بالقوق هذا الطائر .

اما الكلمة الاخرى التي أظنها ايضاً تحريفاً أدخل غلطاً في بعض معاجم اللغة فالمقوقس حيث يزعم انه اسم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .

قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوّق طوقاً سواده في بياض كالحمام) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة كلامه في قصة المقوقس المصري الشهير اقتصر على ما وجده في القاموس فيما يخص الطائر قائلاً (ج٢ ص٢٧١) : « المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كالحمام » . فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضاً .

* * *

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنوس) في كتب طبية عربية تسميةً لانواع خاصة من الشيافات (اي من الادوية للعين) وان اهملت كتب اللغة هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشيافات (kyknos) تشبيهاً لبياضها ببياض الطائر فاتخذ كحالو العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنوس وهو مذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعتنى بنشره وترجمته الى الانكليزية وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٧ و ٢٠٨ — ٢١٠ من الاصل او (119 و 142 - 140) من الترجمة .

رومية : كارلو نلّينو
عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبد الله بن جبير النصراني قالا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت موءامرة لابن حبش العماني وكان يتقلد الذاب ونهر سابس[١] في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان الزم خمسة وعشرين الف درهم من ابواب صحيحة وطولب بادائها واخذ خطه يصححها[٢] فصحح خمسمائة واربمين طول المدة والط[٣] بالمال . فقيد فلم ينفع وضرب سبع مقارع فلم يوءد . وكان اذ ذاك اذا خرج بانسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجهل منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم تأخذ اصل الارتفاع فانا ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن ان شئت فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلك . ولكن بعد ان كشف للوزير صبرك على المكاره فلا تتصرف والله في ايامه ابداً ويذهب خبرك . قال فقلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليوءدي الباقي .

« ١ » « م . ع » : بضم الباء قرية بواسط اضيف نهرها اليها . « ٢ » لعله : بتصحيحها . « ٣ » «م.ع» : اي جحده .

فما برحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول ناظرت الجهظ احد العمال على مؤامرة قد عملناها له وكنت انا واخي جعلنا نأخذ خطه بباب باب فلما كثر ذلك قال لي سراً ليس الشأن في الخط . الشأن في الاداء . ستعلمون انكم لا تحصلون على شيء فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه فقال له اعد علي ما قلت فاضطرب فقال لابد ان تعيده فاعاد ذلك فقال اذاً لا تلي لي والله بعدها عملا ابداً قم عافاك الله الى منزلك . خرّق ياغلام المؤامرة قال فخرقت في الحال وانصرف الجهظ الى منزله فما صرّفه عبيدالله بعد ذلك وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخدامه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا ابو العباس بن الفرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد بان مغنية من جواري بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب كل حسام
لهفي على قتلى النباج(٢) فانهم كانوا الذرى ورواسي الاعلام

« ١ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٢ » « م . ع » النباج كَكتاب قرية على عشرة اميال من البصرة وبها يوم لتميم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ... ولجارهم حرماً من الاحرام
لا تهلكي جذعاً فاني واثق ... برماحنا وعواقب الايام

فانهى اسماعيل ذلك الى المعتمد وقال هـذا يسعى عليك ويتمنى لك الدوائر ويتربص بك فامر بنفيه الى مصر فكان مضيه اليها تلفه .

حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القنائي (١) الكاتب قال ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قدخلفه دفعات على ديوان الخراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالا جليلة من العمالات والدواوين منها ديوان المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد وما يجرى فيه وقد رأيته وتمثلت بين يديه وسمعته يتحدث باشياء ولم اسمع هذا منه قال سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد الى ابن طولون لما نفي اليه — عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى نادمه وصار يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد فعظم عليه امر السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طولب ابن طولون بمال الوظيفة التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني الموفق يطالبني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة. الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

« ١ » « م . ع » : كذا في الاصل ولعله القنائي فقد قال ياقوت : دير قنا من اعمال النهروان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قنائي وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القنائي

فان الامور اليه والجيش معه وان منعته المال قصدك وحاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ماشار علي بهذه المشورة وانماهو دسيس على ملكي ليأخذالبلدان مني لهم و يرهبني و يستخرج البلدان مني باللطف . فشكر له ثم امر بالقبض عليه وحبسه فكان جبانا فلم يحب مع احاشه له ان يفلت في وقت من الاوقات فدس اليه في شربة فقتله بها. وجدّ الموفق(٢) وانفذاليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اخاه(٣) لمحاربة المعتضد فتحاربا فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقي صبياً وهكذا تكون محاربة الصبيان قال فلما جرت هذه الحال تندم احمد ابن طولون على قتل الحسن بن مخلد وقال صدقني فلم اقبل منه واتهمته .

حدثني(٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي ناقد خادم ابي وثقته وكان يتولى نفقة ابي : ما رأيت اجسر من مولاي على اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوما وقد لبس سواده ليمضي الى دار المعتمد وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة والتوقيع وبيت المال فقلت له قد صككت (٥) علي البارحة للمعاملين بالف وستمائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تخاطبني في هذه الساعة

«١» «م.ع» : دسيس فعيل بمعنى مفعول هو من تدسه ليأتيك بالاخبار . «٢» م.ع : كذا في الاصل . «٣» الصواب : ابنه . «٤» كتاب الوزراء ص ٧٧ . «٥» م.ع : صك الرجل للمشتري صكاً . كتبه . وهو الذي يكتب في المعاملات والاقارير .

اين كنت عن خطابي البارحة لاوجه لها وجها ولكن اتبعني الى دار السلطان فتبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيي الوزير ودخل معهما احمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استسلف على رزقه شيئاً فمضيت الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستعظمت ذلك وعلمت انه ليس من الرزق وحملتها الى الدار وعرفته خبرها فقال لي أنفق منها ماوقّعت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى للحديث ايام ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد واليه اذذاك عدة دواوين وجماعة من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلو واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعته يقول اخوك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال اليّ وانا اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال(١) فحمله مع صاحب بيت المال لينظم دستور الختمة بحضرتي واصحح حكاياتها ونحن منذ عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

«١» عند هلال وجهت حاجبي الى الخازن .

ولا ماالحجة فيها قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال ياأخي ابو بكر والله وقيع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرته يجب أن يكتب في الختمة وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقال لي سليمان بعقب هذه الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شبيهاً الا ماعمله ابي الفرات فيوزارته الاولى فانه نصب يوسف بن فنحاس(١) وهارون بن عمران الجهبذين فلم يدع مالاً لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صح من مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم الا أجراه على أيديهما دون يد صاحبي بيت المال العامة والخاصة(٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كاتبه يحاسبهما ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى موءنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه انه حوسب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران على ماحصل عندهما من كيت وكيت حتى استغرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

«١» م.ع : في تاريخ الوزراء فيجاس . «٢» م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم ان المال يوءنث ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة .

وخمسمائة وستة واربعون(١) درهما وامر بقبض ذلك منهما وايراده بيت مال العامة (٢) فقبض موءنس منهما تلك البقية ومضى الاصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه (٣) نحو الف الف دينار فان ابن الفرات فاز بجمعها(٤) ولم يقم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدواوين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بختماتهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن الفرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا(٥) ان ابن الفرات أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضراني حسابا مبتورا ذكرا أنهما وجداه فرأيته غير منتظم فلم أزل أرفق بهما الى ان أقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاه مائة الف درهم فجملتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليها وأخذت بها خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذهما من يدي وسلمهما الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فتتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن الفرات

«١» م.ع : الصواب واربعين ليتسق الكلام . «٢» م.ع : في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع : كذا في الاصل ولعله يتعاورونه اي يتداولونه بالعد اوالتخمين «٤» لعله بجميعها . «٥» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هـذا كله مسروق والقوم معهم محجج بالابراء وما عليهم طريق وابن الفرات كان أَجلد من ان يدع هؤلاء يفوزون بجبـة من المال فردهما الي وقال اجتهد في ان تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لايمكن ذلك فقال اعمل على انك طالبتهم(١) بعرفق لنفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا فعلت هذا فاي شيء أعمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزمهما مائة وثمانين قال فخرجت وجددت بهما الى ان أَلزمتهما ذلك وأَخذت لنفسي منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أُخذنا بها خطوطهما واخذنا لهما خطه بالبراءة من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس في كل أمر موضعاً(٢) لايقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الى حضرته وانا في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أُزيل عنكما تبعة ان لم ازلها بقيت عليكما وعلى ورثتكما ابد الدهر لست افعل هـذا الا بشيء يقرب لا ضرر عليكما فيه وهو اني احتاج في كل هلال الى مال أُدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا الثاني وأُريد ان تسلفاني في أول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ترتجعانها من مال الاهواز في مدة الشهر فان جهبذة الاهواز اليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما(٣) أبداً واقفاً لاضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي(٤)

«١» م ع : كذا في الاصل والصواب طالبتهما . «٢» بالاصل : الرئيس في كل موضع . والصواب عند هلال . «٣» م ع في تاريخ الوزراء سلفا واقفاً لكما الخ .
«٤» بالاصل : الى ان . والصواب عند هلال .

رد في أول كل شهر وهي عشرون الف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط الاول من النوبة فيخف عني ثقل ثقيل فتأبيا ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يفي بهذا الا الوزير أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل (١) عشرة آلاف دينار بربح دانق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفان وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لانهما ما صرفا الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان لا يرى صرفهما ليبقى جاه الجهبذة مع التجار فيقرض التجار بالجهبذ اذا دفعت الضرورة ومتى صرف الجهبذ وقلد غيره (٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابوه مغنياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابة الكاتب قال حدثني أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن ابيه عن الفضل بن مروان قال كنت أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كساكاسية (٣) النصارى وخفاً أحمر

«١» م . ع كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . «٢» م . ع لعل الاصل ولم يعامله او . ووقف امر الخليفة . «٣» م . ع : كذا في الاصل . ولعله كاكسية .

وكان هذا زي المتمطلين من الكتاب إذ ذاك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد وانا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولامني صاحب الديوان على تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه وقمت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك عاتبت فتانا على تقصيره أولا ثم أقبل علي وقال يافتى كنا نعد الصناعة نسباً والنعمة نسباً واللغة نسبا والنحلة نسبا .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطاني قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون على ديوان الضياع قال ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حداثتي اتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلا وكان له خادم يشرف على مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهما في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهما وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلي فعرفه اني لا آكل فامره ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة على منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملا وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلا جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

«١» م.ع : أيس يأيس بغير همزة بمعنى يئس .

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم اخرى فقال هذا كثير ولكن اربعة دراهم فأيست من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتعاللت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتعلمت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك اول اقبالي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد المخلوع قد صرفت ما كنت جمعته من «١» ضياع وبساتين بالبردان«٢» وصاهرت بعض تناثها«٣» واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم منصرفاً من صيده مسرعا وليس معه من اصحابه كثير«٤» احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احدوجوه القواد وكان لي وعد على عامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعامــاً وفيه جداء وحلواء وفاكهة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قلت لم لا اخلف«٥» على هذا القائد واضيفه عندي على هذا الطعام المعد قال فكلمته وسألته النزول عندي فاجاب ونزل واكل وشرب وانفذت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسطت بين يديه وخدمته

«١» الصواب في . «٢» م•ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .
«٣» م•ع : كسكان جمع تانىء وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي . «٤» م•ع : كذا في الاصل . ولعل صوابه الكثيرين احد .
«٥» م•ع اخلف عليه . عوضه ولعله احلف بمعنى اقسم وهو الاظهر .

فنحن نشرب اس(١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدار فعرفت حينئذ انه اخو الخليفة فهبته فبسطني وسألني عن شرح حالي فعرفته فقال لا بد ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبني ودخلت معه الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم تزايدت حالي عنده الى ان جمع لي جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان الخراج مضافاً الى كتبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي كنت عليها مع هرثمة قال ابو الحسين ما رأى(٢) في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد(٣) الوزارة لديوان الخراج وديوان الضياع — احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان وصادره المعتصم على اربعين الف الف درهم فاداها بغير مكروه . وسمعت حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرائيل قال حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطمعه في نعمته وانما يدفع النكبة مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم وانا وزيره استخلفني على سر من رأى واستخلف بحضرته محمد بن الفضل الجرجرائي (٤) فلما عاد طمع فيّ فقال لي قد وردت والمال(٥) والجيش مستحق

«١» لعله : اذ اتى . م ع الظاهر انه انبث الجيش اي تفرق .

«٢» لعله رؤي .

«٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .

«٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك ففعلت فلما مضى شهر طلب مني على هذا السبيل خمسين الف دينـار ففعلت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعدته بهـا وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليـه فبلغني عنه انه قال لابنه الواثق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق علي به تفاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذمنه اربعين الف الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنـا ابو بكر محمد بن عبد الملك التواريخي وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب الزجاج ويعظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضـل بن مروان فذكر بحضرته في ايام الواثق عظم بناء احمد بن الخصيب بسر من رأى وانه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساجة عظيمة تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا غلمان ولا جوار ولا مفـاخرة بمروءة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتمهدي وقد وليت للمأمون ديوان الخراج فوجدت الاهواز قد اختلت ببثق اسود (٥) ابطل العمارة فانفقت عليه مائة

«١» م٠ع عدى احتال بنفسه على حد قول الحماسي :
اذا ماأتت من صاحب لك زلة   فـكن انت محتالا لزلته عذرا

«٢» م٠ع الظاهر ودافعته . «٣» م٠ع الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسرائيل الراوي عن الفضل . «٤» م٠ع لم نعثر على القارية بهذا المعنى . «٥» م٠ع الظاهر ان الاصل ببثق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كوَر الاهواز اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قال سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيي بن خاقان مع المتوكل ان اباه يحيي بن خاقان بن موسي تقلد ديوان الخراج في ايام المتوكل فقلد ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلا لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهلها مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضائها(١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فابى قبولها وطرحها(٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسرّ من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيي وسألوه مسألته لما ظهر من اختصاصه به ونفاقه عليه فخاطبه في امرهم فتذمم من رده لانه كان يعمل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لابيه وجعل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فحمل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لآخذ على معروفي ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية أحبوا مهاداته

«١» الصواب امضائها . «٢» الصواب وطرحوا .
«٣» لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا له فرش بيت ارمني ببساط عظيم ومصليات وانخاخ (١) ومساور (٢) ومخادّ (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قط مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه وكّل المتوكل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يعرض عليه فعرض عليه البيت في جملة ما جيء به من أرمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل لعل هذا مرفق لابيه فقيل له ان ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدّث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجرائي (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين يعرضون عماالهم عليّ والتاريخ يجمل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتاج الى كاتب يكون بين يديه في أبنيته والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م.ع في اللسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م.ع جمع مسور ومسورة وهي متكأ من أدم وهي المساند . «٣» م.ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» يريد رؤي . «٥» بالاصل ابو . «٦» م.ع المعروف نقر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني . «٨» م.ع هكذا في الاصل .

ابن مروان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيي بن خاقان فحين مر على سمعه ذكر عبيد الله ذكر حديث الفرش فاختاره ولم يزل حاله يرقى معه الى ان استوزره .

« للبحث صلة »

المحاضرة الاولى

الأدب (١)

« أفقه · فعله · غايته »

فكرت في شيء من الكلام أمهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب · لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الا ألهية يتلاهى بها العقل ، لكنها ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الألاهي ، ما ينبغي للأدب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال · فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستهلال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونتير Brunetière) في اول محاضرة من محاضراته : لعلكم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها · فلنشرع في حديثنا الاول دون الافاضة في التمهيد ·

* * *

قلت : الأدب ألهية ولكنها شريفة · واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد · فمتى أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علمنا مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه ·

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :

اني أحب معجمات اللغة · فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ولكني احبها لانها تحتوي على شيء جميل فخم · انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة اوالفاومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها · ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة · وقد عزمت مجلة المجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة ·

وافكار اجدادنا وافراحنا وافراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم . ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر ودمهما وروحهما » .

اني احب ان اقتبس قول اناتول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناتول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادركنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الالاهي .

* * *

كنت أطالع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة قيدتها في دفتري . قالها شيخ ايطالي في حض فتى على درس اللغة اللاتينية :

« ان هذه اللغة الشريفة قد أنستني آثارها المنقطعة النظير آلامي وشجوني في معظم الاوقات . كنت ياسيدي أتغدى وماغدائي الا صفحة من«تاسيت» واتعشى وما عشائي الا اهجية من « جوفنال » .

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب يفرج الغم ويكشف الكرب وينشيء في العقول لذة لا يعدلها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Lanson) رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلمه المرء علماً ولا يدرسه دراسةً وانما يمارسه ويجربه ويحبه واصدق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احاسن افكارهم » .

ان الرياضيين — وانا اعرف طائفة منهم — الذين يلهيهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلي انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم يجردونه تجريداً و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جملوه ابواباً . خلق الادب لينشئ لذةلنا ولكنها لذة تروض قوانا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق لذة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرّته وراحته وتتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نتعبه في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصبحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقي هذه الجماعات وتغيراوضاعها . الادب هو الذي يتعهدالنفوس التي اثقلتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المادة فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الدين في كثير من رجال العصر وبُعد أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها وكأن الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحبوا ان ينبهوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا تثقيف الجمهور تثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يعنون بذلك انالثقافة الادبية لاتكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب للذته .

اراد احد شباب الفرنسيس ان ينصرف الى الادب فسأل (فلوبر) عن رأيه في ذلك فقال له (فلوبر Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان أبين لك ان استثمار عملك امر صعب جداً ان لم يكن

متنعماً ، انك لا تزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج ان تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما تكتب ، تقبل طريقتي فقد كان عمري سبعاً وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .

لا تظن ان حياة اديب مثلي ناضرة بالازاهير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، اذا كان حبك للادب خالصاً فحصّل الادب لنفسك قبل كل شيء واقرأ كثيراً كتب (المدرسيين) وروض قلمك على كتابة اشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها » .

علمنا (فلوبر) ان نحصّل الادب لانفسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، اذا كنا نتوخى الكسب في تحصيل الادب انحط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اننا نحصل الادب لنذوق لذة الحياة ، اننا نحبه كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . اننا نحبه لانه ينسينا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نجنيها على طريقنا في نزهة العقل كما نجني الورد والريحان على طريقنا في نزهة البدن . اننا لا نتنزه لنقطف الورد ولكننا نتنزه لنروض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكننا ندرسه لنروض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس . لكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورد والريحان على سبيل المتنزهين .

* * *

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هذا قبل ان يتأكد عندي اننا ادركنا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اثق باننا علمنا ان الادب انما هو : رياضة وذوق ولذة لا نتفرغ له لغرض من اغراض

الدنيا فهو اجل من ان تكون غايته الكسب وانما نمارسه لندرك به جمال هذا العالم انـنـا نمارسه لنفرج به غم هذه الحيـاة . يقول اناتول فرانس في هوغو في معرض النقد : عاش فيكتور هوغو ثملاً تسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التعبير قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الفاظه فهو نزهة عقولنا ونعم النزهة يشحذ الطباع ويبهج النفس ويعمر الصدر . اني لا ارى اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب . اي شيء احسن تهذيبـاً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر عاقبته المحمودة فهذا ناشيء عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحديثنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعبقريته .

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الادبية · الانفراد بالرأي في الادب

ما أظن انكم نسيتم ما حدثتكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيتم أفق الادب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الافق الفسيح يوطئ لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتائج خواطره من منبثق فجره الى يومنا هذا · اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب ويثقف البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسلخ المرء من حيوانيته ويحلق في جو أعلى من جو البشرية والادب هذا فعله في الامم · فاذا كانت غايته مجردة وثقافته خالصة نجم واثر : هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته · ما اظن انكم نسيتم شيئاً من ذلك ·

غير اني أتوقع بعد ان بينت لكم أفق الادب وفعله وغايته على سبيل الايجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان تقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق لذة الادب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الافق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلتم لي شيئاً من ذلك لوقع القول مني موقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الاستاذ لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرمى فكرهم الالتذاذ بالادب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهيئوا طرائق في التدريس وان تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الادب الصغار · ولكننا لا ينبغي لنا ان نذهل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الادب الذي لا يعنى بتنمية الذوق الادبي في تلاميذه ولا يستميلهم الى ان يجثوا كل حياتهم في الادب عما يشحذ افكارهم و يسليهم عن همومهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هذا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرمي اليه لا ان نعد للطلاب جوابات الى يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفع بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثمر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخواتيم الحسنة اذا كان نقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تنقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بعد هذا الادراك » .

ما أصح هذا الكلام ! ما ألصقه بالحقيقة ! الاستاذ الذي لا يعنى بتنمية الذوق الادبي في تلاميذه لا يكون أستاذاً صالحاً ، تنمية الذوق هذا هو هدف الاستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحساسنا للقبح ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لمحاسن العالم وقبائحه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضعف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما انحط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، تعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، وتعرض علينا الآثار الفاسدة فلا ننقبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بمناعة الآثار وشناعتها ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها ماتع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي يقوي فينا هذا الذوق . تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الاستاذ ان يروّض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الاستاذ في اللغة بالسهم الفائز وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله اديباً ، اي لا يعرف اماكن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالدة فاذا خرج الاستاذ عن ان يكون أديباً ، اذا لم يستطع ان يذوق لذة الجمال أعقم التدريس وأفسد الاذواق ومتى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب على التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . سئلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمحيص والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتعمقوا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب اوشاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيذ لايدربونهم على التفكير ولا يعودونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لايستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف اوشعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه في تدريس الادب والظاهر ان هذا النقص ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف تدرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نحوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا نزال اذا شرحنا شعراً نتوخى تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه والتنبيه على مذاهب الاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد يولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا يولد فينا ذوقاً أدبياً ان لا يقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي نتفرغ لدراستها تشتمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلكم على آثار العصر والبيئة فيهـا او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن اهواء صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكره ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه يعينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب فان من وراء هذا كله اشخاصاً ينطقون و يشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها احطتم بظواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم باسرارهم والغازهم فعرفتم خصائصهم وطبائعهم واهتديتم الى اخلاقهم واوضاعهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن هذا يتبين لكم انه لابد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه ·

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس شاعر من شعرائه فلابدلنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي ايقظها فاذا كنامثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في شعره اوعلى لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا ومأنوساً في عصر ابي الطيب ·

يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي ،متى نشأ هذا الذوق وكان سليماً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور تزداد لذتنا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا منفردين بامر البحث والتنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية جامدة لا روح فيها · —

قال الاستاذ « لانسون » :

« اذا حاولت ان اتصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخليص آراء من اولعت بهم من الاساتذة في هذه المؤلفات اشباه « تين » و « سانتبوف » و « غاستون باري » و « برونتير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول مستندة الى عقل ان أخلص ما انشأته فيَّ قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وماخطرته

ببالي من الآراء وما اهتديت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذ انه لا يستطيع احد ان يستميل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور » .

هذا ما قاله لانسون ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المتنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المتنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المتنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المتنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بآرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل اي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتتغير آراء الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى «فيكتور هوغو» فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كانوا واعيا بعدان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم قلق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يتذوقوا لذة الادب بالانفراد بآرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هذا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ، ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، فخلاصة هذا الحديث تثقيف الذوق هو الذي يضيء لنا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثالثة

تمازج الثقافات

ما ارى حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكاتب او شعر الشاعر او خطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نحيط بروح المؤلف و بافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفاصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بيان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذا قلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في التنقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة مراميه والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تخطر بباله في ساعات تأليفه وكتابته ، فاذا كنا نفسر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبعث قبالة اعيننا حالة عقله من مرقدها ، وننعش فكره وانفعالاته بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا نرى فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعابير جامدة لا روح فيها ، فاذا عالجناها انتفضت من مدافنها فأصبحت صوراً ناطقة تشعر وتفكر .

كان يجب عليّ بعد ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام ، وانا لا اشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا نجده لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشمخ ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غض والغصن رطيب ، الا انه اذا كان يتيسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يتيسر لي الاهتداء الى كل الآراء ، والادب قد لبس في هذا العصر برداً قشيباً فحدثت فيه حوادث وعلقت فيه عوائق ، ونهجت مناهج وسلكت مسالك ، فلا مندوحة لنا عن الاقتباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس ومازالت الامم في قديم الدهر وفي حديثه يقتبس بعضها من بعض وقديماً تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحمودة في عبقرية الفكر .

لنلتفت قليلاً الى القرون الخالية فلننظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم وتقيلوا طرائقهم ولننظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « سبنسر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديد ادبها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسة من المعصرين المذكورين وقد كان « فولتير » يعبد الكاتب «اديسون» وكان « روسو » و « ديدرو » يعبدان « ريشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكسبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنسة متصلين الاتصال كله « بولترسكوت » ومن «ميشله» الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنسة الذين نظروا في مصاير النوع البشري وحيهم من المؤرخ الالماني « هردر » وشاعر الالمان «غوتي» استنزل وحيه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنسة مثل « موليير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولونيون عن اقتباس أدب فرنسة وايطالية والمانية وانكلترة .

مالنا وهذه الاعجميات فلننتقل الى ناحية اقرب . هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيذ ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات .

معاذ الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تتصل بماضيها لا تثق بحاضرها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نفخر به على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى سجيس الليالي ، ولكن تجديد الادب في هذا العصر امر لا مندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لا يقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئتم لتلوت عليكم صفحة كتبها ابو الحسين احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

يعقد فصلاً ابلغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :

« ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه و يرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، او علمت ان لكل قلب خاطر ا ولكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ولضلت افهام ثاقبة ولكلت ألسنة لسنة ولما وشى احد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ولمجت الاسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ » .

ما اثقب نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما اهدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ، ان عقل البشر ينبسط افقه من عصر الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الافق واتساع هذا المجال الفاظاً ومعاني لم تك من قبل ، و ينشيء الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويفرغها في قوالب حديثة ، وعلى هذا يتنقل الادب من طور الى طور ويدرج من حال الى حال على تعاقب الاحقاب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لاتى عليه حين من الدهر لم يك فيه شيئاً ، لو تملص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً اننا نجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تدفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب تنقرض ، ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احد اعضاء معهد باريز :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في عنفوان امره ، وريعان عمره ، فالعالم « ارخميدس » على نبوغ فضله و براعته ، كان يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجهيزية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان » وبين

العالم « انشتين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وئيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة مهما اختلفت أشكالها » .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لأجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لايخلو من التأثير في الفكر وبالادب كما أشرت الى ذلك في حديثي الاول تستفيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهير العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تخالط الامم في هذا العصر وتقارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عقولها ، لرأيتم ان الثقافات لامندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالامم يأخذ بعضها عن بعض ويهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الامم غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواتيم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب لنضرب مثلاً لذلك .

قلت : لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ، ولذلك فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الامم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، اما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد[1] .

---

(١) رأي الاستاذ « دارمستتر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالفرس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء الى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن ان الفلسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي ·

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايتي استنهاض هممكم للتقليد فاني من المتشددين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، الا ان هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق لغتنا وأدبنا فاني أخشى اذا جمد هذا الادب ان يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فاذا أخذنا في بعض الاحايين عن ثقافات الامم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقديماً استعان أدباؤنا بآثار من جاورهم وخالطهم فما نقصت مقاديرهم ولا خفت موازينهم ، فطلعوا على قومهم بادب مصقول الحواشي مهذب الاطراف ، على اني لا أقول بالمبالغة في الاخذ والاقتباس فان لميراثنا الادبي روحاً يجب علينا ان نحافظ عليه ، وان للعصر روحاً مالنا منه فلت ، فالتأليف بين الروحين صقال الادب ونموه ·

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

الارض مثعلة : كثيرة الثعالب . وسَرِفة كثيرة السُّرْفة وهي دويبة سوداء الرأس وسائرها احمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان على مثال الناووس تضم بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه ومنه المثل (أصنع من سُرفة) .

ومشبولة كثيرة الاشبال . ومشاهة ذات شاء او كثيرة الشياه . ومفعاة كثيرة الافاعي . ومفأرة وفئِرة كثيرة الفئران . ومغدرة كثيرة الغدور اي الوعول الغادرة . ومضبّة وضببة كثيرة الضب . ومضغبة كثيرة الضغابيس والضُغبوس ولد الثعاب . ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقّة كثيرة البقّ . ومَحياة ومحواة كثيرة الحيات . ومَكلبة كثيرة الكلاب . وموزّة كثيرة الوزّ . وموحوشة ذات وحش او كثيرة الوحش . ومأوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومثورة كثيرة الثيران . ومَجرذة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأسبع الطريق كثر فيه السباع . وأضبّ المكان كثرت ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .

وارض محربشة كثيرة الحرباء . ومسروءة ذات سروء وهي البيوض من الجراد والسمك والضِباب . ومظبأة كثيرة الظباء .

* * *

وانتهج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجدّ لزم الجدَد وهي الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجَدَد أمن العثار .

وحقّ الطريق ركب حاقّه اي وسطه . وسمّت : لزم السمت وهو الطريق والمحجة تقول خذ في هذا السمت .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرّق الموضع : جعله طريقاً يقال لا تطرّقوا المساجد — وللابل : جعل لها طريقاً . واستطرق الشيء : اتخذه طريقاً . وأجدّ الطريق : صار جَدَداً . واستنهج : صار نهجاً .

* * *

وعشّر الغراب : نعق عشرة أصوات في طلق واحد . ونَغَق نغيقاً ونُغاقاً : صاح غيق غيق . وقَطَت القطا تقطو قطواً : صوّتت بقولها قطا قطا . وقطقطت صوتت وحدها . وعندل العندليب : صوّت ومثله وَطّ الوطواط وبطبط البط وزرزر الزرزور ونختت الفاختة . وقد مأمأت الشاة والظبية مأمأة : واصلت صوتها فقالت ميْ ميْ . ولقلق اللقلاق : صوّت . وكذا قعقع القُعْقُعُ وتضوّع الضُّوَع .

* * *

ويقال داهى القوم مداهاةً ودِهاءً اي أصابهم بداهية . وصلّتهم الصالّة : أصابتهم والصالّة الداهية ومثله ذبلتهم ذبول . وفقرته الداهية فقراً : نزلت به فكسرت فقار ظهره . وقد ترِه الرجل ترَهاً اي وقع في التُّرّهات . وأصبر : وقع في امصبُّور اي الداهية . ودبلته الدبول اي دهته الدواهي . وأفلق الرجل : جاء بعُلَق فُلَق اي بالداهية .

وأفتق الرجل : ألحّت عليه الفتوق اي الآفات من جوع وفقر ودين . ونكبه الدهر اي أصابه بنكبة . ووتر فلاناً أصابه بوتر . وأفظمه أوقعه في امر فظيع شديد . وألأى الرجل وقع في اللأواء وهي الشدة والمحنة . وأزل الناس : أصابهم الأزل اي ضيق العيش وقحِطوا . وأسنتوا أجدبوا واصله من السنة بمعنى القحط والجدب .

وشتا القوم وأشتوا : أجدبوا في الشتاء . وثغبوا ثغباً أصابهم الثغب وهو القحط . وأمحل الله الارض : جعلها محلة . وأقحطها أصابها بالقحط . وجرد القحط الارض وجرّدها : جعلها جرداء . ودُبيت الارض : أكل الدبى نباتها فهي مدبيّة ومدبُوّة . وجرِدت وجُرِدت : اكل الجراد نباتها — وجُرِدت الزروع : اصابها الجراد . وبَشَر الجراد : اكل ما على بشرة الارض اي وجهها .

* * *

ويقال اكتأت الارض : كثرت كثأتها وهي الخنزاب اوالكرّاث او بزر الجرجير . وأقثأت كثر بها القثاء — والقوم كثر القثاء عندهم . واجملوا كثرت جمالهم . وأشحم الرجل اذا كثر عنده الشحم مثل ألحم اذا كثر عنده اللحم . وأبلت الإبل : كثرت . وأبّل الرجل : كثرت إبله ومثله آبل ايبالاً . وتعقّر : كثر عُقاره وهو

خيار المال والكلأ . وأضبّ البلد : كثرت ضبابه . وأثلّ الرجل : كثرت عنده الثلّة وهي الضأن الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة اومن الضأن خاصة ولا يقال للمعزى الكثيرة ثلّة ولكن حيلة ، فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلة ومنه بنو فلان مُثِلّون اي اصحاب غنم .

ورسّل القوم : كثر رسلهم وهو اللبن ما كان . وأزبدوا : كثر زبدهم . وأزاتوا كثرعندهم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الابل القوية على السفر والاحمال .

ونضّض الرجل ونضنض : كثر ناضّه اي دراهمه ودنانيره .

وأغزر القوم : غزرت إبلهم وشاؤهم وكثرت ألبانها — وصاروا في غزر المطر وهم قوم مُغزر لهم اي غزرت إبلهم وألبانهم .

وقد أكثر الرجل اي كثر ماله .

(النبك) : سالم خليل رزق

آراء وافكار

قوة الحافظة وكثرة المحفوظات

اذكر في هذه العجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين نؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين ونقلة الاخبار قاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما في الحفظ من الفوائد والمقاصد فتثور هممهم الى اقتفاء آثار اولئك الرجال و يسيرون على مناهجهم في حفظ ما يمليه عليهم اساتذتهم ومعلموهم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظة قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهماك بالاكل والشرب وباقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً ٠

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والاكثار من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استثمار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اساتذتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وينالون مزية التفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها ٠

واني قبل الشروع بذكر الحفظة وبيان محفوظاتهم آتي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — ٠

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاه الصدر

وقيل العلم في الصدور لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحدثه بمسألة علمية يدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب ٠

معنى الحفظ — ٠ يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، و يقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ماسمعوه وقلما ينسون شيئاً يعونه . و يقال حافظٌ من قومٍ حفَظَة ككتاب وكتبة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة . و يقال رجل حُفظة كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ايضاً ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لساني .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — . كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة و يرون ان النبوغ فيهما غير متاح الا لمن يحفظهما باسانيدهما . وكان حفاظهما يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بهما و يكتبونهما عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الغرر والدرر املاه في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاء الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغاني والغزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة و كثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة و كثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراده قد تضاهي بحجمها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرطاس من خزانة حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزانته اذ العقل يحيل ان تتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهراً لما بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزانته .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها و كتبها مما تضيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق إن كانت غير محفوظة له أن تتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدنا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما ٠

اهتمام ائمة اللغة بحفظ غريبها — ٠ كان المشتغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نفح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فعجز عنها بحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فاتفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جننت فقال :

روعت عجوزي أن رأتني لابساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها اني لما سن الكرام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن ٠ واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجليه بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن ٠

ما يجب على الحافظ مراعاته — ٠ يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه ٠

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالببغاء تنطق بما تلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه أنه كان يحفظ كتاب الروض للمقري ولا يفهم لمسائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها و يحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأه عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فمثله كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفيه بقوله :

حمار العنب ايش معناه حامل ثقيل الاراطل
غير متلذذ بحلواه وهو حامل الحمل باطل

وقال مروان بن ابي حفصة يذم قوماً استكثروا من رواية الاشعار من غير فهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيّدها الا كعلم الاباعر
لعمرك مايدري البعير اذا غدا باو ساقه او راح ما في الغرائر

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك · قيل للاصمعي كيف حفظت ونسي أصاحبك قال درست وتركوا ·

مورثات النسيان · — يروى عن سيدنا علي بن ابي طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سؤر الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية اه · كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتيانها وان كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط الكائن بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سؤر الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى مايجب ستره واطالة النظر في النجوم ·

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة وهي البطنة و يقال لصاحبها البطن وهو الأشر المتمول ومن همه بطنه او الرغيب الذي لا ينتهي من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ و ينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوطات والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبلد الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكليتها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياسة فان المتدهور في هذه الهاوية السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لأظهر لك العجز عن حفظه ·

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في توريث النسيان — الهمّ ولاسيما مايتوالى منه كل يوم على العائل المملق ومايعانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواح الفكر والفتك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقد نقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بها من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لا تنال بالسعي ولا تدرك بالارادة .

لا يكبر على القارئ تصديق ما سنورده في اخبار اقوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات نقلة الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح وبساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد بحسنى العقبى فلم يسلطوا على تلك الملكة ما يضعفها ولا قارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل تجافوا عنها جد التجافي واعظم ما استعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردهم من حب الدنيا وهجرهم الملذات البدنية وايثارهم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فتسوغوا بالعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان اباحامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيا كان يعيش عيشة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة و يعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام اليزدي كان له عمامة وقميص بينه وبين اخيه اذا خرج هذا قعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفارابي كان قانعاً باليسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهو مع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا أحوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتها نصف دينار في الشهر يقتنع به و يشتري منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوء وتحته حصير قصب وعليه ثوب خلق ولا يخرج من بيته الا يوم الجمعة وسير اليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها لولدك فقال : ان كنت خلقته ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لا يأكل الا البقول ولا يشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسيأتي ذكرهما . ولو أردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المتقشفين في معايشهم إيثاراً للذة العلم على كل لذة لا تسع لنا المجال وأفضى بنا الحال الى الملال .

* * *

وهنا أشرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبدأ بتسطير سنة وفاة احدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصراً على ذكر أشهر مشاهيرهم مضرباً عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين فان الإحاطة بذكر هؤلاء مما يملأ مجلداً ضخماً يجدر ان يؤلف على حدته فأقول :

(سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استنشد عمر بن ربيعة القرشي شيئاً من شعره فأنشده قصيدته التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غدٍ ام رائح فمهجّر

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أنضرب اليك اكباد الابل تسألك عن الدين و يأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فقال عبدالله ماسمعت سفهاً فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشيّ فيخسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضحى واما بالعشي فيخصر) قال المعترض اوَ تحفظ الذي قال قال والله ماسمعتها الا ساعتي هذه ولوشئت ان أوردها لأوردتها وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ماقلت قط لمحدث أعد عليّ « وماسمعت أذناي شيئاً الا وعاه قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالتفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالفقه والحفظ وقال قلما تجد من تقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها .

قلت لانجد ماتشبه به أدمغة من عرفوا بحفظ مايلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كعبدالله بن عباس وقتادة وابي تمام والمتنبي والمعري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالسماعة اوحافظة الصدى (الفونغراف) فان ذلك القرص شبيه بادمغة اولئك من جهة حفظه مايلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استحققت هذا الاسم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الا ميزت القديم من الحديث ، فقال له فكم مقدار ماتحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف أقاويل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار الهزليين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رقاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ يتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظة فالتفت ابوعبيدة وكان من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولا دخل قلبي شيء فخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرقاع وانا اعيد من حفظي مافيها وما وقّع بها الأمير على كل رقعة منها فأحضرت الرقاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل أبق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، وانشد البحتري قصيدته التي اولها « أأفاق صب من هوى فأفيقا » وكان ابو تمام حاضراً فحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتحن حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسمعها ويتجاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يجيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى متنه فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذاكر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فنسيته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النحوي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملأ كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النعجة في مكتبه فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبدالله فيقول له أقرأه عليّ فاذا فعل قال أعده ثانية

ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك ·

(٣٢١) محمد بن الحسن بن دريد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه ·

(٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النحوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابوعلي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكم تحفظ قال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها ·

(٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المتنبي : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المتنبي من يده وطفق يقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقرأه فدفع المتنبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بتلاوته حتى أتى على آخره ·

ومما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا و يستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال حجلى وظربى قال الشيخ ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد ·

(٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني : قال التنوخي في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم — ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغاني والآثار والاحاديث المسندة والنسيب ما لم ار قط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات و السير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم ·

(٣٥٦) اسماعيل ابوعلي القالي صاحب الآمالي المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً ·

(٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس وهجوهم ·

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشر ين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصاحب « هذا يكون ابابكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه ·

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالبديع الهمذاني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدو به الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجّله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجعفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه ·

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد تواطأت على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه ·

(٤٤٩) احمد ابوالعلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرت منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير أسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال صبي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام قلائل عدة كتب وذلك اني اقرأ عليه الكراسة والكراستين

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو عليّ ماقد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت فلعله يكون محفوظاً قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه قليلا وهو يتوقد زكاء يقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن ياولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم مايختاره لك فقال سمعاً وطاعة فيختار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج و يستزيد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول اعد عليّ هذا فأردده مرة اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ثم قلت له يقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل حرسك الله قلت كذا وتلا عليّ ماامليته عليه وانا اعارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده الضرير : قال في حقه ابو عمر الطلمنكي — دخلت مرسية فتشبث بي اهلها ليسمعوا عليّ كتاب (الغريب المصنف) فقلت لهم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجبت منه .

(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثني عشرة الف ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المهذب لابي بكر الصيدلاني في مجلدات ويحفظ تفسيراً لثعلب جميعه .

(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشبيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .

(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماثي : كان يحفظ الجمل وشعر الهزليين واخبار

الاصمعي ورؤبة والعجاج وذي الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام ٠

(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب التنبيه في الفقه وشعر الحماسة ٠

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية العجيبة في فن القراآت السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وقر بعير من العلوم بحيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها ٠

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكناني العسقلاني : كان يحفظ مختصر الخرقي في الفقه وألفية ابن مالك والطوالع للبيضاوي والشذور والملحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة ويحفظ غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها على علماء عصره ٠

(٧٢٨) الامام احمد بن تيمية له من المؤلفات المفيدة مايربو على اربعمائة كتاب كلها كان يمليه من خزانة فكره ويغترفها من بحار معرفته وكان الناس يبهتون من كثرة حفظه فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي ٠

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج البيضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره ٠

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ وكان يقول لا انام الا واحفظ مائتي سطر ومما يدل على قوة حافظته اتيانه برديف لكلام علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكاتبه (الصق روانفك بالجبوب الخ) ٠

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التنبيه لابي اسحق والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والفية العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره ٠

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي والارشاد لابن المقري والفية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

والشاطبية وكافية ابن الحاجب والفية ابن مالك والطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزي ·

(فريق من الحفظة الذين لم اهتد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب نفح الطيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي يأرق) وسمّاره قد نام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف ·

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النعمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للعضد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطيبي ·

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين التفتازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لامكن ان يكتبها من حفظه ·

ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : حكى عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ماذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ · وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه ·

وهنا أستوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقوياء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لضاقت عن جريه صفحات المجلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك قله) ·

حلب : كامل الغزي

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية

« تأليف احمد شفيق باشا »

تمهيد الجزء الثاني ص٧٩٩ وملحقه ١٢٨ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ٠

تمهيد الجزء الثالث ص٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م ٠

الحولية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م ٠

الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م ٠

الحولية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ — ١٩٢٩ ٠

وكلها مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشارع الدواوين بالقاهرة ٠

بلغ المؤرخ الاستاذ واضع هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ماتوقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م٨ ص ٣٠٦) وما أمنيته الا خدمة مصر وتاريخها ٠ وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد فخص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤—١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى « خطة الحياد في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض » وابتعد « عن الحكم فيها الا بما قضت به ضرورة البيان متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة » « فما زالت علة التاريخ الزيغ والميل مع الهوى » « وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نسيان عواطفه ووأد العوامل الشخصية وأداً تاماً ، والتحرر من النزعات النفسية إطلاقاً حتى لاتصطبغ كتابته بما يشوّش بهاء الحق و يغض من جمال الصدق » .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أصدره حتى الآن من مجلداته الستة الممتعة بحيث لا يحتاج الباحث بعدها في تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادوّن من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقاتهم واعطاهم زبدة ماتم في تاريخ مصر السياسي ٠ وحسب القارئ ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائضاً فيها مع الخائضين قريباً كل القرب من الاوساط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مناهره القديمة وقد نضج عمله وصحت تجاربه . ولذلك يهنأ على عمله الجيد الذي خلد به مجد مصر الأخير على صورة ترفع رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي تنوء بحمله الجماعات دع الافراد . وانا لنرجو ان تنبعث همة كل اخصائي في علم من العلوم البشرية في مصر والبلاد العربية ليقدم لامته خدمة كخدمة صديقنا احمد شفيق باشا ، اذاً لامتلأت الخزائن بنفثات الأقلام وخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممتع ولماخونا امام أمم الغرب بدؤوبنا وتسلسل اعمالنا ، فمحونا بعملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء برميهم ايانا بوناء الهمم افراداً وجماعات . م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة اعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) بمطبعة المعرض ببيروت »

رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من تقارير خمسة وضعتها اللجنة الادارية — واللغوية — والجغرافيا والتاريخ — والمخطوطات ورأي رئيسه وبعض اعضائه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود التقارير التي لم تنفذ بعد وننتظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال . وقد استفدنا منه ان في مكاتب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦ مجلداً و١٩٨ رسالة . ففي الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و١٣٤ رسالة . وفي مكتبة الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و٤٤ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و٢٠ رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والدساكر والقرى والمزارع وعدد النفوس والمذاهب والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن الآثار واهم الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية الاقتصادية عدا أماكن الاصطياف ومواردها التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المعجم قريباً وان يشرع المجمع الشقيق في القاء المحاضرات العشر التي اعدها لهذه السنة وهي مهمة في بابها ولا بأس بان نلفت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان المجامع التي ذكروها في العراق ومصر (بل وشرقي الاردن) لم تتعد حد التأسيس بل حد الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينتظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة تقرّ بها عيون العرب والعربية . م . ك

سيد قريش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤط »

قال ابو العباس النامي في المتنبي والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ، وانا لما قرأت (سيد قريش) واحطت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجهلاء ، خطر ببالي ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤط ما قاله النامي في المتنبي : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف وتبحبح في ساحتها ، فبوّأته وفيّأها ، فما نكرت جانبه ولا نكر جانبها ، أعطته كل ما ملكت ، واعطاها كل ما ملك ، أعطته صوراً هامدة فأحياها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، وألواناً كامدة فصفّاها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الالوان ، فارجع الى اي فصل من فصول سيد قريش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روعتها ، فاختر لنفسك ما شئت من فصولها في الغساسنة والمناذرة ، والقياصرة والاكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم تفرّجه فارجع الى فصلها في شاعر الغساسنة ، انك تجد دمشق في ربيعها الطلق تهش بك ازاهيرها ، وتضحك اليك رياحينها ، فاستظلّ بهذا الظل الخضل ، وان كان في عينيك بقية دمع لم تذرفه ، فارجع الى فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، يصطنعونها في تأييد سلطانهم ، فيتقاتل الحارث الغساني ، والمنذر اللخمي حتى يتبسط قيصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في وطنك فارجع الى فصل الوطن في البادية ، انك ترى البدوي يأبى ان يسكن دمشق وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن ·

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ماهو سحر العبقرية ، وتدرك الفرق بين كدة التاريخ ونضارة الفن · لقد وضّح الاستاذ معروف الارناؤط حياة العرب قبل الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداه اليه التاريخ ، وعلى قدر ما أوحت اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال الرواية ، هذا هو السحر الحلال الذي يروعك في سيد قريش ·

« شفيق جبري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الحلبية) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء حلب : اولهم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ · وهذا الديوان لم ينشر ولم يطبع بعد · والثاني ديوان فتح الله النحاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ وهذا طبع وتدوول · والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ · وقد طبع ايضاً والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطلعه :

(بأبي وا بأبي وا بأبي جرعة من ماء عين الذهب)

وقد ذهل ڤانديك في جغرافيته (المرآة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى البابي الحلبي هذا الموشح بابي الخ » والبابي المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين عن الاندلس بنحو(٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين التي في الاندلس · وناشر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو مجمعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) ·

وقد أثنينا مراراً على نشاط رصيفنا الاستاذ في ماينشره من الكتب والمخطوطات في الفنون المختلفة فجزاه الله خيراً .

(الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) — اخذت (مكتبة عرفة) في دمشق تنشر على نفقتها من وقت الى آخر الكتب التي تراها أعلق بفائدة الجمهور ، من ذلك الرسالة المذكورة التي ألفها الاستاذ الكتاني المعروف في دمشق بعلمه وفضله ورسوخه في علوم الدين ولا سيما السنة والحديث . وقد جمع في رسالته كل ما يتعلق بالسنة وطبقاتها ودرجاتها ، فالمتصفح لها يجد كل مايهمه ويفيده في الوقوف على علم السنة وتاريخه وتدرجه منذ صدر الاسلام الى اليوم .

(مستهل الآداب) — وهذا الكتاب ايضاً مما نشرته مكتبة عرفة لمؤلفه الأديب السيد محمد جميل سلطان من أساتذة المدارس وقد ضمنه طريقة حديثة في تسهيل تعليم الآداب العربية للطلاب طبقاً للمنهاج المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس . فنشكر لمؤلفه وناشره ونلفت أنظار أساتذة التعليم اليه

(الثقافة والتهذيب) — رسالة لطيفة في حجمها غزيرة في مادتها وفائدتها لكاتبها الفاضل (ابو زهير الاندلسي) وهو لقب انتحله السيد راشد طبارة ، يوقع به آثاره . ومنها هذه الرسالة التي ضمنها مباحث في التربية والتهذيب ومقامها من حياة الافراد والجماعات ، والبحث فيها مستند الى الاصول التي وضعها علماء هذا الفن المعاصرين ، فالرسالة لا غنى لمعلم ولا لمربٍ عنها فنشكر لمؤلفها سعيه وهديته .

(الهندسة المستوية) — تأليف « ونتوورث وسميث » وتعريب كل من الفاضلين جلال امين زريق والاستاذ السيد علي وقد وصل الينا من هذا المصنف جزآن الثاني والثالث اللذان قررت وزارة المعارف العراقية تدريسها في السنة الثانية من الدراسة الثانوية فنلفت اليهما علماء هذا الفن وطلابه .

« المغربي »

الجزء ٣ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٣٠ م الموافق شوال سنة ١٣٤٨ هـ

قاعدة توهم الاصالة

— أو —

« انجذاب الطبع »

كنت منذ خمس سنوات نشرت مقالاً في مجلة المجمع (مجلد ٥ ص ٢٠٥) بعنوان « تأصيل اصل في اللغة العربية » قررت فيه قاعدة لغوية سميتهـا (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) وبنيتهـا على ما روي من أن (عمارة ابن عقيل) أحد من تؤخذ عنه اللغة في القرن الثالث للهجرة استعمل في شعره كلمة (أرياح) جمع ريح . فخطأه ابو حاتم السجستاني قائلاً ان هذا لايجوز وانما هي (أرواح) بالواو لان (الياء) في مفرده مقلوبة عن (واو) فاعتذر عقيل بقوله (لقد جذبني اليها طبعي) يعني انه لسمعهم يقولون في جمع ريح (رياح) فتوهم الياء أصلية فقاس عليها (ارياح) .

وقلنا في مقالنا المذكور ان علماء اللغة افترصوا غلط عقيل واستفادوا من (انجذاب طبعه) فخرّجوا كلمات كثيرة في اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) مخالفين القياس في ذلك . وقد تتبعت طائفة من تلك الكلمات سردتها واحدة واحدة في مقالي المذكور . وأثبت كيف كان قياسها و كيف جرى الاستعمال عليها بخلاف القياس مراعاة لقاعدة (توهم الأصالة) وهذه هي تلك الكلمات نذكرها درج مقالنا هذا :

(١) عيد أعياد	(٧) مذهب تمذهب	(١٣) تهمة أتهمه الحاكم
(٢) منطقة تمنطق	(٨) مصيرأمصرة ومصران ومصارين	(١٤) (ساق) وجمعها سؤق بالهمزة
(٣) مدرعة تمدرع	(٩) مسيل مُسُل مسلان أمسلة	(١٥) سنة سانهه
(٤) مسكن تمسكن	(١٠) مكان أمكنة أمكن أماكن	(١٦) ثور أثيه
(٥) منديل تمندل	(١١) حيلة أحيل	
(٦) مُسلم تمسلم	(١٢) تخمة أتخمه الطعام	

هذه الكلمات وردت في كلام العرب فهي اذاً قاموسية وقد طبّقها علماء اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) . وهناك كلمات ذكرناها وردت على تلك القاعدة لكنها ليست قاموسية وانما هي مولدة استعملها المولدون متأثرين بالقاعدة من حيث لا يشعرون وهي :

(١٧) مسخرة تمسخرعليه	(٢٠) سلطان تسلطن
(١٨) ملعون تملعن	(٢١) شيطان تشيطن
(١٩) مشيخة تمشيخ	

هذا ما أحدثه المولدون من الكلمات المراعى فيها قاعدة (توهم الأصالة) اما المعاصرون فهل استفادوا من تلك القاعدة ؟ نعم . فان الشيخ ابراهيم اليازجي استعمل :

(٢٢) كلمة (منطاد) وجمعها على (مناطيد) توهماً ان نون (منطاد) اصلية مع انها زائدة وكان القياس ان يقال (مطاويد). ثم خرجتُ أنا كلمة جديدة شائعة على الالسنة والأقلام ولاسيما في المعاملات الرسمية وطبقتها على تلك القاعدة وهي كلمة :

(٢٣) أشّر تأشيراً بالهمزة على توهم أصالتها في كلمة (إشارة) وكان القياس ان يقال (شوّر على الكتاب) لا أشر عليه .

هذا ملخص ماجاء في مقالنا السابق . ومازلت منذ ذلك الحين أتتبع الكلمات القاموسية التي وردت مضروبة على غرار تلك الكلمات فعثرت على طائفة منها أحببت جمعها في هذا المقال وتخريجها على قاعدة (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) كما فعلت في كلمات المقال الاول . وبعد ان أسردها آتي على كلمات نستعملها نحن اليوم مخالفين فيها القياس . ثم أستفتي الزملاء بجواز استعمالها بناءً على القاعدة نفسها .

(٢٤) مر في مقالنا السابق (مجلد ٥ ص ٢١٠) ان اصل (سنة) سنو حذفوا واوها وعوضوها تاء فقيل سنة ٠ لكنهم كثيراً مايقفون عليها بالهاء فيقولون (سنه سنه) وبذلك توهموا الهاء أصلية وبناءً على هذا التوهم قالوا في جمع سنه (سنهات) وفي فعلها (سانهه) اي عامله بالسنة كما قالوا (سنوات) و(ساناه) على الأصل ٠

وأقول هنا انهم كما كانوا يقفون في (سنه) على الهاء حتى ظنوها أصلية كذلك كانوا ينطقون الهاء تاءً فيقولون (سنةٌ سنةً سنةٍ) حتى توهموا ان التاء أصلية وليست مقلوبة عن واو ٠ وتوهمهم هذا جذب طبعهم الى اشتقاق فعل منها واثبات التاء في الفعل : فقالوا (أسنت) مشتقًا من كلمة (السنة) المستعملة في معنى الجدب والقحط لا بمعنى العام ٠ ومعنى أسنت القوم أجدبوا وقحطوا ٠ وكان القياس ان يقولوا (أسنى القوم) بالألف المنقلبة عن الواو الاصلية ٠ نعم هم يقولون أسنى القوم لكن لا بمعنى قحطوا بل بمعنى أقاموا في المكان سنة واحدة ٠ ومن قبيل توهم الأصالة في تاء (سنة) استعمالهم فعلاً لها من التفعّل فيقولون (تسنّت فلان فلانةً) اي ان فلانة المسكينة أسنتت وأجدبت وقلّ مالها وهي كريمة فافترص فلان اللئيم الكثير المال حالتها هذه فتزوّجها ٠

(٢٥) (ميسم مياسم) الميسم أثر الكي في الجلد مشتق من (الوسم) الواوي فأصل (ميسم) (موسم) قلبت واوها ياءً لانكسار ماقبلها فاذا جمعتها على القياس قلت (مواسم) بتصحيح الواو ٠ لكنهم قالوا في جمعها (مياسم) ايضاً وهذا بناءً على توهمهم أصالة الياء في (ميسم) كما توهموا أصالتها في (ريح) و(عيد) مذ قالوا (أرياح) و (أعياد) ٠ ولعلهم انما قالوا مياسم في ميسم ابتعاداً عن التباسها بالمواسم جمع موسم وهو اجتماع الناس في أيام مخصوصة ٠

(٢٦) (زير أزيار) الزير هو الذي يزور النساء و يحب محادثتهن من غير شر ٠ فهو من(زار يزور) الواوي وأصل (زير) (زور) قلبت الواو ياءً لكسر ماقبلها ٠ فجمع (زير) (أزوار) برد الياء الى أصلها ٠ لكنهم لكثرة ماسمعوا كلمة (زير) توهموا ياءها أصلية فقالوا في جمعها ايضًا (أزيار) ٠

(٢٧) (مُكحلة تمكحل) (المكحلة) بضم الميم اسم آلة للوعاء المعروف الذي يوضع فيه الكحل وقد أنس الناس بكلمة مُكحلة وترددت على أفواههم حتى حسبوا ميمها (أصلية) وحتى قالوا في الفعل منها(تمكحل) اي أخذ مكحلة كما قالوا تمنطق ٠ وقياسه تكحل من دون ميم ٠

(٢٨) (مولى تمولى) المولى السيد وميمه زائدة لانه مشتق من (ولي) . فكان قياس فعله ان يقال (تولى) فلان علينا . لكنهم توهموا ميم (مولى) أصلية فقالوا (تمولى) علينا و (ما كان فلان بمولى ولقد تمولى) .

(٢٩) (إتّقى تَقى يتقي) فعل (اتّقى الله) اصله إوتقى من الوقاية قلبت الواو تاء ثم ادغمت التاآن وقد كثر استعمال (اتقى) حتى توهموا ان تاءه اصلية لامنقلبة عن واو ثم توهموا ان ثلاثيَّ (اتقى) (تَقى) لا (وقى) ومضارعه يتْقي لا يقي . انشد ابن دريد :

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفافاً كلها يتْقي بأثْر

وامره (تق) لا (ق) قال الشعبي :

(تَقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خانني في الحج ملتمساً وصلا)

وهكذا زادوا في لغة العرب بناءً على قاعدة (التوهم) فعلاً ثلاثياً هو (تقى يتقي) كقضى يقضي . وجعلوا له مصدراً وهو (تقىً وتِقاء) واسم مصدر وهو (تقوى) . فكأنه لا واو في اصل المادة بل تناسوها بالمرة . وكل ذلك ناتج عن لزوم التاء في (اتقى) وتوهمهم أصالتها .

(٣٠) (اتَّخَذَ تَخِذَ) فعل (اتَّخذ) افتعال من الاخذ . واصله إيتخذ ولقد توهموا أصالة التاء في (اتَّخذ) من كثرة استعمالها حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً مبدوءً بالتاء فقالوا (تَخِذتُ مالاً اذا كسبته وتَخِذتُ زيداً صديقاً) من باب تعب . وجعلوا له مصدراً مبدوءً بالتاء ايضاً فقالوا (تَخَذاً) على وزن (تعباً) .

(٣١) (خنثى خنثاه) خُنثى كحبلى ألفها زائدة لكنهم توهموا أصالتها فاشتقوا من خنثى فعل (خنثاه) كسلقاه اذا صيره كالخنثى ومنه قول المتنبي :

خَنْثى الفحولَ من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا

اي صيَّر فحول الكماة خناثى وذلك مذ صبغ دروعهم بعصفر الدم . ولون المعصفر والورس مما يتضمخ به النساء فهم خناثى : بين النساء والرجال .

(٣٢) (مأونة : مان يمون) وزن (مأونة) مَفْعُلة وهي مشتقة من (الأين) بمعنى التعب فأصل (مأونة) (مأيُنة) . والاصح ان كلمة (مأونة) مشتقة من (الاون) واصل معناه الشدة والتعب كالاين لكنهم نقلوه الى معنى التكلف للنفقة خاصة . والمأونة هي النفقة التي

يتكلفها رب العائلة تكلفاً . وقد كثرت (المأونة) في استعمالهم حتى توهموا ان ميمها اصلية كالفاء من (فعولة) مع انها هي كالميم في (مفعلة) وبناءً على هذا التوهم اشتقوا من (مأونة) فعلاً ثلاثياً فقالوا (مَأَنه يمْؤُنه) ثم خففوا همزته فقالوا (مانه يمونه) وكان القياس ان يقال بدل (مانه يمونه) (آنه يؤونه) لان اصله الاون او الاين كما مر .

(٣٣) (زيار زيّر) الزيار خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس (أي شفته) ليذل فيتمكن من بيطرته . واصل (زيار) (زوار) بالواو . لكنهم توهموا أصالة يائها لكثرة الاستعمال . وبناءً على هذا التوهم قالوا في فعله (زيّر) البيطار الدابة . اي شدّ جحفلتها بالزيار والقياس فيه زوّر بالواو .

(٣٤) (عيال : أعيَل) عال الرجل عياله يعولهم اذا كفاهم مؤونتهم ويقال في المزيد منه (أعول عياله) بمعنى عالهم . فأعول بالواو هو الاصل والقياس . لكنهم أحياناً يقولون (أعيل) الرجل عياله بالياء مكان (أعول) وهذا منظور فيه الى توهم أصالة الياء في (عيال) الكثير ترددها على الأفواه . مع ان (ياء) عيال مقلوبة عن واو : اذ اصله (عِوال) . قال ابن برّي « كأن (عوال) في الاصل مصدر أريد به المفعول » يريد ان معنى عوال في الاصل هو ان تعول غيرك ثم استعملوه في من تعولهم . وهكذا وجود الياء في (عيال) جعلهم يتوهمون و يشتقون منها فعل (أعيل) اذا كثرت عياله : كما يقولون ايضاً (أعول) بالواو على الاصل . ولعل الذي روّج (أعيل) في الاستعمال أن لأعول الواوي معنى آخر وهو رفع الصوت بالبكاء . فمن ثم استحسنوا ان يقولوا (أعيل) بالياء استناداً الى قاعدة التوهم وخصوا (أعول) الواوي بالعويل .

(٣٥) (قَيْل : أقيال) القَيل الملك او من كان دون الملك من ملوك حمير : فهو بمثابة (برنس) في لغات الأعاجم . واصل (قَيْل) المخفف (قيّل) مشدد . خففوه مثلما خففوا (ميّت) فقالوا (ميْت) واصل (ميّت) ميوت . فكذلك اصل (قيّل) قيول : فهو مشتق من القول . لان الامير الحميري يقول ما يشاء فينفذ قوله . فاذا جمعوا (قَيْل) المخفف قالوا (أقوال) لان الجموع ترد الاشياء الى اصولها كما يقولون في جمع (ميت) (أموات) . لكن الفصحاء اكثر مايستعملون في جمع (قيْل) (أقيال) بالياء وهذا بالطبع مراعى فيه قاعدة (توهم الأصالة) اي أصالة الياء في (قيل) . ولعل الذي روّج هذا الجمع

وجعله يغلب على (أقوال) هو تجنبهم الالتباس (بأقوال) جمع (قَوْل) مصدر قال .

(٣٦) (منارة : منائر) ميم منارة زائدة لان الكلمة مشتقة من النار او النور. فوزن (منارة) مفعلة لا فعالة . لكنهم توهموا أصالة ميم (منارة) كما اذا كانت مشتقة من (منر) وهذا التوهم جعلهم يعتبرون ألفها زائدة كألف (فعالة) لا أصلية . و يجمعونها على (منائر) بالهمزة لا (مناور) بالواو . فانظر كيف عكسوا : فتوهموا الحرف الزائد (وهو ميم منـارة) أصلياً . والحرف الاصلي (وهو واو منارة : منورة) زائداً . حتى ظهر أثر هذا التوهم في جمع التكسير فقالوا (منائر) بالهمزة . والقاعدة في ذلك ان الواو والياء اذا وقعتا بعد الف تهمزان اذا كانتا زائدتين كياء (فضيلة) في (فضائل) وتبقيان على حالتهما اذا كانتا أصليتين فواو (منارة — منورة) أصلية فيجب ان تبقى على حالها في الجمع . فيقال (مناور) ومع هذا فقد قالوا ايضاً (منائر) على توهم أصالة الميم وزيادة الواو .

(٣٧) (حيِّز: تحيَّز) الحيِّز المكان ويستعملونه أحياناً كما نستعمل نحن اليوم كلمة المنطقة مذ نقول ان البلد الفلاني داخل في منطقة الحرب اومنطقة الثورة مثلاً . والفعل منه تحوَّز بالواو لان اصل (حيِّز) (حيوز) من حاز الشيء يحوزه اذا ضمه اليه وجمعه . و (الحيِّز) يحوز ما في ضمنه . فقياسه تحوَّز لاتحيز. لكنهم مع هذا قالوا (تحيز) على توهم أصالة الياء في حيِّز .

« هذه ثلاثة عشرة كلمة عثرت عليها أخيراً وأضفتها الى الكلمات التي أودعتها مقالي الاول .

وكما زدت في مقالي الاول فعل (أشَّر تأشيراً) وطبقته على قاعدة (توهم الاصالة) و (انجذاب الطبع) واستحسنت تجويز استعماله — أحب في مقالي هذا ان أسرد خمس كلمات أطبقها على القاعدة المذكورة وهي :

(٣٨) سيد : تسيَّد) سيِّد أصله سيود من (ساد يسود) الواوي فاذا أراد العرب ان يقولوا صار فلاناً سيداً قالوا (تسوَّد فلاناً) وهذا هو القياس كتحوَّز من الحيز. لكنهم قالوا ايضاً (تحيَّز) بالياء على توهم أصالة الياء في الحيز كما مر. فلم لا يطاوعني الرفاق فنقول (تسيَّد فلان) أي صار سيداً. كما قالوا (تسوَّد) . وذلك بناء على توهم أصالة الياء في (سيد) كما توهموا هم أصالتها في (حيِّز) . ثم نخصص (تسوَّد) — بالشيء

الذي صار أسود كما مر في تخصيص فعل (أعول) بالعويل وجعل (أعيل) للعيال . ولم لاأشايع على ذلك . واننا نرى الناس اليوم يستسهلون انْ يقولوا (تسيّد) اي صار سيداً . ولا يفهمون من (تسوّد) الا معنى اسودّ أي صار أسود .

(٣٩) (رياضة : تريض) أصل رياضة رواضة بالواو لانهـا مصدر راض الدابة يروضها فالفعل منه (تروّض) وهو القياس لكنهم يقولون اليوم (تريّض) بالياء . فلما ذا لانجيزلهم ذلك كما جاز في (أعيل) مستندين الى قاعدة (توهم الاصالة) أي أصالة الياء في رياضة . ويحق لنا هذا التوهم لكثرة ما استعمل كلمة رياضة استعمالاً مستفيضاً على أطراف ألسنتنا وأسنة أقلامنا .

(٤٠) (مختار : مخاتير) التاء في (مختار) زائدة كما لا يخفى . فالواجب اذاً حذفها في جمع التكسير فيقال (مخايير) وهو الأصل . لكن كثرة استعمال كلمة (مختار) مراداً بها شيخ الحارة او شيخ القرية الذي ترجع اليه الحكومة في أمورها — هذه الكثرة جعلتنا نتخيل انتاء (مختار) أصلية . ولذا انجذب طبعنا الى إثباتها في جمع التكسير فنقول (مخاتير) بالتاء . كما أثبت العلامة اليازجي النون في (مناطيد) مع انالقياس والاصل أن يقال (مطاويد) ولا أكلف نفسي عناءً في استصدار فتوى من الزملاء بجواز استعمال (مخاتير) فانَّ فتواها معها وقد أعلنتْها على ألسنة جميع الناس وأيّدت ذلك معاملات الحكومة .

(٤١) (مسمار : تمسمر) ميم (مسمار) زائدة لان اصله اسم آلة من (سمَر) الشيء (بالتخفيف) وسمّره (بالتشديد) شدّه بالمسمار . لكننا من كثرة استعمال (مسمار) حسبنا ميمه أصلية . وجعل الناس يقولون (مسمَره) كما يقولون (تمسمر) فلان في مكانه اذا ثبت ولم يتحلحل . وكان القياس انيقال (تسمّر) في مكانه من دون ميم في اوله . لكننا توهمنا أصالتها في(مسمار) فأجريناها فيتمسمر . وهذا كافعل من قبلنا في (تمسخر وتملعن وتمشيخ) مذ توهموا ان الميم أصلية في مسخرة وملعون ومشيخة .

(٤٢) (مركز : تمركز) ميم (مركز) زائدة : اذهو اسم مكان من(ركزه) اذا غرزه وأثبته في الارض . والمراكز منابت الاسنان . وشاعت كلمة (مركز) في زماننا لمعان مختلفة حتىحسبنا ميمها أصلية . ولذا اشتققنا منها فعلاً وقلنا (تمركز) اي ثبت واتخذ لنفسه

مركزاً . وكان القياس ان يقال تركّز . غير ان توهّمنا أصالة ميم (مركز) جعلنا نقول (تمركز) كما قال العرب تمكحل مذ توهموا الميم أصلية في (مكحلة) .

هذه هي الكلمات الخمس التي أرى تجويز استعمالها وان نستفيد من قاعدة توهم الأصالة .

وأختم البحث بتقرير كلمتين ارى ان أطبقهما على القاعدة المذكورة وأخالف ابن جني وسيبويه فيما ذهبا اليه من امرهما . وهما :

(٤٣) (صاغ يصوغ صوغاً) واسم الفاعل (صائغ) بقلب الواو همزة . والمبالغة (صوّاغ) بالواو المشدّدة . لكنهم قالوا ايضاً في المبالغة (صيّاغ) بالياء المشددة المقلوبة عن واو . ولا موجب لقلبها . غير ان ابن جني علل القلب بكراهة التقاء الواوين . فنقول له : ولما ذا لم يكرهوا التقاء الواوين في (جوّال) مثلاً فيقولوا (جيال) . وعندي ان السبب في قولهم (صيّاغ) قول العرب في مصدر صاغ (الصياغة) بقلب الواو ياء وقولهم في اسم الفاعل منه (صايغ) بتسهيل الهمزة ياء . وقد كثر استعمال كلمتي (صياغة) و (صايغ) في كلامهم كثرة جعلتهم يتوهمون ان الياء اصلية فيهما ثم جذبهم توهمهم هذا الى ان يقولوا في المبالغة (صيّاغ) بالياء على خلاف القاعدة كما قالوا (صوّاغ) بالواو على القاعدة .

ومثله في ذلك (نام نوماً) واسم الفاعل (نائم) واصله (ناوم) وجمع نائم (نُوّام) بواو مشددة وهو الاصل . لكنهم قالوا ايضاً في جمع نائم (نُيّام) بياء مشددة . قال الشاعر :

(ألا طرقتنا ميّة ابنة منذر فما أرّق النُيّام إلا سلامها)

وكذلك نسمعهم يقولون في جمع (نائمة) (نوّم) بواو مشددة على الاصل و (نُيّم) بقلب الواو ياء على خلاف الاصل . واري انه لا داعي لهذا القلب في (نُيّم) ولا في (نُيّام) سوى توهمهم اصالة الياء في (نايم) و (نايمة) مذ ينطقونهما هكذا بياءين مسهّلتين عن الهمزة .

(٤٤) (فتى : فتَوان) ألف (فتى) منقلبة عن ياء لان فعله (فتِي يفتى) على وزن (بلي يبلى) فالقياس ان يقال في تثنيته (فتيان) وفي جمعه (فِتية) لكن أهل اللسان كما نطقوا بذلك على الأصل خالفوه وقالوا في المثنى (فتَوان) وفي الجمع (فِتوة) بالواو في الكلمتين . فما الداعي الى ذلك ومن اين جاءت هذه الواو ؟ أجاب سيبويه عن هذا بان إبدال الواو في ذلك شذوذ . أما انا فأرى ان استعمالهم (فتَوان) و (فِتوة) بالواو بدل الياء مبني على القاعدة السمحة: قاعدة (انجذاب الطبع) وتوهم أصالة الواو في كلمة (فتوّة) التي

هي مصدر (فتي يفتى) اليائي . وقد تولدت (الواو) في(فتوة)— مع ان فعلها يائي — بعامل صرفي : ذلك انهم بنوا من فعل (فَتِي) اليائي مصدراً على وزن (فعولة) كما قالوا (طفولة ورجولة ومروءة) من (طفل ورجل ومرء) فكان (فُتويَة) : ففي هذا البناء اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الياء واواً وأُدغمت في الواو الزائدة . فأصبح المصدر (فتوّة) . او نقول في إعلال (فتوية) ان الواو قلبت ياءً كما هو المشهور في القاعدة فصارت (فُتُيّة) ثم قلبت الياء المشددة واواً مشددة لانضمام التاء قبلها اذ القاعدة ان الياء اذا كان قبلها ضمة تقلب واواً فصارت (فتوّة) . ثم ان كلمة (فتوة) شاعت ورددتها الافواه وغلبت في الاستعمال على المصدر الآخر وهو (الفَتاء) وبذلك توهموا ان واوها أصلية . وبعد ان استحكم هذا التوهم سهل عليهم ان يقولوا في مثنى فتى (فَتَوان) كما قالوا فتيان وفي جمعه (فتوة) كما قالوا (فتية) وفي جمع فتاة (فتوات) كما قالوا (فتيات) والملخص القول ان اجراء (فتوان) و (فتوة) و (فتوات) على قاعدة (توهم الأصالة) خير لنا من ان نقول كما قال سيبويه — ان ذلك شذوذ . لان القول بالشذوذ يؤدي الى عدم قبول كلمات جديدة . بخلاف القول بقاعدة (توهم الأصالة) فاننا نستفيد منه تصحيح كثير من الكلمات التي قد نحتاج اليها في المصطلحات الحديثة . « المغربي »

جامع التواريخ

المسمى بنشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

— ٣ —

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيي بن زكريا بن شيرزاد الكاتب قال لما تقلد ابي ديوان الضياع المعروفة بغريب الخال (١) استخلف اخي ابا الحسين زكريا بن يحيي على الديوان وأجرى له عشرين ديناراً في الشهر وأجرى عليّ عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان فأنفت من ذلك ولم اقبل الرزق ولا العمل ومضيت الى ديوان ضياع الخاصة. وكان يليه اذ ذاك ابو حامد محمد بن الحسن الملقب بسودانية فلم القه ولا توسلت اليه بما كان بين ابي و بينه. ولزمت الديوان بحضرة ابي يوسف عبد الرحمن ابن محمد بن سهل المعروف بالمرمد . واليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان مدة شهر وكنت أتعلم. فبلغ اباحامد خبري ولم اكن اذ ذاك بلغت عشرين سنة ولا قاربتها. فاستحضرني فدخلت اليه فعتبني على تركي الدخول اليه والتعرف اليه. وامرني بملازمة حضرته واجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في كل يوم وقال سود فيها وتعلم الخط . فلما كان بعد ايام فرقت ارزاق الكتاب لشهر واحد فوقع الى خازنه المتولي للتفرقة أن يحمل اليّ بقيمة عشرين ديناراً ثلاثمائة درهم . وقال قد اجرى لك هذه في كل شهر. فصرت الى ابي فأريته

«١» م . ع لم نعثر على ضياع بهذا الاسم .

اياها وقلت قد فعل الله بي خيراً مما فعلت. فقال خذ الان العشرة والزم موضعك ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر. فاخذتها وكان هذا اول اقبالي.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما أنفذ ابي الى مصر اجتديت(١) البحتري وابا معشر فكنت آنس بهما لوحدتي وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً انهما اضاقا في وقت من الاوقات اضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعرض لهما ان يلقيا المعتز وهو محبوس ويترددان (٢) اليه و(لا) يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليه حتى لقياه في حبسه. قال فقال لي البحتري فأنشدته ابياتا كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وجعلتها اليه وهي(٣)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك … من الحادث المشكو والحدث المشكي

ومـا هـذه الايام الا منـازل … فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك النائبـات وانمـا … صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

اما في رسول الله يوسف أسوة … لمثلك محبوساً على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة … فآل به الصبر الجميل الى الملك

على انه قد ضيم في حبس العلى … واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات ودفعها الى خادم كان معه وقال غنها واحتفظ بها فان فرج الله عني فاذكرني بها لاقضي حق هذا الرجل. قال ابو معشر وكنت

«١» م ٠ ع لعلها محرفة عن اجتبيت . «٢» م ٠ ع لعل اصل العبـارة : وجعلا يترددان اليه ولا يوصلان عنده اصلا فتوسلا اليـه . «٣» راجع ديوان البحتري (مصر ١٣٢٩ — ٢ : ١٥٤).

قد اخذت مولده وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين ووقت البيعة بالعهد من المتوكل للمعتز ونظرت فيه وقد صححت النظر وحكمت له بالخلافة بعد فتنة وحروب وحكمت على المستعين بالخلع والقتل فسلمت ذلك اليه وانصرفنا. قال وضربت الايام ضربها(١) وصح الحكم باسره فدخلنا جميعاً الى المعتز وهو خليفة وقد خلع المستعين وكان المجلس حافلا قال ابومعشر فقال لي المعتز: لم انسك وقد صح حكمك وقد اجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً وثلاثين ديناراً نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلا بالف دينار صلة. قال فقبضت ذلك عاجلا كله في يومي قال البحتري وانشدته انا في ذلك اليوم قصيدي التي مدحته بها وهنأته وخلوت المستعين واولها:

يجانبنا(٢) في الحب من لا نجانبه ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي:

وكيف رأيت الحق قر قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المغتر بالله اذ شرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكبه
وقد سرني ان قيل وجه مسرعاً الى الشرق تحدى سفنه وركائبه
الى واسط(٣) نحو الدجاج ولم يكن لينشب الا في الدجاج مخالبه

فضحك واستعاد هذه الابيات مراراً فأعدتها فدعى (٤) بالخادم وطلب الرقعة

«١» م. ع المعروف ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه. «٢» راجع الديوان ١ : ١٧ . «٣» في الديوان الى عسكر. «٤» م. ع دعى يدعي لغة في دعا يدعو.

التي فيها ابياتي التي انشدته اياها في حبسه. فأحضره اياها بعينها وقال قد امرت لك بكل بيت في الرقعة بالف دينار وكانت ستة فأعطيت ستة آلاف دينار وقال لي كأني بك وقد بادرت فاشتريت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً واتلفت المال لا تفعل. فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا مع وزرائنا واسبابنا اذا علموا موقعك منا غناء عن ذلك فاشتر بهذا المال ضيعة ببلدك تقوم في ادناها فترى اقصاها ويبقى لك اصلها وتنتفع بغلتها كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر فقلت السمع والطاعة وخرجت فعملت بما قاله واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنبج ثم تأثلت حالي معه واعطاني وزاد وماقصر .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات بعد عوده من مصر والشام في ايام الراضي وتقلد الوزارة قال اجتزت في رجوعي هذا الى مدينة السلام بمنبج فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن فسألت عنها فقيل هي اقطاع البحتري الشاعر واملاكه فقلت لمن(١) هي اليوم فقيل لي هي اليوم في يد ابن ابنة ابنه ابي الغوث فقلت هذا نسب طويل وامرت الحسن بن ثوابة بقبضها فلما كان من الغد جاءني رجل متكهل (٢) في زي الجند وذكر انه صاحب الضياع وقال ياسيدي هذه الضياع التي قال جدي البحتري بسببها(٣) .

وما انا والتقسيط اذ تكتبونه ويكتب قبلي جلة القوم او بعدي

وانشدني هذه الابيات كلها وقال ذاك بكاء لاجل تقسيط يسير فكيف

«١» بالاصل : من . «٢» م . ع لعله مكتهل . «٣» راجع الديوان ١ : ٢٠٠

يكون حالي اذا قبضت هذه الضياع ؟ قال فتذممت ان اكون سبب ذهاب معيشته فاطلقت له عنها .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح قبل تقلده الوزارة الاولى بمدة طويلة قال حدثني ابي قال صرفت محمد بن سيف العامل عن بادوريا وتقلدتها فاستدركت عليه اشياء كثيرة وطالبته بها فلم يرد فيها شيئاً . فأخرجته يوماً الي وناظرته فأقام على امر واحد فاغتظت عليه وامرت بصفعه فلم يتأوه ولم يزل يصيح واحدة فاذا صفع اخرى قال ثانية على هذا الى ان صفع ثلاث عشرة صفعة . فتعجبت من عدده وقلت هذا(١) له ويحك اي فائدة لك في العدد وان لا تستعفي قال انا اعدد ذلك اعزك الله لاصفعك بعدده بعد ايام اذا صرفتك وتقلدت مكانك فلا اظلمك بالزيادة ولا افوز بالنقصان قال فأخجلني فقلت قم في غير حفظ الله الى منزلك فأطلقته وذهب المال .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا نفطويه قال حدثنا ثعلب قال : كان عندنا في الحربية جمال(٢) مستور يوصف بالزهد وكان لا يحمل لاصحاب السلطان شيئاً وكان اذا حمل بقدر قوته على ضيق لم يزدد عليه شيئاً واراح نفسه ولا يحمل الا كارة(٣) خفيفة مثل لحم وفاكهة(٤) وما يكون قدره خمسين رطلاً او نحوه قال فاتبعته يوماً وهو لا يعلم اني خلفه فرأيته يضع رجلا و يقول الحمد لله ويرفعها ويقول استغفر الله فقلت له لم تفعل هذا؟ فقال انا بين نعم لله

«١» لعله : من عدده هذا وقلت «٢» م . ع كذا في الاصل . ولعله . حمال مستور . والحربية محلة ببغداد منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي احد قواد المنصور .
«٣» م . ع الكارة مقدار معلوم من الطعام . «٤» بالاصل فاهه .

وذنوب فانا احمده عز وجل على نعمه واستغفره من ذنوبي فاردت امتحانه فقلت : ما تقول في علي وابي بكر ايهما افضل ؟ فقال اذا نشرت الدواوين ووضعت الموازين أأسئل عن ذنوبي ام عن تفضيل ابي بكر وعلي ؟ فقلت بل عن ذنوبك فقال فلي في نفسي شغل عن معرفة الافضل منهما .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال سمعت حامد بن العباس يقول مافي الدنيا اضر على الانسان من مداجاة العدو وينبغي ان تشهر ما بينك وبين عدوك حتى لا يقبل قوله فيك قال وسمعته يقول: ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير . فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلا حراً فاحسنت اليه وبررته وكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان البواب قديم الخدمة لاسماعيل يدخل الى مجلس الخاصة ويقف بين يديه فلا ينكر ذلك خدمه عليه لسالف الصحبة فصار اليّ في بعض الليالي فقال قد حرد الوزير على بن الفرات وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأي ؟ فقال اكتب رقعة الى رجل من معامليك يعرف شحه وضيق نفسه والتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها واسأله ان يجيبك على ظهر رقعته لترجع اليك فتخرجها فانه لشحه وسقوطه يردك بعذر واحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير اخرجتها اليه وقلت قد افضت حالي (الى) هذا واخرجتها على غير مواطأة . فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قاله

وجاءني جوابه بالرد كما حسبنا فشددت الرقعة معي فلما كان من غد اخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة واقرأته اياها ورققته وتكلمت فلان واستحيا وكان ذلك سبب خفة امري وزوال نكبتي فلما تقلدت في ايام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب واجتذبته الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة وهو باق معي الى الآن .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي عن جدي عبدالله بن هشام قال حدثني يحي بن عبدالله الكسكري (١) قال كنت اكتب لابن البختري الاصغر على مصر . فصرف بسليمان ابن وهب وخرج معه ابنه عبيد الله وكان يخالفه عليها فجلس «٢» العامل بن البختري لرفع حسابه وخلوا النظم الحساب وكنت اغدو واروح الى سليمان اعرض عليه ما اعمل وكان قد وكل بابن البختري قائداً من قواد مصر معه عدة من الفرسان والرجالة والغلمان وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع وحضر المهرجان فتقدم بان يحضر قدر نبيذ ويعمل فيها الهريسة في الدار التي كان فيها معتقلا وكان قصيراً ضئيلا فجاوءا له بالقدر وطبخ فيها الهريسة في جملة الطعام واكل الموكلون وشربوا وسكروا وعمل هو الحيلة فجلس في القدر وغطيت عليه وأخرجت ولم يعرفوا خبره حتى طلبوه لما افاقوا فلم يجدوه . قال يحي بن عبدالله ولم اكن انا عرفت الخبر فبكرت الى سليمان على رسمي فوجدت عبيدالله جالساً متشاغلا بطلبه وقد صح «٣» وهو

«١» م . ع كسكر كجعفر كورة قصبتها واسط . «٢» لعله : فحبس .
«٣» م . ع كذا في الاصل . ولعله ضج .

فيقال فينا كيف يحفظها ولا الاموال (١) والاعمـال مع عجزهم عن حفظ محبوس وجعل يضرب الناس في التقرير عليه وامر بالقبض علي لما رآني فقلت له اعزك الله لو كان عندي علم بالخبر ماجئتك قال فصدق قولي وكان حضوري سبب خلاصي قال ووقع في يده وكيل نصراني لابن البختري يتوكل في مطبخه وكان نبطياً (٢) وقيل له انه لا يجوز ان يخفى عليه خبره فجعل يضربه وكان في المجلس سليمان بن وهب واصحاب البرد والاخبـار والناس باجمعهم وكنت احسن بالنبطية (٣) ولم يكن عبيدالله يحسنها فلماحمي الضرب على الوكيل كاد ان يقر على موضع ابن البختري ففهم ذلك سليمان ولم يحب ان يامره بالانكار فيكتب بالخبر واراد ان يسلم المنكوب سلوكا المذهب الناس قديماً في طلب السلامة بالابقاء على اعدائهم قال فقال للمضروب كلاماً بالنبطية تفسيره لاتقر فان الاقرار مثل القير لاينقلع قال فتصبر الرجل على الضرب ثم قال سليمان لعبيدالله الى كم تضرب هذا البائس لوكان يعرف شيئاً لقاله اقطع عنه الضرب لا يتلف فندخل في دمه قال فرفع الضرب عنه واطلق من يومه وأفلت المستتر

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن عبد الملك التـاريخي قال حدثنـا المبرد قال حدثني الحسن بن سهل لما اسن وجلس في بيتـه قال

«١» لعله : يحفظون الاموال • م • ع : لعل الاصل يحفظ هوءلاء • «٢ م • ع لعله قبطيا لان الحادثة وقعت في مصر •

«٣» م • ع لعل الباء زائدة اوسقط لفظ التكلم اونحوه •

دخلت يوماً الى المأمون وهو جالس وبحضرته جماعة من خواصه منهم اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب وكان في يده كتاب يقرأه فلم ينظر الي فوقفت قائماً فقال له اسحاق يا امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن سهل فقال لي اقعد فقعدت فقال احضر دواتك فاحضرت فقال وقّع بتقليد اسحاق بن ابراهيم جميع اعمال المعاون بالسواد جزاء له على ما نبه عليك (١) من تكرمتك يا ابا محمد فشكرته ودعوت له ووقعت بذلك .

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن احمد الداري الصيدلاني البصري قال انشدني ابو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي الضرير المعروف بالبصير لنفسه :

واحربا ما الذي لقيت انا احمل في كل بلدة شجنا
ادخلها وادعاً فتجاب لي رقة قلبي من اهلها سكنا

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال رأيت بعمان شيخاً من الخوارج قد دخل في يوم جمعة من ناحية بلد الشراة الى السوق بعمان وكانت طريق الناس الى الجامع والناس يتعادون الى حضور الجمعة خوفاً من فوتها والخارجي ماش الهوينا (٢) في حاجته لا يراعي امر الجمعة فاذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع فالتقيا فقال الشيخ للخارجي وهو لا يعرفه وقدرانه يريد الجامع الى اين تمضي يا شيخ وقد صلى الناس وفاتتك الصلاة فقال الخارجي يا ابله اتفافاتت من ادركها يريدان التجمع معهم لا يسقط الفرض الذي

«١» لعله عليه . «٢» م . ع كذا في الاصل . والصواب الهويني .

هو الظهر وهو اذ جمع معهم ترك الظهر فتفوته الصلاة الواجبة وهي الظهر ويصلي مالا يجدي عنه في مذهبه من تكفيرهم . قال ولم يفهم الشيخ ماسمعه وقلت انا للخارجي اظنك اعزك الله شاريا قال فقال نعم والحمد لله قال وهم يستحبون ان يقال لهم شراة ويأبون ان يقال لهم خوارج ويذهبون الى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية)

حدثني ابو الحسن علي بن نطيف البغدادي المعروف بابن السراج المتكلم المعروف بالبهشمي «١» قال كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد شيخ الامامية يعرف بابي بكر بن الفلاس وكان طيباً فحدثنا يوماً انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع . ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ قال فوجدته وبين يديه سنور اسود وهو يمسحها «٢» ويحك بين عينيها ورأسها وعينها تدمع كما جرت العادة في السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبكي؟ فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه امي لا شك وانما تبكي من رؤيتها لي حسرة . قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا . قال فقلت له وانا معتقد الطنز به : فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال نعم فقلت له افتفهم انت عنها صياحها؟ فقال لا فقلت له فانت اذاً الممسوخ وهي الانسان .

كتب محمد بن عيسى احد كتاب زماننا «٣» بتعزية الى صديق له قرأته

«١» م . ع البهشمي نسبة الى البهشمية وهي طائفة من المعتزلة تنتمي الى ابي هاشم الجبائي .
«٢» م . ع السنور الهر والانثى سنورة فالصواب اعادة الضمير عليه مذكراً او تأنيث السنور . «٣» لعله سقط كتاباً .

بخطه فاستحسنت منه صدره . ونسخته «من سره امتداد عمره . ساءته فجائع دهره . بفقد حميم . اوطارق هموم . عادة للزمان معروفة وسنة للحدثان مألوفة . واحق من سلم للاقضية والاقدار . من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار . فان اصابته مصيبة تلقاها مسلماً اوتأتيه«١» وجدته محتسباً »

كتب الي عمرو بن محمد بن الاشعث « شاب ورد من عمان مجتازاً بواسط ذكر انه كان من الجند فيها فزالت نعمته وهرب حين ملك الديلم عمان ابياتاً في آخر رقعة له اقتضاني فيها ثواب مديح كان اسلفنيه وهو :

مات الرجاء بغيظه فلك البقا ولربما افضى النعيم الى الشقا
فان احترقت فمن تلهب حادث لاقل منـه تلهبـاً ان يحرقا
ان كان عود الجود جف فانه لم يسق ماء نداك حتى اورقا
واردت منك اذا حرمت مطالبي تسعى معي فلعلني ان ارزقا

حدثني ابو علي المنتاب قال حدثني ابي قال كنا مع حامد ابن العباس في ولايته يوماً جلوساً في الخيش بواسط في النصف الاخير من تشرين الثاني لشدة الحر فجاء البرد في ليلة فاصبحنا من غد وقد لبسنا الخزوز والمحشو وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر وشدة البرد في ليلة واحدة .

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن اسماعيل بن سايدة الواسطي قال سمعت بعض شيوخنا يحكي عن ابراهيم الحربي انه قال : في العافية طعم كل شيء وفي الرزق نصر كل شيء .

«١» م . ع هكذا في الاصل ولعله تاثبة .

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال سمعت القاضي اباجعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي الانباري يحدث ابي وقدجئت اليه ومعي تهنئة بعيد اضحى فحدث احاديث فقال حدثني ابو حازم القاضي قال كان في حجري ايتام ذكور واناث خلفهم بعض العمال فرددت امانتهم الى بعض الشهود فصار اليّ الامين يوماً وعرفني ان عامل المستغلات ببغداد الذي يتولى مستغلات السلطان وعامل بادوريا قد ادخلا ايديهما في املاك الايتام وذكرا ان الوزير عبيد الله بن سليمان امرهما بذلك عن امير المومنين المعتضد فصرت الى المعتضد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له الصورة فقال لي ياعبد الحميد : هذا عامل خانني في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواح كان يتولاها من ضيعتي خاصة ومالي عليه بضعف هذه الاملاك التي خلفها . فقلت ياامير المومنين ماتدعيه عليه يحتاج الى بينة وقد صح عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد وارثه الا ببينة بالمال. هذا حكم الله تعالى في البالغين. فكيف في الاطفال؟ قال فسكت ساعة مطرقاً ثم دعا بدواة ووقع بخطه الى عبيد الله بن سليمان بالافراج عن الضياع.

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان يخاف ابا نوح عيسى بن ابراهيم على ديوان الضياع . حدثه انه كانت في يد صاعد بن مخلد ضمانات كثيرة وكانت اليه معاملة مع ابي نوح وكان صاعد اذ ذاك من وجوه الناس ولم يكن بلغ المبالغ الكبار فحضر عنده(١) صاعد

«١» بالاصل عند .

اول خلافة المعتز ونحن حضور فطالبه ابو نوح باموال وجبت عليه وجرت بينهما مناظرات ادت الى ان تنطع في الجواب فاغتاظ ابو نوح فاغضبه. فرد عليه صاعد مثل ما قاله له فاستعظم الناس ذلك فاستخفوا به وقالوا يا مجنون ويا جاهل قتلت نفسك قم قم فاقاموه وخلصوه من ان يفتك به ابو نوح في الحال. وقالوا هذا مجنون ولم يدر ماخرج من فيه. وانصرف صاعد الى منزله متحيراً لا يدري ما يعمل فيماقد نزل به. فحدث اخاه عبدوناً بما جرى فقال له ان لم تطعني فأنت غداً مقبوض عليك مطالب من المصادرة بما لا يفي به حالك ولا حال من عرفك من اهلك ومقتول بلاشك تشفياً منك. قال وما الرأي ؟ قال كم عندك من المال الصامت العتيد واصدقني عن جميعه. قال خمسون الف دينار قال تسمح نفسك ان تتعرى منها وترمي بها كأنها لم تكن وتنقذ نفسك وتحرس دينك وما بقي من حالك وضياعك وعقارك فتصير من اجلاء الناس او لا تسمح بذلك فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع وتذهب الضيعة والنعمة كلها وتذهب النفس. قال ففكر طويلا ثم قال قد تعريت عنها في عز نفسي. قال اعطني منها الساعة ثلاثين الف درهم. قال خذ. فاخذها وجاء الى حاجب موسى بن بغا وقت عتمة وقال له هذه عشرة الآف درهم خذها واوصلني الى فلان الخادم. قال وكان هذا الخادم يتعشقه موسى جداً ويطيعه في كل امره وموسى اذذاك هو الخليفة وكتبته(١) كالوزراء والامور في يديه والخليفة في حجره. قال فأخذ الحاجب المال واوصله الى الخادم

«١» م ٠ ع الكتبة بكسر الكاف الكتابة كالامرة والامارة .

فاحضره العشرين الالف(١) درهم الباقيـة وقال هذه هدية لك وتوصلني الساعة الى الامير وتعاونني في حاجة اريد ان أسأله اياها ومشورة أريد ان أشير عليه بها . فاوصله الخادم فلما مثل بين يديه سعى اليه بكتّابه وقال قد نهبوك واقتطعوا مالك واخربوا ضياعك واخي يحمل كتبتك اجل من الوزارة ويتغلب لك على الامور ويوفر عليك كذا ويفعل كذا ويحمل اليك الليلة من قبل ان ينتصف الليل خمسين الف دينار عينـاً هدية منه لك لا يريد عليهـا مكافأة ولا ترتجعها من مالك وتستكتبه وتخلع عليه غداً سحراً . قال فقال له موسى افكر فقال ليس هذا موضع فكر والح عليه قال وقال له الخادم(٢) في الدنيا احد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة فرده وكاتب بكاتب والمال ربح . قال فأجابه وصافحه فقال له فتنفذ الساعة من يحضرك اخي وتشافهه بذلك . وانفذ من احضره وبات عبدون في الدار وقلد موسى كتبته لصاعد في الحال وامره بالبكور اليه ليخلع عليه وتقدم الى النقباء بان يباكروا الرجل ليركبوا معه . قال وبكر صاعد وليس عند احد له خبر فخلع عليه موسى بن بغا الكتبته وركب الجيش على بكرة ابيهم وانقلبت سر من رأى بظهور الخبر فبكر بعض المتصرفين الى الحسن بن مخلد وكان صديقـاً لابي نوح فقال له قد خلع على صاعد . فقال لاي شيء فقال تقلد كتبة موسى بن بغا فاستعظم ذلك . وقال ثيابي قال فأحضرت فلبس وركب الى ابي نوح فقال له عرفت

«١» م . ع كذا في الاصل بتعريف العشرين والالف والافصح تعريف الدرهم وحده .
«٢» م . ع لعله سقط « همزة » او « ما » .

خبر صاعد؟ فقال نعم . الكلب . وقد بلغك ماعاملني به؟ والله لافعلن به ولا صنعن .
قال انت نائم ليس هذا اردت . قد ولي الرجل كتبة الامير موسى بن بغا
وخلع عليه الساعة وركب الجيش معه باسرهم الى داره فقال له ابو نوح : هذا
ما لم نظنه : بات خائفاً واصبحنا خائفين منه . فما الذي عندك فقال له انا اصلح
بينكما الساعة قال فركب الحسن بن مخلد الى صاعد وهناه واشار عليه ان
يصالح ابا نوح وقال له وانت بلا زوجة وانا اجملك صهره وتعتضد به فانك
وان كنت قد نصرت عليه فهو من يعلم موضعه ومحله ويجمل بمصاهرته
ومودته وانت حبيب على الرجل . قال ولم يدعه حتى اجاب الى الصلح والصهر
فقال له فتركب معي اليه فانه هو ابو الابنة والزوج يقصد المرأة ولولا ذاك
لجاءك . قال فحمله من يومه الى ابي نوح واصطلحا ووقع العقد في الحال بينهما
وزوج ابو نوح في مجلسه ذلك ابنته الاخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد
فولدت له ابا عيسى المعروف بابن بنت ابي نوح صاحب بيت مال الاعطاء
ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن وكان اصغر سناً من ابيه
فكانت كتبة صاعد لموسى ومصاهرته لابي نوح اول رتبته العظيمة التي بلغها
ثم تقلبت به الحال حتى ولي الوزارة .

« للبحث صلة »

المحاضرة الرابعة

تاريخ الادب

أما وقد أوجزت في الكلام على الادب وتدريسه ، وعلى الذوق وتثقيفه ، ولمّحت الى تمازج الثقافات ، فبينت دون شيء من الإسهاب كيف يأخذ بعض الامم عن بعض ، ويقتبس بعضها من بعض ، فيزيد هذا الاقتباس في عبقرية البشر ، اما وقد فرغت من هذا كله ، فقد لزمني على ما أعتقد ان أخوض في الموضوع الذي انتدبت اليه وهو تاريخ الأدب ، وما تاريخ ادب العرب الا تسلسل قرائحهم وبنات افكارهم من يوم ظهر هذا الشعب الكريم على وجه الارض حتى يومنا هذا ، ماتاريخ الادب في الحقيقة الا سلسلة آثار ، اذا نظرنا اليها وجدنا فيها سلاسل شتى : سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين ، سلسلة آثار عصر من العصور ، سلسلة آثار تطور الادب في خلال القرون الخالية ، ماتاريخ الادب الا النظر في تأثير بعض المؤلفات في بعض واتصال بعضها ببعض وتسلسلها في تعاقب الاحقاب ، هذا هو تاريخ الادب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذاهبه ، وتبدو لكم سعة مجاله وترامي اطرافه في وقت واحد ، اما حرج الموضوع فانه ناشيء عن فقدان ما يجب علينا ان نتوسل به من الوسائل الى معرفة قرائح العرب ونتائج عقولهم على حسب روح هذا العصر ، واما سعة المجال فحسبكم ان تجدوا في تاريخ ادب العرب صور ناطقة تفصح لكم عن اطراد آثار عبقريتهم في مطاوي الاحقاب .

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الادب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلب من يتفرغ لتدريس تاريخ الادب حتى يتهيب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدهشه وتحيره ، فقد وجدت في احدى المقدمات هذه العبارة : تاريخ الادب الفرنسي انما هو نتيجة حياة باجمعها او تكفي حياة باجمعها حتى يتم مثل هذا التاريخ ، واذا انتظر المؤرخ نتائج بحثه وتنقيبه ليشرع في موضوعه ، أفيكتب هذا التاريخ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على انه يجب على المؤرخ ان يعمل على قدر مجهوده دون شيء من الاوهام ·

وقال الاستاذ برونتير في نقده مذهب سانتبوف : وعلى هذا فان دراسة كاتب كبير ان لم تستغرق حياة برمتها استغرقت سنين طويلة ·

هذا قول كتاب اذا أحبوا ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل ممهدة فما نقول لكتاب تعترضهم العقبات وتحيط بهم المصاعب فتقف اقلامهم لتحيرها ، الموضوع حديث لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وانما كتبوا باساليب لا تناسب اوضاع هذا العصر ، مات فلان سنة كذا ··· ومن قوله في وصف كذا ··· وله تشبيهات فريدة ··· كل هذا ليس من تاريخ الادب في شيء ، واذا كنا نجد بين نقاد المتقدمين من ارتفع الى منزلة أعلى ، وحلّق في جو أفسح كالجرجاني في وساطته ، وكالثعالبي في كلامه على المتنبي ، او كغيرهما فهذا قليل على ان نقدالادب شيء وتاريخه شيء آخر ·

قلت في صدر الحديث : تاريخ ادبنا ضيق المذاهب ، فلنبحث عن شيء من هذا الضيق ، اذا اخذتم تاريخ ادب غربي وجدتم في فاتحته وصف اول هذا الادب كيف ولد وكيف عاش ، فلا يستغني المؤرخ عن التنقيب عن لغة قومه ، كيف نشأت هذه اللغة وما هو اصلها ومنحدرها وما هي عناصرها ، لا يستغني المؤرخ عن هذا كله حتى يستطيع ان ينظر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثاقباً ويحيط بمختلف العوامل التي عملت في هذه الآثار ، فيكون مثله في ذلك كمثل المؤرخ الطبيعي فكما ان هذا المؤرخ يصف اتصال المخلوقات الحية في الطبيعة بعضها ببعض على صورة مرتبة فكذلك يجب على المؤرخ الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عبقرية قومه والتحق بعضها ببعض من مبادئها الى خواتيمها ، أفيتيسر لنا في حالتنا هذه ان نعرف شيئاً عن مبدإ لغتنا فنعرف كيف ولدت الفاظها وكيف عاشت كما يعرف الفرنسيون مثلاً كيف تحدرت لغتهم من الاصل اللاتيني؟

كنت أذاكر مرة في امر لغتنا الكريمة أستاذاً مطلعاً على اللغات السامية فقلت له في جملة ماقلت : وددت لو اننا نعرف كيف ولدت لغتنا في اول امرها كما يعرف بعض الافرنجة كيف ولدت لغاتهم ، فقال : هذا امر ممتنع الآن ، ان بعض الافرنجة شهدوا ميلاد لغاتهم فدوّنوا آثارها وتعهدوها فكان مثلهم في ذلك كمثل من يغرس شجرة ثم يتعهدها حتى تورق وتزهر وتثمر ، اما نحن معاشر الساميين ، فاننا لم نشهد ميلاد لغاتنا

فلا نستطيع ان نعرف اليوم كيف اورقت هذه الشجرة السامية وكيف ازهرت وكيف أثمرت وبيننا وبين الذين غرسوها وتعهدوها أحقاب متطاولة وعصور متراخية ، خفيت علينا حتى اليوم آثارها ورسومها فلا نعرف عن هذه الاحقاب شيئاً . —

هذا صحيح ، والغريب انكم تجدون من كان يعتقد ان لغة العرب قد تكاملت دفعة واحدة دون شيء من التدريج ، منهم (رنان) فقد قال :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره ، انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غنى ، كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لاول امرها تامة ، ولا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

وانا لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل مثل رنان ، ايُّ شيءٍ يتكامل في الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات ، اما قول (رنان) ليس للغة العرب طفولة ولا شيخوخة فهو مخالف لاصول العلم ، للغة العرب عهد طفولة ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا العهد ، لبعده عنا وخفاء رسومه علينا ، فلا يمكن ان تكون لغة جاهليتنا متكاملة على صورتها هذه من دون ان يتسلسل فيها هذا التكامل عصوراً متطاولة صقلت اللغة وحسّنتها حتى طلعت علينا في حلتها الانيقة ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في شعرهم ، أفأجد حاجة الى ذكر قول عنترة :

(هل غادر الشعراء من متردم)

او قول امرئ القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام)

او قول زهير :

(ما ارانا نقول الا معارا او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستنبط من كلام عنترة وامرئ القيس وزهير ، انه جاء قبلهم شعراء جالوا

في الشعر كل مجال وحلقوا في سمائه كل محلق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنترة وامرأ القيس وزهيراً وامثالهم فيض قلوبهم وصوب اذهانهم ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في إنها قد سبقتها احقاب مديدة ، انتقلت فيها اللغة من طور الى طور ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت اللغة في اثنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادبنا ، ولا تسد هذه الثلمة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الامم التي خالطها العرب في قديم الدهر وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته الينا بحذافيرها ، وان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله . قال ابن فارس : ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

تصوّروا بعد هذا كله حرج موضوعنا وضيق مذاهبه ، اني لا اجد لذة في تاريخ الادب الا اذا عرفت اوائل الآثار واواخرها ، ومبادئ المصنفات وخواتيمها ، واستطعت ان اصل الاواخر بالاوائل واربط الخواتيم بالمبادئ حتى اعلم كيف تسلسلت ثمرات القرائح ونتائج الخواطر ، وكيف اثّر بعضها في بعض وتحدر بعضها من بعض فاذا لم يتهيأ لي شيء من ذلك كان العلم ناقصاً . —

على ان هذه العقبة التي تعترضنا في سبيلنا ليست فريدة فان من ورائها عقبات غيرها ، اظن انكم تذكرون قولي في ثقافة الذوق : لا بد لنا من معرفة العصر الذي ندرس شاعراً من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي أيقظها ، فاذا كنا ندرس شعر المتنبي ، ووقع نظرنا في شعره على لفظة (ابتشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة فكيف نجزم امر غرابتها اذا لم يكن في لغتنا معجم يشير الى تاريخ الالفاظ ، كيف نعرف ان لفظ الابتشاك كان غريباً في عصر المتنبي اذا لم يكن في لغتنا معجم يبين لنا ان هذا اللفظ استعمل في عصر كذا ثم بطل استعماله بعد ذاك العصر ، فاذا كان في لغتنا معجم لغوي نفسر فيه الألفاظ بحسب تاريخها استطعنا ان نجزم امر غرابة الألفاظ ، فلا نسير في

تنقيبنا واستقصائنا على غير هدى وانما نستند الى مصادر موثوق بصحتها ، فنقطع دون شيء من الحيرة والارتباك فلا يزال تاريخ ادبنا مثلوم الجوانب فاذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة ان نقرأ شعر اهل عصره كلهم ، حتى نعرف مصطلحات ذاك العصر ، وهل يتيسر شيء من ذلك ؟ فاما ان يفوتنا البحث عن هذا الامر ، واما ان نستعين عليه بالكتاب الذين ظهروا في ذاك العصر واشاروا الى غرابة الفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فاذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ ادبنا زاوية فارغة . —

ولو جاوزنا هذه العقبة لاعترضتنا عقبة غيرها فان في تاريخ ادبنا شيئًا من الغموض نشأ عن ان طائفة من الاسماء اطلقت على مسميات لا نرى لها اثرًا في هذا العصر ، لنضرب مثلاً لذلك فقد قرأت في بعض كتب الادب هذا الكلام : دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة ، فالعباءة القطوانية منسوبة الى قطوان — موضع بالكوفة — منه الاكسية ، غير اننا لا نعرف شيئًا عن نوع هذه العباءة وكذلك المدرعة فانها ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيأة هذا الثوب[1] .

فانتم تجدون في سطر واحد كلمتين او ثلاث كلمات تدل على مسميات نكاد لا نعرفها ففي لغتنا كثير من الاسماء اطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بذهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على انواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدراهم وماشابه ذلك ثم ذهب الذين كانوا يتقلدون هذا السلاح و يلبسون هذا اللباس و يأكلون هذا الطعام و يشربون هذا الشراب و يضربون هذه الدنانير والدراهم ، فذهبت بذهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبنا غامضة بعض الغموض .

---

(١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل بادية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا نعرف مسمياتها . فكتب الادب ومعجمات اللغة مملوءة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن ثلم تاريخ الادب وانما احببت ان الم الى طائفة من هذه الثلم ، حتى ندرك مبلغ ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من المصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، واني لأجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها ٠

اقتصر الذين كتبوا عن مؤلفي العرب على ذكر اليسير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فذكروا ميلادهم ووفاتهم ولمعاً من اخبارهم ، وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم ، وما عدا ذلك فاننا لا نكاد نحيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب فلا نعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رباه اهله حتى نشأ وترعرع ، لا نعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه واوضاعه وعاداته ومذاهبه واهواؤه ، وما هي وجهته في حياته ، ما هي انباؤه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرؤها ٠ كل هذا ينفعنا في تاريخ الادب حتى تنكشف لنا اسرار المؤلفين فنستعين بذلك على العلم بافكارهم وعواطفهم ، ونحل عقد هذه الافكار والعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألبابهم ، وهذا النوع من المعرفة عنصر من عناصر التمحيص والتدقيق ٠ فاذا فاتنا هذا العنصر اضطررنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لانها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه ، الا اننا قد نضطرب في خلال البحث والنظر اضطراباً نقف فيه حائرين فلو كنا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطربنا هذا المضطرب ، وقد استدرك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم باقلامهم ووصفوا دقيق حياتهم وجليلها وكشفوا الغطاء عن كثير من امورهم ، والمرء اذا صدق اعلم بظواهره وبواطنه ، وادرى بفضائله ورذائله ، وافطن لمواطن القوة والضعف فيه ، فضلاً عن اللذة التي نجدها في قراءة هذا النوع من التراجم ، فانها نزهة العقول وسلوة القلوب فكأننا نحضر رجال قد باحوا باسرارهم فنكاد نشهد حركاتهم وسكناتهم ونكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى ابتساماتهم وتقطيبهم ونشاركهم في آلامهم وأفراحهم وما شابه ذلك ٠ —

قال « سانتبوف » في كلامه على هذه التراجم :

« احببت في كل حين مراسلات اكابر الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، احببت تفاصيل طبائعهم واخلاقهم وتفاصيل تراجمهم التي كتبوها ، فان الباحث يعكف خمسة

عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً ام فيلسوفاً ، فيدرسه ، ويقلب النظر فيه ، ويسأله ماشاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه » .

هذه طائفة من نواقص تاريخ ادبنا ولو شئت لأتيتُ على ذكر غيرها من النواقص ، وانما مرادي بيان ما يباغت المؤرخ من بعض المصاعب على ان التلوّم في التفرغ لوضع تاريخ الادب لا طائل فيه ، فاذا ظللنا ننتظر فاننا لا نصنع شيئاً ، اذا كنا ما ننفك نردّد ان تاريخ الادب يستغرق وضعه سنين طويلة فقد تمر هذه السنون من دون ان نشرع في الوضع ، فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستنفدوا وسعهم فتصدى كل منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجهوده ، هيأنا تاريخ الادب ومتى تهيأ تاريخ ادب العرب استطعنا ان نحيط بتسلسل آثارهم وافكارهم وقرائحهم من اول امره الى آخره .

دمشق : في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الخامسة

نقد المؤرخات الادبية

ذكرت لكم اليسير من العقاب التي يصعب قطعها على الذين يتصدون لوضع تاريخ الادب ، وقد خالج قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون ريباً في علو شأنه ، ورفعة مقامه ، وكفى بتاريخ ادبنا ان يكون عنواناً لحسنات قوم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ، فلم تبق من جلالة ملكهم وفخامة سلطانهم الا آثارها مدة ، اذا نحن اعملنا الروية فيها برزت لنا بلاغة منطق اهلها ، ورجاحة احلامهم ، وصحة عقولهم ، لم تبق من قوم ملؤا الدنيا وشغلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن ناجيناها اعربت لنا عما نسجته طباع الذين صوروها وسبكته افهامهم ، فرأيتم كيف درج صوغ اذهانهم في مواضي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراد عصورهم وما كان يتخلل هذه العصور من خلابة في الالسن ، او من تشديق وتقعير فينقلب بكم تاريخ ادبنا من عصور السهولة والايجاز الى عصور التكلف والتزيد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التبسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة محكمة الاطراف محبوكة الوشي ، بين حاضر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لغتنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطانها .

نعم ، خالج قلبي الرجوع الى البحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي ينزع بالنفس الى التمتع بآثار الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطلعهم على دروج اصحابها من حال الى حال وينبههم على توسعهم في اساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله اسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وجملة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يضيء لنا سبيل العقل البشري حتى ندرك آثار العبقرية في الاحقاب ، فنصل اواخرها باوائلها ، ومتى استحكمت هذه الصلة اتسعت افياء العبقرية .

هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يتمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاحياء آثار الماضي ورسومه ،

حتى تمثل الاذهان هذه الرسوم والآثار فتصبح بمحضر من اشخاص ناطقين ، يصورون لنا صوراً شتى ، في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فمرة نرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا نرى الا ابهامها وتعقيدها ، وحيناً نسمع خفيّ صوتها ، وحيناً لا نجد فيهـا الا الجمود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث انواع هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومفاسدها وجمودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطه ، ومختلف الوانها ، ومتباين اساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعيناً على التمكن من احيائها بالفن وما أوتيه من سلطان ، فالفن وحده هو الذي يحيي ما مات من الرسوم . وخلاصة الامر انا نطلب الى المؤرخ الأدبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفحات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يغفل عن تفاصيل الآثار وظروفها وعن الوانها ومعارضها وخصائصها .

فلنبحث بعد هذا كله هل كان عندنا تاريخ ادبي يستطيع ان يصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وضروب اساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرت لكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اظن انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسننظر في ذلك في مجلسنا هذا ، اظن انكم ما نسيتم قولي : التاريخ الادبي انما هو سلسلة آثار ولم اقل مجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المطردة المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي ، الآثار المجموعة لاتدلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشهدون سير العقل البشري وتنقله من حال الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لا سلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفاً من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم ينظروا في اواصر المصنفات وارتباطها بجملة التاريخ الادبي ، ان الذين كتبوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سبقه وممهد السبيل للذي تلاه .

تصفحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر، واحببت ان اجد فيها ما اصطلحوا عليه ان تكون اشباه هذه الكتب ، فلم اظفر بشيء وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي ، ولكن هذه الدراسة مشوّهة الاسلوب وهذا النقد مثلوم المذهب ، فلم تبين هذه المؤرخات الآثار التي ابقاها شاعر من الشعراء في اهل عصره ، ولم توضح العوامل التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره ، ولا ذكرت كيف نشأ خيال هذا الشاعر ، وكيف نما حسه وشعوره ، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره ، على اني اعتقد ان ذكر هذه الامور لا يتيسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي ، وعلى التخصيص ذكر الروح الادبي والروح الفني في عصر من العصور ، لوعورة هذا المسلك وخشونة هذا المركب ، ولا يتهيأ شيء من ذلك الا بعد سنين طويلة فكتب تاريخ الادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيء وانما هي مجاميع مشتملة على قليل من دراسة الادب ونقده ، فلنبحث هل تشتمل في الحقيقة على شيء من هذه الدراسة وهذا النقد .

اخذت عرضاً تاريخاً ادبياً وضعه استاذ من اساتيذ الادب في مصر ، وكتب التاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن ، اخذت عرضاً هذا التاريخ وقرأت كلام صاحبه على المتنبيء حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المتنبي ، ولم تكن غايتي الاستعانة بهذا الكلام ، فان الناقد الادبي يجب عليه ان يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدي رأياً فيها ، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقداً ، قرأت الكلام على المتنبيء في هذا التاريخ لاطلع على أُسلوب المؤرخ او على اسلوب الناقد على الوجه الاصح ، فوجدته بعد ان ذكر اليسير من اخبار حياته اشار الى منزلته في الشعر فحكم له وقال : لم ينبغ احد بعده بلغ غايته في الشعر ، الا اني كنت احب ان اعرف شيئاً عن نبوغ المتنبيء نفسه ، فلماذا لم ينبغ احد بعد المتنبيء ، فلم يبين الناقد السماء التي حلق فيها المتنبيء ، ولم تطاولها سماء ، ولا الافق الذي امتد اليه حسه ، ولا الصور التي صورها ، ولم يذكر شيئاً من شعور المتنبيء ودقائق هذا الشعور ، وهو العامل الاكبر في شعره ، ولا ذكر طبيعة هذا الشعور ولا اشار الى شيء من عاطفته ، ولا وضح طبيعة هذه العاطفة ، ولا بحث عن قلق المتنبيء واضطرابه وعن اسباب هذا القلق والاضطراب ، ولا اشار الى تناقض المتنبيء في اخلاقه ، ولا صور

انا مثله الاعلى في الحياة ولا ذكر هل كان هذا المثل مادياً ام معنوياً ، ولا تعرض لبعض نزعات المتنبي في الفلسفة ولا ابدى رأيه في خلود المتنبي ، هل يخلد ابو الطيب ، وما هو السبب في خلوده ، وفي الجملة فقد قرأت البحث عن المتنبي فلم تنشأ في ذهني صورة عامة ، قال المتنبي في كل الاغراض ، ما هي هذه الاغراض ، اجاد المتنبي في وصف المعارك ، ولكن اين مواطن الاجادة ، المتنبي في كلامه كثير من التعقيد اللفظي ، فاين مواضع هذا التعقيد ، قرأت هذا كله فلم تنشأ في ذهني صورة المتنبي العامة ، ولا صورة شعره ولا صورة حسناته ولا صورة سيئاته ، فلم اعرف شيئاً عن جملة حاله وشعره وأسلوبه .

فرغت من هذا التاريخ ، فأخذت تاريخاً غيره فوقع نظري عرضاً على بحث صاحبه عن ابي فراس الحمداني ، فتبين لي ان المؤلف قد استعان برأي الثعالبي في ابي فراس ، حتى انه لجأ في ذلك الى الفاظه نفسها ، فقال : ولما خرج قمر البيان من سراره ، واطلق اسد الحرب من اساره . وقال في موضع آخر في كلامه على شعر ابي فراس : شعره على مثال الشعر القديم متانة وأسلوباً الا ان عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبدالله بن المعتز ، وهذا الكلام انما هو كلام الثعالبي نفسه ، اي امانة في نقد لم يقرأ صاحبه الاثر الادبي الذي ينقده ، اي روح في كلام لم يصدر عن قلب صاحبه ، فلو قرأ هذا المؤلف الاثر الادبي الذي ينقده لكان له رأي فيه خاص به ، مثل المصادر الادبية في تأثيرها في اذهاننا كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيرها في حواسنا فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصور آثاراً لا تتركها في حواس غيره من المصورين ، فكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثاراً لا تتركها في ذهن غيره ، فيجب على الذي يتفرغ للنقد ان يقرأ الكلام الذي ينقده ، واما اذا ردّد ما قاله غيره فلا تجد امانة في قوله ، فاذا كنا لا نزال نكرر آراء المتقدمين ونستعين على بحثنا بكلامهم نفسه ، او نشوّه هذا الكلام في بعض الاحايين فكأننا لم نخط خطوة في الف سنة .

اكتفيت بهذا القدر من الاستشهاد لأبين لكم ان فريقاً من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا الدهر اقوال المتقدمين ، فهم يتسحبون على اذيالهم في كتابة المؤرخات الادبية مع شيء يسير من التعديل ، على ان البحث عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر

يختلف عما كان في القديم فقد استفاضت المناهج العلمية في دراسة الأدب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت الارض غير الارض والسموات واصبح هذا التطور علامة الحيـاة نفسها ، فلو اجتزأنا بآراء المتقدمين لجمدت القرائح ، ولنضبت الخواطر ، فان لكل ناقد أسلوباً ، وان لكل مؤرخ مذهباً ، وعلى قدر اختلاف هذه الأساليب والمذاهب يزداد رونق الأدب ، فاذا تشابهت فنون الكتابة نفرت الاذان عن كل مردد ، وانقبضت القلوب عن كل مكرر .

اما وقد أشرت الى بعض المطاعن في المؤرخات الادبية فلا ارى بأساً بان اتلو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاستاذ «فاكَه» في كتابه : فن القراءة .

« يجب على المؤرخ الادبي ان ينسلخ من دخيلته[1] على قدر ما اعان عليه الامكان ، يجب عليه ان يتجرد منها كل التجرد ، فلا يجوز له ان يعرب عن الاثر الذي ابقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ، وانما ينبغي له ان يفصح عن الآثار التي ابقاها هذا المؤلف في اهل عصره وابناء زمانه ، فاذا كان يبحث عن عصر من العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر العـام على حسب مايعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني ، يجب عليه ان يقيس — وهذا الامر يكاد يكون ممتنعاً — العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، و بحسب الرسائل التي كتبها ، و بحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن مجامع الظروف العامة التي كتب في خلالها ، ظروف قومه ، وظروف مكانه ، وظروف اهله ، وظروف شخصه . يجب عليه ان ينقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه ، اي ان يذكر الرجال الذين راقتهم كتابته ، والرجال الذين لم تعجبهم هـذه الكتابة ، فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الحوادث ولا ان يعلم غيره الا بهذه الحوادث نفسها ، و بروابطهـا ، فلا يحق للقارئ ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ، لايجوز له ان يعرف انه يشعر .

(١) دخيلة الرجل مذهبه وجميع امره وقد استعملتها بدلاً من « الشخصية » .

اما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدئ من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يُطلب الى الناقد ان يبينه انما هو فكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء أكان هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كان صادراً عن هوائج نفسية ، فلا يطلب اليه ان يصوّر مخططاً وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار » .

دمشق : في ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩

المحاضرة السادسة

اطوار النقد

أفلا يزال منكم على ذكر ماقلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا ، أفلا يزال عالقاً بحفظكم ان تاريخ الأدب شيء وان النقد شيء آخر ، فقد حدثتكم بخصائص المؤرخات الادبية ، وتعرضت لبعض المطاعن فيها ، فأرى ان اجعل النقد حديثي في هذه الامسية فألمح الى أطوار النقد في لغتنا الكريمة في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس ، ثم أجمل الكلام على النقد الادبي في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي ايام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء او لشاعر منهم ، وقد كان يجري شيء من هذا النقد في اسواق العرب وانديتهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الادب بكثير من موجز هذه الأحكام انقل اليكم نماذج منها على سبيل الاستشهاد .

قيل للحطيئة من اشعر الناس فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية وقال : هذا اذا طمع .

وقال عبد الله العباس : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انشدني لأشعر شعرائكم قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال زهير ، قلت : وكان كذلك ، قال : لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : اشعر الجاهلية امرؤ القيس واضربهم مثلاً طرفة ، واما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير اهجاهم والأخطل اوصفهم .

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن خطرات سريعة ونظرات عجيلة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الأحكام كانت صادقة في معظم الاحايين تصدر عن بديهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر

وألف المؤلفون فيه كتباً منها طائفة زعم اصحابها انها تشتمل على تفصيل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين وانزالهم منازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجده اصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ، من هذه الكتب : طبقات الشعراء للجمحي ، غير ان صاحب هذه الطبقات لم يبحث الا عن الصور الفنية كحسن الديباجة وكثرة الرونق وجزالة البيت وما شابه ذلك ، كقوله مثلاً كان الحطيئة متين الشعر ، شرود القافية . وكان نابغة بني جعدة شاعراً مفلقاً فلا يختلف طراز هذه الآراء عن الطراز القديم .

ومنها طائفة تتضمن قواعد الشعر ككتاب ابي العباس ثعلب الا ان بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقده الفريد ، والآمدي في موازنته بين ابي تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة الى غيرهم من الذين كتبوا في تراجم الشعراء والكتاب كالثعالبي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب اشبه شيء بكتب الفن الشعري في بعض أمم الغرب فانها تشتمل على قواعد الفن والذوق فلم يشر اصحابها الى الآثار الادبية الا من حيث الصور الفنية فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه . الشعر والشعراء ، الا عما يستجاد من شعر الرجل وما اخذه العلماء عليه من الغلط والخطإ في الفاظه ، فلم يخبر الا عن الوجوه التي يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى المحاسن اللفظية غير ان ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فقال : ولا نظرت الى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطن كلام ابن قتيبة ان القديم انما هو قديم بالنسبة الى عصرنا ولكنه حديث بالنسبة الى العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن انما هو ابن رشيق في كتاب العمدة ، على انه مع توسعه هذا لم يجاوز نقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال في فضل الشعراء :

(كل منظوم احسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان الدر وهو اخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في

الباب الذي له كسب ومن اجله النخب وان كان اعلى قدراً واغلى ثمناً فاذا نظم كان اصون له من الابتذال واظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الاسماع وتدحرج عن الطباع) .

فكان الشعر عبارة عن الفاظ تشبه الدر على ان ابن قتيبة كان يعرف ان العرب احتاجت الى الشعر لتغني بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة ولكنه نظر الى ظواهر الاكسية التي كانت تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام ونزوح تلك الاوطان ولم يتغلغل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كان في هذه الكتب كلها شيء من النقد اللغوي وهو على ما اعتقد الاساس الذي لا يستغني عنه النقد الادبي نفسه ، وان كان يختلف عنه ، فلا نكاد نجد نقداً ادبياً دون ان يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم تنظر في روح الشاعر وفكره وعاطفته فلم تفكك اجزاء هذا الشاعر وتبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر الذي ظهرت فيه عصر صور فنية الا ان فريقاً من المؤلفين اشاروا الى تأثير بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبدو وتأثير المزاج من سلاسة في الطبع وجفاء في الخلقة ومنهم الجرجاني في وساطته وهذا مذهب طريف في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب « تين » في النقد الحديث وسيأتي الكلام على هذا المذهب .

ومن هذا القبيل ابوعامر ابن شهيد الاندلسي فالآثار الادبية في نظره صور ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فمن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه من اصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها، ومن كان جسمه مستولياً على نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطلع في تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الرونق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب سانتبوف في هذا العصر ومذهب سانتبوف التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من مدفنه فنرى هيأته وصورته .

اما التراجم فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندكم ان الشعراء الذين يتقدم اصحاب هذه التراجم متماثلون في صيغهم وقوالبهم فمن

قول اصحاب هذه التراجم : فلان احد افراد الدهر في النظم والنثر وفلان فرد دهره وشمس عصره وفلان اعجوبة الزمان ونادرته وفريد عصره و باقعته ، فيكاد يخيل اليكان الناس كلهم اعاجيب الزمان ونوادره وآحاد الدهر وشموسه ، أفلم يعس ليل الى جنب شمس من تلك الشموس .

هذه هي جملة اطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس اتيت على ذكرها على سبيل الايجاز ثم وقف النقد وقفته فلننتقل الى اطوار النقد في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

ما اظن ان ادباً من الآداب قد نمت مذاهبه وامتدت ظلاله في العصور الاخيرة دون ان يكون للنقد الاثر الابلغ في نمو هذه المذاهب وامتداد هذه الظلال ، فالادب الالماني في القرن التاسع عشر قد انبلج نوره من افق الناقد « لسينغ » وقد كان النقد روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي اذواق اهله من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا الا كان النقد مصدر هذا الحادث او اصله ، حتى ان كثيراً من شعراء فرانسه امثال رونسار ومالرب وبوالو وفولتير وشاتو بريان وهوغو قد اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومعتقداتهم في الادب .

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لنشأته عوامل شتى منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، اما العامل الظاهر فهو اضطرار رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استخراج ما خفي من الكنوز في متقدم العصور من مدافنها ، واما العامل الباطن فهو تيقظ « الشخصية » فقد كان الرجل في القرون الوسطى تابعاً لطبقته ولرجال نقابته ، قبل ان يكون مالك امره ، فلم يكن له في كل حين تصرف في شأنه وعمله وفكره فلما طلع فجر التجديد تيقظت « القوميات » وخرج الفرد عن الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أكان هذا العمل شعراً ام كان تصويراً شيئاً من روحه اي شيئاً من طابعه[1] .

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسة فصبغ فيها بصبغة ادبية فجمل نقدة الكلام في

(١) رأي الاستاذ برونتير .

تآليفهم المحل الاول للمبادئ والمذاهب ، اني لا اتعرض في هذا المقام لتطور النقد في فرنسة فهذا خارج عن موضوعي ، فلا أتعرض لكتب الفن الشعري في العصرين السادس عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشتمل عليه هذه الكتب من قواعد الذوق والفن ، ولا اتصدى لاضجاج القوم في مسألة القديم والحديث ، ولما نشأ عن ذلك من خروج النقد عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقد يدرس الآثار من حيث انها آثار شرع يدرسها من حيث انها صور الحضارات ، اني لا اتصدى لتطور النقد بعد هذا كله فقد اصبح للأثر الادبي في نظر « فيلمان » ارتباط وثيق بالاوضاع الاجتماعية والسياسية .

كل هذا لا حاجة بنا اليه في هذا المقام ولربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ، ربما احتجنا اليه في دراسة نقدنا الادبي في اطواره كلها في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس وفي عصرنا هذا فقد نضطر الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا النقد وقابلنا بين اطواره وبين اطوار النقد الحديث .

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا اجد لي بدّاً من ان اذكر لكم اربعة نقدة قد استفاضت مذاهبهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريد بهم فيلمان وسانتبوف وتين و برونتير فاذا اردنا ان نفهم اوضاع الادب الحديث فلا مندوحة لنا عن الاطلاع على مذاهب هؤلاء النقدة .

اما « فيلمان » (١٧٩٠ — ١٨٦٧) فهو مؤلف كتاب درس الادب الفرنسي ، واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب سر (الاكادمية) وكتابه هذا كان فاتحة النقد الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية اثراً في الادب فقال :

لم يخرج من المجالس النيابية نوع حديث في الادب فقط او صبغة خطابية او بلاغة سياسية بدلاً من البلاغة الدينية وانما خرج منها شيء آخر ، هبت من هذه المجالس نفحة حياة خرج من هذه المجالس عنصر حديث امتزج باجزاء الادب كلها فبدّل منها وغيّر واعاد اليها شبابها .

واما « سانتبوف » ١٨٦٩ — ١٨٠٤ فقد حاول ان يطوي من ظل العاطفة الشخصية في النقد على قدر الامكان ، فالناقد في نظره يجب عليه ان يكون منزهاً عن كل غرض حتى يستطيع ان يكشف اسرار ارواح تختلف عن روحه ، يجب عليه ان يكون صاحب عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض الفن والاخلاق والدين والسياسة .

فالنقد يلزمه ان يكون في حيدة عن كل شيء على نحو حيدة العلم .

لا يريد « سانتبوف » ان يكون النقد تابعاً لافيــة محدودة فاذا كان تابعاً لشيء من ذلك فكأننا نحاول ان نلزم الاشياء ان تكون تابعة لمذاهبنا فالطبيعة مملوءة بامور متنوعة وقوالب مختلفة فلا يلزم النــاقد ان يكون خاضعاً لسلطان واحد ، وقد اعترض على تبيعه «تين» لما شاء هذا ان يطبّق مذاهب العلم في العقل البشري و يجعل للعبقرية الشخصية أسباباً عامة . يقول « سانتبوف » ينبغي للناقد ان يتجرد من نفسه في النقد ، فمن شروط عبقرية النقد ا ـ لا يكون للناقد فن وان لا يكون له أسلوب فاذا كان للنــاقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظهر أسلوبه في خلال الاثر الادبي الذي ينقده .

فاذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عليه يومئذ ان يبعث كل مؤلف من مرقده حتى نرى هيأته الخاصــة على ان يعني بكل الظروف التي اتى على ذكرها المؤلف في ترجمته ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كناية عن تعمق في روح المؤلف .

اراد سانتبوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنماذج الانواع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي نستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعي للعقول انما هو يوم بعيد على ان الذي يهم انما هو وصف الافراد على وجه الضبط .

واما تين (١٨٢٨ — ١٨٩٣) فكل اثر من الآثار الفنية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً لعلة من العلل الخارجة لان لرجل في الطبيعــة يتبع القوانين العامة على نحو المخلوقات واليكم قوله :

قــد يمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سام يضع فلسفة ويقول شعراً كما تنسج ديدان القز بيوتها وكما تبني النحل خلاياها فاذا وجدنا بستاناً ونحلاً فاننا نريد ان نعرف كيف يكون بناء الخلية .

من هنا يظهر لكم ان تين قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والعاطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبيعياً كبيراً تفسّر فيه الآثار والقرائح والامزجة بحسب الجنس والبيئة والزمن ، لقد أدخل تين عناصر حديثــة في دراسة الآثار الادبية الان مذهبه لايخلو من بعض المبالغات وقد اثّر في الفلسفة وفن الرواية .

ثم جاء برونتير (١٨٤٩—١٩٠٧) فانبسط سلطانه على العقول حيناً من الدهر ومذهبه في الأدب مذهب النشوء والارتقاء قال :

انما نعلم ما استفاده التاريخ الطبيعي والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فأريد ان أبحث عن هذا الامر : أفلا يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينتفعا بهذا المذهب ، انما مثل الانواع الادبية في نظره كمثل انواع الحيوان والنبات فانها تولد فتعيش فتموت او تحول وهو لا يؤمن بمذهب التولّد الذاتي في الادب ، فالطريقة الغنائية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما قد هيئت من القرن الثامن عشر .

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الادبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل والتفصيل وانما غايتي اطلاعكم على الزهيد من مبادئ هذه الاطوار حتى لا تكون غريبة عن اذهانكم وقد تبين لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم الى افاق الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعي وعلم التشريح وعلم الفيزيولوجية ومذهب النشوء والارتقاء ثم دخل النقد بعد برونتير في طور آخر وقل اعتناء النقدة بالاقيسة والمذاهب وجعلوا همتهم ان ينقلوا الينا الآثار التي رسخت في نفوسهم من قراءة كتاب من الكتب او ان يفهموا هذه الكتب ويفسروها لنا .

وجملة القول : النقد يحيط بالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ وما شابه ذلك فلا يصح ان يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهذياناً او خلطاً وتخبطاً .

دمشق : في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

خلّص السمن وأخلصه اذا اخذ خلاصته ، وتأثّل الناس اذا اخذ منهم أثالاً اي مالاً وإئترش خماشته من فلان : اخذ ارشها وهو دية الجراحات ، وتحوّف الشيء اخذ حافته — واخذه من حافته ، ونصّفه وتنصّفه وانتصفه : اخذ نصفه ، وارتجل الرجل : اخذه برجله ، واجتلّ : التقط الجلة للوقود ، وخلف فلاناً واختلفه : اخذه من خلفه ، وتدهّن اخذ مدهناً ، واعتصر : اخذ عُصْرة العطاء اي ثوابه ، واغتلّ الضيعة : اخذ غلّتها ، وتنبل من فلان : اخذ الانبل فالانبل ، وتجلّل الشيء وتجلّه واجتلّه : اخذ جُلّه ، واستعظمه : اخذ معظمه ، وافتلذ المال : اخذ منه فلذة ، واعتدف الثوب : اخذ منه عدفة اي قطعة — والعدفة اخذها ، وجزّأ الشيء اخذ منه جزءً ، واشتقه : اخذ شقه ، وامتذل المال : اخذ نبيله اي خياره ، وتخبّبه : اخذ نخبته ، وتشافّته : اخذت بِشفّه اي بفضله ، وامتدر المدر : اخذه ، واعتنف الامر : اخذه بعنف ، وتكلّأ الشيء : اخذه كُلاءةً — والكلاءة : تسلمها ، والكلأة هي النسيئة والعربون وكذلك اكتلأها ، وتغفّف الاناء والضرع : اخذ غُفّتَه اي بقية ما فيه ، وعصي يعصي عصياً : اخذ العصا — وعصيه : اخذه اخذ العصا .

* * *

وتغفّر الرجل : اجتنى المغافير من شجرها . والمغافير صمغ يسيل من شجر العرفط حلو كالناطف غير ان رائحته كريهة منكرة ، وقَرظَ القرظ : جناه وجمعه . والقرظ ورق السلم يدبغ به او ثمر السنط ويعتصر منه الاقاقيا وهي مما يتداوى به وقيل هو شجر عظيم له شوك غليظ وزهر ابيض وثمر مثل الترمس تعتصر منه الاقاقيا المذكورة ، وتكمّأ : اجتنى الكمء ، وتمغثر : اجتنى المِغثر ، وهبد الهبيد مثله . والهبد والهبيد : الحنظل يقال صحبة الهبيد امر من طعم الهبيد . وفي الاساس الهبيد حب الحنظل ، وتطرثث : اجتنى الطُرثوث وهو نبت يؤكل يرتفع كالدرقة الملفوفة واصله قطع حمر خشنة ويسميه الاطباء رب الارض ورب الرياح ، وسلّق : اقتطع السلق من الارض ، واقتشد ، اقتطع القشد وهو نبات يشبه

القثاء وقيل الخيار ، وتلثّى والتثى : اخذ اللثى ، واقتمل القمل : استنفضه بيده عن الشجر ، وتخلَّل الرُطَب : طلبه خلال السعف بعد انقضاء الصرام ، وحَنظل : جنى الحنظل وهو لغة في الحنظل . ويقال خرج القوم يَتَذَأْنون اي يجنون الذؤنون وهو نبت من الرمث .

وقد اجرم التمر اي حان جرامه ، واقطف الكرم دنا قطافه — والقوم : حان قطاف كرومهم ، واخرف النخل : آن له ان يخرف اي يجني ، واقطع : اصرم ، واجنى الشجر صار له جنىً يجنى فيؤكل .

* * *

واحتش الحشيش طلبه وجمعه ، ودوّن الديوان جمعه ، وحطب واحتطب : جمع الحطب وحطب فلاناً : اتاه بالحطب — وجمع له الحطب ، ورزّم الثياب : شدها وجمعها رزماً ، وخلّ الكساء : جمع اطرافه بخلال ، وبقل بعيره : جمع له البقل ، وانتجب : جمع النجب اي لحاء الشجر وقيل قشر عروقها وقيل قشر صلب منها ، وجمّل الشيء : جعله جملة ، وخرط الجواهر : جمعها في الخريطة ، واستخلب الشيء : استحشه بالمخلب ، وجيش القائد : جمع الجيوش ، وكوم التراب جمعه وجعله كومة ، وخلا الشعير في المخلاة : جمعه ومثله التقط اللقاط ، وحزّب القوم جعلهم احزاباً — وجعلهم من حزبه .

* * *

واستكار استكارة : حمل الكارة على ظهره وهي مايحمل من الثياب على الظهر وسميت كارة القصار بذلك لانه يكوّر ثيابه في ثوب واحد و يحملها فيكون بعضها فوق بعض ، وثَبَن الشيء : جعله في الثبان وحمله بين يديه . والثبان هو الموضع الذي تحمل فيه من ثوبك اذا تلحفته او توشحته فتثنيه بين يديك ثم تجعل فيه من التمر وغيره شيئاً وقال الازهري ليس الثبان بوعاء ولكن ماجعل فيه من التمر فاحتمل في وعاء وغيره وقد يحمل الرجل في كمه فيكون ثباناً ، وقد احتضن الشيء اي احتمله وجعله في حضنه ، واحتجز : حمل الشيء في حُجزته وهي معقد الازار — وموضع التكة من السراويل .

وجُنِح البعير انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . وربّع الرجلُ الحملَ ادخل المِربَعة تحته واخذ بطرفها الواحد وآخر بطرفها الآخر ثم رفعا على الدابة فان لم تكن مربعة اخذ احدهما بيد الآخر ورفعاه وذلك يقال له المرابعة ، والمِربَع والمِربَعة

خشيبة يأخذ الرجلان بطرفيهـا ليرفعا الحمل على الدابة ويقال رابعوا الحمل اي ادخلوا المربعة تحته · وحدج البعير شدّ عليه الحِدج اي الحمل · ووسّق الحنطة جعلها وسقاً وسقاً قال الخليل الوَسق هو حمل البعير والوِقر حمل البغل او الحمار ·

* * *

وأزلخ البـاب أغلقه بالمزلاخ والمزلاخ والمزلاج والزلاج : المِغلاق الا انه يفتح باليد وهو المعروف عند عامتنا بالدُقّرة ، وكذلك زلجه وأزلجه اي اغلقه بالمزلاج ·
وعصم القربة جعل لها عصاماً وشدّها بالعصام وهو عروة يُعلّق بها ·

* * *

وثقب الشيء خرقه بالمثقب · ونقر الشيءَ ثقبه بالمنقـار · ووقّب وقبة اوجدها وهي نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء — والكوة العظيمة فيهـا ظلّ · وخزم انف البعير ثقبه لتعليق الخزامة فيه — والبعير جعل في جانبي منخره الخزامة وكذلك خزّم البعير وانفه ، والخزامة حلقة من شعر تجعل في وترة انف البعير يشد فيها الزمام ويسميها بعضهم بالخزام · وعلبي عبده ثقب علباءه وقيل قطعها وهي عصبة صفراء في صفحة العنق ·

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

العربة واصلها

وقفنا على ما كتبه حضرة الخوري جرجس منش في مجلة المجمع العلمي (٩:٦٩٩) بعنوان : « العَرَبة · هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ » فتعجبنا من هذا العنوان الغريب ، لانه لم يذهب الى هذا الرأي احد ، اذ كلنا يعلم ان ابن بطوطة ذكر اللفظة سماعاً عن اهل البلاد الذين كانوا ينطقون بها · فهو راوٍ لا واضع · فكيف نسب حضرته هذا الامر الى ابن بطوطة في ذيّالك العنوان ؟ فلو قال مثلاً : « العربة : هل هي من عصر ابن بطوطة » لما ناقشناه · اما انه ينسبها الى الرحالة المذكور ، في الوقت الذي يصرح فيه بانه يروي الكلمة روايةً ، فهذا مما كنا نحب ان يرفع نفسه عنه ·

وهناك نسبة أُخرى كنا نودُّ ان لا يذكرها بالوجه الذي ذكره · فقد قال حضرته : « وقد كان · · · الاب انستاس الكرملي قد ذهب الى ان العربة تركية الاصل في نقده على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة عربة بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل ! ! · · · » كذا رأينــا هذه العبارة مكسوعةً بعلامتي تعجب · ونحن لم نفعل ذلك · فهي إذن من حضرة الخوري الفاضل ومن زياداته · وكان يحسن به ان يقول انها من عنده او أن يجعلها بين عضادتين او هلالين او غير ذلك من العلامات ، ليشعر القارئ بانها ليستا لنــا اذ لسنا ممن يسخر بمعرفة اليازجي · ومقامه من اللغة اشهر من ان يذكر ·

إذن وضع حضرته هاتين العلامتين هو من عنده ليدل بهما على تعجبه من جهلنا · قلنا : اننا نقرّ بهذا الجهل وقد صرّحنا به مراراً ، لكن مع هذا كله لم ننسب الى نفسنا القول بتركية اصل العربة · وكلامنا صريح فوَيق هذا وهو : « وهي تركية الإصل » ولم نقل : « وعندنا انها تركية الاصل » الى غيرها من العبارات الدالة على ادعائنا بالامر · انما اوردنا رأي الغير · والذي صرّح به قبلنا انها تركية صاحب مرآة اللغات ، ومؤلف

الدرر العثمانية في اللغة العثمانيــة ومصنف لهجة اللغات وغيرهم وهم كثيرون . ولما قلنا انها تركية الاصل لم نقل انها بلفظها الحالي تركية الاصل بل اردنا ان نقول تركية التركيب والوضع . ألا يعلم الناس ان عوليس او عوليس علم يوناني . ومع ذلك نقله بعضهم بالعين كما ترى . أفلكون الكلمة تبتدئ بعين يزول عنها اصلها اليوناني ؟ [1] فقول حضرة الخوري : « وهذا يؤكد (اي كتابة الكلمة بالعين) ماسبق وقلته لااظن العربة من اصل تركي » قول يقرب من قول الاطفال والرضعان .

اما ان «العربة» تركية فنحن لانشك فيها . وذلك لاننا نراها مدونة بهذا المعنى في كتاب « ديوان لغات الترك» لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري [2] . وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة . وانت تعلم ان المؤلف تركي وصنف كتابه في بغداد ونقل الفاظه عن الترك كما تعلم ايضاً ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الأوطان والأطراف الا بعد مئات من السنين ، بخلاف ما يجري في هذا العهد اذ يتم اتخاذ اللفظة نقلها على اجنحة الصحف والمطبوعات . اما في عهد البداوة فان الكلمة ما كانت تنتشر الا بعد مئين من السنين فوجود العربة عند

(١) من الاعلام اليونانية التي عربهـا سليمان البستاني بالعين : عرليق وعسارافس وعسطروف وعسطيفيل وعسقانيــا وعسقانيوس وعسقلاف وعفرُذيت وعفنطوس وعفطوليق وعمارنقا وتزيد على ذلك العقيون وهي يونانية ايضاً قديمة التعريب . والعامة تقول اليوم معكروني والكلمة الايطالية خالية من العين . ونحن نقول كملك بالعين متأثرين السلف القديم وهي كاك بالفارسية اي بلاعين . وقالوا السقرقع واصلها السكركه ودرقاعة واصلها درگاه وهما من الفارسية . ونقول الآن عفارم من التركية آفرين . الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر اصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها بلغتنا بهذا الحرف الحلقي .

(٢) صنف المؤلف هذا الكتاب واهداه الى ابي القــاسم عبد الله بن محمد المقتدي بامر الله الخليفة العباسي وطبع في الاستانة سنة ١٣٣٣ هـ طبعاً متقناً وعلى ورق ثخين حسن .

الترك بصورة (أرَبه) او (ارابه) بمعنى « العجلة اوالمركبة » في لساننا اقدم من نقل معناها بهذا اللفظ نقلاً عن الارميين ان صح هذا النسب الموهوم فيه ٠

اما انها سريانية فهي لم ترد فيها بهذا المعنى ٠ وهل يمكن ان يستشهد بوجود كلة بمعنى من المعاني غير المعنى المطلوب الذي يجري فيه الجدال ؟ — ومن العجيب ان حضرة الخوري يلوي النصوص ويقلبها ظهراً لبطن و يسومها عذاب الهون ثم يحاول ان يخرج منها معنى العجلة الذي يولي عنه بعيداً كلما عالج القبض عليه ٠ فالمراد من قول المؤلفين الارميين : جناح دولاب العربة : «العنفة» (كقَصَبة) وهي مايضرب به الماء فيدير الرحى ٠ فاين هذا من العجلة ياحفظك الله ؟ نعم ان العربة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء يطحن بها الحنطة او يعصر بها البزر او يستخرج بها الزيت ، لكن بين ان يكون الزَوْرَق عجلة او مركبة فرق كالفرق الذي يرى بين السمكة السابحة في الماء والحيوان الداب على الارض ٠ فان كان هذا يوافقه فلا يوافق الغير من المنصفين ٠

ومن غريب ما استنتجه حضرة الخوري قوله : « وقد ذكر ابن علي عربا على اللفظ الشرقي بمعنى العربة (العجلة) كما مر بك » والعبارة التي يشير اليها حضرته هي : «(ابزارا) جناح دولاب العربة » ٠ والحال اننا نعلم ان لا جناح للعَجَلة كما لا جناح للعِجلة (بكسر الاول مؤنث العجل)٠ والعربة المذكورة في هذا النص هي المعصرة لا غير٠ فكيف يلوي حضرته النصوص ويستنتج منهـا تلك النتائج ؟ ان هذا لا يمكن ان يسلم به جاهل فضلاً عن عاقل ٠

فمعنى العربة التي استعملها الارميون يوافق المعنى المذكور عنها في معاجم لغتنا العربية اي معنى المعصرة الموضوعة في السفينة ولها دولاب وللدواليب عنفات يضربها الماء الجاري فتحركه اي (Presse hydraulique) وليس هناك اثر لمعنى العجلة ٠

والعربة التي يكتبها صاحب «ديوان لغات الترك» ارَبه (كقصبة و بهاء في الآخر) تركية الاصل لا شبهة فيها ٠ وقد عربهـا العرب بالعين كما عربوا الفاظاً كثيرة ناقلين اياها من اللغات التي لا عين فيها ٠ ولا سيما هذه الاربة عربت بالعين لقربها من لفظة « العربة » التي الفوها لوجودها عندهم علماً ونكرة وان كان المعنيان يختلفان ٠ فاننا نسمع العراقيين يقولون اليوم ام البوس في امنيبوس وهي الحـافلة — وقلم طوز في اوكاليبتوس

الى غيرهما من الالفاظ التي يسمع مثلها وتجري على هذا الوجه من التحريف والتصحيف في جميع الديار واللغات لمشابهة بين الكلم الغريبة والكلم المألوفة على السماع ·

(تذييل) اغلق علينا فهم بعض الالفاظ فنرجو من حضرته ان يفيدنا عنها · قال : « ذلك ما تبـادر الى ذهني » (ص ٦٩٩) أفيريد ان يقول ذلك ما تبادر ذهني اليه ، او ما بادر اليـه ذهني ؟ — وقال فيهـا « ليس هو من ائمة اللغة بل ليس هو الذي وضع ··· » افلو حذف « هو » من الجملتين الما كاننا اخف وارشق؟ — وفي ص ٧٠٠ « في العهد العباسي اي في اواخر العصر التاسع للمسيح » — فلنافسر العهد العباسي باواخر القرن التاسع للمسيح والذي نعلمه ان العهد العباسي يمتد من سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اي ٥٢٤ سنة · هذا فضلاً عن اننا لم نجد بين الاقدمين من استعمل العصر بمعنى القرن او مائة سنة · — ومما شق علينا فهمه قوله في ص ٧٠٠ « عربة خطأ محض (بالتركية) لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعلها المراد (ارابه در) اهـ ·

فهذا كلام يدلك على ان اللفظـة التركية هي (ارابه در) · وهذا امر مضحك · انما المعنى هو « ارابه » بالتركية ، لان « در » في اللغة التركية اداة وصل الخبر بالمبتدأ · ويقابله « هو » بلغتنا · والسلف يحذفونه فيقولون مثلاً « العلم نافع » لا العلم هو نافع — ومما لم يأنس بالنطق به فصحاؤنا قول حضرة الخوري في حاشية ٧٠٠ « مثل برنساء وما اشبه » — والذي ينطق به ائمتنـا وما « اشبهه » (راجع لغة العرب ٧ : ٥٥٥) لترى سبب هذا التعبير) ·

ومن الغاز كلامه هذا التعبير : « وهذا يؤكد ماسبق وقلته لااظن العربة ··· » ولعل هناك غلط طبع اذ الصواب « ماسبق وقلت » او « ماسبق اذ قلت » · او اشباه ذلك ·

ومما لم نفهمه قوله « من اعتـاد الحرب (ص ٧٠١) أفيريد من عتاد الحرب (بلا همزة في الاول) اوأعتد الحرب اوعتد الحرب » ؟ فاذا كان هذا هو المطلوب فلماذا كل هذا التحذلق ؟ — وفي تلك الصفحة : « ولما كانت العجلات ··· فقد توسطوا » والصواب حذف الفاء من الجواب إذ لا يتلقى جواب « لما » بالفاء بخلاف « اما » فلعل تشابه اللفظين استدرجه الى الوهم · والاحسن ان يحذف معها « قد » ايضاً فيقول : «ولما

كانت ... توسعوا » — وفي تلك الصفحة كرر قوله وماشبه . — والصواب الاحتفاظ بالفضلة وان يقال : وماشبهه . — وضبط «ارامية» في تلك الصفحة بمدالهمزة والصواب بغير مد والاكتفاء بالهمزة المفتوحة اوان يقال « إرميّة » (وزان عنب بالنسبة والتأنيث) كما صرح بذلك صاحب القاموس — واحسن الاقوال إرَم (كعنب) لانها واردة في سورة الفجر .

ارسلنا بهذه الكلم على ما حضرنا ونحن اول من يتهم نفسه بالخطإ و يقر به اذا مارآه متبلجاً في سماء التحقيق الصاحية .

الاب انستانس ماري الكرملي
عضو المجمع العلمي

التذكرة الصلاحية

طالعت في الجزء العاشر (المجلد التاسع) من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق السيد (ف . كرنكو) في شأن الجزءين من تذكرة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندرة ووصفه ما احتو ياعليه من الفصول الادبية ، فأحببت ان افيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من « التذكرة الصلاحية » بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس — رقم ٥٠٦) .

ولا يخفى ان هذه المجموعة الادبية النادرة المثيل هي مبعثرة الاجزاء فالموجود منها متفرق بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودارالكتب المصرية وغيرذلك .

اما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في القالب الربعي يخرج في١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش « الجزء السابع من التذكرة الصلاحيــة ، للشيخ الامام العــالم العلامة خليل بن ايبك الصفدي ، وبآخره ما نصه :

تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ، وهو السابع من هذه النسخة ، والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا ان عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ فقد جمع ناسخنا كل

جزءين في واحد ، وخط هذا الجزء نسخي شرقي يرجع بحسب الظن الى القرن الثامن — عصر المؤلف — والنسخة جميلة مقروءة اعتنى بها صاحبها وان لم يسم نفسه .

واليك ما اشتملت عليه من الفصول ، بعد الافتتاح .

ص ٢ الى ٣٥ — رسالة القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الصاحب بهاء الدين بن حنا يعلمه بواقعة السلطان الملك الظاهر مع التتار .

ص ٣٦ الى ٤٣ — مقاطيع وقصائد شعرية للقاضي محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر المتقدم في اغراض شتى — وقد قال الصفدي عقب نقله لتلك الاشعار :
على انها قطرة من بحر زاخر ، ولمعة من معترض برق ما له من آخر ، ولو دُوّن نظمه وجمع لكان اجزاءً كثيرة في سائر الافانين ، ولقيل لمجموعه ما هذا ديوان بل دواوين ، ولقد رأيت بخط العفيف الميسري ناقل جوهره الثمين ، وحقيق لما نقل من احسانه وحسناته انه كاتب امين ، لانه كتب من نظمه ونثره مما نقله من مسوداته القاضي الاشرف ولد القاضي الفاضل ما عندي بمفردي منه خمسة عشر مجلداً فكيف ماهو غير ما في ايدي الناس وغير ماهو عندي ايضاً بخط القاضي الفاضل — رحمه الله — وهو خمسة عشر جزءاً مجلداً » .

ص ٤٤ الى ٤٩ — رسالة من تحرير القاضي الفاضل يفتخر و يباهي ويتبجح ويترجح ويتفسح و يتروح .

ص ٥٠ الى ٩٨ — جملة من مختار نظم القاضي الفاضل .

ص ٩٩ الى ١٠٧ — رسالة قوام الدين ابي طالب يحيى بن زيادة التي اصدرها عن الامام الناصر امير المؤمنين الى الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب .

ص ١٠٧ الى ١٠٩ — جواب القاضي محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر عن الرسالة المتقدمة وقد ضمنها فصول إنكار عليه .

ص ١١٠ الى ١٦٣ — نسخة الجواب عنها .

ص ١٦٤ الى ١٦٩ — المختار من كتاب الدعاء لابن ابي الدنيا (قال الصفدي) : اخبرنا سماعاً شيخنا الامام الحافظ العلامة جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن

ابن يوسف المربي بدمشق ثالث ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بدارالحديث الاشرفية الخ ٠

ص ١٧٠ — انشدني تاج الدين خليل بن ابراهيم بن احمد المصري عرف بالوجيزي بدمشق المحروسة ٠٠٠ سنة ٧٣٤ بالجامع الاموي ، قال انشدني لنفسه ابو بكر بن عثمان بن العجمي بالقاهرة ٠٠٠ شعر ٠

ص ١٧١ الى ١٧٣ — اشعار لابي اسحاق بن خفاجة ٠

ص ١٧٤ — ابيات من قصيدة علي بن محمد الايادي التونسي (معاصر محمد بن هاني الاندلسي) في وصف الاسطول ٠

ص ١٧٥ — ابيات من قصيدة المريسي (الشاعر الاندلسي) في وصف الاسطول ايضاً ٠

ص ١٧٦ — حكاية عن امير مصر موسى بن عيسى ٠

ص ١٧٧ — اشعار للرستمي وصدر الدين بن الوكيل وابن القروي ٠

ص ١٧٨ — شعر لابن قلاقس ٠

ص ١٧٩ الى ١٩١ وهو آخر الجزء — المختار من شعر ابن دانيال ٠

قال المؤلف عقب ذلك ، تم اختيار ديوان بن دانيـال بالديار المصرية في العشر الاواخر من رمضـان سنة ٧٣٦ ، والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله وكفى ٠

وهو نهـاية ما بهـذا الجزء ، وكنتُ أخبرتُ انه يوجد بالديار المصرية التونسية بعض اجزاء متفرقة من «التذكرة» فعسى ان اظفر بمطالعتهـا وبنشر برنامج فصولها في فرصة أخرى ، ان ساعد القدر ٠

عن المهدية (تونس) حسن حسني عبد الوهاب
عضو المجمع العلمي العربي

حول شعر بشار

جاءنا ثلاث رسائل من الافاضل الآتية تواقيعهم حول شعر بشار بن برد وجمعه نذكرها حسب ورودها .

لما لم يتيسر لي خدمة دمية القصر للباخرزي التي كنت أريدها منذ سنين فكرت في عمل آخر لخدمته فأشار صديقي العلام الاستاذ عبد العزيز الميمني الى عدة كتب خطية عني بنشرها ، منها نسخة (شرح المختار من اشعار بشار) المحفوظة بحيدر آباد الدكن من الهند واخترتها من بين الكتب المعرضة علي وارتضيتها لنفسي واستعنت برئيس جامعتنا الاسلامية الدكتور السيد رأس مسعود فاستعار لي النسخة من حيدر آباد واخذت اعمل فيها وهي شرح اشعار بشار بن برد اختارها الخالديان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمد . شرحها اسماعيل بن احمد بن زيادة الله التبرقي الافريقي . ولا اعرف وجود نسخة أخرى من هذا المختار او شرحه سوى هذه النسخة الحيدر ابادية وهي جيدة عتيقة يدل خطها على انها خطت في المائة السابعة من الهجرة وهي ذات اربعمائة صفحة لكنها مخرومة من الابتداء قد ضاع من اوراقها شيء يسير . ولم اجد ذكر الشارح في شيء من الكتب سوى ذكر اسمه في بغية الوعاة للسيوطي . الا ان شرحه هذا يدل على انه رجل كبير فانه يذكر اولاً ابيات بشار فيفسر كلماتها ومعانيها ثم يعارض كلام الشعراء الآخرين في مواضيع كلام بشار بعينها . وأريد ان اجمع اشعار بشار بقدر ما يتأتى لي الحصول عليه من الكتب والاسفار بعد خدمة هذه النسخة وان اجعل الاشعار المجموعة تذييلاً لها . ولا بد من هذا العمل اذ كنا نعم انه لا يوجد ديوانه وقد ضاع شيء كثير من شعره وانما يوجد منها ما يوجد في الكتب على سبيل الاقتباس . وحين نشر الشيخ احمد حسنين القرني ما جمعه من اشعار بشار كتب السيد محب الدين الخطيب في مجلته الزهراء انه أخبر بوجود نسخة من ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس لكنه لم يدر ان كان ذلك الديوان من تأليف المتقدمين او من صنع المتأخرين . فحين عزمت على خدمة شرح المختار كتبت الى الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ان يعينني في عملي و يخبرني بديوان بشار الذي عنده . لكن لم يصل الي جوابه بعد ، فلعل مكتوبي ما وصل اليه

والآن رأيت محاضرة في بشار بن برد للاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ذُكر فيها ايضاً ما كان ذكر في الزهراء من وجود ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب ، فأرجو من السيد الموما اليه الذي هو من اعضاء المجمع العلمي العربي ان ينظر في هذه السطور ويتفضل عليَّ بالاخبار عن ديوان بشار الذي عنده والاولى ان يكون ذلك الاخبار في مجلة المجمع العلمي .

الجامعة الاسلامية عليكره الهند : محمد بدر الدين العلوي

« بشار ايضاً »

قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلة محاضرة (بشار بن برد) للاستاذ المغربي فانتفعت بها كثيراً واذ كان بشار احد الشعراء المفلقين الذين غيروا الشعر العربي وحولوه الى طرق جديدة لم يسبق اليها احد قبله يلزمنا ان نفتش عن آثاره كلها التي بقيت . ولهذا السبب اقول ان في المكتبة السلطانية في حيدرآباد (في بلاد الهند) نسخة من كتاب قديم الخط عنوانه (المختار من شعر بشار) تصنيف الخالديين (ابي بكر وابي عثمان الشاعرين المشهورين) وقد طالعت هذه النسخة في مكتبنا في (علي كره) فوجدتها في غاية الجودة الا انه سقطت منها ورقة او ورقتان من اولها وقد عزم احد علماء جامعتنا عن نشرها ولكنه بطيء العمل بها . واذ كان مشغولاً بنسخها لم يمكني وصف النسخة كلها . ولكن وجدت فيها — سوى كثير من شعر بشار — ان المؤلفين قابلوا شعر بشار بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه او كانوا متأخرين . ولعل النسخة الموجودة في تونس التي ذكرها الاستاذ المغربي في محاضرته نسخة أخرى من هذا التصنيف نفسه .

علي كره (الهند) ف . كرنكو

عضو المجمع العلمي

« بشار بن برد »

قرأت ما كتبه الاستاذ المغربي عن بشار بن برد وقد كنت درست هذا الشاعر العربي درساً واسعاً وكان في عزمي ان اكتب عنه جملة من المقالات المتواصلة كما فعلت

في نشري المقالات العديدة عن المتنبي في جريدة (بيام صباح) وعن ابي العلاء المعري في مجلة (اجتهاد) ولكن الفرصة لم تسمح لي بذلك فبقي ما علمته عن بشار في صدري لم استطع رفع لواء دهائه عند الاتراك . ولا اجد من يفعل ذلك غيري ولا سيما بعد تحويل الاحرف العربية الى اللاتينية . والآن احببت بعد قراءة ما كتبه الاستاذ المومأ اليه ان اضيف الى ما ذكره او اكرر بعضه فاقول :

(١) ان اشعار بشار بن برد عشرون بالمائة منها هي من الشعر الجيد الذي لا يلحق غبـاره ولكن الباقي هو من الشعر الساقط الذي لا يليق ان ينسب الى شاعر كبير مثل بشار وهذا مخالف لأشعار المتنبي فان ثمانين في المائة من شعر هذا الشاعر العراقي السوري الكبير الذي ليس له ثانٍ وهو بكر زمانه والازمنة التي بعده — لا قياس بينه وبين بشار .

(٢) لم يجر الادب العربي على سنة النشوء والارتقاء ولكنـه مات بموت المتنبي وابي العلاء وكل شعر جاء بعدهما كان تقليداً ليس فيه شيء من روح البلاغة العربية والاسلوب الابداعي العربي بل كان من النظم لا من الشعر .

(٣) لا ريب ان بشار كان هجاءً سباباً شتاماً فاحش القول ساقط المبدأ ولكن لا ينبغي ان ينسب ذلك الى طينة رديئة جبل منها ودم فاسد سرى في عروقه منذ الولادة بل يلزم ان يسند الى المحيط الذي نشأ فيه والمحيط الذي ولد منه فالرجل ولد من والدين فقيرين وكان في منتهى قبح المنظر (فرد اعمى كما وصفه هاجيه) فكان الناس يسخرون و يستهزؤن به ويشتمونه وهو صغير وكان في نفسه النبوغ والاباء فكان يقابلهم بالمثل ونشأ على ذلك وشب وكل له مستهزيء شاتم فكان يشتم شاتميه حتى ان بعض الشعراء اختلس الشهرة لنفسه من هجاء بشار ولولا ذلك لما كان ذلك الشـاعر شيئاً مذكوراً . وقد قال بشـار عن نفسه « ان الناس يشتموني فلا احتمل حقارتهم فاشتمهم مكرهاً » وهي حقيقة يلزم ان تكون عذراً لبشار في كثرة هجائه الناس .

(٤) ان النوابغ لا يخلون من الهفوات والذلات بل هم اقرب الى غير التعقل من بالتعقل في اعمالهم وهب ان بشاراً هجا يعقوب بن داود الوزير بقوله :

بني أمية هبوا طال نومكمو ان الخليفة داود بن يعقوب

وهجا المهدي بقوله :

خليفة يرمى .... يلعب بالدبوق والصولجان

فهذا لا يستحق الموت بلا سؤال ولا جواب ولا محاكمة فقاتله ظالم والذي وشى به يستحق لعنة الله ولعنة العالمين على مدى الدهور ما دام في الدنيا اديب ينطق بالضاد . وقد كنت جمعت بعض الشذرات عن ضحايا التعصب من اعلام الاسلام وعزمت على كتابتها بشكل رسالة . وقد تعهد طبعها صديقي القديم الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولكن لم يسمح لي الوقت ولو كنت كتبت هذه الرسالة لكنت امطرت ناراً على قاتل بشار وعلى الوزير الذي وشى به وهذا هو الواجب على كل كاتب نشأ في العصر الحاضر .

(٥) ان اجتناب الناس تشييع جنازة بشار ليس بدليل على ان الناس كانوا جميعاً يكرهونه ويتمنون موته فما اجتنبوا التشييع الا خوفاً من حكومة الخليفة والوزير القاتلين . وهذا السلطان عبد الحميد — وهو اكبر السلاطين وكان الناس يعبدونه — لما مات لم يشيعه احد خوفاً من حكومة الاتحاديين التي اسقطته وجعلت التقرب اليه جناية لا تغتفر . وهذا هو سبب ضياع اشعار بشار . (الاستانة) زكي مغامز

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

الاصول العربية لتاريخ سورية

« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها الدكتور اسد رستم المجلد الاول الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٧ هجرية
طبعت في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ١٣٩

عنيت الجامعة الاميركية منذ عهد غير بعيد بهمة الاستاذ اسد رستم — احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية — بجمع ما تشتت من الوثائق السياسية وغيرها لعهد محمد علي الكبير . وانصرف جامع هذه الوثائق الى الاخصاء في هذا الفرع من تاريخ مصر والشام لمكانة محمدعلي من النهضة العربية الحديثة . وهذا الجزء هو النموذج الاول من النماذج الكثيرة التي تتبعه عقط عليها الباحثون في الاماكن الرسمية والخاصة ونشرها ناشرها كما كتبت حتى لا يتطرق التضليل الى نصوصها وتكون للمؤرخ مادة كالاصل لاتختلف عنها بحال . وقد تحرى ما امكن في وضعها وتمثيلها على هذه الصورة الجميلة فاستحق ثناء الآداب العربية . وقد قدم الناشر لهذا الجزء مقدمة ذكر فيها طريقته في النقل وأثنى على جميع من آزروه في عمله من رجال البلاد وغيرهم من القناصل والمحاكم الشرعية وغيرها . م . ك

معجم الادباء

« الجزء الخامس طبع في مطبعة هندية بمصر ١٩٢٩ »

نشر الاستاذ مرجوليوث في جامعة اكسفورد الجزء الخامس من كتاب ارشاد الاريب او معجم الادباء لياقوت الرومي في سنة ١٩١١ في مطبعة هندية بمصر واعاد الآن طبعه على الوضع الاول مشفوعاً بفهارس اسماء الرجال واسماء الكتب فاستحق بعمله ثناء العلماء والادباء . لا جرم ان توفر الاستاذ مرجليوث الانكليزي على نشر معجم الادباء

توفر الاستاذ وستنفيلد الالماني من قبل على نشر معجم البلدان لياقوت ايضاً من الاعمال العظيمة في خدمة التاريخ والادب العربي · وفي المعجمين من الحقائق عن العرب والاسلام مالا يكاد يعثر عليه الا في بطون الاسفار الكثيرة التي فقد بعضها · وقد قلنا غير مرة في هذه المجلة ان الفضل الذي يحرزه ناشر كتاب من هذا الطراز لا يقل عن فضل مؤلفه وابي عذره · ولطالما رجونا ان يتقيل بنو قومنا علماء المشرقيات من الغربيين في تحقيقهم وطول نفسهم لنشر آثار سلفنا · م · ك

اعمال غولدصيهر العلمية

Bernard Heller : Bibliographie des œuvres de Ignace Goldziher - Paris

نشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز هذا الكتاب في مئة صفحة ذكر فيه واضعه الاستاذ هللير من اعضاء مجمعنا في المجر ما خطته براعة العلامة المجري المرحوم السيد اغناطيوس غولدصيهر من الابحاث الاسلامية واليهودية ونشر باللغات المجرية والالمانية والافرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية · وهي أبحاث كثيرة منها ماصدر في كتب ضخمة ومنها مقالات ممتعة كتبها في المعلمات الغربية ومنها مقالات متفرقة في المجلات العلمية على اختلاف لغاتها وكلها تدور على ماصرف الاستاذ غولدصيهر حياته في تعهده من الابحاث المشرقية · وقد قدم العلامة السيد ماسنيون أستاذ كوليج دي فرانس بباريز لهذا السفر مقدمة رائقة في وصف اعمال العالم المجري مما لا ينهض بمثله بضعة من الاعلام · وعسى ان يكون في الاطلاع على مثل هذه الجرائد من اعمال العلماء في الغرب عظة بالغة للمشتغلين بالعلم في بلاد العرب ، يحتذون مثالهم ويطرسون على اساليبهم البديعة في البحث والدرس · م · ك

جغرافية العراق الثانوية

« تأليف الزعيم طه بك الهاشمي . يقع في ٢٧٩ صفحة من القطع المتوسط »

الزعيم طه بك الهاشمي اخ ياسين باشا الهاشمي الشهير هو من رجال العراق العاملين فان له عدة مؤلفات بعضها كبير الفائدة كهذا الكتاب الذي يبحث عن جيولوجية بلاد العراق وهوائها وسكانها وانهارها وبحيراتها وجبالها وطرقها في البر والانهار ، وسككها الحديدية ووسائل الري فيها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها ومرافقها الاقتصادية وصناعاتها وقبائلها وتقسيماتها الادارية الخ . وتتجلى قيمة هذا الكتاب في فائدته وفي صعوبة تصنيفه . فاما من حيث الفائدة فانه من خير ما يرجع اليه المهتمون لشؤون العراق الجغرافية . واما من حيث صعوبة تصنيفه فان من يقدم على الكتابة في هذه الموضوعات يحتاج الى السياحة في انحاء البلاد ومراجعة كثير مما كتبه العرب والاجانب في رحلاتهم ومطالعة الرسالات التي تضعها الغرف التجارية والزراعية ومصالح الزراعة والاقتصاد والقبائل والنفوس وبيت المال وغيرها . ولا يخفى ما في تمحيص ذلك من التعب .

ومما ورد في الكتاب ان مساحة العراق نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع وان سكانه يقدرون بزهاء ثلاثة ملايين نسمة فيصيب الكيلو متر المربع ثمانية اشخاص وهذا قليل ، وان ٧٩ في المئة من السكان هم عرب و١٦ اكراد و٧٥ ، ٢ فرس و٢٥ ، ٢ ترك ، وان من سكانه النصارى الكلدان واليعاقبة والنساطرة ، وان اليزيدية يبلغون نحو عشرين الف نسمة وان معظم اليهود يقطنون المدن وهم يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة .

وجاء فيه ان ثمن الصادرات من العراق سنة ١٩٢٧ بلغ ٦١ مليون ربية وثمن الواردات اليه ١٠٥ ملايين ربية فاذا صحت هذه الارقام ونسبة الصادر الى الوارد تكون حالة العراق الاقتصادية ارجح من حالة الشام قليلاً . ويظهر ان اهم ما يبتاعه العراق من البلاد الاجنبية هي المنسوجات القطنية والسكر ومواد المعادن والآلات والمنسوجات الحريرية والزيتون والشاي والاخشاب وغيرها . واهم ما يبيعها اياه التمر والحبوب والصوف والجلود والماشية والمنسوجات القطنية والمصارين . ويظهر ايضاً ان حظ بريطانية من صادرات العراق وارداته يكاد يبلغ الثلث وان العراق هو واسطة مهمة لنقل المتاجر بين الاقطار المجاورة

فان ثمن مايرد به على شكل « ترانسيت » يعادل ثمن صادراته تقريباً ·

وجاء ان من المعامل الحديثة معملاً للغزل والنسج في جوار الكاظمية بالقرب من بغداد ومعملاً للنسج وآخر للحدادة في الموصل ومعملاً للحاج في بغداد وآخر للحدادة ووضع السروج اسسته وزارة الدفاع وثالثاً للنسج والتجارة اسسته مصلحة السجون ورابعاً لتوليد القوة الكهربائية في بغداد وهو اجنبي ·

ولقد طلب المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب ان ينبه القراء الى مايعثرون عليه من الاغلاط لكي يتلافاها في الطبعات الآتية شأن المؤلفين الافذاذ الذين يسرون من اظهار هفواتهم (جل من لا عيب فيه) ولذلك رأيت من الواجب لفت نظره الى الامور الآتية وهي :

(اولاً) وردت في نضاعيف الكتاب الفاظ البالغ وعنة والفندق والاحراش والحبوبات والصنار والمكائن وصحيحها البليخ وعانة والبندق والاحراج اوالحراج والحبوب والدلب والآلات ·

(ثانياً) جاء في الصفحة ١٤٧ ان مالا يحتاج الى اسقائه في القسم الشمالي من العراق هي الكرمة وحدها مع انه يمكن زرع اللوز والتين وغيرهما عذياً في الارض الجبلية الكردية حيث الامطار تكفي لهذا الغرض ·

(ثالثاً) ذكر في الصفحة ١٥٢ ان البق ينقل جرثومة الملاريا على حين ان ماينقلها هو البعوض ·

(رابعاً) ذكر في الصفحة ١٣٦ انه اذا اتبعت خطة محكمة للري في العراق يكون بالامكان زرع مليارين او اكثر من الهكتارات · وهذا مستحيل لان مساحة العراق كله لا تزيد على ٣٧٥٠٠٠٠٠ هكتار ·

(خامساً) ورد في الصفحة ١٠٠ ان حلب هي على ضفة الفرات اليمنى مع انها تبعد عنه اكثر من ٨٠ كيلو متراً من اقرب طريق ·

(سادساً) خص لفظة الغنم بالضأن على حين انها تطلق على الضأن والمعز ·

هذا مارأيت ان انبه المؤلف اليه ولا بد من لفت نظره الى ضرورة تجويد لغة الكتاب وتجويد طبع المخططات واستعمال المقاييس والمكاييل العشرية بدلاً من الانكليزية وكذا

درجات الحرارة المئوية بدلاً من درجات فارنهيت (وان كان الانتداب في العراق انكليزياً) فشتان بين الاولى والثانية ·

وبعد اننا نشكر للسيد الزعيم هديته ونتمنى ان يكثر في القطر الشقيق امثاله من الرجال الذين يخدمون بجدهم امتهم ولغتهم ·

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

الادب العربي
« في المغرب الاقصى »
[تصنيف السيد محمد بن العباس القباج]
— جزآن صغيران —

ذكر فيهما المؤلف تراجم شعراء المغرب الاقصى في هذا العصر ، وأثبت فيهما صورهم ، ومنتخبات من شعرهم ·

لمّح السيد محمد بن العباس القباج الى تنبه الفكر في الشرق العربي ، والى امتداد صدى هذا التنبه الى المغرب الاقصى ، والى ما نشأ عن هذا الصدى من انقلاب في الأفكار والاساليب ، حتى عمل الادباء قرائحهم في نفع الامة وصلاحها ·

جعل أدباء المغرب الاقصى ثلاث طبقات :

طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون الادب الماضي في مذاهبه ·

وطبقة المخضرمين الذين اخذوا من الادب الماضي بنصيب وافر ، واقتبسوا معاني أدب هذا العصر ·

والطبقة الثالثة انما هي طبقة هذا العصر ، عصر الطيارات ، والسيارات والكهرباء·

هكذا رتّب المؤلف كتابه ·

اما الشعر الذي وقع نظاري عليه في هذين الكتابين فهو مختلف المذاهب ، فمن التغني بايام الصبوة ، الى الحنين الى الوطن ، الى المراثي الى النسيب ، الى الاماديح ، الى وصف الطبيعة ، الى شعر وطني ، الى استفزاز الشباب ·

ان كان في هذا الشعر شيء يسرّ القلوب ، فما هذا الشيء الذي يسرّ الا تنبه الشعور في المغرب الاقصى ، فان بعض الشعراء اخذوا يشعرون ولو قليلاً بان لهم وطناً يتغنون به ، اما بقية مذاهب الشعر في المغرب الاقصى فليس فيها شيء من رونق الجدّة والحداثة ، فالادب العربي في عصرنا هذا قد انتقل من طور الى طور ، وقد شعر بذلك بعض ادباء المغرب الاقصى ، فلا بد لهم من الانتقال في ادبهم الى هذا الطور الجديد حتى تظهر على شعرهم آثار خيال طريف ، وصور حديثة ، وليس معنى هذا انه يجوز لهم ان يقطعوا الصلة بينهم وبين شعراء العرب المتقدمين في الجاهلية والاسلام ، وفي زمن بني أمية وبني العباس ، فما يكسبهم المتانة في ادبهم الا الحرص على الآثار القديمة ، فشعرهم ينقصه شيء من هذه المتانة العربية ، وينقصه شيء من مطابقته لروح هذا العصر .

فاذا سرنا الادب العربي في المغرب الاقصى من حيث تنبه رجاله في هذا العصر فاننا نأمل ان يسرنا من النواحي كلها ، من ناحية حرصه على المتانة العربية ، ومن ناحية موافقته لروح العصر حتى يكون تنبه الشعور والفكر في تلك الربوع الكريمة متكاملاً من جميع الوجوه ، وحتى لا يبقى الفرق عظيماً بين الادب العربي في المغرب الاقصى وبين الادب في مصر والشام وسائر الاقطار العربية .

شفيق جبري

الجزء ٤ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ ١١٢

تصنيف الاحياء

« والفاظه العربية »

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الألفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على اقسام تلك الاحياء مع مقابلها بالانكليزية . وبعد ان امعنت النظر في تلك الألفاظ وجدت ان الدكتور المحترم شذَّ في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل الدكتور العلامة بوست في كتاب « مبادئ علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيد يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب التاريخ الطبيعي وكبار مؤلفي الترك في كتبهم ، دع غيرهم وهم كثير ممن لم نقرأ تصانيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما لهذا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الأسطر الموجزة .

يوجد بين الاحياء افراد تتشابه في خلقها وتحليتها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكأفراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكوّن نوع الضأن كما ان مجموع نبتات الحنطة تكوّن نوع الحنطة . وقد ميز الانسان الأنواع منذ ازمان متوغلة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمي كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نعجة

واذا رأى سنابل من الحنطة سمى كل نبتة منهـا حنطة ولم يسمها شعيراً · فالضأن نوع والبقر نوع وكذا كل من الحنطة والشعير وهكذا · ويطلق الفرنسيون لفظة (Espèce) على ما اسميناه نوعاً · وكل رأس من الضأن او كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً و بالفرنسية (Individu)

قلت ان الحنطة نوع · ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون لعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسال لكنها كثيراً ما تتبدل اوتزول مع الزمن · فهذه الافراد هي من صنف او ضرب واحد كالصنف الحوراني من نوع الحنطة وكالصنف الحموي من المشمش الخ · والصنف بالفرنسية (Variété) وقد اطلق عليه العلامة صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب البقول وكتاب الدواجن · لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً أخرى كما سيجيء · وقد أوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية · وهو يحفظ صفاتها بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القضبان والعُكُس (جمع عكيس وهي الترقيدة) ·

ورب اصناف في الحيوان خاصة تأصلت فيهـا الصفات ورسخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل مادام افراد هذه الاصناف يسفد بعضها بعضاً دون ان تنزو عليها افراد من صنف آخر فتهجنهـا · فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمى عرقاً (او سليلة) و بالفرنسية (Race) كعرق العراب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ · وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الألفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما سترى ·

يتضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عروقاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مربض وخمسون شجرة من المشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علمياً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانيـة خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع المشمش · فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع ، فلننظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات ·

اذا القيت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتها متشابهة في كثير من صفاتها فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد · وكذا نوع الإبل ذوات السنام

الواحد ونوع الإبل ذوات السنامين . والجنس هو بالفرنسية (Genre) . وقد وضع العالم الطبيعي لينيوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء . ذلك انها لما كانت تسمى جميعاً باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمي) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركباً من لفظتين الاولى منهما تدل على الجنس والثانية على النوع . فنوع البقر مثلاً هو (Bos taurus) ونوع الجاموس (Bos bibelus) فترى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما إذن من جنس واحد .

ثم يجب ان يجمع الاجناس شيء فهذا الشيء هو الفصيلة وبالفرنسية (Famille) فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبيل اطلاق اسم البعض على الجميع) والحنطة والشعير والذرة والأرز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة تدعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل .

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من اجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة وبالفرنسية (Tribu) . فما يأتي فوق الجنس هو اذن القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة . وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل .

ثم هنالك المتشابهات من الفصائل فانه يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الإبل مثلاً فان انواع كليهما تجتر ولذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية (Ordre) .

وبعد الرتبة يأتي الصف (Classe) وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وأكالة الحشرات وأكالة اللحوم وذوات اليدين (الانسان) وغيرها من الرتب ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتبة النجيليات وغيرها .

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة (Embranchement) مثالها في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف

الزاحفات الخ . وفي النبات شعبة ذوات الازهار فان فيها صف ذوات الفلقة وصف ذوات الفلقتين .

وليس فوق الشعبة شيء سوى دوحة النبات ودوحة الحيوان .

يستنتج مما ذكر انه اذا كان لديك جاموسة بلدية مثلاً قلت انها فرد من العرق البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة المجترات وصف ذوات الثدي وشعبة ذوات الفقرات . ولا يجوز ان تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القارئ وضاعت الفائدة من التصنيف فلم يعد ذلك القارئ يعرف في اي حلقة علمية يجب ان يضع النبات او الحيوان المبحوث عنها .

فالاوربيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل ومجموع تلك الألفاظ بالفرنسية من فوق الى تحت هي :

Espéce , Genre, Tribu , Famille , Ordre, Classe, Embranchement
Individu , Varieté , Race .

اما نحن فقد ركب كل منا هواه وراح يترجم هذه الالفاظ بما يراه وسببه كون التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين او عند من تقدمهم من الامم ، فلفظة نوع مثلاً تراها في الكتب العربية القديمة تدل على معان شتى من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها . وهكذا لفظة جنس وغيرها .

وهاك ما وضعه بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع :

(اولاً) الدكتور بوست في كتاب مبادئ علم النبات : الرتبة ، الصف ، (لم اجد شيئاً مقابل Ordre) ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم اجد شيئاً مقابل Race) ، التباين ، الفرد .

(ثانياً) الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات : القسم ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم انتبه لما وضعه مقابل لفظة Race) ، التباين ، الفرد .

(ثالثاً) الدكتور صروف في المقتطف : كان يستعمل الفاظ الدكتور بوست

ويخطيء الذين يشذون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس . وقد كان يرى ان اصلح لفظة تترجم بها (Variété) هي لفظة صنف .

(رابعاً) اكبر مؤلفي الترك وهم متفقون على هذه الالفاظ وهي : الشعبة ، الصف ، الفرقة (اوالرتبة) ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، التنوع ، الشخص (او الفرد) .

(خامساً) علي رياض في كتاب علم النبات . القسم ، (لم اجد ما اورده مقابل لفظة Classe) ، الرتبة ، الفصيلة، القسم، الجنس،النوع ، (لم اجد مايقابل لفظة Race) الصنف ، المفرد .

(سادساً) الدكتور محمد شرف في المقتطف : القبيل ، القسم ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، السليلة (اوالشعب) ، الضرب ، الفرد .

(سابعاً) ما اوردته في كتابي البقول والدواجن[1] : الشعبة ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، الصنف ، الفرد .

هذه هي الالفاظ التي وردت مقابل الالفاظ الفرنسية على التتابع . ومن البديهي انه يوجد هنالك اقسام اخرى في التصنيف كتحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي تجمعها الشعبة وكتحت الصف او ردف الصف الخ . ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير متفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لاتهمنا كثيراً اماالذي يهمنا فهوان نتفق نحن على الفاظ عربية ثابتة نترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات . و يستبين مما ذكرت اننا جميعاً متفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية (Individu و Espéce و Genre، Famille و Ordre) اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها بايجاز ولنبدأ بالاساس اي بلفظة (Embranchement) فقد خالف فيهـا الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسماها القبيل وسميناها الشعبة وقال ان القبيل هو اول قسم من

(١) ذكرت خلافها في كتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب «الاشجار والانجم المثمرة » للفوضى المنتشرة في هذا الصدد .

التفصيل وانه بمنزلة الجذع من الشجرة . فنحن لا نوافقه على رأيه هذا لان للشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشُعَب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعب او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيها ترجموه حرفياً بالمملكة النباتية والمملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة تترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي تطلق في اللغة على اغصان الشجر الغلاظ وعلى الطائفة من الشيء وتستعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبيل التي لا تفيد معنى التشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين .

ولنهبط الى الحلقة المسماة (Classe) فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا بحضرة الدكتور يخالفهم كلهم و يترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لاسيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمي الـ (Sous-classe) صفاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف » .

ثم انهبط الى الحلقة المسماة (Tribu) فقد وضع لها العلامة بوست لفظة سبط وترجمها الباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان وربما كانت الثانية اصلح .

اما لفظة (Race) فانها تدل على الصنف او الضرب الذي تأصلت صفاته ورسخت وثبتت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقرها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اي من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سليلة التي وضعها الدكتور محمد شرف فمعناها في اللغة البنت ولست اراها موافقة وكذا لفظة الشَعْب التي خص بها الانسان اليوم فصارت الآذان لا تألف مثل قولنا « شعب البقر البلدي او شعب الكلب السلوقي ... » . ولدي كتاب مؤرخ في ١٩ آذار ٩٢٥ كان وجهه الي العلامة الفقيد الدكتور صروف و به يقول انه يرجح رفع لفظة عرق من احدى مقالاتي في الخيل العراب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق (Race) هو الصنف (Variété) الذي تأصل وانه من الضروري التفريق بين المعنيين اقر لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة (رس) استعملها

العلامة اللغوي الأب انستاس الكرملي لهذا المعنى ولا اظن هذه اللفظة تساوي لفظة عرق .

وقد اجاد الدكتور محمد شرف بانتقاء لفظة ضرب مقابل لفظة (Variété) . وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذه المعنى في غير مكان من كتبي لكن لفظة صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لااظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين . ومما ترجحان بنظري على لفظي التباين والتنوع .

وهنالك لفظة (Hybride) التي لم نبحث عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تسافد حيوانين ينتسبان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ .

وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النغل والخليس والهجين والبيسر . فانا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الالفاظ للدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين منتسبين لعرقين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الاب من عرق الخيل العراب والام من عرق البراذين او الأكاديش . وهو ما يسميه الفرنسيون (Métis) ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد (Croisement) . فانا أرى ان الولد المذكور هو الهجين بعينه وهو ايضاً الخلاسي وطريقة الضراب هي التهجين . اما الهبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل(١) . ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته كودناً او نغلاً مع العلم بان النغل في اللغة ليس سوى ابن الزنية .

وبعد لقد كثرت الآراء في الألفاظ العربية التي يجب استعمالها لحلقات تصنيف الاحياء حتى انني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأباشر طبعه عن قريب ، العبارة الآتية وهي : اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حتى) فانا أقول (أموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات ...)

---

(١) راجع ما نشرته في هذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٧٢ من المقتطف والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا أخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلمية عامة حتى تصح عزيمة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعو اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة ، وهناك في حضرة ارهاط العلوم والفنون واللغة تثبت الالفاظ للمعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بعدئذ ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الالفاظ التي ثبتت دون غيرها . فهل تظنون اننا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر .

دمشق : مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

- ٤ -

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن قال كنت اخط بين يدي ابي العباس بن الفرات في اول وزارة عبيدالله بن سليمان واتحقق به لان ابي اصطنع اباه (١) وكنت اشرب معه . فكنا ليلة على شراب وقد جرت الاحاديث فحدثنا باخبار عدة من الكتاب والوزراء كانت فيهم حدة . وقال كان أحمد بن الخصيب يركل المتظلمين . وكان ابو عباد ثابت بن يحيى يضربهم بالمقرعة اذا كان راكباً . وكان احمد بن ابي خالد يشتمهم .وعد جماعة . قال وكان في ابي العباس حدة وسفه لسان. فسمعنا ذلك منه ولم نقدم على موافقته . فلما كان من غد ركب وانا معه في السحر . فلقيه في الطريق اهل سمطيا (٢) يتظلمون من عاملهم في شيء ذكروه . فصاح عليهم وشتمهم . فتقدم اليه احدهم فألح عليه في الكلام . فرفسه برجله من الركاب وقنعه بالمقرعة وبصق عليه . فذكرت الحديث الذي حدثنا به من ليلته فضحكت . فسمع قهقهتي فالتفت مبتسماً وقال من اي شيء ضحكت يا عيار ؟ ، فقلت زدتنا نذقة (٣) ياسيدي في ذلك الحديث الذي

«١» م . ع لعله اباه. «٢» لعله سمسطيا . م . ع الذي في ياقوت سبسطية مدينة قرب سميساط من اعمالها على اعلى الفرات.والمشهور انها بلدة من نواحي فلسطين.ولم نجد بالميم الا سمسطا قرية بصعيد مصر. «٣» كذا في الاصل ولعله نزقة .

جرى البارحة . فقال اوقد حفظته ؟ قلت نعم . قال : فقال لي سليمان بن الحسن سمعت دفعات لا احصيها ابا العباس ابن الفرات وقد احتد طبعه على قوم غضب عليهم وكان يقول للواحد منهم يا ابن مائة الف كر خردل مضروبة في مائة الف مثلها زواني.تشاغل بحساب هذا فهو انفع لك .

قال ابو الحسين وما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد بن العباس فانه كان لايرد لسانه عن أحد البتة . وكان اذا غضب شتم . فمن ذلك ان ابي حدثني انه كان بحضرته في مجلس حافل . فجاءت ام موسى القهرمانة فقالت له ان امير المؤمنين امرني ان اقول لك في مجلس حفلك ان ابن الفرات كان يحمل اليّ خريطة في كل يوم فيها الف دينار والى السيدة عشرة آلاف دينار في الشهر والى الامراء والقهارمة خمسة آلاف دينار في الشهر وانك قد اخللت (١) منذ اربعين يوماً . فقال لها في جواب ذلك الساعة قد جئت حادة محتدة تطالبيني بهذا اضرطي والتقطي . واحذري لا تغلطي. قال فقامت خجلة وكان ذلك احد اسباب سقوطه عندهم وغلبة علي بن عيسى على الامور ، ومن ذلك انه استحضر ابن عبد السلام العدل يطالبه بوديعة سُعِيَ بانها عنده لابن الفرات وان يحي بن عبدالله الدقيقي ابا زكريا قرابة ام كلثوم قهرمانة ابن الفرات اودعته (٢) ذلك فجرى الخطاب بينهما في ذلك وعلي بن عيسى حاضر والخلق من القضاة والاشراف والاولياء وكنت فيهم وانا حدث مع ابي . فقال له هذا الدقيقي ابن البظراء قرابة ام

« ١ » م . ع الظاهر انه من اخل بالشيء اذا قصر فيه . « ٢ » الصواب اودعه .

كلثوم العقلاء تعرفه؟ فقال: العدل الوزير اعزه الله اعرف به مني. ومن ذلك انه قال لابن الحواري في دار الخليفة وام موسى حاضرة ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة في حديث جرى بينهما: قد نلت امه مرتين. فقالت ام موسى ويلي اي شيء هذا واستحيا. وقال لابن الحواري: نحن في السواد اذا غلبنا خصومنا قلنا قد نلنا امهاتهم. ومنها انه استحضر الوليد بن احمد بن اخت الراسي ليطالبه بمصادرة قد وقف عليها عشية (ليلة)(١) عيد اتى عليه في وزارته ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد فأتى بالرجل بجبة صوف فلما رآه علي بن عيسى وكان حاضراً قال ان رأي الوزير ان يخليني واياه لاخاطبه واقوده الى امتثال امره. فقال افعل، واستدعاه اليه وجعل يساره وكان علي ابن عيسى قريباً في(٢) المجلس من حامد، فسمع عليه ما يخاطبه به. فسمع الوليد يحلف قليلا قليلا ما بقيت لي حيلة. فقال لعلي بن عيسى يا ابا الحسن يلذني الساعة أن أنيل أمهذا. فقال علي بن عيسى اللهم غفراً إي والله أيّ لوءم. قال وكان ابن عبدوس الجهشياري الذي الف كتاب الوزراء قائماً على رأس علي بن عيسى لانه كان يحجب ابا الحسن وكان ابوه من قبله مضموماً اليه رياسة الرجال برسم علي بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضاً. قال فتنحى ابن عبدوس من مكانه وقال لعن الله زماناً صرت انت فيه وزيراً. ومنها انني سمعته وقد اجتاز على باب دار كنا ننزلها بشارع الكوفة اذ ذاك وانا قائم على الباب وقد اتفق انه كلمه في الموضع قوم من اهل بادوريا في خراج

«١» مشطوب بالاصل. «٢» بالاصل من.

النخل الشهريز وا كثروا انهم يبيعون المائة رطل منه وهي حمل نخلة بدرهمين وخراجها ثلاثة دراهم وانهم يمنعون من قلعه . فاما اذن لهم في ذلك واما خفف عنهم من الخراج . قال فصاح عليهم وقال ليس لي في هذا نظر قد صار النظر في هذا وشبهه الى علي بن عيسى فامضوا اليه . قال فانصرف القوم وسار خمس خطى او نحوها ثم وقف وقال ردهم فردهم الرجالة فقال لهم كأني بكم وانتم تمضون الى علي بن عيسى وتقولون قد احالنا الوزير عليك واجابنا . وأمي ان كنت اجبتكم الى هذا زانية وامكم ان قلتم هذا زانية وام علي بن عيسى إن اجابكم الى هذا زانية . ثم سار متوجهاً الى بستانه المعروف بالناعورة ليتنزه . ومن ذلك انه كان يجتمع مع علي بن عيسى في دار الخليفة لما ضمن حامد في وزارته السواد وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه ومطالباً له فيتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة فيعدل هو به الى السب والسفه . فيقول له علي بن عيسى سلاماً سلاماً . يريد بذلك قوله الله تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » فلما كثر ذلك على حامد قال له يوماً عقيب سفه(١) جرى عليه معه كم تذكر سلامة الذي ينيل اختك اسماء . فقام علي بن عيسى وقال ما بعد هذا شيء . وتجنب مخاطبته بعد ذلك . وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقتدر انا والله نلت هذا مرتين وهو امرد .

حدثني ابو الحسين قال : رأيت ببغداد في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وابي وانا مستتران في الكرخ طوافاً يصيح ويقول انظروا الى قدرة الله

«١» م . ع كذا في الاصل وفي المصباح . قولهم عقيب بالياء لا وجه له فليراجع .

في رأس بقرة برأسين واربع اعين فرأيت ذلك كما وصف.

وحدثني ابو الحسين قال: سمعت ابي يقول لما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة الاولى لم يبدأ بتقليد احد قبل ابي العباس احمد بن محمد بن بسطام. وكان مقيما في مصر على عطلة فكاتبه باجلّ مكاتبة وقلده أعمال مصر وزاده في الدعاء. وقال: هذا رجل قد جرت له عليّ رياسة والرياسة دين لا يقضى. قال ابو الحسين وسمعت انا في الوزارة الثالثة ابا الحسن بن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال يتمعضني (١) الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الاعمال على آل بسطام وآل نوبخت والله لولا انه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدتهم لما استعملت في الدنيا الا آل نوبخت دون غيرهم. قال ابو الحسين: وانما كان يتعصب لآل بسطام رياسة (٢) ابي العباس عليه وللمذهب ويتعصب لآل نوبخت المذهب.

حدثني ابو الحسين قال سمعت جماعة من مشايخ الكتاب يقولون كان المتضد اذا نكب رجلا من جلة العمال ورؤسائهم وكل به من يحفظه من قبله ولم يمكن عبيد الله من نفسه وربما امر بصيانته وشدد الوصية في امره من غير توكيل به من جهته ولا اطماع في المال وكان اذا وكل به يظهر ان التوكيل للمطالبة وزيادتها والتشدد فيها لا لحفظه نفسه فيطمع العامل. قال وكان يقول هؤلاء اكابر من العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية وعرفوا اقطار البلاد هم اركان الدولة واعضاد الوزارة والمرشحون لها. فان

«١» م. ع لعله يمضغني اي يتناول عرضي ويعيبني. «٢» لعله لرياسة.

لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الامر واثر فيه·

حدثني ابو الحسين علي ابن هشام قال حدثني ابو منصور عبد الله بن جبير النصراني كاتب ابن الفرات ·قال لما تنكبت (٢) بنكبة ابي الحسن ابن الفرات بعد الوزارة الاولى سلمت الى ابي الحسن علي بن احمد بن يحيي بن ابي البغل يحتبسني عنده .وكان يطالبني بالمال فادفع عن نفسي الى اذ احضرني يوماً فخاطبني في المال فلم اذعن بشيء فدعا بمزين وامره ان ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي فلما نتف منه طاقات يسيرة كدت اتلف وقام هو وقال اذا نتفتم ربع رأسه فعرفوني فلما قام رشوت الموكلين فحلقوا باقي الربع من رأسي ولم ينتفوا واعلموه انه قد نتف فامر ان يقير الموضع النظيف من رأسي بقير حار فجاؤوا بالقير فوضعوه على رأسي ولم يكن مفرط الحرارة لانه (لو) كان مفرطا لاتلفني لا محالة .فحين احسست بحمي القير قامت قيامتي وكدت ان اتلف فاذعنت بالاداء واقررت بسبعين الف دينار ودائع لي وكنت التزم تسليمها اليهم .فاخذت في اليوم الثالث فلما كتب خطي بتسليمها امر بالزيت فطلي به رأسي وقلع به القير من رأسي ففرغ «١» شعري الى الآن ·

حدثني ابو الحسين (١) قال انصرفت من عند ابي عبد الله نفطويه وقد كتبت عنه اشياء فجئت الى ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج فقال لي ما هذا

«١» م .ع كذا في الاصل ولعله نكبت «٢» م .ع لعله فقزع شعري اي حلق وبقيت فيه شعرات. «٣» معجم الادباء ١ : ٣١٤.

الدفـتر فأريته اياه وكان على ظهره مقطوعتان فانشدنيهما نفطويه لنفسه. فلما قرأهما الزجاج استحسنهما جداً وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب وكان بحضرته . والمقطوعتان :

تواصلنا على الايام باق ولكن هجرنا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه على روعاته داني النزوع
كذا العشاق هجرهم دلال ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله ان نلق (١) غضابا سوى دل المطاع على المطيع

والاخرى :

وقالوا شانه الجدري فانظر الى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم

حدثني ابو الحسين قال حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب منهم علي بن عيسى والباقطاني وغيرهما قالوا حدثنا عبيدالله بن سليمان . قال : لما اصاف(٢) المعتمد بسرمن رأى وأمره اذ ذاك نافذ ومعه قطعة من الجيش وكان سليمان ابن وهب وزيره والموفق بواسط وعبيدالله بن سليمان كاتبه ـ طلب المعتمد من سليمان مالا يحتاله لداره وحرمه وخاص نفقته لا يعلم به الجند فدافعه بذلك . فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ ايام المعتز والى الآن اعمالاً متوالية منها الوزارة للمهتدي ومرة (٣) الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نبقى . او نلقى «٢» م . ع : لعله صاف وفي اللسان والتاج صاف بالمكان اقام به صيفاً واصاف دخل في الصيف. «٣» لعله : وإمرة الجبل.

صودرت وارید منك خمسمائة الف دينار . قال وورد علي الخبر فلشدة محبتي لخلاص ابي ما جنيت عليه جنـاية عظيمة بان صرت الى الموفق فقلت له لم يقدم المعتمد على ابي الا لبغضه لك وليس يحقد (١) علينا الا تمشية امرك واجتذاب الجيش اليك . فوعدني بتخليص ابي على مهل . فقلت ان اخرت الامر اسرع الى مكروهه وازالة نعمه . فقال ما تريد : فقلت تخرج عن ممك فتنتزعه من يده قسراً . فقال هذا يحتـاج الى مال ورجال وهو خليفة على كل حال ولا احسب الرجال يطـاوعوني (٢) على حربه . فقلت له عليّ المال والرجال . فقال دعني حتى افكر . قال ودافعني واعتقد فيّ اقبح اعتقاد ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته وتمكنه (٣) من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش . فلما عاودته قال يجب ان نقدم المراسلة بيننا وبينه فان انجعت وإلا كانت الحرب . فاخترنا للرسل (٤) صاعد بن مخلد وهو اذ ذاك من جلة أصحاب الدواوين . فاستدعاه الموفق من (٥) حضرته من سر من رأى فصار اليه وحمله رسالة الى المعتمد. فمضى واداها واصلح الامر مع المعتمد لنفسه . اشار على المعتمد باطلاق ابي عاجلا وضمن له إفساد رأي الموفق فيه وفيّ حتى يقبض علينا . فأقام ابي عند الموفق والوزارة اليه فدبر امر الموفق . ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق

«١» م.ع كذا في الاصل ولعل اصله يحقده او ضمنه معنى نقم ونحوه . «٢» م.ع حذف النون من هذا الفعل وامثاله للتخفيف وقد تكرر في مواضع كثيرة. «٣» م.ع كذا في الاصل. «٤» لعله : للترسل . م.ع :الاولى للتراسل او الرسالة. «٥» لعله . الى.

في الامر وأنفذ المعتمد ثقاته سراً الى الموفق بما لقنه به صاعد ولم يزل ينسج (١) الامر حتى تمت النكبة علينا .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عيسى اخو ابي عيسى واسمه احمد ابن محمد بن خالد . قال : سمعت أسماعيل بن بلبل يقول ما في الارض اشد جناية على الوزراء والرؤساء من اصاغر اسبابهم . ولقد قال لي راشد صاحب جيش الموفق كنت قد بليت بالنظر في امر إنزال الرجالة ومن يجري مجراهم وكنا نحتاج في كل يوم لذلك الى ستة آلاف دينار فما زالت تنقص بالاضافة الى ان قتصر على ما لا بد منه وكان ثلاثة آلاف دينار . واعتمد الموفق عليّ في ذلك لشدة اهتمامه به لاقوم به اذا لم يطلق المال عالي وجاهي وحيلتي فافقرني ذاك . وكان عبيدالله بن سليمان وأبوه وهما مقيمان بحضرة الموفق يقصداني ويريثان (٢) المال عليّ . فاحفظني ذلك عليهما . واقتصر (الى) على الفي دينار في كل يوم عاجلة والف بحوالات لا تروج . فكنت احتاج الى ان ارهن سيوفي وسروجي وادخل كل مدخل حتى اقيم الانزال (٣) ووقعا لي في بعض الايام الى جهبذهما ليث بمال من مال الانزال جعلاه من مال ضياعهما فتوارى ليث فبثثت الرسل في طلبه . فوجده بعض رجالتي فأوصل اليه التوقيع . فقال ماعندي للوزير ولا لابنه مال فقال له فاحتل ولو من مالك . فهذا امر مهم للامير ابي احمد . فقال وأيش لابي احمق عندي

«١» م.ع : يقال نسج الزور لفقه وزوره . «٢» م . ع : لعله يرتبان . «٣» م.ع الانزال الارذاق والاقوات .

فجاءني الراجل بالخبر فحملني الغيظ عليهما الى ان شكوت الى الموفق هذه الحال وقلت قد قال كلاماً لا يجوز اعادة مثله قبحاً (١) عليك . فطالبني باحضار الرسول فاحضرته . فأمره ان يحكي الكلام فخاف الرسول فأرهبه فأعاده عليه بعينه من غير كناية . فقال (صدق ليث او لم اكن ابو (٢) احمق لما تركت عليه وعلى اصحابه الاموال حتى تنظر فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما . فقال لي الموفق اريد ان تلزم اصحابك طلب ليث وتظهر انه بسبب هذا التوقيع وتبث الرجالة حتى اذا حصل قبضنا على اصحابه ؛ فأنفذت عدة ولم ازل اجتهد حتى حصل . وجاء سليمان وعبيد الله من غد للخدمة على الرسم فشوغلا «٣» في الدار الى ان حصل ليث فلما حصل قبض عليهما وانفذ الى صاعد من احضره فتقلد الامر وسلم اليه ليث. قال راشد صرت الى صاعد مهنئاً له بالوزارة . فقال قم بنا لاريك العجب . فقمنا وخلونا ودعا بليث ورفق به . فلم ينفع الرفق. فقال عليّ بحبش غلامه فجيء به فضربه بمقارع يسيرة . فقال انا ادلك على بئر المال . فقال لليث هذه البئر مالك او مال اصحابك؟ فقال بل مالي انا رجل تاجر. فأخرجوا من البئر ثمانين الف دينار. واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة . فكانت تلك احد «٤» ما قوي طمع الموفق في آل وهب واستئصالهم

حدثني ابو الحسين قال كنا في مجلس حامد بن العباس وهو وزير

«١» م . ع لعل الاصل قال كلاماً قبيحاً لا يجوز اعادة مثله عليك . «٢» م . ع ابو مرفوع على الحكاية . «٣» م . ع : كذا في الاصل ولعله شغلا . «٤» م . ع : الاظهر احدى لتطابق تلك .

وكان يحدث في مجلس العمل كثيراً . فسمعته يحكي. قال قال لي صاعد بن مخلد : لما قلدني الموفق وزارته شرطت عليه ان لا ادخل في مكاره سليمان بن وهب وعبيد الله ابنه ولا اطالبهما ولا انظر اليهما في مال ولا وديعة . وقلت للموفق: سليمان اصطنعني ورفع حالي وصرفني وما دخل قط لي في مكروه ولا دخلت لهما في مثله. ولم اجب الى التقلد حتى صافحني ان لا يلزمني ذلك . فلما تقلدت وخلع علي خاطبني في امرهم «١» بعد ايام وذكر ضيق المال الا من جهتهم. فقلت الشرط املك وانت قادر ان تنصب لهذا كاتباً وتديره بنفسك وبمن ترى من حاشيتك . فعاودني دفعات وانا ممتنع حتى مضى شهر من تقلدي . فلما رآني على هذه الحال راسل سليمان وقال له ان صاعداً غرني من نفسه وضمن لي القيام بالامور وقد بلح «٢» وليس يذهب ولا يجيء وهو عدو له وعدو ابنك وهو سمى بكما فاضمنه مني واذكر لي ما عليه من الاموال وما في جبه ومعايبه والحجج والتطرق «٣» عليه وعلى املاكه . وكان سليمان محنكاً مجرباً فاعاد الجواب عن الرسالة باني إن كنت موثوقاً بي فلا تحتاج الى ضماني لاني انصح واستقصي على كل من يجب عليه حق للامير ان اعادني الى خدمته ودافع عن كتب الرقعة ، وعلم انها حيلة عليه لامتناعي من مكروهه حتى يجعل الرقعة (حجة) عليه عندي ، فانفذ الموفق الى عبيد الله

«١» م . ع كذا في الاصل والاولى في امرهما . «٢» م . ع بلح الرجل أعيا وبلح الغريم أفلس او لعل صواب العبارة « ضمن لي القيام بالاموال وقد بلح » اي لم يكن عنده مال يفي منه تلك الاموال . «٣» م . ع قال في اللسان . تطرق الى الامر ابتغى اليه طريقاً

مثل هذه الرسالة واستكتمه ذلك عن ابيه فكتب عبيد الله رقعة طويلة يسعى عليّ (١) فيها اقبح سعاية ويضمن بمال جليل ويثلبني ويتكلم بي. فلما وصلت الى الموفق احتفظ بها وغدوت عليه فخاطبني في تسلمهم ومطالبتهم فاستعفيت وأقمت على الامتناع . فقال اقرأ هذه الرقعة فلما قرأتها ولم يكن عندي اذ ذاك علم كيف جرت الصورة وانما انكشفت لي بعد ذلك المجلس قامت قيامتي وخفت على نفسي من معاجلة الموفق متى لم اعاجلهم ولم اشك ان ذلك القول صحيح من عبيد الله . وان الموفق قد انعم علي باطلاعي عليه فاستجبت (٢) الى تسلمهم وناظرتهم والزمتهم الاموال العظيمة واستمرت النكبة عليهم .

حدثني ابوالحسين قال سمعت اباالحسن علي بن عيسى يقول: سمعت عبيد الله بن سليمان يقول: لما دخل صاعد ابن مخلد علي وعلى ابي ليناظرنا ونحن في حبس الموفق قمنا وتلقيناه فخاطب ابي بجميل وأكرمه . وكلمني بقبيح وجعل لا يخاطبني الا باسمي . ويقول ياعبيدالله فلما اكثر عليّ آلمني ذلك فقلت له نعم انا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد نتصرف في خدمة السلطان منذ خمسين ومائة سنة ونتقلب في جلائل الاعمال . انت صاعد بن مخلد: مخلد من ابوه ؟ فكان هذا من اكبر ما حفظه علي حتى تناهى في مكارهي . وكان ابي يلومني على ذلك ويقول سبيل الانسان في المحن ان يتطأطأ لها .

«١» م . ع : المعروف سعى به الى الوالي وشى به . او ضمنه معنى نمّ فعداه بعلى

«٢» م . ع : كذا في الاصل . ولعله استجبت

ويذل لوقوعها . ولا يغالبها . ولم تكن نفسي تطاوعني على ذلك وكان من اضر الامور عليّ وكان الحزم مع ابي دوني .

قال ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي صاحب حامد بن العباس وخليفته قال لي حامد : كان صاعد بن مخلد اول من قلدني العمالة رياسة . فقال لي في بعض الايام احضر معي دار الامير الموفق . فحضرتها معه فجلس في مجلسه منها . واستدعى على خلوة سليمان ابن وهب وابنه عبيدالله وهما منكوبان . فرأيت سليمان وقد خرج بطيلسان وخف ومبطّنة وابنه حاف مكشوف الرأس على أذل صورة . فاكرم الاب واسمع الابن المكروه الى ان دعا له بالمقارع فاخذ سليمان يستعطفه كل الاستعطاف وهو لا ينثني ويقول له اذا صنتك يا ابا ايوب عن مثل هذه الحال فلا اقل من ان تدعني ننقم(١) من هذا الجاهل الفاعل الصانع . قال واقبلت المقارع تأخذ عبيد الله بن سليمان وهو يستعطفه . فلما زاد الامر قال له سليمان يا كافر يافاجر ما تستحي انا اصطنعناك واقعدناك هذا المقعد تضربه بين يدي سبة عليك. قال فاستحيا وامر بقطع الضرب فاضرب بعدها عبيد الله بحضرته . وواضع الموفق بعد ذلك على ان يكون الضرب بحضرته بايدي غلمانه في داره فحرض الموفق عليهما حتى نهكهما عقوبة وضرباً .

فحدثني ابو علي بن مقلة في نكبته بعد الوزارة الثالثة وهو في دار ابي بكر بن قرابة لمال يؤديه ضمنه عنه ابن قرابة وشكا ما عامله به الخصيبي من

«١» م . ع : لعله انتقم .

المكروه ثم قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول سمعت ابا القاسم عبيد الله بن سليمان يقول: أخرجت واخرج ابي في نكبتنا في بعض الايام بواسط الى حضرة الموفق وقد نصبت له سبنية (١) فجلس وراءها ونحن نعلم بذلك. ودعا براغب فأمره بضربنا. فضرب ابي نيفاً وعشرين مقرعة. ثم دعى بي فنوظرت. ثم امر بضربي. فالى ان يستدعي لي من يضربني قال ابي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت وما اقول ما اقوله دفعاً عن نفسي ولا عن ولدي وانما اقوله شفقة على الامير. فأعلمه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة امها فخُبط (٢) من ساعته. قال فوالله مامضى راغب ليؤدي الكلام حتى جاءت الرسل من عند الموفق بان يرفع الضرب عنا. وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبنية فما عاد بعدها علينا مكروه.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو زكريا يحي بن سعيد السوسي المعروف بخلف. ومحله في اليسار والجلالة والمكنة من السلطان والاشتهار بالدين والثقة والصدق والامانة وصحة الرأي (والمحل) — مشهور. وكان نصرانياً في حداثته فأسلم وحسن اسلامه. قال رأيت في منامي يعني بعد اسلامه علياً عليه السلام وكانه جالس ومعه جماعة من اصحابه وبالقرب منه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة. قال فسألته: فقلت يا امير

«١» م. ع: السبنية ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان اغلظ ما يكون وثياب من حرير فيها أمثال الاترج منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب. «٢» م،ع: يقال خبطه الشيطان وتخبطه مسه بأذى وافسده وخبله، وخبط العرق اضطرب.

المؤمنين ما عندك في ابي بكر وعمر ؟ فاثنى خيراً كثيراً . قلت فلم لم تجلس معهما فقال حياء منهما لما يعمل بهما الرافضة.

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه في مسجد الرصافة املاء في سنة ٣٠٨ . قال حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون ولم يسمه وكذا املى علينا . قال رأيت جدي يزيد في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قالا لك ؟ قال قالا لي من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فقلت ألي يقال هذا ؟ وانا اعلمه الناس منذ ثمانين سنة . فقالا لي نم نومة العروس فلا بوس (١) عليك . وعاتبني ربي على كتابي (٢) عن عثمان بن جرير . فقلت يارب عبدك وما اعلم الا خيراً . قال انه كان يبغض علياً عليه السلام .

حدثني (٣) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن بن الفرات قال دخل عليّ المقتدر يوماً وانا في حسبه (٤) في وزارة حامد . فقال لي يا ابا الحسن أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب ؟ فقلت نعم . قال اي شيء هو من الناس ؟ قلت عامل له محل ويفهم من الحساب شيئاً وهو من صنائعي ووجوه عمالي . وقد كان قبل تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي وهو من اهل بيت . قال فقال لي انه قد كتب

«١» م، ع : المعروف لا بأس عليك اي لا خوف «٢» م، ع اي كتابتي «٣» كتاب الوزراء لهلال ص ٨١ . «٤» م، ع هكذا في الاصل ولعلها الحسبة وهي اسم من الاحتساب ومنه محتسب البلد .

اليّ يخطب الوزارة ويتضمن (١) بحامد وبعلي بن عيسى . قال فقلت له: ولا كل هذا يا امير المؤمنين من هذا انما طمع في الامر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة ولعمري انها قد اتضعت بتقلده وطمع فيها كل احد . ولعمري انه فوق حامد اولاً في العفافة (٢) وحفظ اللسان والحساب والخط ولكن ليس لانه فوق حامد يجب ان يقلد الوزارة . ولا لان الغلط جرى في امر حامد يجب ان يقلد هذا وعلى (٣) انه قد غلط في ظنه انه يصلح لصرف حامد لان حامداً رجل قديم الرياسة في العمال وله مروءة عظيمة وضياع كثيرة وغلمان كثيرو العدد وله هيبة وسطوة وسن . ونشأ بعيداً من الحضرة فلم (٤) يستكشف اخلاقه وافعاله فاستتر امره عن اهلها وله كرم يغطي كثيراً من معايبه وترك الامر في يده ويد علي بن عيسى (اولى) ولا يلحق بعض كتابه فضلاً عنه واني لاقول الحق فيهما على عداوتهما لي. قال فأضرب المقتدر عن تقليده. قال هشام ثم تم التدبير لابي الحسن في الوزارة وصرف حامد . فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ابو احمد ذكر تلك الحال التي حدثه بها المقتدر . فهاب الحسن ابن محمد علي الامر ورآه بعين رجل بعيد الهمة وعرف تقلب (الامور) راى (٥) المقتدر فرأى ان يحسن الى الحسن بن محمد ويبعده عن الاعمال . فقلده الموصل واخرجه اليها صارفاً لابن حماد . فانتفع الكرخي بذلك المشروع .

«١» م . ع : يقال ضمنته الشيء فتضمنه غرّمه اياه فالتزمه ولعله يريد انه يلتزم استخراج المال منهما «٢» بالاصل الوزارة «٣» لعله: وعندي . «٤» م . ع : الاظهر تستشف «٥» م . ع : هكذا في الاصل ولعل الاصل ورأى المقتدر .

المحاضرة السابعة

الاسلوب (١)

مر بكم وانا الخص لكم مذهب « سانتبوف » في النقد ان الناقد ينبغي له ان يتجرد من نفسه في نقده فمن شرائط عبقرية النقد ان لايكون للناقد فن وان لايكون له اسلوب فاذا كان له شيء من ذلك صرف باله الى العناية باسلوبه فظهرت آثار فنه على الكلام الذي ينقده . هذا الطراز من النقد اسمه : النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التعرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان ينسلخ من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب اناتول فرانس فقال :

« النقد انما هو نمط من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تزاوله العقول الفطنة الطلعة وكل رواية اذا نحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف بقلمه فالناقد الحاذق هو الذي يفصح عن خوالج نفسه في تضاعيف روائع المؤلفات ، لا يوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد فن موضوعي وكل الذين يتبجحون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم فهم واهمون فالحقيقة ان المرء لا يخرج من باطنه ابداً وهذا من اكبر شقاء البشرية انا قيد انفسنا فكأننا في محبس دائم فالذي يليق بنا عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة الفظيعة والاقرار باننا نتكلم بكلام على انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول : ساداتي . اني اريد ان اتكلم بكلام على نفسي في اثناء كلامي على « شكسبير » او « راسين » او « باسكال » او « غيث » فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه . النقد الذاتي وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتملص من الاعراب عن لواعج صدره في خلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .

مالنا ولهذا كله انما بغيتي الكلام على الاسلوب من حيث هو اسلوب دون الاندفاع

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

في التنقيب عن طبقات الاساليب والتلميح الى محاسنها ومقابحها الى غير ذلك مما يرجع الى صناعة الترسل والانشاء .

من شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد أسلوب فما هو الاسلوب ؟ .

قرأت من يومين كتاباً دوّنت فيه أحاديث اناتول فرانس في مجالسه ، قال جامع هذه الاحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون مجالس اناتول .

طلبوا الى اناتول ان يقص عليهم قصة رنان مع راهبة الدير في لبنان فقال اناتول :

اسمعوا الحديث من فم رنان نفسه ولست أعني بهذا انه حسن القصص ولكنه كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ أحاديثه شواهد ويتأوه تأوهات البريتونيين ويبتسم ويدير اباهمه على بطنه ويورم خديه الضخمين في اثناء الحديث ، والخلاصة كان يطبع احاديثه بطابع خاص .

أحب ان استنبط تعريف الاسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، الاسلوب هو القالب الذي يصب فيه كل واحد منا فكره وعاطفته .

يقول بوفون : الأسلوب انما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا ان الاسلوب انما هو فهم المؤلف وطابع عقله فالاسلوب على هذا الوجه انما هو الشيء الذي يملكه المؤلف ويختص به في اي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام ان الاسلوب صورة طبع المؤلف او صورة اخلاقه ، وانما المراد به المنهاج الذي ينهجه هذا المؤلف في الافصاح عن فكر يختلج في ذهنه او عاطفة تضطرب في قلبه ، فهو جملة ما يتذرع به المؤلف من الذرائع الى تصوير فكره او تصوير عاطفته .

لنضرب مثلاً للاسلوب ، فلنرجع الى أديب من أدباء العرب ، فلنرجع الى شيخ أدبائنا في القديم وأعني به الجاحظ ، من اساليب الجاحظ انه يلجأ الى أحقر موضوع وي موضوع أحقر من الكلام على الحاح الذباب ، فيفرغ هذا الفكر في قالب ويطبعه بطابعه الخاص ، واذا هو موضوع يستهوي النفس ويستميل القلب قد استخلص منه حكمة من أروع الحكم ، واي حكمة اروع من عجز الانسان عن اضعف المخلوقات اي عن الذباب ، فالجاحظ يعظم المعاني الحقيرة فتعظم ، ويحقر المعاني العظيمة فتحقر ، من هنا

النوع كلامه في كتاب الحيوان على الحاح الذباب على احد قضاة البصرة في ايامه عبدالله ابن سوار ، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي فصوره في سطر فقال : لم ير الناس حاكماً قط ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، ثم وصف جلوس هذا القاضي فصوّره في صورة بناء مبني او صخرة منصوبة فقال : فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة ، ثم أفاض في غير ذلك من دقائق الصفات حتى اذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن الحاح الذباب عليه وحركة القاضي في اطباق جفن على جفن والموالاة بين الاطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا انه يستطيع ان يقص هذه القصة باسهل من هذا الكلام ولكنه اذا جمع ذهنه وقلب نظره في الموضوع وعرض على باله مفردات اللغة وتراكيبها واخذ قلمه ليكتب اتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً .

هذا هو الاسلوب وهذا هو معنى كلامي : الاسلوب ملك المؤلف لا ينازعه فيه منازع ، فالفكر الذي بينه الجاحظ انما هو فكر عام يخطر على بال كل واحد منا ولكن المعرض الذي عرض فيه هذا الفكر انما هو معرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يزاحمه عليه مزاحم قال صاحب كتاب ثقافة الافكار الاستاذ ريمي دي غورمون .

« الكتابة صناعة من الصناعات ولكن الاسلوب ليس من العلم في شيء فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه او اذا قلنا الاسلوب هو شيء مقدس فقولنا واحد ، فالاسلوب خاص بصاحبه وكما ان لكل واحد منا صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً بعينيه فلكل واحد منا أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تتعلم صناعة الكتابة ولكنك لا تستطيع ان تتعلم كيف يكون لك أسلوب فمن الممكن ان تلوّن أسلوبك على نحو خضبك لشعرك ولكنك لزمك ان تستأنف هذا التلوين في كل صباح دون شيء من اللهو ، قد يتعلم المرء قليلاً ان يكون له أسلوب الا انه ينسى في خلال الحياة ما تعلمه ، فالرياضة التي تحسّن سائر المواهب تفسد في بعض الاحايين موهبة الاسلوب .

الكتابة على نحو ما يفهمها فلوبر او غونكور انما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك فالحصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لهجة خاصة نسيجة وحدها على ان تكون هذه اللهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت معاً .

لكل واحد منا أسلوب على قدر عاطفته وطبعه وحاله وتربيته وثقافته وبيئته ومزاجه وحسه وتصوره ، فالرجل صاحب النظر الثاقب له أسلوب موجز ، والرجل صاحب الخيال له تعابير مشحونة بالاستعارات والتشبيهات ، والرجل الذي لا نظر له لا تجدون في كلامه وفي تأليفه صلة ما ، ولكل شعب من الشعوب أساليب خاصة فأهل الشرق أصحاب خيال ولذلك ملأوا أساليبهم بالاستعارات وفنون المجاز واهل اثينة شعب مصقول الحواشي رقيق الأطراف فكانت أساليبهم صافية واضحة .

قال جوبر : لكل مؤلف من المؤلفين معجم لغوي وأسلوب فهو يميل الى طائفة من الالفاظ تفصح عن رنات خاصة ولون خاص وشكل خاص و ينزع الى تراكيب تلمس فيها اثر بنانه فله نحوه الخاص وله نوعه الخاص وله مآخره ووساوسه .

رجع بنا القول الى بقية الكلام على الاسلوب من حيث اختصاصه بالرجل فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه فمعنى هذا ان الافكار هي ملك البشر بحذافيرهم وميراثهم يقتبسها من شاء ولكن الاسلوب الذي يصور به الكاتب هذه المعاني هو ملك له لا ينازعه فيه منازع ، وهنا تظهر براعة البارعين وعبقرية العبقريين ، وهنا يظهر خلود الخالدين فالاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب هذا ما قاله فولتير .

ومن اصحاب هذا الرأي فاكه فن كلامه : لا يكون الكاتب كبيراً الا اذا اخترع أسلوباً ، يسألون مصوراً عما يريد ان يصوره فيقول : اريد ان أصور فينوز ، لا شك في ان تصوير فينوز ليس فيه شيء من الابداع لان المصور الذي يستعد لذلك ليس باول مصور جال في فكره هذا الموضوع ولكن هذا الامر غير ذي بال اي ليس من الضرورة ان يكون اول مصور خطر بباله تصوير فينوز وانما المهم ان يصور فينوز تصويراً خاصاً به لا يشاركه فيه احد وكذلك فن الكتابة فانه يحتاج الى افكار حديثة وانما الحاجة تمس الى صورة حديثة لهذه الافكار .

ومن كلامه ايضاً في بحث ضافي الحواشي عن هوغو .

هوغو من الخالدين لان الذي يخلد الكاتب انما هو جمال الاسلوب .

ومن اصحاب هذا الرأي اناتول فرانس فقد قال :

اي الرجال يستطيع ان يفخر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين ان الافكار ملك الناس باجمعهم فلا يقدر احد ان يقول: هذا الفكر لي ، الاديب يعلم ان قيمة الفكر بالقالب الذي يفرغ فيه هذا الفكر .

فافراغ فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا مايستطيع البشر ابداعه وانشاءه ، ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في اذهان الرجال .

وقال في موضع آخر :

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلتمس في العلوم لانها غرض هذه العلوم فلا تلتمس في الادب لان الادب لا موضوع له الا الجمال ولا يمكن ان يكون له الا هذا الموضوع .

هذه آراء كتاب الافرنجة في الاسلوب فلننتقل الى ناحية اقرب منا فلننظر الى ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين وكتابه هذا من ابلغ الكتب التي تضمنت قواعد الفن والذوق .

« ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم و يبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى و يزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول ، وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين . وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لنفد وقال بعضهم : كل شيء ثنيته قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال .

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها وقد يقع للمتأخر معنى سبقه اليه المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر .

وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء .

ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على

جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر — وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل الصور الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها .

من هذا كله يتبين لكم ان أكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الامم فاليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا الولع كله بجمال الاسلوب حتى افرطوا في هذا الامر فأدى بهم افراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة ، ان للاسلوب سلطاناً لا يقاوم وماقيمة الكاتب الا اسلوبه ، يقول بعض الادباء اكثر فواجع «شكسبير» لم تكن الاسلسلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءته ، انه لم يخترع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثة وحداثتها هذه هي التي بعثت روحاً في فواجعه ، انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم انظروا الى الذين طواهم فلم يمتد لهم ظل ولم يتسع لهم فيء فيعيش البحتري ويموت شعراء وقته لولا الاسلوب ، ان اختراع المعاني محدود ولو لم يكن لمرء اسلوب يختلف به عن غيره لنفد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب ولو كان مدار البلاغة على المعاني وحدها لكان الالكن على رأي ابي هلال العسكري بليغاً لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل واحد منهم لا يعدم ان يدل على غرضه بعجمته اولكنته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون السنور بليغاً لانا نستدل بضغائه على كثير من ارادته .

هذا هو الرأي الذي اطبقوا عليه وماشذ عنه بعض الناس ولا طعنوا فيه الا لعجزهم عن ان يكون لهم اسلوب حسن ولا يقعن في خلد احدكم ان المراد بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا ظاهر الاحالة لان الالفاظ تدل بطبيعتها على معان فلا ترون الفاظاً من دون معان والذين تجدون لهم اساليب ضخمة ولا تجدون لهم معاني ضخمة هم اصحاب اسلوب اجوف فارغ لانهم لم يحوكوا الكلام على حسب الاماني ولا خاطوا الالفاظ على قدود المعاني .

دمشق : في ٢١ كانون الاول ١٩٢٩

المحاضرة الثامنة

سحر العبقرية

اجلت الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عبادة وابي تمام ، وافق التمهيد مديد . فأنا اخشى اذا مضيت في هذه المقدمات ان تنقضي سنتنا ولم نجالس احداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشيء من وشي طباعهم وصوب قرائحهم فأرى ان اجتزيء بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واياكم بعد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به ابا الطيب المتنبي « مالئ الدنيا وشاغل الناس » وقبل الكلام على المتنبي لا اجد لي مندوحة عن الكلام على الشعر والشعراء على وجه عام دون التعمق في دقائق الشعر وما يتعلق به فنه فما هو الشعر ومن هم الشعراء .

الشعر ومعناه في اليونانية . الابداع انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المتناسقة في تصوير الجمال ، اي في تصوير افكار وعواطف لاصقة بما يناسبها من الصور . الغرض من الفنون بمجامعها تصوير الجمال وقد علمتم ان تصوير الجمال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار او عن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسيت ما يشاكلها من ضروب اللباس ، والتأليف بين الافكار والعواطف وبين قوالبها انما هو من عمل الخيال اي خيال اصحاب الفنون ، فاذا خطر على بال واحد منهم موضوع من الموضوعات وقع في حالة اشبه شيء بالوحي يرتفع فيها الى جو اعلى من جو العامة ويحلق في سماء امد من سمائهم فيخترق الموضوع ذهنه وفي هذه الاثناء تنكشف الافكار له في شكلها الحسي فينزل الوحي عليه .

وعلى هذه الصورة ، الفنون كلها متماثلة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوصل بها اصحابها الى بيان اغراضهم ، فالمصور يلجأ الى الخطوط والألوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحان والاصوات ، والشاعر يعمد الى الالفاظ . قال اناتول فرانس في سحر الالفاظ : قلق الشعراء لذيذ ، فلا ترثوا لهم ، ان الذين يعنون بعلمون كيف يخلعون حلة

بيضاء على سواد قنوطهم ، فلا سحر الا سحر الالفاظ فالشعراء يتعزون كما يتعزى الاطفال وما عزاؤهم الا الصور » .

فالشعر لا يتم بالأوزان والتقفيـة وانما يتطلب صوراً لانه بالصور وحدها يستطيع ان يخلع على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

[متى يكون الشعر]

لا يكون الشعر الا اذا جمعت الفاظ متناسقة وكانت هذه الالفاظ تتضمن صوراً تناسب المعاني التي تصورها ، فلا تزداد الافكار والصور تناسباً ولا تزداد الالفاظ من جهة ثانية تناسقاً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها الا ازداد الشعر كمالا .

قد يكون الشعر في مندوحة عن الاوزان طالما ان الشاعر يستطيع ان ينسق كلامه من دون وزن ، الا ان الاوزان نافعة لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً دع عنك ان هذه الاوزان تجعل لكل نوع من أنواع الفكر والعاطفة لغة خاصة فلكل جنس من اجناس العروض مقام واذا امكن ان يكون شعر دون ابيات موزونة ولا اقول دون تناسق اواذا امكن ان تكون ابيات موزونة دون شعر فلابدلنا في كل حال من اعتبار الاوزان قال شيئيه في كتابه (علم الجمال) البيت من الشعر ما هو الا لباس ولكنه لباس طبيعي لطيف تلبسه الفكرة الشعرية ، البيت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفـاع من الارض ويحول دون تلطخ بردها القشيب بالوحل ، البيت من الشعر انما هو المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة :

« فاذا اخذه — اي اذا اخذ الشعر — سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده وبنـاته واتخذه اللابس جمالاً والمدخر مالاً فصار قرطه الاذان وقلائد الاعناق واماني النفوس واكاليل الرؤوس يقلب بالالسن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ممنوعاً من السرقة والغصب .

[ما هو ارتباط الشعر بالموسيقى]

الغناء الذي يزيد في تناسق الكلام يزيد ايضـاً في كمال الشعر وقد كان الشعر

والموسيقي في بدء الجماعات متحدين فكان كل شاعر صاحب موسيقي على ان اتحاد الموسيقي والشعر لا ينفع الشعر الا اذا كانت الحان الموسيقي تصاحب في الشعر الالفاظ وحدها اما اذا حالت الموسيقي دون فهم الشعر امتنع الشعر ولم يزول الناس الموسيقي في الاصل للموسيقي ذاتها ولكنها كانت خادمة الشعر ولهذا لم تتكامل اغاني الامم في بدئها تكامل الموسيقي في عصرنا هذا .

وهنا لا بد لي من تلخيص هذا الامر : الموسيقي فن يختلف عن فن الشعر وان كانا يستخدمان الالحان في تصوير الجمال ، الا ان الموسيقي تستخدم الالحان الالحان ذاتها فغايتها العاطفة موصولة بالالحان ، فكل ما عرفت الموسيقي في تناسق الالحان وتجردت من الفكرة التي تصورها الفاظ هذه الالحان كانت الموسيقي متكاملة اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعتبر اللحن بمنزلة علامة لنقل الفكرة والصورة فاللحن ليس بغرض الشعر الحقيقي وانما حقيقة غرض الشعر الفكرة المحسوسة التي يمثلها اللحن للذهن .

للافصاح عن الفكرة والعاطفة مذهب آخر من الكلام وهو النثر ، فالشعر يختلف عن النثر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

اما من حيث المعنى فالمنظوم من الكلام غرضه تصوير الجمال اي جعل الافكار محسوسة فهو يصور الجمال للجمال نفسه فلا تكون غايته الا اللذة ولكن النثر قد يكون من دون ان تجدوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني الكتاب في بعض الاحايين بالجمال فما هو الا ليحصلوا على منفعة ما ، فهم يستفيدون من سحر الجمال ما يمكنهم من التهذيب والاقناع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علينا الافكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الافكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فاذا قلنا الربيع فانا نفهم الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نتصور شيئاً في اذهاننا واما اذا سمعنا البحتري يقول :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلما

ادركنا الفكرة نفسها اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في هذه الفكرة حياة حتى كأننا بحضر شخص باسم الثغر ضاحك الوجه قد هم بالكلام .

فالشعر غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ، قال اناتول فرانس :

« يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا وينتبه فكرنا ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن ان يلذك و يسرك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في هذا العصر قد خلطوا وخبطوا فأحبوا ان يطبقوا في نتائج الأدب ما طبق من الطرائق في العلم على انه بين انشودة من الاناشيد و بين الهندسة الوصفية بون عظيم فالشعر غير الهندسة وما ينبغي لملاذ الفن ان تكون متعبة للذهن » .

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال :

« والشعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة » .

اما ان يكون الشاعر مثقفاً فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله اياه من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء والجمع والطرح شيء آخر .

قلت : الشعر يختلف عن النثر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث المبنى فلكل فكر من الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف عن الفكرة النثرية فوجب ان يكون لكل من الشعر والنثر لغة خاصة قال ابن رشيق :

« وللشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ بأعيانها سموها : الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها .

فالشعراء هم اساتذة اللغة ، ان لهم الفاظاً اشرف من الفاظ الكتاب فهم يستعملون كلاماً اندر واقدم و يولدون الفاظاً وتراكيب كتوليد امريء القيس لهذا التركيب بعيدة مهوى القرط او كتوليد غيره من الشعراء .

هذا موجز القول في الشعر وما اظن اني بلغت الغاية في الكلام عليه فان في الشعر شيئاً غير تناسق الالفاظ وغير تناسق المعاني والصور ، ان في الشعر سراً روحانياً يدركه الذي يزاوله وقد لا يدركه غير الذي يزاوله وهذا السر الروحاني هو الذي يجعل الشعر شعراً يهز النفوس ويحرك الطباع ، ما اجمل قول صحار العبدي لمعاوية وقد قال له معاوية :

ما هذا الكلام الذي يظهر منك فقار صحار : « شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على السنتنا . نعم الشعر شيء والشعر كل شيء ولكن ما هو هـذا الشيء ان هو الا وحي يوحى ، فما الاوزان وما القوافي وما التنسيق ، ان في الشعر شيئاً لاتهبه صناعة وانما تهبه الطبيعة وحدها ، تلهمه الهاماً فيطفح على خاطر صاحبه ، فيقذفه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقريحته فليسمع ما قاله له ابن عبد ربه :

« فلا تمض مطيتك في التماسه ولا تتعب نفسك الى ابتغائه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم ، فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة في عير ولا نفير » .

من هذا كله تستخلصون ان الشعر قد ركب في الطبع وامتزج بالنفس فالطبع هو العامل الاكبر في الشعر ولعمري كيف يكون الشاعر رقيقاً اذا قدت طبائعه من الصخر ونحت قلبه من الحجر ، ام كيف يكون ظريفاً اذا نشأ على الغلظة والفظاظة وطبع على فتور الذهن وجمود النفس ، فالناس كلهم يستطيعون ان يتكلفوا الشعر وما كل شعر يقولونه خالد على وجه الدهر فاذا لم يكن الشعر ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يمكث في الارض .

هذا هو الشعر، هذا هو سحر العبقرية فمن هم الشعراء من هم هؤلاء السحرة فاذا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فاسمعوا ما قاله فكتور هوغو :

من الخطإ لا بل من الجناية ان يخطر ببال الاديب انه يحق له ان يكون بمعزل عن مصالح قومه ورغائبهم ، وان يعدل بقريحته عن التأثير في اهل عصره وابناء زمانه وان ينفرد بحياته فلا يكون له عمل في البنيان الاجتماعي ، فمن الذي يخلص النية في هذه الاعمال الجليلة غير الشاعر ، اي صوت يعلو في العواصف غير صوته ، ام اي وتر يستطيع ان يخفف من شدة العواصف غير وتر قيثارته ، فمن الذي يقتحم الفوضى فيذهب بمقابحها ويهجم على الاستبداد فيدرج بمكارهه ، وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك وحديثاً له الامر في التفريق بينهم .

فاذا علمتم مكانة الشعراء في المجتمع البشري ادركتم معنى احتفال قبائل العرب في القديم بشعرائهم قال ابن رشيق :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس، ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج . فمن حمى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه : لا تعجل وانا مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجون لي ان هجوته مصحاً اراه في اديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره ابقوه للمتعرق
سأكسر ما ابقوا له من عظامه وانكت مخ الساق منه وانتقي
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغته الابيات كف عما اراد وقال :

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

وكيف لاتحتفل العرب بشعرائها وهم الذين يصورون الحق في صورة الباطل و يصبون الباطل في قالب الحق فاذا قالوا نجحت مقالتهم في القلوب ، قال اناتول فرانس :

الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق أفق البشر ينزّل عليه آله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل انه يكتشف عوالم حديثة على نحو « كولومب » دون ان يزايل مركزه ويفتتح البلاد على نحو شارلمان من غير ان يتحرك من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح كل من يفرح و يحس بألم كل من يألم في هذا العالم .

اي سلطان في يديه ! انه يجمع الالفاظ تلك الالفاظ الباطلة التي تقلب العالم . الشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات .

انظروا الى الملك « مكبث » دل استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعلى ان زوجته كانت امرأة صالحة فلم يكن على يدي مكبث لطخة دم ولكن من الذي يؤمن بعد

اليوم بصلاح الزوجين الفاجعين · أراد شكسبير ان يصور الملك « مكبث » في صورة مجرم فظيع فلطخ يد زوجته بلطخة حمراء. فنظر الناس بعد تصوير « شكسبير » الى الملك « مكبث » والى زوجته فلم يروا في «مكبث» الا رجلاً قاتلاً غاصباً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في النجيع · فلا يستطيع احد ان ينصفهما بعد كلام شكسبير وان ينظر في مظلمتهما مرة ثانية فقد نطق الشاعر واذا الشاعر نطق فلا تسمع المصور غير صوته[1] ·

ما اعظم سلطان الشاعر! ما انفذ كلامه! من كلام الازدي على سيف الدولة انه كان جائراً على رعيته، ومن كلام قاضي سيف الدولة ابي الحصين · كل من هلك فلسيف الدولة ما ترك، ولما قتل هذا القاضي في احدى المعارك داسه سيف الدولة بحصانه وقال لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم، وذكر بعض المؤرخين ان بني حمدان اكبوا على أبناء عمهم بني حبيب بصنوف الجور حتى مرق بنو حبيب من دينهم والتجؤوا بالروم، كل هذا نسي منسي ذهب جور سيف الدولة ان كان جائراً وذهب ظلمه ان كان ظالماً ولم يبق في اذهان بعض الناس من سيف الدولة الا الصورة التي صورها ابو الطيب المتنبي في شعره ستكر الايام وتمر العصور وسيف الدولة ·

تشرف عدنان به لا ربيعة وتفتخر الدنيا به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء:

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من انت قال: ابن هرم بن سنان قال: صاحب زهير، قال: نعم قال: اما انه كان يقول فيكم فيحسن قال: كذلك نعطيه فنجزل قال: ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم ·

وما أريد بعد هذه الخصاصة ان اقول شيئاً فالشعراء هم الذين اذا اعطوا بقيت عطاياهم على شباب الايام وعلى هرمها ·

دمشق: في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٩

---

(١) لا يراد بهذا الكلام ان حكم التاريخ على « مكبث » او على سيف الدولة قد بطل دفعة واحدة وانما يراد به تصوير تأثير الشعراء ومبلغ هذا التأثير ·

أسامة بن منقذ(١)

هنا في عاصمة الأمويين في سفح قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على الغوطتين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين صاحب التصانيف العديدة في فنون الادب، سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق وكان مشغوفاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه ونثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين فرحل اليه وكان يستشيره في حملاته وغزواته. رحل الى مصر في ايام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار حتى قتل.

ولد في شيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمسمائة واربعة وثمانين.

(شيزر في القديم والحديث) = وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة ساعة في سير السيارة، قال ياقوت الحموي: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة.

وذكرها امرؤ القيس في قوله:

تقطّع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردهة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النعساني في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م.

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

فتحها ابو عبيدة صلحاً : تلقاد اهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل وذلك سنة ١٧ هجرية .

وأشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها . وكانت على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك أضيفت الى مملكة حماة فكان اسماعيل ملكاً عليها ايضاً .

وهناك بالقرب من شيزر في مرتفع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة تشتمل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة ولكنه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً من فتحها خيم بجنوده ورجاله في ذلك المكان الحربي المشرف على شيزر فاتخذه الناس بعد مقراً لابي عبيدة وبنوا به هذا الضريح وذلك المسجد .

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة الاقدمين وتفننهم في تشييد البنيات ورفعه . ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر يستقي منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير .

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها الطيبة . يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون مزارعاً موبوءة مستوبلة امراضها فتاكة يضرب بها المثل بهوائها الفاسد فيقال «اوخم من شيزر . ونفعل كذا ونال كذا ونقول شيزر وخمة » فسبحان محول الاحوال ومقلب الليل والنهار .

(آل منقذ) — اول من ملك شيزر منهم ابوالحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القلعة بيد الروم فحدثته نفسه باخذها فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة ولم تزل في يده و يد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الردم فشغرت وجاء نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها وجدد من بنيانها ما تهدم

وسآتي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فمنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه ويميل اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفيّ غلهما غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبتـه حنقاً واين ذل الهوى من عزة الحنق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والاتراك والاعراب عن شيزر ومنعها .

(كيف نجا علي بن منقذ من القتل) = وكان سديد الملك قوي الفطنة ننقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردها هنا لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صـالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صـالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له الشر وكان صديقـاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ — ان شاء الله تعالى — فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصـه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك اني ارى في الكتاب مالا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام » وكسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصـدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعـالى (إنا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، ولعمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه ويقظة سديد الملك وشدة حذقه وفهمه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجم الا بما أوتيه من علم وما انطوى عليه برده من قلب واع وفكرة وقادة . وأسامة باسادة موضوع محاضرتي

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابو أسامة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامة شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن تناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل ٠

(آل منقذ محسدون) — حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف الدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي لمن فيه مدة طويلة من سائر الاشياء ٠ وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر ٠ فتطارح ابن منقذ عليه وسير ابنه اباالعساكر واسرأة منصورة بنت المطوع واخته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالاً فأنفذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة ٠

(آل منقذ المشهورون) — ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الامير سديد الدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره ٠ كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته ٠ وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم ٠ وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحي ٠ وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك المثمنة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر ٠ وكان ملوك الشام يكرمونهم و يجلون اقدارهم ٠ وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم ٠ ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب ٠ وقد رثاه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية ٠ ورثاه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشدها لولده ابي الحسن علي المذكور مطلعها :

الا كل حي مقصدات مقاتله   وآجل مايخشى من الدهر عاجله

وتوفي اخوه ابو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ ورثاه بن سنان الخفاجي الحلبي ايضاً بقصيدة مطلعها :

حبتك السماء بامطارها وكيف نضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعمائة وسمع من الفقيه ابي السمح ابراهيم الحنفي صحيح البخاري بشيزر وولي إمرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة في الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

ابن مضاء الصارم الباتر من لحظات الفاتن الفاتر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكناني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربتها الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيئاً من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرد له ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرهف بن الصنديد الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النحوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق .

(اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكناني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي الاصبهاني وبمصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، ندبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بحران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

الكناني الشيزري) ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من ابي حفص الميانشي . وقد ولي امر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكان مع شمس الدولة توران شاه اخي السلطان لما ملك اليمن . فناب في مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لانه بلغه انه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه واخذ منه مائة الف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن تحصن الامير حطان في قلعة وعصي فخدعه سيف الاسلام حتى نزل اليه فاستصفى امواله وسجنه ثم اعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الأمير الكبير شمس الدولة ابو الحرث ابن الامير نجم الدولة الكناني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجّهه صلاح الدين برسالة الى صاحب المغرب وكان اديباً شاعراً محسناً مترسلا من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الأمير العالم مقدم الامراء جمال الرؤساء عضد الدولة ابو الفوارس ابن الامير الكبير مؤيد الدولة ابي المظفر الكناني الكلبي الشيزري احد الامراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من ابيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مسناً معمّراً شاعراً كوالده مليح المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جليس صلاح الدين الايوبي ونديمه يروي له شعر ابيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود الى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لانه أعرق اهل بيته في الحسب واعرفهم بالأدب كما قال ابن العماد .

وكان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العماد : أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح في كلامه أمارة الامارة ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم السنبسي وسكن حماة مدة يدرس على اساتيذها واعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لهم مساكن وعقارات بحماة تغل اموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد الحقه بعضهم في الشيعة .

(شجاعته ووقائعه وتمنيه القتل كما تمنـاه قطري بن الفجاءة) = باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه الله : حضرت من المصافّات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، و باشرت الحرب وانا ابن خمس عشـرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الخوالف ،خدين المنزل وعن الحروب بمعزل ، لا اعدّ لمهمّ ولا ادعى لدفاع ملمّ ، بعدما كنت اول من تثنى عليـه الخناصر ، واكبر العُدد لدفع الكبائر ، اول من يتقدم السنجقية عند حملة الاصحـاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب .

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يتمنى ان يقتل في سبيل الله ، ويأسف جد الأسف على بقائه حيّاً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني   في بعضها من قبـل نكسي أقتل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان   يفنى ويبليه الزمان وأجمل
وابيك ما احجمت عن خوض الردى   في الحرب يشهد لي بذلك المُنصل
لكن قضاء الله أخرني الى   أجلي الموقت لي فما ذا أفعل

(وقائعه الكبار) = منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أقسنقر وبين قراجا صاحب فرس في سنة ست وعشرين .

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين .

ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين .

ومصاف على رفنية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين .

ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين .

ومنها وقعة بين المصريين وبين رضوان الولخشي سنة اثنين واربعين .

ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين .

ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة ٠

ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدلاص ٠

وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين ٠

وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين ٠

وفتنة المصريين وعباس بن ابي الفتوح في السنة نفسها ٠

وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند

ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة ٠

سيره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمحاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة اشهر ينازل الفرنج ٠ وهاجم مدينة يبنى ٠ وحاصر مع نورالدين قلعة حارم ٠

« البقية في الآتي »

العلامة محمد ابو شنب (١)

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد ابي شنب وُلد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ — ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٦٩ م بقرية يقال لها لمدية (والآن المدية) في جنوب الجزائر وتبعد عنها تسعين كيلو متراً قرأ شيئاً قليلاً جداً من القرآن ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدية الثناوية (الثانوية) ثم انتقل الى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام خرج منها مجازاً باجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافيــة وأدب ، وشيء من التوحيد والفقه أجيز باجازة مدرسة الآداب العليا — تقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة قسنطينة اول محرم سنة ١٣١٦ هـ — ٢٢ مايو سنة ١٨٩٨ م ثم انتقل الى مدرسة الجزائر اول محرم سنة ١٣١٩ هـ — ٢٠ ابريل سنة ١٩٠١ . وبعد اربع عشرة سنة ارتقى الى القسم الاعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والادب والمعاني والبيان والمنطق وفي آخر السنة (١٩٢٢م) أُجيز باجازة دكتور في القسم الادبي من كلية الآداب بالجزائر بعد ان قدم اليها تأليفاً في حياة ابي دلامة شاعر بني العباس وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة الوطن الجزائري وقد نوقش فيها أمام الجمهور . وفي اول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرساً الى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها الى الآن .

وللعبد الحقير إلمام باللغة الطليانية والالمانية والاسبانيــة والفارسية ومعرفة ضعيفة غاية الضعف بالتركية واللاتينية ، وألّف باللغة العربية تحفة الأدب في ميزان اشعار العرب طبعت اولاً بالجزائر سنة ١٩٠٦ وثانياً سنة ١٩٢٨ ورسالة في المنطق غير مطبوعة . وشرح نظم مثلثات قطرب طبع بالجزائر سنة ١٩٠٧ .

ومن التآليف باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بارض الجزائر والمغرب في ثلاثة

---

(١) كان المرحوم الاستاذ محمد ابو شنب احد اعضاء مجمعنا العلمي في الجزائر ارسل الينا ترجمته هذه بقلمه لنشرها في المجلة فلم يتح لنا نشرها الا بعد وفاته رحمه الله .

أجزاء مطبوع بباريس (١٩٠٥—١٩٠٧) . واصل كلمة شاشية طبع بالجزائر (١٩٠٧). إجازة سيدي عبد القادر الفاسي طبع بباريس (١٩٠٧) .

اما الكتب التي نشرها فهي :

البستان في علماء تلمسان لابن مريم طبع بالجزائر (١٩٠٨) . رحلة الورثيلاني طبع بالجزائر (١٩٠٨) . الممتع في شرح المقنع لابي سعيد السوسي طبع بالجزائر (١٩٠٨) . تحبير الموشين للفيروزابادي طبع بالجزائر (١٩٠٩) . فهرسة كتب الجامع الاعظم بالجزائر (١٩٠٩) . عنوان الدراية في علماء بجاية طبع بالجزائر (١٩١٠) . تدميث التذكير في التأنيث والتذكير للجعبري طبع في استراسبورغ (١٩١١) . اصل كلمة تلّيس (بالفرنسية) طبع بالجزائر (١٩١٢) . طبقات علماء افريقية لابي العرب والخشني مع ترجمة افرنسية جزآن طبع بباريس (١٩١٥—١٩٢٠) . تكملة ابن الابار (بالاشتراك مع بَل) طبع بالجزائر (١٩٢١) . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (١٩٢١) . فهرسة مطبوعات فاس (بالاشتراك مع ليفي) طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ابودلامة حياته وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . الألفاظ التركية والفارسية في اللغة الجزائرية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ديوان علقمة الفحل مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٥) . ديوان عروة بن الورد مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٦) . كتاب الجمل للزجاجي مع تقريرات طبع بالجزائر (١٩٢٧) .

* * *

(المجمع) : وبعد وفاة المترجم ارسل الينا زميله الاستاذ (ماسيه) احد اعضاء مجمعنا بالجزائر ترجمة له أخرى وقد ذكر في فاتحتها ما ذكره المرحوم في ترجمة نفسه ثم عقب عليها بما يلي مترجماً عن الافرنسية قال :

قال الاستاذ جورج مارسه احد اساتيذ جامعة الجزائر في حق ابن ابي شنب :

ومن الواجب ان نشير اجمالا الى جميع اعماله حتى يتجلي لنا نشاطه العلمي فقد كنا نرجع اليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فانه كان يجمع الى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب .

مشى في جنازة ابن ابي شنب النصارى والمسلمون يؤلف بينهم الاسى والحزن على

الفقيد . وقد ابّنه على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن على محضر من جمهور عظيم الاستاذ مارتينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق الفقيد وقال في جملة ماقال : ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب بدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمله العقل والارادة والعمل في الارتفاع من اصغر المناصب الى اعظمها واني اود ان يوفر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها ... ان السيد ابن ابي شنب كان صورة الاديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الاساليب الاوربية في العمل من دون ان يفقد شيئاً من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل استاذه (باسه) فقد تعلم اللاتينية والانكليزية والاسبانيولية والالمانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم النقد العلمي وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره . ففي سنة ١٩٢٠ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً في جملة اعضائه وفي سنة ١٩٢٢ قلدته حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف . . وكان ذا صفات تغرس له المحبة في الصدور وهي كرم النفس وميزة العقل والعفة في الافصاح عن العواطف والاستقامة التامة ... فاذا دنا منه الانسان فإنه لا يكاد ينساه ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة ، وكان له ميل الى المساعدة لا ينضب معينه ... اني اظن انه من اليوم الى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسة او من الجزائر ويكتب تاريخ تآلف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فابن ابي شنب سيكون رمز هذا التآلف وحينئذ يمكننا أن نقول احسن ماقلته انا اليوم ، اذ من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل مهما تباعدت أقطارهم ان يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا اه .

الفاظ عربية لمعان زراعية

– ٧ –

الهَدالة . — كثيراً ما يشاهد ارباب الزراعة على شجر اللوز والتفاح والجوز والصفصاف وغيرها نباتاً طفيلياً له ورق غير ورق الاشجار المذكورة . ويكون للاغصان التي يعيش عليها هذا النبات الطفيلي منظر غريب ذلك انك اذا قطعت غصناً من اللوز مثلاً ترى له ورقاً هو ورق اللوز نفسه و بجانبه ورق لا يشبه الاول البتة . ويكون كلا النوعين من الورق ريانا ومتصلاً بالغصن اتصالاً طبيعياً حتى ان الذي ليس له خبرة بالنبات المذكور يعد وجود نوعين من الورق على غصن واحد من خوارق الطبيعة . فهذا النبات الذي يعيش على أغصان كثير من الاشجار يسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهو شائع في اوربة ويستعمله الاوربيون في أعيادهم وله اوراق لحمية دائمة متقابلة خضراء الى صفرة ، وأزهار على نوعين ذكرية وأنثوية وكلتا الزهرتين على نبات واحد ، وثمار لبية بيض ثخان فيها مادة لزجة وضمنها بزور خضر . وليس لهذا النبات جذور فاذا حملت الطيور او الرياح ثمرة من ثماره والقتها على غصن من الأشجار نبتت بزرتها و يخرج منها سويق يذهب صعداً وعضو يقوم مقام الجذير فيلتصق بالغصن ويمتد ويصير زوائد تدخل فيه وتمتص عناصره الغذائية . وبعد ذلك تنمو الساق وتتكون الأوراق فالأزهار وجميع غذائها من نسغ الشجرة المصابة بهذا النبات الطفيلي .

يسمي بعض الفلاحين النبات المذكور (الدبق) وهو الاصطلاح العامي الذي اطلقته عليه في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » لعدم وقوفي اثناء تأليف ذلك الكتاب على لفظة فصيحة تصلح لأن تكون اسماً له . ويسميه فلاحو إقليم الزبداني (الحطام) لانه يكثر على شجر اللوز ولاسيما في قرى بلودان وبقين والجرجانية . وهذا الاسم هو عامي ايضاً . وأطلق عليه الاب بلو في معجمه الفرنسي العربي لفظ (شجرة الدبق والعنم) وكلا الاسمين غير صحيح . وسماه محمد النجاري بك في معجمه الفرنسي والعربي (الدبق) ووضع بجانب هذه اللفظة (ابن البيطار) بين هلالين . فراجعت مفردات ابن البيطار فلم اجد فيها ما يدل على ان الدبق هو الـ (Gui) .

واخيراً عثرت على لفظة الهَدالة في الامهات فاذا بها تعرّف بما يلي :

شجرة تنبت في السمر وليست منه وتنبت في اللوز والرمان وفي كل شجرة وثمرتها بيضاء .

فهذا الوصف هو وصف الـ (Gui) بعينه مع شيء من المبالغة شأن الاقدمين في تحليلاتهم لانه لا يمكن ان تنبت الهدالة او الـ (Gui) في كل شجرة بل يكون لكل طفيلي مثلها أشجار معلومة تصاب به .

وانا لم أسمع احداً يطلق لفظة الهدالة على النبات المذكور او على غيره . وعلى كل اذا كان لا يوجد احد عليم بهذه اللفظة وبمدلولها على وجه الصحة فهي أصلح لفظة يجب استعمالها للدلالة على النبات الذي نبحث عنه .

* * *

ومن الثمار الجافة في علم النبات ثمرة تسمى بالفرنسية (Capsule) ترجمها بعض المؤلفين بلفظة (علبة) واقتبستها منهم في كتبي . وقد وجدت بعدئذ في المخصص الجملة الآتية (... وكأن سنابله جراء الخشخاش ...) . فقلت : ان ثمرة الخشخاش نباتياً هي كبسول فلماذا لا نستعمل لها الجرو والجراء بدلاً من العلبة والعلب كما نستعمل السنفة للثمرة المسماة (Gousse) او (Légume) وهي ثمرة نباتات الفصيلة القرنية او الفصيلة القطانية على رأي العالم الشهير الطبيب امين المعلوف . والسنفة ترجح على لفظة القرن التي لها عشرات من المعاني .

وذكر الطبيب المشار اليه في بحثه القيم عن اصطلاحات النبات (مجلة المجمع ج٨ص ٣٣١) ان اوراق الشجر التي لا تسقط في الشتاء تسمى دائمة (Feuilles persistantes) . قلت ولهذا النوع من الاوراق في الامهات لفظة هي الهَدَب فان من جملة معانيها « مادام من ورق الشجر كالسرو » .

واذا نظرت الى سنابل الشعير وجدتها انواعاً : فمنها التي يكون لها ستة صفوف من الحب اي تكون فيها جميع ازهار السنيبلات ملقحة (كالشعير الرومي) . ومنها التي يكون لها اربعة صفوف اي تبدو السنبلة ذات اربع زوايا لان صفين من الحب يكونان قريبين من محور السنبلة فلا يظهر عليها الا اربعة خطوط . ثم هنالك الشعير ذو الصفين (كالشعير العربي) وهو الذي ليس في سنبله سوى صفين من الحب .

فلفظة صف هنا يقابلها بالفرنسية لفظة (Rang) والفرنساويون يقولون (Orge à six rangs) و (Orge à deux rangs) للشعير ذي الصفوف الستة وللشعير ذي الصفين · وهما باللاتينية (Hordeum hexasticum) و (Hordeum distichum) · وقد وجدت المخصص يستعمل لفظة حرف بدلاً من صف و يستدل على ذلك من الجملة الآتية في وصف احد أصناف الشعير : (···ولسنبله حروف عدة···) ولفظة حرف ترجح على لفظة صف في هذا المقام ولذلك اذا نعتنا سنبلة الشعير الرومي فلنقل انها ذات ستة حروف كما نقول ان سنبلة الشعير العربي هي ذات حرفين ·

وللعنزة في الغوطة ولا سيما اذا كانت من العرق البلدي قطعتان تنبتان في اسفل العنق يبلغ طول كل منهما خمسة سنتيمترات الى عشرة والمسافة بينهما ثلاثة سنتيمترات الى اربعة · فكل من هاتين الهنتين تسمى بالعربية زَلَمة وهي بالفرنسية (Pendeloque) ·

والأدوات التي يحصد الزرع بها كثيرة منها المنجل المعروف وهو بالفرنسية (Faucille) ومنها أداة تسمى بالفرنسية (Faux) لها نصل ذو عقب وعصا طويلة ذات قبضة اوقبضتين · والأكار يستعملها دون ان يحني ظهره او يقعد القرفصاء كما هي الحال في استعمال المنجل · وقد كنت سميتها الحصادة في الباكورة من كتبي وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة · وأرى الآن ان يطلق عليها لفظة المقضب او المقضاب وان كان استعملها بعض اصحاب المعاجم الافرنجية العربية للأداة التي تقطع بها أغصان الشجر والتي تدعى بالفرنسية (Serpette) · فهذه الأداة الأخيرة يجب تسميتها مِشذباً من شذب الشجر اي قطع ماعليها من الأغصان ·

وجاء في الجزء الاول من كتاب الزراعة المصرية لفظة السيف للأداة المسماة (Faux) ولا اظن هذه اللفظة تساوي المقضب او المقضاب ·

اما آلة الحصاد التي تجرها الخيل فهي على أنواع فالمحصد العادي اوالمحش الذي يستعمل في قطع الكلاء هو بالفرنسية (Faucheuse) والمحصد الجامع الذي يحصد الحنطة و يجمع الغبوط و يلقيها على الأرض هو (Moissonneuse javeleuse) · فاذا ربطها قبل القائها فهو المحصد الرابط و بالفرنسية (Moissonneuse lieuse) ·

وهنالك آلة تجمع الأقاط بعد الحصاد تسمى (Rateau) وقد كنت أسميتها المِلَمّ ·

« للبحث صلة » مصطفى الشهابي

آراء وافكار

رسالة الكرم

— ٣ —

كنا نشرنا في (العدد ٥ من المجلد ٩) من مجلة المجمع العلمي العربي مقدمة لرسالة الكرم ووعدنا القراء الكرام بكلمة نقدمها على الرسالة · في النجم والشجر والجنبة اتماماً للفائدة ، وقد عرض لنا من عوائق الدهر ما أخرنا عن نشرها الى الآن فرأينا ان نقدم تلك الكلمة الموجزة ثم نتبعها بالرسالة وفاءً بما وعدنا ·

« الكلمة »

قال ائمة اللغة : النجم من النبات مالا يقوم على ساق · وفي اللسان والنجم من النبات كل ما نبت على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسطّح فلم ينهض · ونجم النبات وغيره طلع ·

والشَجر كل ماله ساق كالشَجَر · وارض شَجِرة وشجيرة وشَجْراء كثيرة الشجر ، والمَشجر منبت الشجر وموضعها والمشجَرة ارض تنبت الشجر الكثير · ووادٍ مُشجر واشجر وشجير كثير الشجر وهذه الارض اشجر من هذه · أكثر شجراً · وشَجَر الشجرة والنبات شجْراً رفع ما تدلى من اغصانها ·

وقال الخطيب : جميع ما ينبت نجم وشجر وجنبة [1] فالنجم ما باد الشتاء اصله وفرعه كالبقول وانواع من النبت كثيرة · والشجر ما ثبت على ساقه ولم يبد الشتاء اصله ولا فرعه كالجوز واللوز والمشمش ونحوها · والجنبة ما جانب هذين فلم يبد الشتاء اصله كما يبيد اصل البقل ولا يبقى فروعه كما يبقى فروع الشجر ولكن باد فرعه وبقي اصله ، والاصل الباقي يسمى الجِعْثِن وفيه يعشش الحمر والقنبر وذلك كالحرشف والتنوم والمكر والصليان·

(١) ضبطت في مبادئ اللغة مرة بضم الجيم وأخرى بفتحها · وهو الموافق لما في اللسان وهو الصحيح ·

وفي اللسان الجنبة عامة الشجر الذي يتربل في الصيف · وقال ابو حنيفة الجنبة ما كان في نبتته بين البقل والشجر وهما [١] مما يبقى اصله في الشتاء و يبيد فرعه · وقال الازهري : الجنبة اسم لنبوت كثيرة كلها عروة [٢] سميت جنبة لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا اروبة لها في الارض فمن الجنبة النَصِيّ والصلّيان والحماط والمكر والدهماء صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول ، قال وهذا كله مسموع عن العرب · وقيل هو كل نبت يورق في الصيف من غير مطر ·

البقل ما نبت في بزره لا في ارومة ثابتة · وقال الراغب : البقل ما لا يثبت اصله وفرعه في الشتاء · وقال ابن سيده : البقل من النبات ماليس بشجر دِقّ ولا جِلّ وحقيقة رسمه انه ما لم تبق له ارومة على الشتاء بعد ما يرعى ·

والفرق ما بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعي لم يبق له ساق والشجر تبق له سوق وان دقت·

ويقال : ابقل الشجر اذا دنت ايام الربيع وجرى الماء فيها فرأيت في اعراضها مثل اظفار الطير واعين الجراد قبل ان يستبين ورقه فيقال حينئذ صار بقلة واحدة · واسم ذلك الشيء الباقل ويقال كل ما اخضرت له الارض فهو بقل وارض بَقِلة و بَقِيلة ومبْقَلة ومبقُلة وبقّالة · ذات بقل · وتبقلت الماشية وابتقلت رعت البقل · وتبقل الرجل خرج بطلب البقل ·

والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات بدّال والعامة تقول بقّال وقال السمعاني هو من يبيع اليابس من الفاكهة · والسُطّاح من النبت ما افترش فانبسط على وجه الارض ولم يسم كالقثاء واليقطين · والعروة من النبات ما بقي له خضرة في الشتاء ·

والعروة من دق الشجر ماله اصل باق في الارض مثل العرفج واجناس الخلة والحمض

---

(١) هكذا جاءت في لسان العرب ونقلها في التاج وهي مخالفة لما سيأتي في معنى البقل · ولعلها وهي اي الجنبة مما يبقى اصله في الشتاء الخ · وهو الموافق لما تقدم في تفسيرها ·

(٢) في التاج كلها عروق وما هنا اصح ·

فاذا امحل الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت بها · والعروة من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الاراك والسدر الذي يعول عليه الناس اذا انقطع الكلأ · وقيل العروة الشيء من الشجر الذي لا يزال باقياً في الارض ولا يذهب ·

الاصل اسفل كل شيء · واصُل وتأصّل صار ذا اصل واستأصلت الشجرة ثبت اصلها واستأصلها قلعها من اصلها ·

الجعثِنة ارومة كل شجرة تبقى على الشتاء والجمع جِعثن · وفي اللسان الجعثن ارومة الشجر بما عليها من الاغصان اذا قطعت · وقال الازهري : كل شجرة تبقى ارومتها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جعثن في الارض وبعد ما ينزع فهو جعثن حتى يقال لاصول الشوك جعثن ·

ويقال لما في جوف الارض من اصل الشجرة أرومة الأرومة بالفتح وبضم والجمع أروم ·

الجَذاة اصول الشجر العظام العادية التي بلي اعلاها وبقي اسفلها جمعها جِذاء قال تميم بن مقبل :

بانت حواطب ليلى يقتبسن لها جزل الجِذا غير خوار ولا دَعِر

الجِنث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم ارومته في الارض و يقال بل هو من ساق الشجرة ما كان فوق العروق ·

العِرْقاة بالكسر وبفتح والعرقة بالكسر الاصل الذي يذهب في الارض سفلاً وتشعب منه العروق ، وفي القاموس وقولهم استأصل الله عرقاتهم ان فتحت اوله فتحت آخره وهو الاكثر ان كسرته كسرته على انه جمع عرقة بالكسر ·

وعروق الشجرة وغيرها اطناب تتشعب منها واحدها عِرق يقال اعرق الشجر والنبات وعرّق اذا امتدت عروقه في الارض ·

الجِذْل اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفروع جمعه اجذال وجِذال وجُذول وجذُولة القَصَرة والعجز من الشجرة · اصلها الذي يلي الارض ·

ساق الشجرة جذعها وقيل هو ما بين اصلها الى مشعب افنانها جمعه سوق واسوق وسووق وسؤوق · وشجرة سَهْوَق طويلة الساق ، والسهوق الريان من كل شيء قبل النماء وكل شيء تزّ وارتوى من سوق الشجر والطويل من الرجال ويستعمل في غيرهم ·

الغصن ما تشعب من ساق الشجرة والغُصنة الشعبة الصغيرة منه جمعها غُصن ·

الشُغذُب والشغنوب اعلى اغصان الشجر كالشُنغُب والشُنغوب و يقال للغصن الناعم الرطب شنغوب ·

الخُصل اطراف الشجر المتدلية ، وكل غصن من اغصان الشجرة خُصلة والخَصلة والخُصلة والخَصَلة عود فيه شوك وقيل هو طرف القضيب الرطب اللين · وخصله خصلاً قطعه · وخصّل الشجر قطع اغصانه وشذبه ·

الاختلاء جذب الغصن حتى ينزع من اصله و يقال امتسح العود من الشجرة اذا سله منها فقطعه ·

و يقال لما بقي من اصول الاغصان في الشجر بعد ما يقطع · القُطُعات الواحدة قُطْعة وهي الأُبن وفي اللسان وقَطعات الشجر أُبَنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قَطعة · وفي القاموس وقطعات الشجر كهُمُزة و بالتحريك ربقعتين اطراف ابنها التي تخرج منها اذا قطعت ·

فاذا اخذت اغصان الشجرة كلها وورقها فهي السليب وقد سلبت الشجرة اذا فعل بها ذلك وشجر سُلُب لا ورق عليه ونخل سُلب لا حمل عليه وهو جمع سليب ·

الشماليل ما تفرق من شعب الاغصان في رؤوسها كشماريخ العذق قال العجاج :

وقد تردى من اراط ملحفا منهـا شماليل وما تلققا

الهَدَب اغصان الأرطى ونحوه مما لا ورق له واحدته هدبة والهدب ما دام من ورق الشجر ولم يكن له عير·

والهدب من النبات ما ليس له ورق الا انه يقوم مقام الورق او كل ورق ليس له عرض كورق الاثل والسرو والارطى والطرفاء · كالهُدّاب واحدته هُدّابة وهدب الشجر كفرح واهدب طالت اغصانه وتدلت من حواليه فهي هدباء ·

العَبَل الهدب وهو كل ورق مفتول غيرمنبسط كورق الارطى والطرفاء واشباه ذلك · وقيل هو مثل الورق وليس بورق · وأعبل الارطى ونحوه اذا طلع ورقه واعبل ايضاً اذا سقط ورقه ·

والفتَل ما ليس بورق الا انه يقوم مقام الورق · وقيل ما لم ينبسط من النبـات

ولكن تفتل فكان كالهدب وذلك كهدب الاثل والطرفاء · و يقال اربش الشجر ارباشاً وارمش ارماشاً اذا اورق وقيل اذا اخرج ثمره كأنه حمص ·

النَجَب لحاء الشجر اوقشر عروقها اوقشر ماصلب منها ولا يقال لما لان من قشور الاغصان نجب ولا يقال قشر العروق ولكن يقال نجب العروق والواحدة نجبة · والنَجْب مصدر نجب الشجرة يَنْجُبُها اذا اخذ قشرة ساقها ونجبها تنجيباً اخذ قشرها ·

والقِرْف لحاء الشجر واحدته قِرْفة وجمعه قروف والقَرَافة كالقرف · وكل قشر قرف ومنه قرف الرمانة · وقرف الخبز الذي يقشر و يبقى في التنور والقرفة الطائفة منه · وقرف الشجرة يقرفها قرفاً نحت قرفها وقرف القرحة فتقرفت اي قشرَها وذلك اذا يبست ·

والقِلْف والقلافة القشر وقلف الشجرة نزع عنها لحاءها ·

الشكير لحاء الشجر والجمع شُكُر قال هوذة بن عوف العامري :

على كل خوار العنان كأنها   عصا ارزن قد طار عنها شكيرها

القِشْر قشر كل شيء خلقة او عرضاً وقَشَر قَشراً وقشَّره تقشيراً سحا عنه لحاءه او جلده والقُشارة ما تقشره عن شجرة من شيء رقيق · ولباس الرجل قشره وكل ملبوس قِشْر · وثمر قَشِر وقشير كثير القشر · وقشرة الهبرة وقُشرتها جلدها اذا مص ماؤها وبقيت هي · وسحاة كل شيء قشره والجمع سحا ·

ويقال انسغت الشجرة اذا نبتت بعد القطع · والنُسُغ ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ·

و يقال للندى الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها طَلّ والاُنبوش والانبوشة ما قلعته مع اصله من صغار الشجر · وفي اللسان الشجرة تقتلعها بعروقها واصولها وكذلك هو من النبات · وانابيش العنصل اصوله تحت الارض واحدها انبوشة ·

الرَبْل ضروب من الشجر اذا برد الزمان عليها وادبر الصيف تفطرت بورق اخضر من غير مطر يقال منه تربلت الارض والربل ورق يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر والجمع ربول · وقد تربل الشجر وخرجوا يتربلون يرعون الربل

وتربلت الارض اخضرت بعد اليبس عند اقبال الخريف والربل ما تربل من النبات في القيظ وخرج من تحت اليبس منه نبات اخضر ·

ويقال صَمَلَ الشجر اذا عطش فخشن و يبس فهو صميل وصامل · قالت زينب الطثرية :

نري جازر به يرعدان وناره · عليها عداميل الهشيم وصامله

والعداميل جمع عدمول وهو الشجر القديم ·

المستباهة الشجرة يقعرها السيل فيخرجها عن منبتها كأنه مأخوذ من الاستباء وهو الذي يخرج من ارض الى اخرى ·

القادح أكال يقع في الشجر والاسنان · والقادحة الدودة التي تأكل الشجر والسن · وقد قدح في السن والشجرة وقدح الدود في الاسنان والشجر قدْحاً وهو تأكل يقع فيه ·

البَعْل كل شجر او زرع لا يسقى وقيل البعل والعِذْي واحد وهو ما سقته السماء · والسقي الذي لا يعيش بالاعذاء انما يسقى يقال زرع سقيٌ ونخل سقيٌ اي يسقى بالماء ويقال زرع مَسْقَوِي اذا كان يسقى ومظمئي اذ كان عِذْياً ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

النبتة الطروب

قرأت المقال المعنون (كتاب نزهة العيون) لزميلنا العلامة الاستاذ الشيخ كامل الغزي فرأيته يعدّ مما تستبعد العقول وقوعه ما حكاه له القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبوقا من انه رأى في بعض قرى بعلبك نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه وان بعض الظرفاء غنى النبات ببيتين من الشعر فاهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته ، وان استبعاده الرواية على وجهها المذكور بدون حملها على المبالغة هو في محله ، ولكن حكاية هذا النبات معروفة في هذه الديار واليك البيان :

هذا النبات يعرف بالعاشق وتسميه العامة عَوَرْنين يشبه زهره زهر المنثور الاصفر

وهو بريٌّ وتذكر له العامة هذه الخاصة وهي انه اذا أُنشد بصوت حزين شيئاً من النغم تساقط زهره ، وقد تذاكرنا يوماً ونحن أمام نبتة منه ايام الربيع فذكر لنا احد اصحابنا صفة هذا النبات ونقدم اليهـا ابرينـا صحة زعمه فمسكها بيده وقال أهزُّها اولاً لتروا ان زهرها ثابت عليها قبل الغناء ، وبعد ان هزَّها بيده فلم يسقط منها شيءٌ اخذ في الغناء واخذ الزهر يتساقط ، فقلت حسبك هذه نبتة ثانية غنها ما شئت وباي نغم شئت ولا تمسها قبل الغناء كما فعلت بالاولى ، فغنى واجتهد وحزن كثيراً ولم يستفد شيئاً اذ بقي زهرها ثابتاً عليها ، فقلت له تأخر الآن عنها وتقدمت اليها فهززتها بيدي ورجعت عنها ونحن ساكتون ننظر اليها فاذا زهرها يتناثر بعد نصف دقيقة او دقيقة من هزها وظهر لصاحبنا ان الخاصة للهز لا للغناء .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

استدراك على مقالة
« كتاب نزهة العيون »

هي المقالة التي نشرت في العدد الاخير من مجلة المجمع ج ١١ و ١٢ ص ٦٨١ من المجلد التاسع لسنة ١٩٢٩

كنت قبل ان اضع تلك المقالة — تقدمت الى العلامة احمد تيمور باشا برسالة استمحت فيهـا من معين علمه بيان ما عنده من ترجمة ذلك الكتاب المطلوب .

فكتب اليَّ يقول : ان الكتاب الذي وصفتموه في مجلة المجمع ج ٩ ص ٦٨١ وورد اسمه بخط غير خطه (نزهة العيون في اربعة فنون) الصواب ان اسمه (مباهج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكتبي المعروف بالوطواط المترجم في الدرر الكامنة لابن حجر والمتوفى سنة ٧١٨ وان اسم الكتاب وارد في اثناء الخطبة فالظاهر ان النسخة التي اطلعتم عليها وقع بها سقط في الخطبة وارجو أن تراجعوا المشرق ج ١٠ ص ٧٢١ و٧٧٤ ومجلة المقتبس ج ٥ ص ٥٤٠ ففيهما وصف لهذا الكتاب وراجعوا ايضاً كشف الظنون في (مباهج الفكر) وفي (مناهج الفكر) .

جمال الدين الوطواط هذا غير رشيد الدين الوطواط صاحب الرسائل المتوفى سنة ٥٧٣ .

عضو المجمع العلمي
كامل الغزي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف نور الدين ابي الحسن علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند الامام احمد بن حنبل والبزار وابي يعلى والموصلي والمعاجم الثلاثة للطبراني فأصبح بذلك كتاباً حافلاً في موضوع الحديث النبوي (رقم ٦١١ حديث) .

المجمل في اللغة : تأليف ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠ اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المستعملة مما تهم معرفته وأخذ اكثرها عن السماع وعمن تقدمه واختصر الشواهد . ورتبه مؤلفه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه حتى طابق اسمه مسماه . والموجود منه الجزء الثاني فقط يبتدئ من حرف العين الى آخر الكتاب في ٣٧٥ صفحة متوسطة . بخط ابي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ (رقم ١٢٣ لغة) . وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنة ١٣٣٢ ص ٣١٩ على نفقة الحاج محمد ساسي المغربي .

جنى الداني في حروف المعاني : تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى سنة ٧٤٩هـ : وهو مرتب على مقدمة مشتملة على خمسة فصول . ثم اورد خمسة ابواب من الأحادي الى الخماسي قال صاحب كشف الظنون : هو مأخذ المغني لابن هشام . كتب سنة ١٠١٩ في ٢٥٠ صفحة صغيرة (رقم ٢٦١ نحو) .

شرح الايضاح : (الايضاح) تأليف ابي علي حسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ والشرح لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ شرحه اولاً شرحاً مبسوطاً في

نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في مجلد واحد وسماه المقتصد وهو في مجلد ضخم في ٩٠٤ صفحات كبيرات بخط حسن ترجع كتابته الى القرن الحادي عشر (رقم ٣٥٤ نحو) .

مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب : تأليف كمال الدين عبد الرزاق الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ . قال صاحب كشف الظنون انه في خمسين مجلداً وهو مرتب ترتيباً غريباً في أسلوب عجيب : الموجود منه الجزء الرابع يبتدئ من حرف العين الى حرف القاف بخط مؤلفه وجامعه سنة ٧١٧ في زهاء ٦٠٠ صفحة متوسطة (رقم ٢٦٧ : تاريخ) .

إنباء الغُمر بأبناء العمر : تأليف شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو تاريخ مصر والشام متضمناً حوادثها وتراجم رجالها منذ ولادة مؤلفه الى سنة ٨٥٠ هـ مما أدركه اوسمعه وقد رتبه على السنين: فيذكر حوادث كل سنة ثم تراجم الوفيات فيها . وهو مجلد ضخم زهاء ١٢٠٠ صفحة بخط مؤلفه (رقم ٢٤١ : تاريخ) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الحركة القومية
[وتطور الحكم في مصر]

« صدر منه جزآن يحتويان على نحو ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط »
« تأليف عبد الرحمن بك الرافعي »

آل الرافعي أسرة لا اعرف منها الا كل خادم لبلاده صادق الخدمة ، وغيور على لغة آبائه واجداده لا ينفك عن العمل لاجلها ما استطاع الى العمل سبيلا . ولعمري ان أمة تنبت الحراص على استقلالها يتلو بعضهم اثر بعض لا بد ان تدرك غايتها مهما تكن طريقها مشوكة ، واللغة التي لها من ابنائها اناس يؤمنون بها ايماناً لا بد ان تظل حية ما دام ذلك الايمان راسخاً في القلوب .

وكتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي هو دروس في الوطنية يجدر بكل ناطق بالضـاد ان يتلوها فيرى فيها بدء الحركة القومية المصرية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر اي منذ احتلال حملة نابليون لمصر الى ايام محمد علي الكبير . ولقد سرد الاستاذ الابحـاث بعبارات طلية وسلسلها على شكل يستحسن ودعمها بوثائق عديدة نقلها عن مذكرات رجال حملة نابليون والمؤرخ الجبرتي وغيرهم فجاء الكتاب تاريخاً سياسياً وقوميـاً لتلك السنين يشاهد فيه ابناء مصر اليوم ما لاقاه اجدادهم من ظلم المستعمرين وفظائعهم (سواء أكانوا اتراكاً ام مماليك ام اوربيين) ومااتوه من الاعمال للخلاص من سيطرة المتغلبين المشؤومة . فما جاء في الصفحة ٤٣ من الجزء الاول عن ابن اياس ان السلطان سليم خرج من مصر ومعه الف جمل محملة من الذهب والفضـة فضلاً عن التحف والسلاح واعمدة الرخام والصيني والنحاس واخذ من مصر من كل شيء احسنه وذلك عدا ماغنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالا يحصى وبطل من مصر نحو خمسين صنعة . ولا شك ان اكبر طعنة للغة العربيـة جاءت من يد الاتراك العثمانيين بجعلهم التركية لسان الدولة الرسمي في مصر مع ان العربيـة هي

التي كانت اللسان الرسمي الى زوال دولة السلاطين البرجية (الشراكسة) .

وقد اعجبنا قوله أن سلطة محمد علي الكبير قامت على ارادة الشعب ولذلك تمكن بها من القضاء على سلطة الاتراك والمماليك معاً .

وبعد اننا نشكر للاستاذ الفاضل هديته ونتمنى ان يوفق الى اتحاف البلاد بباقي حلقات هذه السلسلة الذهبية .

مصطفى الشهابي

لبنان وسوريا

[قبل الانتداب وبعده]

« تأليف بولس مسعد وهو يقع في ١٢٩ صفحة »

هل قرأت مصنفات بعض الكتاب الاوربيين الذين سدل التعصب غشاوة على ابصارهم وبصائرهم والذين يهبطون بلاد الشام فيقيمون فيها عشرة ايام او عشرين يوماً يظنون بانتهائها انهم صاروا عليمين بتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها وزراعتها وتجارتها وعادات سكانها وميولهم السياسية وكل ما يهم القراء الاطلاع عليه من شؤونهم ؟ اذا كنت قرأت بامعان كتباً كهذه وهالك ما وجدته فيها من الأقوال الغريبة والافكار المضرة والنيات السيئة فاعلم ان كتيّب السيد بولس مسعد هو من هذا القبيل .

مصطفى الشهابي

خمسة اعوام في شرقي الاردن

« بقلم الارشمندريت بولس سلمان امين سر غبطة بطريرك الروم الكاثوليك »

كتاب بقطع الربع ينــاهز ثلاث مئة صفحة جلي الطبع حسن الورق مطبوع في مطبعة القديس بولس بحريصا (لبنان) يتخلل متنه عدد من الرسوم التي توافق الابحاث ، وهو مصدر ببيان شيّق بقلم الشاعر المشهور خليل بك مطران . وقد قدّمه مؤلفه « الى الامة العربية النبيلة والى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن الحسين » .

اختار سيادة المؤلف هذا الاسم لكتابه للدلالة على الزمان الذي قضاه في شرق الأردن وكان يومئذ في ذلك القطر العربي رئيساً دينياً وكانت مهمته فيه مرتبطة بطائفته فقط . الا انه لم يقف اوقاته على تلك المهمة بحسب شأن بقية الرؤساء الدينيين بل صرف همه ايضاً الى التجوّل في انحاء هذه الامارة البدوية وخالط اقوامها وتعرّف احوالهم وعوائدهم وسرائرهم وسهر الليالي في تدوين مشاهداته ومحادثاته ، وكان يحبرها في ساعات الفراغ بلسان عربي فصيح سهل ، يبعث في فصولها الى مجلة المشرق البيروتية التي نشرتها تباعاً . واذ رأى اقبال الادباء على تلك الابحاث وارتياحهم اليها ، وخصوصاً المستشرقين منهم ، نقحها وجمعها وزاد عليها ماتيسر بحيث جاءت سفراً ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده ، يعرّف قارءه من احوال العرب الرحل مالا تستطاع معرفته الا لمن قضى بينهم السنين الطوال .

والكتاب حسن التبويب يبحث في تاريخ اهل البادية وشعرهم وقضائهم وادبانهم ، وفي آخره جدول مسهب عن عشائر شرق الاردن . فنشكر لسيادة الارشمندريت جهوده الطيبة في خدمة العرب والعربية ونتمنى ان يتسنى له تحقيق امله باتباع هذا الجزء بجزء آخر يضم الفوائد في الاسرة البدوية والزعامة والقبيلة والعشيرة والغزو الى آخر ماوعد به في مقدمته من الشروح .

ولعل خير ماقيل عن هذا الكتاب لمؤلفه عبارة ختم فيها خليل بك مطران بيانه الشيق قال : .

« . . . . كان الناس قديماً يسترشدون بما يرشدهم اليه رجال الدين لمعرفة دنياهم والاخذ بالصالح النافع من شؤونها ، أما الآن فقد اصبحوا يستعيدون كرامة الدين عند أنفسهم مما يجدونه في أعمل أئمته من صالح ونافع في أعمال الدنيا » .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي

نصوص عربية من تاكرونة

« للسيد وليام مرسي والسيد عبد الرحمن غيجا طبع باريز عدد صفحاته ٤٢٦ »

W. Marçais et Abd errahman Guiga . p. p. 426 - paris 1927

يحتوي هذا الكتاب على اثني عشر قطعة بعضها حكايات وبعضها وصف ومحادثات وضعها احدهما (السيد عبد الرحمن غيجا) وقد كتبها بلهجة (تاكرونة) العربية العامية ثم كتبها بالاشتراك مع زميله بأحرف لاتينية لضبط لفظها بحسب لهجة تلك القرية ثم ترجماها الى الافرنسية مع شرح وايضاح للترجمة وهي اهم ما في الكتاب . وموضوع هذه الحكايات حوادث داخلية وامور عائلية متعلقة جميعها بقرية تاكرونة مع وصف شيء من عوائد اهلها ومعيشتهم الزراعية ، وتكرونة هذه هي قرية صغيرة واقعة على الخط الحديدي الذي يربط تونس بسوس بقرب (انفيدافيل) وفائدة هذا المصنف درس اللهجات العربية المغربية وتطورها فهو حلقة جديدة تضاف الى سلسلة ما قد كتب بهذا الشأن عن بلاد المغرب .

وقد انكر واضعا الكتاب في مقدمتها قول القائلين بتقسيم سكان بلاد المغرب الى عرب و بربر . ومن رأيهما ان جميع سكان هذا القطر هم من اصل بربري ولا يوجد فيه اصلاً جنس عربي وقد قسما سكانه الى قسمين : الاول المحافظون بلغتهم البربرية الاصلية والقسم الثاني المتكلمون بالعربية وهم الذين استعربوا بعامل الفتح الاسلامي .

هذا ما ذهب اليه المؤلفان في مقدمة كتابهما مذ زعما أنه لا يوجد في المغرب احد من أصل عربي وقولهم هذا ظاهر البطلان فأن كل من كتب والف في انساب سكان القطر المغربي حقق بان كثيراً منهم يمتون بانسابهم الى الفاتحين الاولين من العرب اذ من عادة الفاتحين من كل قوم ان يتركوا في البلاد التي فتحوها جماعة من أبناء جلدتهم يستوطنونها والتاريخ القديم والحديث طافح بمثل هذه الحوادث . وما عرب المغرب الا من سلالة هؤلاء الفاتحين .

جعفر الحسني

الجزء ٥ — المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٣٠ م — الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

المسكرات ومضارها (١)

للامم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي · فقوام الامم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين اولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بحرك واحد · اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء · فكما ان الاحجار المتفرقة لا تؤلف بنياناً مهما كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصّت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف · كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة مهما كثر عددهم وتشابهت سحنهم وتوحدت اصولهم وتثقفت أذهانهم اذا لم تجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد · يعيشون لاجله ويموتون في سبيله ·

وقد يضعف قوام الامم المادي و يبقى قوامها الروحي صحيحاً فتحتفظ بكيانها الاجتماعي كما يحتفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تتطرق العلة الى ملكاته النفسية · اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فتفقد ثمة حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي · فيستولي عليها الصحيح من الامم · كما يحجر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها · سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً ·

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان و كيان

---

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القيت في ردهة المجمع العلمي في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م ·

سياسي واجتماعي ، وبانت على ما هي عليه اليوم ، مما يندى الجبين لذكره ويهلع القلب لذكراه . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه بها باحجار هيكل عظيم ، قوّضه زلزال شديد ، فتناثرت على الارض محتفظة بصلابتها ورونقها . فليت شعري ما يكون امرها غداً . امرها أيها السادة احد شيئين : اما ان يتطرق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فتفقد ثمة خصائصها ، فتتفتت ثم تضمحل . واما ان تحتفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف يداً عاملة فتعيدها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلدة المهذبة المتناثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته المادية والنفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدته المنشودة ، فيصبح كالغراب غريباً ، ينكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهياً ، فتهافت عليها الناس تهافت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتاتيهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) اي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المتخمرة كخمر العنب ونبيذ الشعير والأرز والتفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام ان الخمور مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام ووصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) اي مافيها مادة مسكرة ينشأ عنها الصداع والسكر يقال لها غول . فأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدعة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى الغول ، تُحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

و بالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينتبهوا الى معنى كلمة الغول العلمي ففسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تحريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجريده عن المواد المتخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والتقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرقي والزئبق الحار . قال داود : العرقي هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والتقطير وقد يؤخذ من الأنبذة . ومن هذا يتبين لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، و بالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوها بالآش فقالوا بدلاً من أَلْغَوْل ألكوهول . ثم لما جاء الأتراك وأرادوا نقل العلوم من اللغات الفرنجية الى لغتهم لم ينتبهوا الى ان أصل كلمة ألكهول هي ألغول فقلبوا في نقلها الآش حاءً فصارت ألكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على الالسنة حتى ظنها الناس فصيحة ، بينما انه لا يوجد لها اصل في اللغة يشير الى مدلولها وباتت كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمودة والاستعمال .

فالغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمور ، والمعروفة باسم الكحول او السبيرتو العامية ، والغولية هي الداء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . وتنقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمور والانبذة .

المشروبات الروحية — فالمشروبات الروحية هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الآنيسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الآنيسون . ومنها القونياق ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد سمي بالقونياق نسبة الى بلدة قونياق في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشربة الغولية

الممزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الابسنت اي مشروب الافسنتين والبيتر والفرموت والشارتروز وغيرها .

الخمور — : اما الخمور فأهمها الخمر ، وهو عصير العنب المختمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماء وعلى مواد زلالية وعفصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح قلوية ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة وهي الخمور التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزر او البيرا (الجعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بحشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية اجزاء من الغول ، وفيها مواد سكرية وزلالية ودهنية واملاح قلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذالفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذالتفاح ، والبواره وهو نبيذ الأجاص ، ومنها الرائب وهو نبيذاللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكمية الغول في هذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الغول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخري مختلفة كالماء والمواد الزلالية والسكرية والعفصية والملونة والحوامض والاملاح والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها بكميات وكيفيات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الغول فيها . فالخمر اذا جردناها من الغول تعود جلاباً لذةً للشاربين ، والعرقي اذا جردناه من الغول يصبح ماءً معطراً كماء الزهر وماء الورد لايصدع ولايسكر . فالغول والحالة هذه هو العنصر الاساسي المقصود من الاشربة الروحية ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، وكما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب

صفات نفوسها كذلك نقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الغول الذي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري ان هذا المطلب وعر المسلك صعب المنال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف شديد في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها   واعمى سقيناه ثلاثاً فابصرا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة   ادرنا عليه الكأس يوماً فهمرا

او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولو رسم الراقي حروف اسمها على   جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها   عليلاً وقد اشفى لفارقه السقم
ولو نضحوا منها على قبر ميت   لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ومن مردد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها   وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها   مدارع قار في مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيرها ترياقا فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها نار تحرق الاجسام ولا تبقي على الارواح . تهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها اهدى للحق ؟ ومن من هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطيء ؟ كلهم ايها السادة مصيب على حد قول الشاعر : رأت بعينها ورأيت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) . وللمعتقدات والعادات تأثير عظيم في تكييف الافعال العقلية وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تباينت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من حقيقة علمية كان العالم بامره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ، مدفوعاً بعامل الشعور البهيم الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأء الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ ، تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشوف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك

هذه الحقيقة الناصعة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل مالا يراه المجموع بميله وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيهتدي به الصالحون بادئ بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانقلابات الاجتماعية ، ومن يجهل ما لاقاه دعاتها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، وللباطل جولة ثم تضمحل . فاخذ الناس يدخلون في دين الحق افواجاً عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم مريضهم ، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التماثيل ، و ينعتونه بالنابغة الكبير والعالم الجليل ، هكذا كان شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعاقرها بعضهم حتى خامرت عقله ولبه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارتها اروج تجارة وصناعتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهراً من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضرباً من ضروب التوحش والغباوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقرئ خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعلم بان العالم على باطل في معتقده في منافع الغول وحسناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسيئاته . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس — والناس من وصفت — دعوته وسفهوا كلمته ، وصاح قوم انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه يغرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم بتسويد وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا مشجع لهم سوى اعصاب الناس المتسممة ، ولا دليل سوى الهوى ولا مملي سوى قوة الخيال ؟

ما في ذلك لعمر الحق غرابة ، فتلك نفرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اضفنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل

الاقتصادية والخسائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالملايين من الليرات تجلى لنا خطورة موقف العلم والعلماء اللاغوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع الهائل ، يتجلى لنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على جلبة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف تنبعث شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فاستشاط العالم غضباً وحنقاً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس اجساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغلوا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عبدوا ، وقضوا على نفوسهم بانفسهم وهي ما قدسوا ، ولا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمريض ·

ومن العجب العجاب ان تقوم الحرب ضروساً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد الممقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم الفاني ·

فيا ايتها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية نادمة ، واعلمي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغريبة التي تعيث في ارضك ، والجراثيم القتالة التي تفتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنطقي العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد و يقول ·

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — · الغول جسم مائع لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والتفاح والكمثري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكنقوع الشعير والحنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها · فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمر في هذه الموائع تتحول الى محاليل غولية يختلف مقدار الغول فيها بين ستة الى عشرة في

المائة . ويستخرج هذا الغول منها بالتقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماؤه قبل نقاوته حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا .

وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المحروقات ذات الحرارة الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من الموائع العطرية كالقلونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في جل الامراض ، ولا سيما الحميات العفنية ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد . غير ان التجارب والمشاهدات لم تلبث ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخمدت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجاتهم ، و يحددون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتاتاً .

تأثيره الفسيولوجي — . اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات جمة ، منها ما هو ناشئ عن المعتقدات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلمية وتعدد أنواع الاشربة الروحية وتنوع تراكيبها . ومما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجنس ، والبنية ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز العصبي . وذلك لان لكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكييف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكهل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول البتة ، هي ستة غرامات غولاً لكل كيلوغرام من وزنه ، فالرجل الذي وزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا

شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسعمائة غرام من العرقي او القونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شراباً فيه ملعقتا قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً اوممزوجاً وبنسبة تمديد هذا المزج .

هل الغول غذاء — . ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بانه يجتاز الجسم اجتيازاً دون ان يتحول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيج (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشئية . وهو يفضلها و يفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :

ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام اتواتر وبنديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الحاضرة . وخلاصتها : « ان الغول يحترق في الجسم ، عدا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تصدرها . استفاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب اتواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصلحتهم واخذوا يطرون منافع الغول الغذائية بالنشرات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدثها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية

بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وان قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساغ لنا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا .مثلاً الذي يستعمل للشعل لانه يحدث حرارة اكثر منه . هذا وقد صرّح انواتر بنفسه وكلمته هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول يعد غذاءً فهو غذاء سيئ ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء اشتغاله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أهم خاصة كان يمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة . ولننظر الآن في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة .

تأثير الغول في الجهاز الهضمي — عندما يشرب المرء جرعةً خفيفةً من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئًا ، واذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهمًا ونصف درهم من الغول الممدد بالماء بنسبة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ، فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتتصلب أنسجة المعدة وتنشأ عنها الالتهابات وسوء الهضم المزمن والقيء الذي يشاهد غالبًا عند السكيرين .

تأثيره في الدم — عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيجفف ماءه و يخرب من كرياته الحمراء و يزيد في عدد كرياته البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي وخلات الصودا فتنقص قلوية الدم وتتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني — ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث بادئ بدء زيادة في عدد الضربات القلبية لا تلبث ان يعقبها تناقص . و يزداد الضغط الدموي في بادئ الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جليًا وتتناقص سعة ضربات القلب و يخف الضغط الدموي و يقع عدم الانتظام في الحركة القلبية . و يحدث إدمان الغول تصلبًا في الشرايين الشعرية وفي الاوردة

ولا سيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصيدة في أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعاً امراض القلب واوجاع الساقين والفالج ·

تأثيره في الجهاز التنفسي — · ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، وكمية امتصاص الاوكسيجين ، ونبذ حامض الفحم ، و يعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطء في التنفس و يصير سطحياً وتنقص المبادلات التنفسية فتتعرض الرئة للالتهابات كذات القصبات المزمنة وذات الرئة والغرغرينا والسل الرئوي · اما تأثير الغول في الحنجرة فانه يحدث فيها التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يُعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة ·

تأثيره في الحرارة والمبادلات — · يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبدلاً في حرارة الجسم · اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب ، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً في المبادلات الدموية · فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم · قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزية عند الثملين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط عظيم » · ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاسفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحايا القونياق في الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة ·

تأثيره في اعضاء التناسل — · قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة · وقال برتوله (Bertholet) شاهدت اثناء تشريح جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى ولم أشاهد الحوينات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول ·

تأثيره في الكبد — · ان التسمم المزمن بالغول يحدث تخريباً عظيماً في خليات الكبد والنسيج الخلالي ، و ينشأ عن هذا التخريب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخفيف ومنها تورم الكبد وتشحمه وتضخمه وضموره وتشمعه والاستسقاء ونزيف الدم المعوي والبواسير ·

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) وافرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللعاب وعصارة (البنكرآس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند المرضع والمبيض والبروستات والمشيمة ، فأن الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حوينات منوية ثملة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع وللالتهابات الدماغية . وان المرأة التي تجرع قبل الولادة بساعة مقداراً من القونياق يشاهد الغول في دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الامم المتمدنة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها بادئ بدء ثم يحدث فيها خدراً فاسترخاء فالفالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هانماير : ان للغول تأثيراً كيماوياً في الاعصاب ، فهو يذيب شحومها و يحدث انقباضاً في زوائد العصيبات فيضعف فعلها ثم يبطله ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به الثمل بادئ بدء الافعل منعكس عن اعضاء الحس ولاسيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى تتلاشى و يعقبها نقص في القوة العضلية ، وقد ايدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان احساسهم يزداد بشربه ، اما سبب ادعائهم هذا فناشئ عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالثمل لا يحس بالالم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصة قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والآلام العصبية وذات الاعصاب المجتمعة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معاقري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهناً في عضلاتهم وهبوطاً في

قواهم الجسمية والعقلية وثقلا في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم اهمه الحدة وسرعة الضجر ، واذا قلت لهم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلبا بان هذه الاحوال تزول بتاتاً بشرب الغول ، وما ذلك الا لان الغول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن بطل حسه .

قال لغران (Legrain) في كتاب التسممات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة المطبوع سنة ١٩٢٢ « ان اصغر كمية من الغول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا جليًا عندما تزداد كمية الغول ، ويؤول غواة الغول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفاً للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي المتسمم وهل لم يرض من شهادة تقبل مغضين الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، واهم هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الغول منبه ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم . اما النشاط الذي يشعر به السكيرون فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية العصبية ، فهو خطأ حسي متولد من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن النوادر التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور الباطن وشلها اثناء السكر ما روي من انه شوهد يوماً يضحك من رجل سكران لقيه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهزأ به وانت في كل يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصحا .

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والغرائز وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شرس الخلق ، لا ثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيه ، وينحصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الغول بدافع الاحتياج الجسمي ، وكثيراً ما يقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشرة الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب الجرائم البذيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ، وتعتريه الهذيانات العارضة والاوهام ، والصرع والعتة الى غير ذلك من انواع الجنون ،

ونظارة خفيفة في احصاآت مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاآت السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأييد هذه الحقائق العلمية الراهنة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون : وحسبي بقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تربو كثيراً على مضار الطاعون والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لغران (Legrain) فاننا اذا جمعنا ما تنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالعنب والحبوب والثمار السكرية وما تتكبده من النفقات على دور المجانين وعلى حياة النفوس التي تقصفها المنون قبل ابناعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار من الفرنكات ، تقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أهاب بالحكومات وبالعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بملء افواههم العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلمتي ايها السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسيته وفي الاسرة وفي الامة فهي ادهى وانكى . (للبحث صلة)

المحاضرة التاسعة

المتنبي

- ١ -

اول عهدي به – دراستنا في الماضي والحاضر كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، وبيني وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وما هي هذه البرهة قياساً بالزمان الذي لا نهتدي الى اوائله ، ولا نتصل باواخره ، ماهو العمر كله سواء اطال هذا العمر أم قصر ، وسواء ابتسمت جنباته أم عبست ، ما هو عمر الانسان الى جنب أعمار العوالم في الطبيعة ، والى جنب أعمار طبقات الارض . ما لنا ولهذا التعجب فاننا اذا أمعنا في اشباه هذه المسائل غرقنا في خضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك شيئاً في العالم ، أرجع بالخاطر الى الماضي ، وقد كان الشباب مثيد الغصن ، أملد العود ، وكان البال هادئاً والفكر ما كنا لم يشغله شيء من شواغل الحياة وما اكثر شواغلها اللهم الا انصرافه الى الادب وتمتعه بآثاره الخالدة ولكن هل كنا نفهم هذه الآثار ؟ هل كانوا يفهموننا اياها ؟ هل كان يحسن فهمنا ونفهمهم ؟ كنت ورفيق لي اذا اغتنمنا خفة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مستقرة ليس فيها شيء من العظمة وانما عظمتها في حقارة شأنها كنا ننتاب هذه المكتبة في حي رفيقي اي في حي النصارى فما كنا نجالس من الشعراء الا شيخنا ابا الطيب ولا كنا نحادث من الكتاب الا أستاذنا عبد الله بن المقفع .

اني لا أزال اذكر الابيات التي كنا نرددها ونستعظمها ونحن لا نعرف السر في عظمتها ، ومن هذه الابيات ، وهي كريمة عليّ ، لانها رفيقة الصبوة وشقيقة الروح :

وانا لنلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

يهون علينا ان تصاب جسومنا … وتسلم أعراض لنـا وعقول

ومنها : واحتمال الاذى ورؤية جانيه … غذاء تضوى به الاجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش … رب عيش اخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه … ما لجرح بميت ايلام

ومنها في استعطاف سيف الدولة :

ان كان سركم ما قال حاسدنا … فما لجرح اذا ارضـاكم الم

ومنها في رثاء جدته :

اتاها كتابي بعد يأس وترحة … فماتت سروراً بي فمت بها غما

حرام على قلبي السرور فانني … اعدالذي ماتت به بعدها سما

نعم هذه طائفـة من الشعر الذي كنا نتحدث به انا ورفيقي من دون ان نخوض في شيء من الكلام على بواطن هذا الشعر او نتصدى لكشف الغطاء عن اسراره وانما كان يسحرنا بظاهره فيشغلنا جمال هذا الظاهر عن النظر في جمال البـاطن فكنا نجهل المتنبي ونجهل طبيعة عبقريته وانما كنا نتغنى بشعره حتى افترقنا فطرحتني النوى مطارحها واذا انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا في دكان وراق من الوراقين فأخذت عيني ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ اليازجي فاشتريت هذا الديوان وحفظت منه ماتيسر لي حفظه وقد ذهب المحفوظ الا اقله وانا لم ازدد معرفة بالمتنبي و بحقيقة حاله وشعره وانما ازددت عبادة له ٠

هذا اول عهدي بشيخنا ابي الطيب وما قدمت هـذا الكلام عبثاً ، ولا رجعت الى الماضي عرضاً ، فلم اتعود ان اقلق غيري واضجره بكلامي على نفسي وانما المرء لا يكون امينا كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره هذا ما قاله اناتول فرانس ، لم اعرض الماضي عليكم عبثاً وانما اردت ان اصف لكم طوراً من اطوارنا في فهم الادب ، اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة ، كنا لا ندري بشيء من جملة حياة الشاعر وجملة اخلاقه وطبائعه وجملة عبقريته ، حسبنا ان نستظهر بعض اشعاره ونروي هذا المستظهر في مجالسنا حتى يطبعنا الادب بطوابعه و يصبنا في قوالبه ، اما اليوم فلا يكفينا ان نملأ اذهاننا ببعض ابيات نجمجم بها في محافل الادب ، تلك حالة

قد خلت ، ليس صاحبها في شيء من الادب ، قرأنا المتنبي فلم نعرف عنه كل شيء تهمنا معرفته ، لم نعرف اين ولد واين نشأ وكيف حصّل وقرأ ، وما هي اخباره من مبادئها الى خواتيمها ، كيف جال في الاقطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه ، وكيف قصد كافوراً ثم تركه ، وكيف عاد الى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل الى بلاد فارس ثم غادرها فقتل في طريقه الى وطنه الكوفة ، قرأنا المتنبي فلم نحط بشيء من سلسلة اخباره ، فلم يتبين لنا طراز حياة المتنبي وما قصدنا ان نعرف انه اتصل بفلان او فلان من الوزراء والامراء ، وانما اذا عرفنا جملة اخباره استخلصنا منها نمط حياته فتبين لنا ان هذه الحياة كانت جياشة بالحوادث والفتن فياضة بالقلق والاضطراب يكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من ايامه ، ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته ، اعصاب هائجة مائجة اذا حركوا منها طرفاً انتفضت ولا انتفاض البرق فو يل للذي مسها بسوء .

هكذا قرأنا المتنبي ، اما اليوم فاني احاول ان ادرسه واياكم على صورة اتم ، ووجه اكمل ، احاول اليوم ان اقرأ كل ما اهتدي اليه مما يتعلق بحياة المتنبي ، احاول ان اقرأ شعره وان ادون في دفتري ما توحيه اليّ هذه القراءة ، وان احدثكم في كل اسبوع بما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صفات هذه الآثار ، وعلى ما به لابد لنا من ان ننتقل الى وطن شيخنا ابي الطيب ونراقبه في اطوار حياته بمجامعها ونصحبه في اسفاره كلها ، في جولاته في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها ، وفي رجوعه الى العراق وفي شخوصه من العراق الى فارس وفي مغادرته بلاد فارس وعودته الى وطنه وفي مقتله على طريقه الى الكوفة ، لابد لنا من ان نصحب شيخنا ابا الطيب من مبدإ منشأه الى خاتمة حياته وان نعنى بجميع ماحدث له من الحوادث في مجالسه كلها وما اكثر هذه الحوادث ، وان نستنبط منها طراز حياته وماملئت به هذه الحياة من قلق واضطراب ، وماانقلبت فيه من علو وهبوط لا بد لنا بعد الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مزاجه وخلقه مستندين في هذه المعرفة الى آثار عبقريته نفسها لابد لنا من النظر في آثار عصره في شعره وآثار شعره في عصره ، ما الذي اوحاه اليه عصره وما الذي اوحاه الى عصره لا بد لنا من النظر في عبقريته وفي خصائصها راجعين في الاحاطة بهذه الخصائص الى مصادر شعره

وجملة القول : لا بد لنا من ان نعيش مع المتنبي حتى نعرف من هو المتنبي ، وقد يجوز أن يعرض لي في اثناء هذا كله فكر عام يجره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور موضوعاً وهيأ له عناصره ثم اخذ قلمه ليكتب هجم على ذهنه شيء ما كان يتصوره ، كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف فقيل له في ذلك فقال تزدحم الافكار في صدري فيقف القلم لتخيره .

اول ما يهمنا علمه الاحاطة بحياة المتنبي من اولها الى آخرها ، والوقوف على اخباره وحوادثه من دون ان تكون هذه الاخبار مقتضبة مبعثرة فاذا وقع الاقتضاب في الاخبار فاتتنا صورة صاحبها المتكاملة ، فاذا كنا نبحث عن حياة المتنبي وتعرضنا في خلال بحثنا للكلام على شعره من دون ان يكون لهذا الكلام ارتباط بحياة صاحبه شاهت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر بنا ان نرسل اخبار الحياة دفعة واحدة ، وقد عني الافرنجة بهذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر اني قرأت كتاباً عمله « اناتول فرانس » سماه العبقرية اللاتينية ، وصف فيه طائفة من كبار شعراء فرانسة وكتابها من جملة هؤلاء الشعراء (راسين) وكاد راسين يكون اكبر شعراء فرانسة عقد له اناتول فصلاً في كتابه يشتمل على خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الا حياة راسين من صدورها الى اعجازها وقليلاً ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حياته الا ما اقتضاه المقام ، من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكاتب او الشاعر في الادب الحديث لان لهذه الاخبار تعلقاً بروح الشاعر وباخلاقه وبطبائعه وبعبقريته نفسها .

رجعت الى المصادر التي استطيع ان اهتدي بها الى معرفة حياة المتنبي من جملة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، يتيمة الدهر ، الصبح المنبي . تصفحت كتاب ابن خلكان فبدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المتنبي ثم على اهله ثم على تحصيله ثم على اخباره ثم على شعره ، بدأ بالكلام على تحصيله ثم انتقل الى الكلام على شعره ونثره ثم ذكر نظر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بيّن مولده ثم ذكر نسبه حتى ركب البحث بعضه بعضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب الصبح المنبي فانه عوضاً عن ان يروي لنا اخبار المتنبي دفعة واحدة رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا اخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى اخباره عند ابن العميد ، بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة في التدقيق والتمحيص حتى اجمع اخبار ابي الطيب كلها ، واصل بعضها

بعض من بدء حياته الى يوم مقتله ، فلو ذكر صاحب الصبح المنبي الاخبار دفعة واحدة من دون ان يتخللها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له في فصل الاخبار لكفى القارىء كثيراً من العناء . ادبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض الناس على ان يعتقدوا اننا لا ادب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الا لقلة الترتيب في ادبنا فلو روى المؤلفون اخبار شاعر من الشعراء على حدة حتى نستخلص من هذه الاخبار طراز حياته باجمعه . ولو نقدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى نستنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان يتخلل الاخبار شيء من النقد . او ان يتخلل النقد شيء من الاخبار مما لا يتعلق بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكان ادبنا في شكل اتم ، فاذا قلنا ادبنا في القديم فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة . وما اظن ان ادبنا في الحديث احسن ترتيباً . ومن المؤلم ان يدعو استاذ روسي في المجمع العلمي في لنينغرد وهو الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا العصر قبل ان يفكر احد من هؤلاء الادباء في التنظيم ، فقد كتب هذا الاستاذ مقالة بالعربية سماها : درس الاداب العربية الحديثة — مناهجه ومقاصده في الحاضر — نظر واقتراح — وارسل مقالته الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريباً في مجلة المجمع . وقد قرأتها كلها فان صاحبها دلنا على ما يجب علينا ان ننهجه من المناهج في ترتيب ادبنا الحديث واقترح ان يكون دخول نابوليون مصر فاتحة عصر هذا الادب .

دمشق : في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

المحاضرة العاشرة

وطن المتنبي

خد العذراء

– ٣ –

« موقع الكوفة — اوليتها - وصفها »

انتقل بكم في غسق ليلتنا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه جبار بني أمية الى البلد الذي أورفت ظلاله فيه جبار بني العباس ، انتقل بكم من دمشق الى بغداد :

محضتك يابغداد ودي على النوى وانى ان أمحض ودادي أصدق
فما بردى لولا الفرات بمورد لظمآن ان يشرب من الماء يشرق
ولا دجلة لولا مناهل جلق بمجرى برود كالرحيق مصفق

انتقل بكم من شواطيء بردى الذي نكاد نسمع نجواه وراء قاعة مدرستنا الى شواطيء الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الامم التي طوتها هذه الانهر الثلاثة ، تصوروا العبقريات التي نبتت على ضفاف هذا الماء السادر في غلوائه ، الجامح في خيلائه ، الذي ماانفك يسخر في ماضيه وحاضره وآتيه من كل جبار عنيد . مالنا ولهذه الذكريات الاثيمة ، استغفر الله . وهل الامم الا سلاسل ذكريات . هل كان الحاضر الا ابن الماضي هل كان الآتي الا نتيجة الحاضر ؟ . انتقل بكم من منازل العصابة الذين نادمهم حسان في الزمان الاول بجلق ، من منازل ابناء جفنة على بردى الى منازل النعمان على الفرات من متنزهات الغوطة جنة الدنيا الى متنزهات الخورنق والسدير .

اني لاجوز هذه المواضع كلها دون ان اقف بكم على موضع منها ما خلا موضعاً طلع على الدنيا والناس من عشرة قرون ونيف برجل ملأ الدنيا وشغل الناس ، وقبيح بنا ان نقلق شيخنا ابا الطيب في ضجعته ونبعثه من مرقده من غير ان نطوف بالوطن الذي انبت امثال ابي الطيب ، ولا مثيل له ، ونعرف شيئاً من خصائص هذا الوطن ، والمرء ابن ارضه وسمائه ومائه وهوائه يأخذ من تربته ويعطيها ونناجيه ويناجيها يؤثر فيه كل ناحية

من نواحي هذه التربة فلا يتملص من عوامل طبيعتها ولا ينسلخ من عوامل السياسة والاجتماع والتاريخ في آفاقها ، على ان بعضهم لم يجعل للبيئة المقام الاول في نشوء العبقريات ، قال الاستاذ برونتير :

« لا تنسوا ان المرء وان كانت بيئته تؤثر فيه فهو يستطيع ان يتملص من آثارها وانه يستطيع ان يصرّفها في مصالحه وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر ، لا شك في انهم لاينكرون آثار البيئة ولكنهم بعيدون عن ان يجعلوا لها حتى في علم الحيوان المحل الذي جعله لها (تين) في مذهبه » .

وسواء اتركت الكوفة في شعر ابي الطيب أثراً من آثارها ام لم تترك . وسواء اكان هذا الاثر غامضاً ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .

اين هو هذا الوطن على التحقيق ، نقرأ ان المتنبي ولد في الكوفة في محلة يقال لها كندة ، ولكننا قليلاً مانهتم بمعرفة موقع الكوفة وقليلاً ما نبالي بمعرفة طبيعتها ولا نسأل هل تغنى المتنبي بوطنه ، هل عقّ وطنه . وحسبنا ان نعلم ان الكوفة مدينة من مدن العراق . قال ياقوت في معجمه : الكوفة بالضم المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق . لاشك في ان هذا التعريف العام لايزال مبهماً ، فهو لم يزدنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين ياقوت اين الكوفة من بغداد واين هي من دجلة اوالفرات حتى انه أورد ابياتاً في هجاء اهل الكوفة من جملتها بيت من الشعر أتحاشى عن ذكره في مثل هذا المقام، يدل هذا البيت على ان الكوفة قريبة من دجلة وهذا خطأ لم ينبه عليه ياقوت .

قال صاحب كتاب بلاد العرب الاستاذ (دي فرجر) مصّر عمر البصرة على خليج فارس ، ومصّر الكوفة على بحيرة الرهيمة . فأين الرهيمة ؟ يقول لنا الفيروزابادي في قاموسه المحيط : ورهيمة كجهينة عين بين الشام والكوفة . وهذا التعريف لايقل غموضاً عن تعريف ياقوت للكوفة . وردت الرهيمة في شعر المتنبي معرفة بال . لما خرج ابوالطيب من مصر ورجع الى الكوفة وصف منازل طريقه فقال في جملة ما قال :

فيا لك ليلاً على اعكش ... احم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه ... وباقيه اكثر مما مضى
فلما انخنا ركزنا الرماح ... بين مكارمنا والعلى

من هنا يستدل على ان الكوفة واقعة على الرهيمة او قريبة منها لانهـا آخر ما ذكر المتنبي في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً فبعد ان ورد الرهيمة قال : ركزنا الرماح اي بلغنا الى الكوفة .

فالكوفة على التحقيق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد، في الجانب الغربي من الفرات ، وبينها وبين بغداد مائة واربعون كيلومتراً وصفها عراقي لي فقال : فيها بساتين ولا تزال آثار مسجدها القديم قائمة .

ولئن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد تعمدت هذا التطويل لتعرفوا قلة التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا .

ما معنى الكوفة . ويسميها قوم خد العـذراء وسماها عبدة بن الطبيب : كوفة الجند فقالــ :

ان التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند قد غالت بها غول

قال ياقوت في معجمه :

« قال ابو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتهـا ، اخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضاً ، و يقال : اخذت الكوفة من الكوفان . هم في كوفان اي في بلاء وشر ، وقيل : سميت كوفة لانها قطعة من البلاد . من قول العرب قد اعطيت فلان كيفة اي قطعة ، و يقال : كفت اكيف كيفاً اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا ، انقلبت الياء فيها واواً لسكونها وانضمام ماقبلها . وقال قطرب : يقال القوم في كوفان اي في امر يجمعهم ، قال ابو القاسم : قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة . وقال آخرون : سميت كوفة لان جبل ساتيدما محيط بها كالكاف عليهـا . وقال ابن الكلبي : سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان ، وعليه اختطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به . فهذا في اشتقاقها كاف » .

نعم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي، ثمانية اسباب في تسمية بلد ، يحار المرء في معرفة الاصح منها ، فيخرج من حيرته هادئ البال ، مطمئن الفكر بقوله : والله أعلم .

مالنا ولهذه الفوضى ، فلننظر الى اولية الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب دون ان نجاوز هذا الزمن مخافة ان نضيع في مجاهل العصور .

بنيت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من أطلال الحيرة ، منازل المناذرة والاكاسرة قبل الاسلام . قال قوم : مصّرت الكوفة في السنة التي مصّرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ ، وقال آخرون : مصّرت الكوفة بعد البصرة بسنتين ، وقالوا بسنة . والسبب في بنائها ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت تفد عليه وفود العرب بعد الفتوح وألوانهم شاحبة ، وسحناتهم متغيرة ، فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح الشاة والبعير ، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً . وعليك بالريف ، فوقع اختيار سعد على ارض يقال لها قبل الاسلام سورستان فبنى فيها الكوفة ، وكان اول ما خط فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في أوائل الفتح الاسلامي جماعة من نزار واهل اليمن ، اما اهل اليمن فكانت خططهم في الجانب الشرقي من البلد وهو خير الجانبين ، واما نزار فقد كانت خططهم في الجانب الغربي من وراء الغابات ، اني الفتكم من اليوم الى منازل اهل اليمن في الكوفة فسيمر بكم ان المتنبي ينتسب الى حي يمان فكأن اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول امرها في الاسلام أحبوا ان يسموا محلتهم فيها كندة احياء لذكر كندة ابي حي من اليمن ، والمتنبي ولد في هذه المحلة حتى قال قوم بدئ الشعر بكندة ، بعنوان امرأ القيس ، وختم بكندة بعنوان ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، افلا يليق بنا ان نسمع وصفها ، ونعرف طبيعتها وللشاعر ارتباط بطبيعة وطنه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطاردي لعبد الملك بن مروان فقال : الكوفة سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي بربة مريعة اذا اتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور واذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وورده وياسمينه واترنجه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فبكر عاطل عنطاء لا حلي لها ولا زينة .

وكان علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حبذا مقالنا بالكوفة — ارض سواء سهلة معروفة — تعرفنا جمالها العلوفة [١] .

والظاهر ان الكوفة صبغت في بدء امرها بصبغة دينية فكان سلمان الفارسي يقول: اهل الكوفة اهل الله ، وهي قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن، وكان علي يقول : الكوفة كنز الايمان وجمة الاسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينصرن الله باهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز .

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة .

هذه صورة الكوفة التي عرضوها علينا ، ولكنها سرعان ماعركت بالنوازل وركبت بالزلازل كما قال علي ، ولقد اشبه المتنبي امه الكوفة فما ظلم فما كان الا ابن النوازل ولا كان الا صنو الزلازل ، مارسته ومارسها وطاعنته وطاعنها فما هو ملّها ولا هي ملّته .

نعم هذا هو وصف الكوفة على قدر ماتيسر ، ولقد نشأ في الكوفة من الشعراء مطيع ابن اياس وحماد عجرد وابو دلامة ودعبل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم: الشعر ميراث في الكوفة ، ولما استنفر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم ينفروا معه خطب فيهم فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار ، تربت ايديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل » فالظاهر ان الشعر كان يجد في خد العذراء تربة صالحة وهواءً صالحاً حتى زعم حماد ان النعمان بن المنذر امر فنسخت له اشعار العرب في الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب المختار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له : ان تحت القصر كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الاشعار قال : فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .

وفي الكوفة نشأ اكابر النحاة معاذ الهراء والكسائي والفراء وابن السكيت فكان الشذوذ من طبع الكوفيين .

---

(١) هكذا ورد الضمير في تعرفنا والمقام يقتضي رجوعه الى الجمال .

وفي الكوفة نشأ اكابر علماء اللغة والادب كحماد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ ·

من كل ماتقدم يتبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة النحو والشذوذ ومدينة اللغة ومدينة الدين · فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وظهر على شيخنا ابي الطيب شيء من هذه الآثار باجمعها فالشعر من طبع المتنبي والشذوذ من سجيته واللغة مختمرة فيه الا الدين فاني لا اجد في شعره نزعة اليه ، وانما لما اتصل بسيف الدولة ووصف غزواته في بلاد الروم وردت في شعره أبيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيعة الحرب بين الروم والمسلمين ·

ولست أعني بهذا ان الكوفة هي التي خلقت الشعر في طبع المتنبي او طبعته على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل المتنبي وانما المتنبي مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ · واذا كان للبيئة اثر في المرء فقد يجوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نمو هذا الطبع وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف الكوفة وطن ابي الطيب لاغير ، فلا أخرج عن هذا الكلام ·

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم مما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان لخد العذراء اثراً في شعر المتنبي أبلغ من الاثر الذي وجدته فليتني لم أعرف الكوفة الا من شعر ابي الطيب · واذا الشاعر لم يتغن بوطنه فمن الذي يتغنى به ؟ ان النفوس لتحركها محبة الألوان والأشكال اي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة الوضاءة فمتى استطعنا ان نتغنى بجبالنا واوديتنا وبمروجنا وسهولنا ومتى استطعنا ان نتغنى بهذا النسيم العليل الذي نشقه اباؤنا وأجدادنا ، و بهذا الماء العذب الذي وردوا عليه وصدروا عنه و بهذه الغوطة الغناء مجلى الطبيعة ، ومغنى الانس عرفنا حينئذ قيمة الوطنية النقية الهادئة التي لا نقوى على قتلها العصور والأحقاب فما تكر عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور ·

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه المبرة التي نريدها في هذا العصر فكأن فكرة الوطن حديثة ، ولكنها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم معالجتنا لها في هذه الايام ·

لم يترك المتنبي في شعره اثراً للكوفة · ولكنه تغنى ببعض منازل قريبة من وطنه

فتارة كنت أجده شديد الحنين الى كندة محلته بالكوفة حتى جعل هذه المحلة بمنزلة والدته فقال لعلي بن ابراهيم التنوخي :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

وتارة كنت اجده لا يوحشه وطنه اذا شطت به النوى فهو آفاق يضرب في البلاد مكتسباً فقد قال

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

نعم مرة كان يستوحش فيشتاق الى وطنه والى اهله من مصر :

بما التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

* * *

أحن الى اهلي واهوى لقاءهم واين من المشتاق عنقاء مغرب

ومرة كان يستغني عن هذا الوطن فيطيب له المقام بكل ارض يأمل فيها ضيعة او ولاية ، فقد قال لكافور في مصر :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وقال له :

وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

والخلاصة لم يتغن ابو الطيب بالتربة التي أنبتته و بالهواء الذي شمه و بالظلال التي أظلته واذا حنّ في بعض الأحيان الى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن قريبة من وطنه اختصر الكلام ولم يطوله :

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

والثوية موضع على مقربة من الكوفة .

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومي : ذا بذا كا

على ان المتنبي كان جواب آفاق قد دحا الارض فلم تشتد الفته لوطنه .

كأني دحوت الارض من خبرتي بها كأن بني الاسكندر السد من عزمي

فكان اذا نزل منزلاً وكرّمه اهل هذا المنزل و بجلوه . استطابه فلم يحن الى ربعه .

دمشق : في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

المحاضرة الحادية عشرة

نسب المتنبي
— ٣ —

اتصاله بقبائل اليمن — تأثير الدم — فخره بقومه — فهم الناس لشعره — اهله

استوقفتكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقرية ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو خير الجانبين ، والمتنبي ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكأن اليمانيين الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يحيوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان ، وهمدان قبيلة باليمن ، وقد جاء ذكر المحلتين في شعر ابي الطيب ، ورويت لكم البيت الذي تضمنها :

امنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمتنبي اتصال بهذه القبائل اليمانية وما هو نسب المتنبي ·

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التنقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بحذافيره عن حياة المتنبي وخلقه وشعره واسلوبه ، من دون ان يهتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً بعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا الفؤاد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يترقرق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره ·

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره ·

تحمل المسك عن غدائرها الريح ... وتفتر عن شنيب برود
جمعت بين جسم احمد والسقم ... وبين الجفون والتسهيد

واجمعوا على ان اباه اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جعفي . قال صاحب طبقات الادباء : وذكر القاضي ابوالحسن ابن امشيبان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفياً صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب والد المتنبي ، فقد هدأ بالنا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستمن بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن : وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جعفي وان جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فللمتنبي اصل من الاصول ، فلندقق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان ومذحج ، وبهمدان ومذحج استعان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر ابن عدي صاحب فتنة الكوفة في ايام زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان يثني زياد فاذا علمتم ان بين السنة التي مصّرت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٢ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل اليمانية التي رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جعفي وجدته همدانية فالمتنبي يماني الاصل من الناحيتين من ناحية ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميمه .

فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفياً صحيح النسب وجعفي على وزن كرمي من بطون سعد العشيرة وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج وبيان مذحج اقر ابو عبيدة فقال : ولسان العرب مذحج .

ولننظر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب، و بفروسية همدان اعترف ابن الكلبي فقال : وهمدان احلاس الخيل وفي همدان يقول الشاعر :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة البـاب
كالهندواني لم تفلل مضـاربه وجـه جميل وقلب غـير وجاب

وفيهم يقول علي :

فلو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان النعمان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها .—

فالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيان في هذه القبائل .

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الملوك . . . فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا بل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي ينتسب الى جدة صالحة موصوفة بالحزم لايستغرب فخره ان فخر .

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي واسرار خلقه في الآتي وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي صالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارسًا من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد اهل بيته في القديم قد جمع شيئًا من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقابحها عن اهله في قربهم منه وبعدهم عنه فقد يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث عن احد اقاربه في قديم الدهر مهما كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخيًا فالعرق نزاع .

قرأت مقالاً في مجلة بباريز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطنا في هذه الايام بلاد الترك بعد ان تغيرت سحناتهم عن سحناتهم القديمة ومنعنا الامم عن مخالطتهم وحصر

الترك في بلادهم فلم يصهروا الى احد من غيرهم ولم يصهر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لوجدت هيآتهم بعد الف سنة الى هيآت الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركيبهم الخاص وبصفاتهم الخاصة .

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف تنكشف لكم في كلامي على اخلاقه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جعفياً ومادامت جدته همدانية وفي جعفي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب .

* * *

للدم تأثير في العبقريات واظن انكم لا تزالون تذكرون مذهب (تين) في النقد فقد أراد (تين) ان يجعل للجنس وللبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على مايقول من يجمع صفات الشجاعة والفطنة ومنهم من يُعرف بالبلاهة وقصر المدارك ومنهم من يعلو في التصورات والمخترعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال وتقوى فيهم طائفة من الغرائز كما ان من الكلاب مايصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي .

وقد ذكرت لكم ان (تين) قد أدخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لايخلو من شيء من الافراط ، وقد أشار الاستاذ (برونتير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط ففي نظر (تين) ان بعض أجناس البشر يصلحون لشيء لاتصلح له اجناس غيرها فقال (برونتير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرتغال وهو سبينوزا .

ولئن كان مذهب (تين) فيه شيء من الافراط فهو لايخلو من شيء من الحقائق . فان للدم تأثيراً في العبقريات . فقد تشتهر أجناس من البشر بامور لا يشتهر بها غيرها . وقد تعرف قبائل باشياء لا يعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث . فتك مراد . بأس زبيد . كيد جعفي . مغار طيء الى غير ذلك . وقد يتوارث اواخر القبيلة المحاسن والمساوئ عن اوائلها . فالمتنبي انتقلت اليه صفاته من احد أقاربه في

جعفي او في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبي صفاته المعروفة من دون ان تكون مجموعة في احد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جعفي وفي همدان ولد وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهله في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الاماني البعيدة من دون ان يكون منتسباً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني . واذا لم نشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يماني الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته وفي عروبيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على تغنيه بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي جملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والثعالبي وصاحب الصبح المنبي اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جعفي ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبي الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد انبت ابا الطيب في اسوإ المنابت ، ورده الى ارذل الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً أبعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه وانحطاط اصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أمّا

فظن ان ابا الطيب ينفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم يأتك الكرم من نواحي ابيك لاتاك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية ابيك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف ينفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفيملكه اللاصقون بلحومهم اللازقون بعظامهم الذين لم يحلقوا في جوّ اعلى من جو الحيوانية .

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام

فظن ان اباالطيب ينفي عن جده عظيم همته والمتنبي يقول ولا يحتاج قوله الى دليل لست أقنع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمنيتي ان اجمع شيئاً من الفضل بنفسي فأبوالطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .

من جملة هذه الابيات التي ساء فهمهم لها قوله :

فخر الفتى بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأخوال

او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والنجل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفدوا حيله

فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخؤولته وانما المتنبيء يرجع في هذه الابيات الى شنشنته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس وبالفعل أعظم من الفخر بالعم وبالخال وهذا لاينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخؤولة وانما يؤيده فكأنما المتنبيء يريد ان يجمع الى تالد الفخر طريفه وهذا أبعد مجالات الهمة .

ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناه بقوله هذا ان قومه شرفاء وانهم فخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .

ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن منبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه على خطإ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم شعر المتنبي وما اظن انهم انبتوا اباالطيب هذا المنبت الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا

فلو كان الحسين الجعفي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني نظرهم اليه وابوه سقاء ، فالمال وحده هو الذي حرّف الانظار ، ومتى كان المال مقياس الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابنــاء سلاطين آل عثمان ومن حاشية قياصرة الروس الذين شتتت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى لا يموت من الجوع ، افلا نجد من اصحاب النعم رجالا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ، انا لا اريد ان اقول ان المتنبي نشأ الملك في بيته قديمًا ولكني لا اعتقد انه وضيع ولا اريد ان اعتقد انه كان يعترف بوضاعته .

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب . فلننظر الى اهله في عصره وايامه فقد اشار في شعره الى امه والى جدته .

اما جدته فقد كان غائبًا عنها في اقطار الشام ، وطالت غيبته هــذه ، وقد ارسلت اليه كتابًا تشكو فيه شوقها اليه . وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب اليها كتابًا يسألهــا ان تسير اليه فقبّلت كتابه وحمت لوقتها سرورًا به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فرثاها بقصيدة ملأها من رقة العاطفة وصدقها سأتكلم فيها في اثناء كلامي على شعره وفي هذه القصيدة ابيات تدل على شدة محبة جدته اياه . وعلى شدة محبته اياها فمن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما

ولا يبعد ان جدته كانت تقرأ فكانت تعجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :

تعجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصما

وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيها وانيابها سحما

وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملئا حزما

واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من جملتها هذا الحزم .

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابياتاً أشار فيها اليها :

بيدي ايها الامير الاريب　　لا لشيء الا لاني غريب

او لام لهـا اذا ذكرتني　　دم قلب في دمع عين يذوب

وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً في ابن العميد قال له في جملته :

يا ليت باكية شجاني دمعها　　نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكت على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها ٠

وكان له ابن اسمه محسد صحبه الى بلاد فارس و يظهر ان محسداً كان شاعراً ٠ نقل صاحب الصبح المنبي عن بافوت ان المتنبي كان جالساً بواسط فدخل عليه رجل وقال : نريد ان تجيز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام يطلب ستراً　　فافتضحنا بنوره في الظلام

فرفع ابوالطيب رأسه وكان محسد واقفاً بين يديه وقال :

يا محسد قد جاءك بالشمال فأته باليمين فقال محسد ارتجالاً :

فالتجأنا الى حنادس شعر　　سترتنا عن أعين اللوام

وقد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيات بعد فراره من مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والى شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :

لولا محمد بل لولا الحسين لما　　رأيت رأيي بوهن العزم مختلطا

هذا هواي وذا ابني خط مسكن ذا　　بمصر والشام التي دائماً خططا

والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من تحريف اذا صحت أما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محسد واما الحسين فقد يجوز ان يكون شيخاً له وعلى كل الرواية غامضة ٠

هذا كل ما حققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وايامه ، واما ما يتعلق بزوجته وبقية اهله فهو خاف علينا ٠　　دمشق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة المسمى باخبار المذاكرة »

— ٥ —

قال ابو الحسين فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات وهو يعمل وانا مع ابي والمجلس حافل . حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل يذكر فيه ان ابا احمد هذا قد بسط (١) في الاعمال واظهر من المروءة امراً عظيما وركب باللبود الطاهرية وبعدة حجاب وغلمان حتى انه يسير معهم في موكب وانه ورد معه من الزواريق (٢) والجمال التي تحمل اثقاله شيء كثير . وان هذا مالا يحتمله رزقه وانما هو من الاصل . فرمى بالكتاب الى ابي القاسم زنجي الباقي الى الآن . وكان اذذاك حدثاً يخط بحضرته ، وقال له وقع عليه ليكتب اليـه ويعرف انه نفع الرجل من حيث تعمد ضره ، لانه اذا كان في مثل هذا الصقع عامل وجيـه جليل كثير التجمل والهيبـة والمروءة صلح ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام متى انكر على عمالها امراً . لان هذه النواحي لاتصلح الا لمن كان حسن التجمل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل على من في مجلسه فقال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن سليمان ان المعتضد رفع اليه خبر رقعة النوشجاني صاحب بريده يذكر فيها : ان الاخبار

«١» م . ع : لعله تبسط او بسط يده . «٢» م . ع : لم نجد الزواريق ولعلها الزوارق جمع زورق وهو القارب .

ذاعت ببغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلداً فيها لعمالتها دخل ومعه عدد كثير عظيم من الغلمان والحاشية قال فتحيرت لما دفع الكتاب اليّ وخفت ان يكون قد انكر ذلك ويقع له ان هذا اصطلام (١) المال . ودخلني فزع منه فلم ادر باي شيء أجيب . فقال لي : يا ابا القاسم وقد كان كناه اول ما استوزره . وكان يتكنى على الناس الا على بدر وصاحب خراسان . وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف والدعاء بينهما سواء . قال لي المعتضد يا ابا القاسم قرأت الكتاب . فقلت نعم . فقال قد سرني ما ذاع من مروءة حامد وهيبته بذلك في نفوس الرعيـة . فكم رزقه ؟ فقلت الفان وخمسمائة دينار في الشهر . فقال اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مروءته . قال ثم قال ابو الحسن بن الفرات عقيب هذا وقد فعل المعتضد قريباً من هذا مع ابي العباس احمد بن بسطام . فان المعتضد طالبـه بعجز ضمانه واسط وحبسه في دار ابن طاهر وألزم سبعين الف دينار يؤديها . فكان يصححها (٢) على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر. وأصحاب عبيدالله يطالبونه ويقتضون المال ، فكتب النوشجاني صاحب الخبر فيـه انه كان يفرق في ايام ولايتـه في كل شهر عشرين كرّاً حنطـة ودقيقاً على حاشيته وعلى المستورين والفقراء . وانه فرق في هـذا الشهر الاكرار على رسمه ولم يقطعها وهو مع ذلك يماطل باداء ما عليه . فلما دخـل عبيد الله على

«١» م ، ع : أي استئصال . «٢» م . ع : كذا في الاصل وفي التاج صحح الحساب أصلحه .

المعتضد اراد الرقعة . فسكت عبيد الله فقال له المعتضد : قد سرني هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة وكثرة المعروف وقد جمّلنا بما قد فعله حين لم يظهر ان ما قد الزمناه أحوجه الى الزوال عن عادته في المعروف فكم بقي عليه قال بضعة عشر الف دينار فقال اسقطها عنه ورده الى عمله وعرّفه إحمادي ما قد فعله . فامتثل عبيد الله ذلك .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن بدر بن الاصبغ يحدث ابي قال كنت انصرف مع سليمان بن وهب لقرابة كانت بيننا من جهة النساء وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس الدقيق لكثرة ما كان يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه . فولي سليمان ديوان الخراج فكنت احد عماله فيه فوقعت بيني وبين ابنه عبيد الله نفرة فلزمت منزلي اياماً فما شعرت الا برقعة الحسن ابن مخلد يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع وكانت بينهما مماظّة (١) فمضيت اليه فقال لي انت معطل ولا تصير اليّ وقد انفصل ما بينك وبين ابي ايوب فقلت يا سيدي كيف ينفصل ما بيننا مع القرابة ولكن بيننا عتب . فقال دع ذا عنك انت معطل وماتبرح. قال واراد اجتذابي من جنبته وكان الناس اذذاك يتغايرون على الكفاة فقلدني اعمال السيب (٢) الاسفل وقسين (٣) وجبيلا (٤)

«١» م،ع : منازعة . «٢» م،ع : السيب كورة من سواد الكوفة وهما سيبان اعلى واسفل . «٣» م،ع : قسين كورة من نواحي الكوفة . «٤» م،ع : جبيل اسم لاماكن كثيرة منها جبل قرب فيد وفيد بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة ولعلها محرفة عن جبل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة)وهي بلدة بين النعمانية وواسط .

وكانت تجري في ديوانه فقبلتها وخرجت اليها وكان الارز قد قارب الادراك فقدرته وعدت الى سر من رأى لاشرح له حال التقدير واستأمره في العمل فلما بصر بي قال قد قدمت على فاقة مني البك قد تأذيت بالفلاحين واريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه من جبل ياسورين (١) من الشلج فقلت له الارز خافور (٢) وما بلغ الى ان يجرز فقال لا بد من ان تستفرغ جهدك وحيلتك في هذا حتى تخفف عني . وكان اول خدمة فاحتجت ان اضطرب (٣) لاصنع (٤) نفسي عنده فخرجت مفكراً فيما اعمله فلا قبالي لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق وكانت بيننا مودة وكان موسراً وكان جميع متجره غلات السلطان فبدأني على تركي مبايعته شيئاً بالسلف من غلات عملي فاجتذبته الى منزلي وقلت البيت الك فاحتفى (٥) ولو رأيتك ما عدات عنك . قال فاقام عندي يومه ولم ازل حتى بعته حساب الكر الارز المعدل بسبعة دنانير وكنت قد قدرت الحاصل فيه للسلطان ثلاثة آلاف كر معدل واستثنيت عليه في كل كر ديناراً وأخذت خطه بضمانه تعجيل عشرة آلاف دينار لمن يوءمر بادائها اليه ورحت الى دار الحسن بن مخلد فوجدته نائماً والناس مطرحون في داره. ثم دخلت اليه وشرحت له الصورة فسر بها وأمر باحضار صاحب مجلس النفقات في الديوان وسلم الرقعة اليه وقال أحل الفلاحين على هذا التاجر. فلما خلا مجلسه تقدمت اليه وعرفته خبر الاستثناء واريته الخط وقلت

«١» م . ع : ياسورين موضع فوق الموصل يقال له البلد . « ٢ » م . ع : الخافور نبت كالزوان ولعله يريد ان الارز في حالته الحاضرة كالخافور . « ٣ » م ع : اكتسب .
« ٤ » م . ع : اي اجملها . « ٥ » لعله سقط : بك .

الى من اسلم المال اذا قبض فلم يجبني فالححت عليه فقال لي يا هذا انك صحبت قوماً لا مروءة لهم فتعودت منهم ان يطيعوا نفوسهم الى[١] مضايقة خدمهم في هذا القدر وما هو اقل [٢]منه واذا اخذت انا هذا المرفق فانت لم تخدمني وتتبعني خذ هذا واصلح به حالك ليبين عليك اثر خدمتك لي . فقبلت يده ورجله وعدت الى عملي واستخرجت المال ودبرت العمل . وحضر بعد مديدة النوروز وقد كنت مذ خرجت من حضرته سألت ثقات اخواني من التجار في الاسواق ان يجمعوا لي كل علق حسن غريب طريف مثمن [٣] من فرش ديباج مثقل وابي قلمون مذهب ووشي وديبقي[٤] مرتفع وقصب. قال فجمع لي من ذلك ما كان شراه [٥] خمسة آلاف دينار وهو يساوي اكثر منها بكثير ثم كتبت اليه رقعة في معنى الهدية وتضرعت في قبولها وتسببت لذلك وكتبت ثبت الهدية في اسفل الرقعة فكتب اليّ فيها لك اكرمك الله بنات وهن الى هذا احوج مني وقد قبلت ما يصلح قبوله انساً بك واسقاطاً للحشمة معك ورددت اليك الباقي ليكون لهن وكان الذي قبله ثوب قصب ومنديل ديبقي وشستجه قصب .

حدثني ابو الحسين[٦] قال سمعت ابا عبدالله الباقطاني يقول : وحكى لي ابي ذلك قالا ان السجزية [٧] لما غلبوا على فارس اجلى قوم من اهل

«١» م . ع : الاظهر في مضايقة خدمهم الى ... «٢» بالاصل اوه . «٣» م . ع : ذي ثمن . «٤» م . ع : ثياب منسوبة الى دبيق بلد بمصر . «٥» م . ع الشرى والشراء بمعنى واحد والقصر افصح . «٦» كتاب الوزراء لهلال ص٣٣٩ . «٧» م . ع : السجزية بالفتح والكسر نسبة الى سجستان اقليم بين خراسان والسند وكرمان .

الخراج عنها لسوء المعاملة ففضوا (١) خراجهم على الموجودين وسموا ذلك التكملة حتى يكمل به مال قانون فارس كان متقدماً (٢) ولم يزل الحال في ذلك تزيد تارة وتنقص أخرى الى ان افتتح ابو الحسن ابن الفرات في وزارته الاولى فارس على يد وصيف ومحمد بن جعفر العبرتائي (٣) ومن ضمه اليهما من القواد في سنة ٢٩٨ فأمر ابن الفرات باجراء الامر في التكملة على ما كان جارياً عليه وجرى الامر على ذلك في ايام محمد بن عبد الله الخاقاني وفعله علي بن عيسى في صدر وزارته الاولى فلما (٤) مضت منها مديدة صار الى مدينة السلام عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي وطعن على محمد بن احمد بن ابي البغل وكان اذذاك يتقلدفارس وذكر انه إن ضمن العمل مكانه وفر حمله (٥) من المال فضمنه علي بن عيسى وانصرف ابن ابي البغل عما كان يتقلده امانةً وقلده اصبهان ثم أخر عبد الرحمن بن جعفر المال واحتج بان اهل فارس يتظلمون من التكملة ولا يلتزمونها . وكان ابو المنذر النعمن بن عبد الله يتقلد ديوان كور الاهواز مجموعة فكتب اليه علي بن عيسى ان يستخلف على اعماله وينفذ الى فارس فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال وينظر في هذه التكملة ويشرح امرها . وكتب الى احمد بن محمد بن رستم بان يصير من اصبهان الى فارس ليضمنها وكتب الى النعمن بحل ضمان

«١» م . ع يقال فض المال على القوم فرقه . «٢» م . ع كذا في الاصل ولعل اصله . وكان ، او الذي كان . «٣» م . ع عبرتى قرية قرب النهروان النسبة اليها عبرتي على ما يظهر من التاج ومعجم البلدان . «٤» بالاصل فما . «٥» م . ع لعله جملة .

عبد الرحمن وعقد البلد على ابن رستم فاستخرج النعمن التكملة ووجد قطعة منها على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها (١) فعسفه (٢) وباع قطعة من املاكه عليه حتى استوفى ذلك وكتب اليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة وان يشرح له امرها وانه قد صار يستضعف (٣) قوم فيلزمون منها اكثر مما يجب عليهم ويرهب قوم فيسامحون بها وباكثرها فكتب اليه النعمن وابن رستم ان من طرائف ما يجري بفارس ان الناس يطالبون بالتكملة وهي ظلم صراح سنه الخوارج ويترك عليهم ما قد اوجبه الفقهاء وهو خراج الشجر لان فارس افتتحت عنوة وليس على الشجر بها خراج وارباب الشجر يذكرون ان المهدي اسقط عنهم خراج الشجر وليس لهم حجة بذلك الا طول مدة الرسم والاصل وجوب الخراج على الشجر فتسامع اهل البلدان بالخبر فتبادر اجلاؤهم الى حضرة علي بن عيسى من فارس فدخلوا مجلسه المظالم وفي اكمامهم حنطة محرقة فلما تظلموا قالوا له تمنع من اطلاق غلاتنا وتعتقل علينا في الكناديج (٤) الى ان تعفن وتصير هكذا ورموا بالحنطة المحرقة من اكمامهم حتى نبيع شعورنا (٥) ونؤدي التكملة الباطلة حتى تطلق غلاتنا وقد احترقت هكذا ورمى قوم منهم من اكمامهم بتين يابس وخوخ مقدد ولوز وفستق وبندق وغبيراء (٦) ونبق وبلوط وقالوا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله من اكتسر بمعنى اقتطع . «٢» م ، ع اي ظلمه .

«٣» بالاصل : يستصعب قوم فيلتزمون ورواية هلال اصح . «٤» م ، ع جمع كندوج الخزانة الصغيرة والخلية . «٥» عند هلال نفوسنا وشعور نسائنا . «٦» م ، ع الغبيراء شجرة لها ثمر يغبر ثم يحمر ويقال لهذا الثمر غبيراء ايضاً ويتخذ منه خمر يقال له غبيراء ايضاً.

هذا كله بلا خراج لقوم آخرين والبلد عنوة فاما تساوينا في الاحسان او الاستيفاء . فخاطب علي بن عيسى في ذلك الخليفة واستأذنه في جمع الفقهاء والقضاة ومشايخ الكتاب ووجوه العمال وجلة القواد ومناظرة القوم بحضرته وتقرير الامر على ما يوجب الحق عند الجماعة والعدل فأذن في ذلك فجمع الناس في دار المخرم التي كانت برسم الوزارة وصيرها علي بن عيسى ديواناً وطالت المناظرات واحتج من حضر من ارباب الشجر بفعل المهدي وقالوا قد استهلكت اموالنا في اثمان هذه الاملاك التي لاخراج عليها وان الزمت الخراج بطلت القيم وافتقرنا فافتى الفقهاء بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال الكتاب ان كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في الحال او عناه(١) اعتناه اهل البلاد في جدب او غيرها(٢) ثم زالت المصلحة زال الشرط . فقال علي بن عيسى للقوم اليس عندكم ان ما فعله المهدي واجب؟ قالوا بلى : قال لِمَ أليس لانه امام رأي رأياً ليس فيه مضرة؟ قالوا بلى قال : فإن امير المؤمنين وهو الامام الآن قد رأى ان الاحوط للمسلمين والاحفظ للكافة الزام الخراج للشجر وازالة التكملة فقام اليه الزجاج ووكيع القاضي فوصفاه وقرظاه . وقال الزجاج لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزه . وقال وكيع لقد فعل الوزير في هذا كفعل ابي بكر الصديق رضوان الله عليه في مطالبة اهل الردة بالزكاة وانهى علي بن

«١» م ، ع : هكذا في الاصل ولعل اصله اوعناه اعتناء باهل البلاد الخ اي اهمه اعتناء بامرهم او الاصل عناءتعناه اي قاساه الخ . «٢» م ، ع : الظاهر او غيره .

عيسى والقضاة ما جرى الى المقتدر في يوم الموكب واستأذنه في كتب كتاب باسقاط التكملة عاجلاً الى ان يتقرر امر الشجر فامر بكتب ذلك في الحال بحضرته واحضر قائداً من قواد الحضرة كان يخاف بدرا الكبير المعروف بالحمامي عامل المعاون بفارس وكرمان ليسلم اليه الكتاب ويطالب النعمن وابن رستم بامتثاله . وامر الخليفة باحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى وكان رسم الوزراء اذا امروا بكتب كتاب بحضرة الخليفة ان تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ويكتب منها باليمنى فاحضرت تلك الدواة لعلي بن عيسى وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة فلما رآه المقتدر وقد شق عليه ذلك امر باحضار دواته وان يقف بعض الخدم فيمسكها الى ان يكتب . فكان اول وزير اكرم بهذا ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء بحضرته فكتب علي بن عيسى في ذلك كتابا الى النعمن وخرجت نسخته الى الديوان واثبت فيه قال ابو الحسين فحفظناه ونحن احداث ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المومنين الى النعمن بن عبد الله : سلام عليك فان امير المومنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً . اما بعد فان افضل الاعمال قدراً واجلها ذكراً واكملها اجراً ما كان للتقى جامعاً وللهدي تابعاً وللورى نافعاً (١) وللبلوى دافعاً وقد جعل

«١» بالاصل رافعاً .

الله عز وجل امير المؤمنين فيما استرعاه من امور المسلمين مؤثراً مايرضيه صابراً (١) على ما يزلفه عنده ويحظيه ، وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل وبه يستعين . وقد عرفت حال السجزية والخرمية الذين تغلبوا على كوَر فارس وكرمان واحدثوا الجور والعدوان، واظهروا العتو والطغيان، وانتهكوا المحارم وارتكبوا المظالم ، حتى انفذ امير المؤمنين جيوشه اليهم وتورد بها عليهم ، فازالهم وابادهم وشتتهم وابارهم ، بعد حروب تواصلت، ووقائع تتابعت، احلّ الله بهم فيه سطوته ، وعجل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة المعتبرين، وعظة للمستمعين : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد » ولما محق الله امر هؤلاء الكفار، وفرق عددا وباشهم الفجار، وجد امير المؤمنين افظع ما اخترعوه واشنع ما ابتدعوه في مدتهم التي طال امدها وعظم ضررها ، تكملة اجتبوها (٢) بكور فارس في سني غواياتهم لما طالبوا اهلها بالخراج على اوفر عبرتهم من غير اقتصاد به على الموجودين حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين فانكر امير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم ،واكبر ما استمر به من الظلم العظيم ،ورأى صيانة دولته عن قبيح معرته وحراسة رعيته،من عظيم مضرته مع كثرته ووفور جملته،فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً ، وقد جعل الله تعالى من سنها مدحوراً ،ونادى في المساجد الجامعة بازالتها وابطال جبايتها ليرتفع (٣) ذلك في الجمهور ويتمكن السكون اليه في الصدور وتحمد

«١» عند هلال مثابراً ، «٢» م ، ع : الاجتباء افتعال من الجباية ، «٣» عند هلال ليذيع

الله الكافة على ما تاحه لها من تعطف امير المؤمنين ورعايته وجميل حياطته لهم وعنايته. واكتب ما يكون منك في ذلك فان امير المؤمنين يتوكفه ويراعيه ويتشوفه ان شاء الله والسلام عليك ورحمه الله وبركاته. وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ٣٠٣ .

وقد كان علي بن عيسى قبل ذلك بسنة نظر لاهل التكملة من جملتها في شيراز بعشرة آلاف درهم (١) قبل ان يخرج في السنة المقبلة خراج الشجر ثم تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق (٢) توضع لهم مخففة. وكان النعمن رفيقاً يقاربهم حتى عاد بازاء ما اسقط من مال الضمان في التكملة اكثره على التدريج. فكتب علي بن عيسى في امر الشجر كتاباً كنا نحفظه (٣) في الحداثة من الدار نسخته الى ابن رستم لان النعمن عاد الى بغداد واستخلف بفارس ابا مسلم محمد بن محمد وضمن البلد من ابن رستم وجعل ابا مسلم مستوفياً عليه للمال .

بسم الله الرحمن الرحيم الى احمد بن محمد بن رستم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين والنسخة واحدة الى قوله اما بعد فان الله بعظيم آلائه وقديم نعمائه وجميل بلائه وجزيل عطائه جعل اموال الفيء للدين قواماً وللحق نظاماً وللعز تماماً فاوجب للائمة حمايتها وحرم عليهم اضاعتها

«١» عند هلال : بالف الف درهم . «٢» م . ع : في القاموس الطسق بالفتح مكيال اوما يوضع من الخراج على الجربان اوشبه ضريبة معلومة . «٣» م . ع : تحفظ الكتاب استظهره شيئاً بعد شيء .

اذا كان ما يجتبي منها عائداً بصلاح العباد وحراسة البلاد وحماية البرية وحياطة الحوزة والرعية ولذلك يعمل امير المومنين فكره ورويته ويستفرغ وسعه وطاقته في حراستها وحياطتها وقبض كل يد عن تحيفها(١) وتنقصها والله ولي معونته على جميل نيته وحسن طويته بمنه ورحمته . ولما فتح الله عز وجل (كور فارس) على المسلمين وازال عنها ايدي المتغلبين وجد امير المؤمنين اهلها قد احتالوا في اسقاط خراج الشجر باسره مع كثرته وجلالة قدره وامر باشخاص وجوههم الى حضرته واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته الى ان اعترفوا به مذعنين والتزموه طائعين وضمنوا اداء ما اوجبه الله تعالى فيه من حقوقه على ما تقرر معهم من وضائعه (٢) وطسوقه فتطالب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ٣٠٣ فاستخرجه واستوفى جميعه واستنظفه واكتب بما يرتفع من مساحته ويتحصل من مبلغ جبايته متحرياً للحق متوخياً للرفق ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ٣٠٣ .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيبي (٣) وهو ابن بنت ابراهيم بن المدبر . قال حدثني ابو الفضل صاعد

«١» م . ع : تحيف الشيء تنقصه من حيفه اي نواحيه جمع حيفة . «٢» م . ع : جمع وضيعة وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . «٣» م . ع : بفتح الخاء كما في التاج .

ابن هارون بن مخلد بن ابان قال حدثني عدة من جلة الكتاب عن كاتب كان يخط بين يدي المورياني (١) وهو وزير المنصور قال كنت يوماً بحضرته على خلوة فدخل عليه حاجبه وقال بالباب رجل يذكر انه يريد ان القي اليك شيئاً مهماً .قال اسمع منه ما يقوله واده الي قال قد سمته ذلك فابى وبذلت ان اخرج اليه كاتباً فامتنع من ذلك وقال اما ان اصل اليه او انصرف . قال فما زيه ؟ قال زي التناء قال هاته فادخله فلما وصل استأذنه في السرار فاذن فدنا اليه فاطال سراره ثم دعا بخازنه فقال خذ ما يدفعه اليك .ثم قال لي قم فاكتب له بكلما يريده على املائه وان التمس توقيعي في شيء منه فانفذه الي مع غلامك.قال فقمت فكتبت له بما املاه وعدت وعرفته ازاحتي علته فيما طلبه فجعل يبكي بكاء شديداً فسألت غلمانه هل ورد بعدي شيء يكرهه فقالوا لا . فقلت يا سيدي ما هذا البكاء وكنت آنساً به فقال ان هذا الرجل لقيني منذ اكثر من سنة انه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته وانا بهم عارف . ووصف ان العمال يحيفونه ويستضعفونه وسألني ان اوقع اسمي على ضيعته واظهر اني قد استأجرتها منه واكاتب العمال ووكلائي بذلك وان نفد يده منها اذ كنت قد وثقت به على ذلك وبذل لي النصف من ارتفاعه بعد المؤونة حلالاً فوافقته على ذلك وكتبت له بما اراد ومضى ولم تبتغ نفسي الاستقصاء

«١» م . ع : نسبة الى موريان قرية من نواحي خوزستان واسمه سليمان ابن ابي سليمان ابن ابي مجالد وقتله المنصور .

عليه ولا الاستظهار ولا مضـايقته وقلت امله اراد الانتفاع بجاهي فلا احرمه اياه فان وفا (١) والا كان ذلك من زكاة الجاه ثم انسيت امره فاذكرته حتى رأيته الساعة فاعلمني انه يتردد منذ مدة الى الباب فلا يصل. واعلمني انه قد حصل لي من ذلك مائتا الف درهم واوقفني (٢) على حساب رفعه واستأذنني في تسليم المال وسألني تجديد الكتب بمثل ما كنت كتبت به اليهم في السنة الماضية في امر هذه الضياع فتقدمت الى خازني بقبض المـال وتقدمت اليك فكتبت عني بذلك فانا ابكي لهذه الحال. فقلت له يا سيدي فاي شيء هذا مما يبكيك فقال ويحك ويذهب هذا عليك مع طول ملازمتي وخدمتي قد كنت عندي انك تحنكت بخدمتي. امرؤ يكون هذا من اقباله فكيف يكون ادباره؟ قال فما بعد ان قبض عليه المنصور ونكبه واستصفى ماله واموال اهله وقتله . قال ابو الحسين عبد الواحد بن محمد فحدثت بهذا الحديث ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وابا الحسن علي بن عيسى كل واحد على الانفراد في وقت مفرد فكل واحد منهما افرط في استحسانه حتى سأل ان امليه عليه فكتبه عني بخطه . «للبحث صلة»

---

(١) م . ع . كذا في الاصل والصواب وفى . (٢) م . ع كذا في الاصل والفصيح وقف بغير الف في جميع معانيها .

اسامة بن منقذ

– ٢ –

«أسامة في وادي موسى»

لقي أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينه وبين الفرنج قتل فيها ابنه حسام الملك وأسر ابنه ناصر الدين واخوه نجم الدولة ابو عبد الله محمد واخذت خزائنه وحرمه وقتل الفرنج كل من ظفروا به ، وهو بمن معه تحصن في الجبال ·

يقول أسامة : فسرنا في اشد من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيل الى ان وصلنا جبال بني فهيد لعنهم الله في وادي موسى وطلعنا في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة وهناك رجال وشياطين رجيمة من ظفروا به منا منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائيين فسألت من هاهنا من امراء بني ربيعة قالوا منصور بن عذقل وهو صديقي ودفعت لواحد دينارين وقلت له امض الى منصور قل له صديقك بن منقذ يسلم عليك و يقول لك صل اليه بكرة ، ثم جاء منصور بن عذقل فصاح بالاعراب وسبهم فتفرقوا وقال اركب فركبنا وجمعت للامير الف دينار مصرية ودفعتها له وعاد وسرنا حتى وصلنا دمشق بمن سلم من الافرنج وبني فهيد يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة نفسها ·

«اول وقائعه»

سيره و لده الى أفاميا سنة ٥١٣ لقتال الفرنج المخيمين بهـا وكان الانتصار حليفه يقول أسامة في وصف هذه الحملة فرجعت على فارس في اولهم قد القى عنه درعه وتخفف ليجوزنا من بين ايدينا فطعنته في صدره فطار عن سرجه ميتاً ، ثم استقبلت خيلهم المتتابعـة فولوا وانا غر ما حضرت قتالاً قبل هذا اليوم وتحتي فرس مثل الطير ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ، ثم أجنّبُ عنهم وفي آخرهم فارس على حصان أدهم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، انا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود عليّ حتى رأيته ضرب حصانه بمهازه فلوّح بذنبه فعلمت انه قد أعيا فحملت عليه وطعنته فنفذ الرمح من قدامه نحواً

من ذراع وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وانا أظن اني قتلته ، فجمعت اصحابي وهم سالمون وكان معي مملوك صغير بجرّ فرساً لي دهماء مجنوبة وتحته بغلة مليحة سروجية فنزل عن البغلة وسيّبها وركب الحجرة فطارت به الى شيزر ، فلما عدت الى اصحابي وقد أمسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا راح فعلمت انه يصل الى شيزر ويشغل قلب الوالد ، فدعوت رجلاً من الجند وقلت أسرع الى شيزر وعرف والدي بما جرى ، فذهب فوجد الغلام يقصّ على والده الحالة ، ولما عاد أسامة قصّ عليه القصة .

« اقامته على عسقلان في قتال الفرنج »

أرسل الملك العادل أسامة للسير الى الملك العادل نور الدين الشهيد وقال له خذ معك المال المطلوب وامض اليه لينازل طبرية ويشغل الفرنج عنا لنخرج من هاهنا نخرب غزة ، وكان الفرنج قد شرعوا في عمارة غزة ليحاصروا عسقلان . فقال له أسامة : فان اعتذر او كان له من الأشغال مايعوقه فأي شيء تأمرني به . فقال : ان نزل على طبرية فأعطه المال الذي معك وان كان له مانع فدوّن ما قدرت عليه من الجند واطلع الى عسقلان أقم بها في قتال الفرنج واكتب اليّ بوصولك لآمرك بما تعمل ودفع اليه ستة آلاف دينار مصرية وحمل جمل دبيقياً ورتب معه قوماً من العرب ادلاء .

« في طريقه الى عسقلان »

يقول أسامة فلما دنونا من الجفر قال لي الأدلاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الفرنج فأمرت اثنين من الادلاء ركبا مهريين وسارا قدامنا الى الجفر فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورددتها الى العرب وندبت ستة فوارس من مماليكي وقلت تقدموا وانا في أثركم فساروا يركضون وأنا أسير خلفهم فعاد اليّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلهم أبصروا عرباً وتنازع هو والأدلاء فنفذت من رد الجمال وسرت فلما وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر ، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذناه ونفرق أصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبيين فجاءت امرأة منهن أمسكت ثوبي وقالت ياشيخ انا في حسبك ، قلت انت آمنة مالك ؟ قالت فداخذ اصحابك لي ثوباً وناهقاً ونابجاً وخرزة فقلت لغلماني من كان اخذ شيئاً فليرده فردت هذه الاشياء اليهم ، جمع هؤلاء

أسامة حين رأى بهم من الضر ما رأى وقد يبست جلودهم على عظامهم ، وسألهم من اين انتم ؟ فقالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طيّ لا يأكلون الا الميتة ويقولون نحن خير من العرب ، ما فينا مجزوم ولا أبرص ولا أعمى ، واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم ، ثم سألهم كم لكم هنا فقالوا من عيد رمضان ما رأينا الزاد باعيننا ، قلت : فمن اين تعيشون ؟ قالوا : من الرمّة (يعنون العظام البالية) الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بتلك الارض) ونتقوت به ، قال : فكلابكم قالوا : الكلاب نطعمها من عيشنا والحمر تأكل الحشيش ، فقال : فلماذا لا تدخلون الى دمشق ؟ قالوا: خفنا الوباء (ولا وباء أعظم مما كانوا فيه) وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقف حتى جاءت الجمال وأعطى هؤلاء الاعراب من الزاد الذي كان معه ، ثم قطع فوطة كانت على رأسه وأعطاها للمرأتين فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد ، ثم أسدى اليهم النصح راغباً عدا قامتهم في هذا المكان خوفاً عليهم من ان يسبيهم الافرنج .

« وقوعه في التيه »

وقع اسامة في تيه اثناء مجيئه الى نور الدين الشهيد في بصرى ولولا لطف الله لهلك في هذا التيه وقد وصف تيهه وصفاً يطول شرحه هرب منهم البغل في اثناء رحلته هذه وعليه اربعة آلاف دينار فلحقه بفرسه فأعيا عن اللحاق به وقد كان لحقه الغلام ايضاً فعاد بالخرج دون البغل قائلاً يامولاي وجدت الخرج ولم اجد البغل فقال للخرج كنت اطلب والبغل اهون مفقود .

« صيده وقنصه »

كان أسامة ولوعاً بالصيد والقنص كما ولع به ابوه من قبله فقد كان والده ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج الصليبيين يركب الى الصيد يوماً و يستريح يوماً ، نسخ عند فراغه ستاً واربعين مصحفاً بخطه منها ختمتان بالذهب جميع القرآن وكان صوّاماً قوّاماً .

كان لأسامة في شيزر متصيدان متصيد للحجل والارانب في الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر في الازوار من غربي البلد ، وكان يتكلف في تسيير قوم من اصحابه الى البلاد لشراء البزاة فأنفذ الى القسطنطينية من احضر منها بزاة وقد حمل الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم

فتغير عليهم البحر وتعرقوا ولم يبق من لحوم الطير فاضطروا ان يطعموا البزاة من لحم السمك فاثر ذلك في أجنحتها وصار ريشها ينكسر و ينقصف فلما وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة وكان لدى والده خادم (بازيار) عارف في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم فوصل اجنحتها واصطاد بها وقرنص بعضها عنده وكان اكثر ما يستدعي البزاة و يشتريها من وادي الاحمر ، وحسبنا ان نلم الى صيده وقنصه الماعاً ضاربين صفحاً عن كل ما وقع له في صيده وتربيته البزاة .

« صيده مع الملوك والامراء »

حضر الصيد مع والده مرشد بشيزر في صدر العمر ومع ابنـاء عمه بها ومع ملك الامراء اتابك زنكي بن آق سنقر .

ومع الملك العـادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي رحمه الله ، وبديار بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن ارتق .

« ادب أسامة وشعره »

أسامة اديب كما اسلفنا تلمس من شعره الجزالة والسهولة لم يستعمل عويص الالفاظ ولا وحشي الكلام مدح في شعره وعتب وبكى وتغزل وحرض وفخر وحن الى الاوطان حنين الابل الى الاعطان حتى انه ضرب في كل فن وتناول طرفاً من كل علم ، وله ديوان شعر في مجلدين لم اعثر عليهما بالرغم عن كثرة بحثي وتطلعي ولكني لم اعدم الحصول على شيء كثير منه في اثناء مطالعتي الكتب وتصفحي اياها ومن جملة ما عثرت عليه كتاب العصا وهو في نحو مائة وخمسين صفحة نسخته على نسخة طبعت في باريز كنت أوصيت عليها صديقي الحميم ورفيق الدراسة المرحوم الدكتور صالح قنباز وانا اليوم آخذ بتصحيحها وضبطها وشرحها وزيادة ماعثرت عليه في العصا حتى يجيء الكتاب جامعاً وافياً بالمرام .

« نتف من شعره »

وقعت نفرة بينه وبين ابن عمه صاحب شيزر لمقالة بلغته فكان ينظم في العتاب ماهو مستطاب . ومما كتبه لابيه يدل على كرم محتده وسامي أخلاقه وعظيم خلاله قوله :

وما أشكو تلون اهل ودي   ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويئست منهم   فما أرجوهم فيمن رجوت

اذا أدمت قوارصهم فؤادي صبرت على أذاهم وانطويت
وجئت اليهم طلق المحيا كأني ما سمعت ولا رأيت
تجنوا لي ذنوباً ما جنتها يداي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدراً كما قد أضمروه ولا نويت
و يوم الحشر موعدنا وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

وله ايضاً يشكو من الهجران :

لا تستعر جلداً على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم طوعاً والا عدت عودة راغم

وله قصيدة سير بها الى ابن عمه صاحب شيزر يعتذر له عن قول بلغه عنه جاءت على قافية الفاء تبلغ خمسين بيتاً مطلعها :

أطاع ما قاله الواشي وما عرفا فراح ينكر منا كل ما عرفا

ومما أحفظه له يتشوق الى اهله وصحبه و يحن فيه الى وطنه وهو من الشعر المنسجم الذي يدخل الآذان بغير استئذان :

ما يريد الشوق من قلب معنّى ذكر الآلاف والوصل فحنّا
حسبه من شوقه ما عنده وكفاه من هواه ما اجنّا
كلما شاهد شملاً جامعاً طار وجداً وهفا شوقاً وانا
فرثى من رحمة عاذله ورأى الحاسد فيه ماتمنى
ويحه من حرق تعتاده وهموم جمة تطرق وهنا
يا زمان الوصل سقياً لك من زمن لو كان قرب الدار عنا
قل لأحباب نأت دارهم وعلى قربهم أقرع سنا
ساء ظني باصطباري بعدكم ولقد كنت بكم أحسن ظنا

« وصف الزلزلة الكبرى في شيزر وحماة »

في سنة ٥٥٢ كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة اخربت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر كما قال ابن الاثير فانهما خربا بالمرة وخرب ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد وهلك تحت الردم

من الخلق مالا يحصيه الا الله ولولا ان يمن الله تعالى على المسلمين بنور الدين فيصلح ماتهدم ويحفظ البلاد لملكت البقية الباقية منهم واصبحت لقمة سائغة في افواه الفرنجة . ومن غريب ما يروى ان بعض المعلمين بحماة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت الدار وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له في المكتب مما يدل على ان الزلزلة اخذت اولياءهم ايضاً .

في هـذا الزلزال سقطت قلعة شيزر على آل منقذ ولم تبق على احد منهم اللهم الا امرأة اخرجت من الردم ، ومما يروى انه بينما كان احد ابناء آل منقذ فاراً من الزلزال حتى اذا وافى باب القلعة رمحه الحصـان فمات لوقته و بهذا لم ينج احد من آل منقذ الذين هم داخل القلعة ، اما المرأة التي اخرجت من الردم فهي زوجة ابي الفضـل اسماعيل بن ابي العساكر بن علي بن مقلد تدعي الخاتون اخت شمس الملوك بنت بوري بن طغتكين ولما جاء نور الدين الشهيد الى استلام شيزر طلب من هذه المرأة ان تعلمه عن المال وهددها فذكرت ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت هي دونهم ولا تعلم بشيء واذا كان لهم شيء فهو تحت الردم وكان شرف الدولة غائباً فحضر بعد الزلزلة وعاين ما فعلت بشيزر واخيه وشاهد امرأة اخيه بعد العز في ذلك الذل فعمل :

لبس الصباح من المساء بامثل فأقول لليل الطويل الا انجلي
شلت يد الايام ان قسيها ما ارسلت سهما فاخطا مقتلي
لي كل يوم كربة من نكبة يهمي لهـا جفني وقلبي يصطلي
يا تاج دولة هاشم بل يا ابا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لو عاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسبل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا يهتدي فيه السعاة لمسلك فكأنما يسري بقاع مهول

ومما قاله فيها يذكر امرأة اخيه المذكورة .

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمناك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت عن عزها بتذلل

« أسامة يرثي اهله »

أسامة رثى اهله الذين هلكوا في هذا الزلزال رثاءً مستفيضا وبكاهم كثيراً في شعره اكتفي بذكر شيءٍ من قصيدته النونية لان له مراثي كثيرة بكى فيها ذلك العز الشامخ بعيون هتانة هطالة وهي :

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم ... ولا تخرّمهم مثنى ووحدانا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب ... واحمد الخطب فيهم عز أو هانا
واقتدي بالورى قبلي فكم فقدوا ... أخًا وكم فارقوا اهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم ... رغمًا نخروا على الاذقان اذعانا
وفاجأتهم من الايام قارعة ... سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ماتوا جميعًا كرجع الطرف وانقرضوا ... هل ما ترى تارك للعين انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا ... على الحفيظة ان ذو لوثة لانا
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم ... قلبًا اجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات اسعدنا ... وعاش للهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرني ... عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعًا وما شادوا فواعجبًا ... للخطب أهلك عُمّاراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم ... كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشري فاذا ... ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
لا اتقي الدهر من بعد الزلازل ما ... حييت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشري الادنين فاصطلمت ... منهم كهولاً وشباناً وولدانا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت ... بأسًا تبادره الاقران ازمانا
ان أقفرت شيزر منهم فهم جعلوا ... منيع أسوارها بيضًا وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم ... بها لشاهدت آساداً وخفّانا
تراهم في الوغى أسداً ويوم ندى ... غيثًا مغيثًا وفي الظلماء رهبانا
بنوا ابي وبنوا عمي دمي دمهم ... وان أروني مناواة وشنآنا
يطيّب النفس عنهم انهم رحلوا ... وخلفوني على الآثار عجلانا

« مراسلاته مع ابن رزيك »

وكانت بينه وبين الصالح بن رزيك مراسلات شعرية ومطارحات أدبية أفردت لها رسالة خاصة ، وقد أرسل الى أسامة يعزيه بقومه الذين هلكوا بالزلزال في قصيدة مطلعها :

بابي شخصك الذي لا يغيب عن عياني فهو البعيد القريب

ومنها : كره الشام اهله فهو محقو ق بان لا يقيم فيه لبيب

ان تجلت عنه الحروب قليلاً خلفتها زلازل وخطوب

رقصت ارضه عشية غنى الرعد في الجو والكريم طروب

وتثنت حيطانه اذ أمالتها شمال بزمرها وجنوب

لا هبوب لنائم من أمانيه وللعاصفات فيها هبوب

ومنها : لهف نفسي على ديار من السكان اقوت فليس فيها مجيب

فاحتسب ما اصاب قومك مجد الدين واصبر فالحادثات ضروب

وكتب أسامة الى الصالح طلائع ابن رزيك هذا يسأله تسيير اهله الى الشام وكان الصالح بن رزيك يتوقع رجوعه الى مصر من حين لآخر و يسير له الرسائل طالباً عودته الى مصر ، وأسامة لايرغب بالعودة بعد حوادث ابن السلار والظافر العبيدي .

اذكرهم الود ان صدوا وان صدفوا ان الكرام اذا استعطفتهم عطفوا

ولا ترد شافعاً الا هواك لهم كفاك مااختبروا منه وما كشفوا

يا جيرة القلب والفسطاط دارهم لم تصقب الدار لكن أصقب الكلف

فارقتكم مكرهاً والقلب يخبرني ان ليس لي عوض منكم ولا خلف

ولو تعوضت بالدنيا غبنت وهل يعوضني عن نفيس الجوهر الصدف

ولست انكر ما يأتي الزمان به كل الورى لرزايا دهرهم هدف

ولا أسفت لأمر فات مطلبه لكن لفرقة من فارقته الاسف

المالك الصالح الهادي الذي شهدت بفضل ايامه الأنباء والصحف

ملك أقل عطاياه الغنى فاذا أدناك منه فأدنى حظك الشرف

سعت الى زهده الدنيا بزخرفها طوعاً وفيها على خطابها صلف

مسهد وعيون الناس هاجعة على التهجد والقرآن معتكف

ونشرق الشمس من لألاء غرته في دسته فتكاد الشمس تنكسف

فأجابه الصالح وكان يجيد النظم رحمه الله :

آدابك الغر بحر ما له طرف في كل جنس بدا من حسنه طرف
نقول لما اتانا ما بعثت به هذا كتاب اتى ام روضة أنف
اذا ذكرناك مجد الدين عاودنا شوق تجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شاء كان الى جنابنا دون اهل الارض ينعطف

« كتبه وتآليف »

لأسامة كتاب الاعتبار ترجم الى اللغة الافرنسية وترجم اخيراً الى اللغة الانكليزية وعنونه المترجم بقوله « الرجل الكامل » وهو يشتمل على ترجمة نفسه ، وله كتاب العصا وازهار الأنهار وكتاب البديع (١) واختصر سيرة عمر بن الخطاب تأليف ابن الجوزي البغدادي وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته وبعثت بالاصل مع مختصر الموافقة بين آل البيت والصحابة للزمخشري الى العلامة المرحوم احمد تيمور ، وله التاريخ البدري واخبار البلدان وذيل على خريدة القصر للباخرزي . وكانت لديه مكتبة عامرة تشتمل على غرر المخطوطات ونفائسها تبلغ اربعة آلاف مجلد .

« أخذه الامان لاهله من الفرنج في جلبهم من مصر »

استقدم عائلته واولاده من مصر في مركب بعد ان اخذ لهم الامان من الفرنج فما كان منهم الا ان أخذو من النساء ما معهم من الحلي والجواهر والذهب والفضة بما يقدر بثلاثين الف دينار ، يقول أسامة فهون عليَّ سلامة اولادي واولاد أخي وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال الا ما ذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهابها حزازة في قلبي ما عشت فهذه نكبات تزعزع الجبال . ولا ريب هذه الكتب التي فقدها هي غير الكتب التي كانت لديه في شيزر ولدى والده .

---

(١) قال في كشف الظنون كتاب البديع في علوم الشعر لأسامة بن منقذ اوله : « الحمد لله الحي القيوم » الخ ذكر فيه انه جمع ما تفرق في كتب العلماء من نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه وانه وقف عليه اه .

« نموذج من كتاب العصا »

اخترته لما له من العلاقة بدمشق

يقول أسامة رحمه الله حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى وقفهم يعرف بابن البعلبكي خلف فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري رحمه الله عدة مرار فقال للامير مجاهد الدين تالله خلصني منهم واجمعهم واحضر نائبهم في الوقف وافصل حالهم فقال السمع والطاعة وقال لي مجاهد الدين تفضل واحضر معنا فاجتمعنا في ايوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبكي ونائب كان قبله يقال له ابن الفرّاش وحضر العميان في نحو من ثلاثمائة رجل فحملوا قدامهم ودخلوا الايوان كل واحد وعصاه معه في يده وضعها الى جنبه ، ثم تجاروا الحديث فكان بعضهم هواه مع النائب الاول ابن الفرّاش وبعضهم هواه مع ابن البعلبكي فتنازعوا وتخاصموا ساعة ولا يتدخل بينهم لعلو أصواتهم وكثرتهم ثم تواثبوا فارتفع في الايوان نحو من ثلاثمائة عصا في ايدي العميان لايدرون من يضربون وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على حضوري فتلطفنا في الامر حتى سكنت الفتنة بينهم ومشينا امرهم على ما أرادوا وماصدقنا انهم ينصرفون .

« نموذج من شعره في العصا »

كتب في كتاب الى ولده الامير عضد الدين ابي الفوارس مرهف الى مصر يطلب منه عصا من آبنوس وكان مرهف مؤسراً في مصر من قبل صلاح الدين رحمه الله :

أريد عصا من آبنوس تقلني فان الثمانين استعادت قوى رجلي
ولو بعصا موسى النقيث لآدها على ما بها من قوة حملها ثقلي
ولكن تمنينا الرجاء بباطل وكم قدر ما نرجي المنايا وكم تملي
اذا بلغ المرء الثمانين فالرد يناجيه بالترحال من جانب الرحل

« وله في شيخوخته »

يشكو ضعف جسمه و يأسف على شبابه ويذكر من طول العمر والمدد :

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جدُّ مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

وانٍ مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد

« هو والاسد »

حقاً ان أسامة لقد حطم القنا في لبة الاسد : بلغه ان هناك اسداً على شاطيء الفرات يمنع الناس من المرور ولم يستطع احد ان يتعرض لقتله وانقاذ الناس من شره فما كان منه الا ان هب ذات يوم متقلداً سيفه ورمحه دون ان يعلم اهله وذوي رحمه ومضى الى الفرات حيث مقرّ الاسد وما هي الا بضع دقائق على منازلته اياه حتى حطم القنا في لبته فخر صريعاً لليدين وللفم ثم جاء بآثاره الى شيزر فأكبر أهله عمله وكان يوماً مشهوداً .

« ضرائح العظماء تهان »

هؤلاء آل منقذ يا سادة وذاك طرف من أخبارهم وهذا أسامة بن منقذ القائد العظيم والبطل المغوار الذي كان يد نور الدين العاملة في صدّ اغارات الفرنج وفي الفتوح والذي كان يخطب ودّه الامراء والملوك قد ألممت بشيء من ترجمته وأتيت على نتف من شعره وذكرت انه بعد البحث والتنقيب في بطون التاريخ تحقق لديّ انه دفن في سفح قاسيون — من ترى وقف على ضريحه وعرف مقرّه ، لقد ذهبت غير مرة الى ذلك السفح الذي ضم أعاظم الرجال ، وبحثت بين الضرائح فلم أقف له على أثر ولعلي جهلت مقرّه فلم اهتد اليه ، ولكني شاهدت أصحاب البنيان قد امتدوا الى الضرائح فتناولوها وقوّضوا دعائمها وبعثروا رفاتها وطمسوا اعلامها وشوّهوا محاسنها وداسوا حرمتها ولا من ينهى أصحاب هذا البنيان عن عملهم او يفكر في نقل رفات العظماء الذين يجب ان تبقى ضرائحهم ماثلة ليراها ابناؤنا واحفادنا واحفاد احفادنا فيتخذوها قدوة صالحة لهم تبعث من الهمم وتحض على العمل ، ولسان حالها ينطق انهجوا مناهجنا واسلكوا سبيلنا واقتفوا آثارنا فلا حياة لكم ولا صلاح الا بما صلح به اولكم ، أليس من العار ان نهين عظماءنا ولا نفكر في حفظ ضرائحهم وصونها من إغارة المغيرين الجشعين النهمين الذين لا تأخذهم رأفة على الأمة في محو آثارها ومزاحمة ضرائح أعلامها ؟

أتضيع دمشق ضريح ابن منقذ مع الضرائح الضائعة من ضرائح العظماء والعلماء وهي

مهد العروبة وعنها يؤخذ الشمم واليها ينمي الاباء ؟

فالى تجديد ضرائح العظماء أيها السادة الى الاحتفاظ بها فهي الواعظ الأقوى للابناء والمرشد الأمين للأحفاد يدفع بهم الى الامام ، وكأني بأبي العلاء فيلسوف العرب قد أدرك منذ ذلك الحين ان الناس يهينون العظماء ولا يعنون بضرائحهم فأهابت به نفسه للذود عنها والدعوة الى احترامها والنصح في الابقاء عليها وعدم الإجهاز على اصحابها فطفق ينشد وما أجمل هذا الانشاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض الا من هـذه الاجساد
سر ان استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
فقبيح بنـا وان قدم العهـ ـد هو ان الآباء والأجداد

« عودة للبحث عن ضريح ابن منقذ »

أليس من العار ان لا نعرف مقر ابن منقذ وهو هو الذي ذكرت من وقائعه وعلمه ونبله ؟

هذا نابليون رجل فرنسا وعبقريها الفذ بعد وفاته في جزيرة القديسة هيلانة واستحالته الى رفات بالية وعظام نخرة هب الفرنسيون من باريز فاستخرجوه من ضريحه ورجعوا به الى قلب بلادهم يعيدون به ذكر نابليون ويبثون في أمتهم ما كان لهم من العظمة والإباء والمجد والفخار .

الضرائح في الاسلام لها حرمتها ولها مكانتها فكيف بضريح علم من الاعلام وقائد من اكبر القواد كابن منقذ وأضرابه من عظماء الامة وقادة الرأي المفكرين .

هذا واني لأرجو من المجمع العلمي متطفلاً على مائدته ان يؤلف لجنة في البحث عن ضريح ابن منقذ ومن على شاكلتـه من الأبطال الذين خدموا الامة وزادوا عن حياضها ونفعوا بعلمهم ودرايتهم راجياً ان يحل اقتراحي لديه محل القبول .

طاهر النعساني

آراء وافكار

في عدد كانون الثاني — شباط سنة ١٩٣٠ من المجلة مقال موسوم بـ « قوة الحافظة وكثرة المحفوظات » بقلم الشيخ كامل الغزي أورد فيه الكاتب (ص ١٢٠ — ٢١) حكاية عن لسان الامير أسامة بن منقذ ، يؤخذ منها ان أسامة اجتمع بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحن قوة ذاكرته وأعجب بها . ولكن أسامة ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) واباالعلاء توفي عام ٤٤٩ (١٠٥٨) فبينهما قرن كامل والواحد منهما لم يعاصر الآخر . ولا أثر لهذه القصة في مذكرات أسامة المعنونة بـ « كتاب الاعتبار » . فمن اين تُرى أتى بها الشيخ الغزي ؟ .

جامعة پرنستون : فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٢

كتاب ادب السلوك . — لابي الفضل عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ المشتمل — كما جاء في مقدمته — على مشارع كلمات الحكمة والادب والاخلاق وهو يقع في ٢١٦ صفحة صغيرة يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثامن الهجري .

قاموس الاطباء وناموس الالباء . — لمدين بن عبد الرحيم القوصي المصري من أطباء القرن الحادي عشر الهجري وهو في المفردات الطبية في ٣٥٨ صفحة كبيرة . (رقم ١٠٨ : الطب) .

ما لا يسع الطبيب جهله — . ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبير من اطباء

القرن الثامن وهو في مجلد ضخم يقع في ٨٠٠ صفحة كبيرة كتب سنة ١١٣٣ ﻫ (رقم ١٠٣ الطب) .

منهاج البيان فيما يستعمله الانسان . — لابي العباس يحيى بن عيسى الكاتب الملقب بالرئيس الأجل المتوفى سنة ٤٩٣ ﻫ ضمنه ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية وكل مركب بسيط ومفرد ورتبه على حروف المعجم وهو في جزءين في مجلد واحد ينقص الجزء الاول منه ورقة واحدة وكان الفراغ من نسخه سنة ٩٦٢ (رقم ١٠٧ : الطب) .

خلاصة تحقيق الظنون في الشرح والمتون . — تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو ذيل لكشف الظنون وقد ضم مؤلفه ما زيد على كتب العلم من الكتب وما لم يطلع عليه صاحب كشف الظنون (فنون متنوعة رقم ٤٣) .

شذرات الذهب في اخبار من ذهب . — تأليف عبد الحي بن احمد المعروف بابن العماد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ ﻫ وهو في ١٠٩١ صفحة كبيرة بخط شعبان الخزرجي سنة ١٠٨٥ (رقم ٣٨٧ : التاريخ) .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . — تأليف ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ ﻫ وهو في مجلد كبير عدد صفحاته ٥٤٧ وفيه خط ابراهيم البقاعي (رقم ٣٨٨ : التاريخ) .

طبقات النحاة واللغويين . — تأليف ابى بكر احمد بن محمد بن عمر تقي الدين بن قاضي شهبة الاسدي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥١ ويليه مختصر طبقات النحاة للزبيدي اختيار المحلي وهو في ٦٤٠ صفحة صغيرة كتب سنة ٩٥٠ (رقم ٤٣٨ : التاريخ) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

فاوست

— ترجمها —

« الاستاذ محمد عوض محمد »

القصّة وضعها شاعر المانية « غوتيه » .—

خلاصتها على وجه التقريب ان الدكتور « فاوست » خلا بنفسه ساعة ، فرأى انه قد جهد في كل شيء ، جهد في طلب الفلسفة والشريعة والطب وعلوم الدين وهو بعد هذا كله لم يخط الى المعرفة خطوة واحدة .—

وانه لفي هذه الوساوس وأمثالها اذ دخل ابليس عليه غرفته فتساقطا أطرافاً من الأحاديث ثم تعاقدا على ان يكون إبليس عبداً للدكتور « فاوست » في هذه الدنيا وعلى ان يكون الدكتور « فاوست » عبداً لإبليس في اليوم الآخر .—

وجزاء هذا التعاقد ان الدكتور « فاوست » سيريه إبليس في هذه الحياة ما لم تره العيون وما لم يخطر على بال .—

وعلى هذه الصورة نعمَ الدكتور « فاوست » بحياته وغرق في اللذات على اختلاف أنواعها ، وأفضت به لذاته الى الاستيلاء على قلب فتاة بلغ من حبها اياه ان قتلت أمها وابنها ، وأنْ كانت سبباً في قتل اخيها في سبيل حبيبها « فاوست » ثم سجنت .—

نعم : هذه خلاصة القصة ، ولكنّ الحكمة لاتجدها في القصة نفسها ، وانما تجدها في تضاعيف القصة ، انك لتجد في تحاور إبليس والله ، وفي تحاور « فاوست » والروح ، وفي تحاور « فاوست » وتلميذه ، وفي تحاور « فاوست » وابليس شيئاً من روح الفلسفة ، وهذا الشيء انما هو الاستهزاء بالقوانين والشرائع والفقه والدين والمذاهب كلها ، و بالنساء والكنائس ، فاذا أعجبتك قصة «فاوست» فانها تعجبك من ناحية أساليب التهكم ، على انك تجد بين تهكم الالمان وبين تهكم الفرنسيس من الفرق مثل ما تجده من الفرق بين طبائع الأمتين .—

* * *

قدّم الترجمة الدكتور طه حسين .—

قدّم في قسم منها الاستاذ محمد عوض محمد وذكر رأيه في الترجمة ، وأشار في قسم آخر الى قصة « فاوست » وبيّن رأيه فيها .—

خلاصة رأي الدكتور طه حسين في ترجمة الاستاذ عوض ان هذه الترجمة جيدة لا يذكر الدكتور انه قرأ بالعربية ترجمة كتاب من كتب (اوروبة) تعدل هذه الترجمة او تقرب منها دقة ، وخفة ، وسهولة ، وظرفاً ، وأضاف الى هذا كله ان هذا (الجغرافي) لا ينقص شعره الخفة والروعة والظرف في اكثر الأحيان .—

الترجمة في رأي الدكتور طه حسين سهلة يسيرة ، ليس فيها لفظ غريب او كلام منتفخ وانما هي مشتملة على كلام مألوف منسجم عذب .—

اما مقدّمة الدكتور طه حسين فلا يخلو قسم قليل منها من روح الدكتور نفسه ، فقد غلب على كتابات الدكتور طه حسين أسلوب الاساتيذ المدرّسين ، وأعني بهذا الاسلوب المطمطة ، فالدكتور طه حسين أستاذ مدرّس فهو مكلّف في « كلية الآداب » أن يأخذ بتخذّق الكلام في ساعة تدرّسه خوفاً من ان تنفلت منه هذه الساعة دون ان يحشوها كلاماً ، فالكلام غالب على لسانه في اكثر الاحايين وقلّ ما تجد للسانه سلطاناً على الكلام ، ولست أدري أفي جمهور القراء من يأنس بالتمطط في الكلام ام فيهم من تزعجه المطمطة في معظم الأوقات .—

واما ترجمة الأستاذ عوض فهي لا تخلو من السهولة التي أشار اليها الدكتور طه حسين فالصحيح ليس فيها كلام منتفخ ، وأريد بالكلام المنتفخ هذا الكلام الذي يزيد على المعنى فلا يكون مناسباً له ، قد تلجأ اليه طائفة من الكتاب ليستروا به شيئاً من ضعف معانيهم .—

ولئن لم تخل هذه الترجمة من السهولة فقد خلا اكثرها من شيء غير السهولة ، فاذا أعوزها شيء فانما تعوزها هذه الموسيقى اللفظية التي تجعل للكلام وقعاً حسناً في الآذان ، واللغة الشعرية اذا خلت من آثار الموسيقى اللفظية ضعف سلطانها ، فقد يكون الكلام سهلاً ولا يكون وقعه حسناً في الاذن ، «فالحياة الارضية» سهلة الالفاظ ، ولكنها في هذه السهولة بعيدة من ان تستخفها الآذان .

« شفيق جبري »

عضو المجمع العلمي العربي

الجزء ٦ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ

١١٤

المحاضرة الثانية عشرة

عروبية المتنبي (١)

الفتى العربي

— ٩ —

حرص العرب على قوميتهم — اختلاط العرب بالاعاجم — تشتت العرب

« تغني الشعراء بالقومية العربية »

أرأيتم كيف كان اليمانيون وهم في ارض غيرارضهم ، وتحت سماء غيرسمائهم يلهجون بذكر بطونهم وأحيائهم ، وقد تقاذفت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ، أرأيتم كيف كانوا يحنون الى قبيلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا كندة والا السبيع ، أرأيتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم وتطرب السنتهم بذكرياتهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا التغني باصحاب هذه الذكريات .

قال المؤلف الايطالي (فرورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تعاقب مائة عام

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر ·

والى هــذا رمى اوغست كونت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر ·

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجة في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر ولئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « سورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر·

لقد كان العرب يحرصون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغابرهم ولمَ لا يحرصون هذا الحرص ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينتسبون الى اصل واحد ، وقدتقاربت اخلاقهم وطبائعهم ، وتشابهت هيآتهم وسحناتهم ، وتماثل تاريخهم وسياستهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، واظلتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيئتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا أمماً من اجناس مختلفين ، يتكلمون بلغات مختلفة ، و يدخلون في اديان مختلفة ، اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في نواحي العالم كله · كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البرتغال والبرازيل ، وكسكان فرانسة وبلجيكة الشرقية وكسكان ألمانيــة وسويسرة الشرقية ، اننا نرى امماً من اجناس مختلفين ، كالروس ، اوكأهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهدالابيض والاسود والاحمر · اننا نرى امماً فيها مذاهب شتى واديان متباينة [1]

عاملان من العوامل ينشئان الامة : اشتراك الامة في ميراث ملآن من الذكريات واجتماع كلة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد تناولت ميراثاً خصيباً بذكرياته وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً يتغنى العربي

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات ·

بعروبيته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، يتصرف في ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او ديلمي في سلطانه ، العربية لسانه والعمائم تيجانه والمشرفية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصيب :

« يتبخترون على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كرد النفس واذا القيسية واليمانية ، واذا الفتن والشغاب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان ، واذا الفرقة بعد الالفة . واذا الطولونية والاخشيدية والحمدانية والفاطمية والسلجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ايوان كسرى   لتوضح او لحومل فالدخول

وضب في الفلا ساع وذئب   بها يعوي وليث وسط غيل

هذه هي نغمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربياً واللسان مضرياً . والوشي يمانياً ازدحم الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية ينفصلون عن بغداد وينفردون بامور الملك والسلطان ، قال غستاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضاً والى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله تزاوج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سبباً في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشتد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم وأما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذا الامر الثاني لم يحذره العرب — »

نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فتفرقت كلمة العرب وضعف تغني القوم بعروبيتهم .

فلننظر في هذه الحالة الاليمة هل حافظ المتنبي على عروبيته ، أفكان يضطرب في هذه العروبية اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكان ينبت العز طيب ، فلننظر هل اشتدت الفة المتنبي ليمانيته وعروبيته في جميع اطوار حياته ·

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيه بتربته كريشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيه بعروبيته ، لم يعقها في يوم من ايامه ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشتد الفة ابو الطيب لتربته فقد اشتدت الفته ليمانيته وعروبيته فهذه العروبية ممزوجة بنفسه موصولة بروحه من اول حياته الى آخرها ·

المتنبي عريق في يمانيته ، شديد الحرص عليها وهل هو الا من جعفي وهمدان ، وكأني به وهو يقول في صباه على لسان بعض التنوخيين :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يقبع في عقر يمانيته فقد طار في فضاء اوسع وحلق في سماء امدّ ، فانسلخ من اليمانية واندمج في العروبية يفاخر بكل شيء عربي يفاخر بلسان العرب وبتيجان العرب و بسيوف العرب · وسواء أكان ابو الطيب رقيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد العجم انه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق باهداب هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً ولم يبغ عنها حولاً ·

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد متنزهات الدنيا ، مشهور بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواهه وكثرة انواع طيره ·

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة على شعب بوان استراح من الكرب

تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق وابرد من ثغور الاحباب ، ووصفوا ترقرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر ورياض ، ووصفوا ظلها الخضل الالمى ، ماقولكم في شاعر يصف هذا المتنزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الحر عني | وجئن من الضياء بما كفاني
والقى الشرق منها في ثيابي | دنانيراً تفر من البنان
لها ثمر تشير اليه منه | باشربة وقفن بلا اوان
وامواه تصل بها حصاها | صليل الحلي في ايدي الغواني

ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فتأوه وقال :

ولكن الفتى العربي فيها | غريب الوجه واليد واللسان

وما هذا الفتى العربي الا ابو الطيب نفسه ·

وحن الى منازل دمشق العربية وقال :

منازل لم يزل منها خيال | يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها | اجابته اغاني القيان
ومن بالشعب احوج من حمام | اذا غنى وناح الى البيان

* * *

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبيته وهو في آخر مدى حياته قد وقف على الخمسين اوجاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يعتقد ان العرب تنجح اذا كانت ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الذمم :

وانما الناس بالملوك وما | تفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب | ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم | ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه | وكان يبرى بظفره القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين يأمرون على الناس · فالمتنبي يرى بين قومه وبين الاعاجم من ترامي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم متباينون في اللغة والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين قلوبهم · ليس لهم ذكريات واحدة · وادب واحد · واخلاق واحدة · وتربة واحدة فالتنافر مستحكم بينهم من كل النواحي · —

فالمتنبيء عربي في سلطانه . وقد حملته عروبيته هذه في بعض الاحايين على ايلام الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كيغلغ وهو رجل رومي كان يحافظ على الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه ابن كيغلغ عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المتنبيء قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى النفوس سريرة لاتعلم . من جمانها هذا البيت :

افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم اعجم

انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للراماة دون حياض العرب . فقد كان يباهر بكل شيء عربي . يباهر بلسان العرب وبتيجان العرب . و بسيوف العرب . وصحبته هذه العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انفاسه الذكية . لما مدح ابن العميد في ارض فارس وهنأه بالنيروز مدح فيه عروبية اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بحصن برزويه وعاد الى انطاكية . جلس في فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . افتظنون ان ابا الطيب فضل تيجان الروم على عمائم العرب كلا ثم كلا . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة لابلج لا تيجان الا عمائمه

تقبّل افواه الملوك بساطه و يكبر عنها كمه و براجمه

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بسيوف العرب قال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

* * *

وكأن هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية . فكان ملك الروم اذا غزا بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يومئذ يذهبون في شعرهم بعض مذاهب اسلامية مجاراة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب لسيف الدولة :

خضعت لمنصلك المناصل عنوة　　واذل دينك سائر الاديان

ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقتصر ابو الطيب في مدائحه في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم ولكنه كان يرمي مرمى عربيا ابعد أفقا فمن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العماد وصيرت　　قمم الملوك مواقد النيران

انساب فخرهم اليك وانما　　انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين .

نعم كانت هذه اللهجة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بنى سيف الدولة قلعة الحدث وقد جمع ملك الروم اكابر مملكته وجهزهم بالصليب الاحمر هنأه كثير من الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت　　منه الحوادث حتى ذل صاحبه

اعدته عربيا في مناسبه　　من بعد ما كان روميا مناسبه

وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ابياتاً من جملتها :

وانك لي الجبل المشمخر　　بل لقومك بل للعرب

ومن قول ابي نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحدها　　يامن ثرى قدميه طينة العرب

وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على لسان نساء بني كلاب وذلك ان سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن سربهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم الى ان بدت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم واوقع بهم وملك حرمهم واموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم وحملهن وافضل عليهن واحسن اليهن فكتب اليه ابوفراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

يناديـن بين خلال البيوت　　لا يقطع الله اصل العرب !

وفي هذه الوقعة يقول ابو الطيب :

وان يك سيف دولة غير قيس　　فمنه جلود قيس والثياب

وتحت ربابه نبتوا واثوا　　وفي ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصعاب

***

هكذا كان تغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا التغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلّت اوجه العرب

فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذاك العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها ٠

***

هذا ما عنّ لي من الكلام على عروبة المتنبيء ولِمَ لا يتغنى ابو الطيب بعروبته ، وقد جاءته هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاختمرت في صدره فلم تفارقه في طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المتنبيء لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن الذي يذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لهج ابو الطيب بحبه عامل من اقوى عوامل القومية ولئن وجدنا شعوباً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينتسبون الى امة واحدة فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة انما هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احيائها وموتاها ٠ فيها كل شيء يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا الادبي الذي تعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة امة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعتناء بهذا الميراث ٠

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرمي اليه في الحاضر والآتي ٠

دمشق : في ١ شباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الثالثة عشرة

هل كان المتنبي شعوبياً

- ٥ -

نفيهم عنه التعصب لوطنه — نفيهم عنه التعصب لقومه

« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيأت الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربيته وثقافته ، وعلى رقة حاله وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعددته لأحاضر به في هذا اليوم الا ان المقام اقتضى ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تعصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى وطنه واضطرابه في هذا الحنين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبئ ينفون عن ابي الطيب تعصبه لقومه ، وتعصبه لبلد ، ملقين الكلام على عواهنه دون شيء من التمحيص . أما نفيهم عنه التعصب للوطن ، فقد استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واشرت فيها الى اضطراب المتنبئ في حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الادنون غير الاصادق

ومنها وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

واضافوا اليها أبياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب

ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل

على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل

يدل على ان اباالطيب اذا حدثته نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهبه لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الابيات كلها ، وقارنوا بينها وبين الابيات الآتية التي يقولها اصحابها في حنينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة   وقومي وان ضنوا عليّ كرام

او كقول المعري :

فلا هطلت علي ولا بارض   سحائب ليس تنتظم البلادا

فحكموا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي يمد يديه الى الخير ، لا يبالي اين وجده وكيف التقطه . —

واما نفيهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الابيات التي استندوا اليها في هذا النفي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من المتنبيء كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما   تفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :

وقد رأيت الملوك قاطبة   وسرت حتى رأيت مولاها

اباشجاع بفارس عضدالدو   لة فنّـا خسرو شهنشاها

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكموا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلادالعرب فكأنهم يقولون فيه انه شعوبي ، وان هم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هـذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ، أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم ينظروا الى المتنبيء الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضرباً من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في بواطن هذا الشاعر وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساويء ، وفي هذين المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى . وانقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فأنهم اذا ذهبوا في النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم ليعظمون العورات في بعض الاحيان و يتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيغضون على الروائع ويتهامسون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد و حكّم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجوانب ·

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا في تجريدهم هذا على الابيات التي رويتها لكم فلننظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بينت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه · وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ، ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لتكاد تعاف الحياة والمتنبي عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض لكل واحد منا وما قولكم في شاعر يترك بلاد الشام و يذهب الى مصر فيخلي له كافور داراً و يخلع عليه و يحمل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كفى بك داءً ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن امانيا

ما قولكم في شاعر يتمنى الموت وهو في بحبوحة من العيش وسعة من الامل أفيكثر عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرد من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب

هدأ بعد مضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :

أحب حمص الى خناصرة وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاها

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحن الى اهلي واهوى لقاءهم ، لايرمى بعقة الوطن فكان ابوالطيب يضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو خاطره و يروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نفوا عنه التعصب لبلده ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقاً الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ، فأشاروا الى الابيات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابيات التي تضمنت حنينه اليه فإما ان يكونوا متحاملين على المتنبي ، وإما انهم لم يقرأوا ديوانه كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتاباً في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله .

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنيته اي في حنينه الى تربته من الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيه بتربته لوجدوا مجال النقد ذا سعة فان اباالطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يحملنا على الحنو على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منعطفات شطوطه ، لحمنا على هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجه وفي جنانه وشممنا نسيم الشيح والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفرط الحنو على هذه الارض الكريمة حيث نبتت لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية تذكرنا قبيلنا وعشيرنا في الماضي .

لو نقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال التربة التي الفها والوان هذه التربة لأصابوا في نقدهم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية تجريداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مر بها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعادته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، وربيب القبائل الف الاعراب من حداثة سنه واخذ عنهم اللغة . صحبهم سنين ثم جاء الكوفة وهو بدوي قح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب حمصاً الى خناصرة   وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها

وصف في مصيفه في حمص ومشتاه بالصحصحان نمط عيشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعيناها   او ذكرت حلة غزوناها
او عرضت عانة مقزعة   صدنا باخرى الجياد اولاها
او عبرت هجمة بنا تركت   تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة   تجر طولى القنا وقصراها
يعجبها قتلها الكماة ولا   ينظرها الدهر بعد قتلاها

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتاه في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والا الغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ، فقد عجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واضرابه ، وبعد تصريحه بكراهية العجم ، لا شك في ان اباالطيب مدح ملوكاً وامراء لا ينتسبون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على لينه في عروبيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص وأنه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستخلص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح الدمستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب و يفاخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا وروبت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البيان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالبي في يتيمته يتفرغ للادب و يتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء و يقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء و يحاضر بالاوصاف والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كعادته اذ قدمت بهطة فنظر عضدالدولة كالامر اياه بان يصفها فارتج عليه وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلوة لآلئ في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعز الدولة ابي منصور بختيار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمتنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يتكلمون بها و يفاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب بوان .

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لا تهمه العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لهم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق .

وكذلك الاستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المتنبي عارض الانصاري بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر المحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لاتقول اليه

غرام وانما العرب تقول له ، فقال له الانصاري : العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ·

فالملوك الذين تعمر مجالسهم بامثال هذه المجادلات انما هم ملوك لا يكرهون العربية على ماأظن فما في مدح المتنبيء لهم طعن عليه من الناحية القومية فما كان بحضرتهم يغض من العرب و ينتقصهم ·

فالمتنبيء عربي في اصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعته ، وقد صحب الاعراب وخالطهم ولهذه المخالطة آثار في شعره فيجب على الذين ينفون عنه التعصب لوطنه ولقومه ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون نقدهم صحيحًا ·

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الرابعة عشرة

اين تعلم المتنبي

– ٦ –

عرفنا اين ولد المتنبي ، وعلمنا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، واين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه واياكم في مجلسنا هذا .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محباً للعلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فلزم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الورّاقين فكان علمه من دفاترهم .

وقال الثعالبي : ذكرت الرواة ان اباه سافر به الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ، ومن مدرها الى وبرها ويسلمه من المكاتب و يردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر و برع .

وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في ايام الناس .

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ اباعلي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال المتنبي في الحال ، حجلى وظربى ، قال الشيخ ابوعلي : « فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » .

من هذا يتبين لكم ان ابا الطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل اكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد انتخبها وأحكمها قراءةً وتصحيحاً ، ولسنا نعرف هذه الدفاتر ولا ندري بما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر ابي تمام و يقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمتنبي درس كثيراً وقرأ كثيراً فمن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحتري وابن الرومي وابو تمام ومسلم بن الوليد و بشار وابو نواس وابن المعتز والفرزدق وعمرو بن كلثوم وامرؤ القيس والاعشى وبعض رجّاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لاجاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأتخطّى الكلام على تجاريبه في الحياة وعلى ماافتقت له هذه التجاريب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جربهم لبيب فاني قد اكلتهم وذاقا

واتخطّى الكلام على نظراته الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه النظرات فلا اتعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره .

للبادية في ثقافة المتنبي آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البيد والفيافي من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، الف المتنبي ابل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التغني بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار صهيل الخيل وقعقعة اللجم وصرير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المتنبي وكما ان للبيئة وللزمن وللدم تأثيراً في العبقرية فكذلك التربية فأنها لا تخلو من التأثير في الاذهان ، الف المتنبي البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخيله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حداثة سنه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلست اعرف شاعراً اعند من المتنبي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابيته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبين هذا الامر على قدر ماينسع له مجلسنا .

للمتنبي اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في اقطار الشام قبل اتصاله بسيف

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار الاربعة .

لما كان المتنبئ يجوب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وترعرعه كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعرابي لم يألف الحضر .

برتني السرى بري المدى فرددنني   اخف على المركوب من نفسي جرمي
وابصر من زرقاء جو لانني   متى نظرت عيناي ساواهما علمي
كأني دحوت الارض من خبرتي بها   كأني بنى الاسكندر السد من عزمي

فالاشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من مذاهب اهل البدو الذين لا يقيمون ببقعة من الارض دون بقعة .

اواناً في بيوت البدو رحلي   وآونة على قتد البعير

فتارةً كان يتغنى ببنات الجديل و بالفتنه المجاهل والفلوات .

نحن ركب ملجن في زي ناس   فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجديل تمشي بنا في البيد   مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها   اثر النار في سليط الذبال

وتارة كان يتغنى بسيفه :

كفرندي فرند سيفي الجراز   لذة العين عدة للبراز
تحسب الماء خط في لهب النار   ادق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع الناظر موج   كأنه منك هازي .....
ودقيق قذى الهباء انيق   متوال في مستوى هزهاز

الى آخر ما وصف به هذا السيف .

هكذا كان دأبه في الشدو بأمور البادية ولقد تجلت شنشنته هذه في اراجيزه التي كان يتشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :

ما للمروج الخضر و الحدائق   يشكو خلالها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخرور» فاقام الثلج على الارض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال المتنبي ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخيل ·

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثرت فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تغزل كان يتغزل بالاعرابيات :

هام الفؤاد باعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحال تشبيهات اهل البادية ، فالرماح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جآذر ومن الرماح دمالج وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

على انكم تجدون في بعض الاحوال آثاراً حضرية الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرماح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم لتجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا مسن في اجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم

ليس معنى هذا ان المتنبي لم يصف مشاهد الحضر ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضر عادت الى ذهنه في الحال صور البادية لنضرب مثلاً لذلك ·

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والغور دفيء وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها في نهارها قمر حف به من جنانها ظلم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموج شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغى ، فالفحول وفرسان الخيل والجيوش والماء الشبم والقطم كل هذا لا يخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء لشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحتري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمتنبي وصف بحيرة طبرية والبحتري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شيئاً من وصف البحتري ، ولا يتسع المقام لذكر الابيات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعومه والرياض وبشاشتها ، وانا أترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولا شك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا أثر للبداوة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلننظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقاً مديداً يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الروّاض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المتنبيُ في وصف هذه الحروب والغزوات أبلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منها تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدتم منها شيئاً في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل ممهدة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبته لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان يصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نتعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المتنبي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءته من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضر فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفازة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشبيبة كله ... حيا بارق في فازة انا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة ... واغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه ... من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به ... يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه ... تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذي التاج ... ذلة لا بلج لا تيجان الا عمائمه

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضرية حتى ان غزل المتنبيء ظهرت عليه آثار رقة الحضر فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزاهير والرياحين :

سقاك وحيانا بك الله انما ... على العيس نور والخدور كمائمه

ومنه قوله :

وغضبي من الادلال سكرى من الصبي ... شفعت اليها من شبابي بريق
وأشنب معسول الثنيات واضح ... سترت فمي عنه فقبّل مفرقي

وأجياد غزلان كجيدك زرنني   فلم أتبين عاطلاً من مطوق

ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم   نحولي وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم   بكيت على حبي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تفارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحي مرتدياً   بصاحب غير عزهاة ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفّعه   وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من درعها أثر   على ذؤابته والجفن والخلل

و يرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي   وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقدمات   ومايُنجين من خبب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحيه على الاجداث حفش   كأيدي الخيل ابصرت المخالي

والحفش والمخالي والخبب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في ذلك .

فابو الطيب في التبدل اليسير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء النعيم والترف كان يعود الى شنشنته في التغني بالابل و بالقوة على السير الى غير ذلك من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكمت في البلد العراء بناعج   معتاده مجتابه مغتاله
يمشي كما عدت المطي وراءه   و يزيد وقت جمامها وكلاله
وتراع غير معقلات حوله   فيفوتها متجفلاً بعقاله
فغدا النجاح وراح في اخفافه   وغدا المراح وراح في ارقاله

نعم انه لا يكاد ينسي فرسه ورمحه وسيفه وناقته حتى مواطن الغزل :

سلي عن سيرتي فرسي ورمحي وسيفي والهملعة الدفاقا

ولا يكاد يذهل عن الخيل والبيداء :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب مني القور والاكم

***

هذه هي شنشنة المتنبي وهو في ظلال سيف الدولة المديدة فلننظر اليه لما غضب على سيف الدولة وترامت به البيد والفيافي الى كافور الاخشيدي ، فلننظر اليه هل اقلع عن هذه الشنشنة ام لازمته في مصر ، اظن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيء من هذه العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والعوالي وماماثل ذلك حتى في اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا

تماشى بايد كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا

وتنظر من سود صوادق في الدجى يرين بعيدات الشخوص كماهيا

وتنصب للجرس الخفي سوامعاً يخلن مناجاة الضمير تناديا

ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في وصفها يسمى وصفاً فكأنه يحتقر الدور .

مستقل لك الديار ولو كان نجوماً آجر هذا البناء

ولوان الذي يخر من الامـ واه فيها من فضة بيضاء

فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسمهرية السمراء والصوارم البيض والهيجاء

وبسائنيك الجياد وما تحمـ ل من سمهرية سمراء

انما يفخر الكريم ابو المسك بما يبتني من العلياء

وبايامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء

وبما اثرت صوارمه البيض له في جماجم الاعداء

لا بما يبتني الحواضر في الريـ ف وما يطّبي قلوب النساء

فاين هذا الخيال من خيال البحتري في وصفه لقصور بني العباس في بغداد ·
نعم لم يقلع عن هذه الشنشنة حتى ولا في غزله فهو لا يحب الا البدويات :

ما اوجه الحضر المستحسنات به كاوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
اين المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام ماثلة اوراكهن صقيلات العراقيب

ولما اصابته الحمى وهو بمصر ووصفها لم يغفل في وصفه عن التغني بما يتغنى به الاعراب عادةً

ذراني والفلاة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
فاني استريح بذي وهذا وانعب بالاناخة والمقام
عيون رواحلي ان حرت عيني وكل بغام راحلة بغامي
فقد ارد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام

فانتم ترون في هذا كله آثار ما يتغنى به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل واعتياد السير في الهجير بغير لثام والمعرفة بدلالات النجوم بالليل وعد برق الغمام كل هذا مما يفتخر به اهل البدو ·

ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فكأن المتنبي متلفع بثوب بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدبى
وكل نجاة بجاوية خنوف وما بي حسن المشى
ولكنهن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذى
ضربت بها التيه ضرب القمار اما لهذا واما لذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فاتكاً وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس :

لا ابغض العيس لكني وقيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
طردت من مصر ايديها بارجلها حتى مرقن بنا من جوش والعلم

تبري لهن نعام الدو مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم

***

هل رغب المتنبيء عن مذاهب اهل البدو في آخر طور من اطوار شعره فانه لما خرج من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس اتصل بابن العميد وبعضد الدولة وعرف ان الذين يجالسهم في فارس هم غير الاعراب واشار الى ذلك في اماديحه في ابن العميد :

من مبلغ الاعراب اني بعدها جالست رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فاضافني من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدئاً متحضرا

نعم جالس المتنبيء في بلاد فارس امثال رسطاليس وبطليموس وجارى الفرس في عاداتهم في النيروز في اتخاذ اكاليل من النبات والزهر ولبس هذه الاكاليل :

مالبسنا فيه الاكاليل حتى لبستها تلاعه ووهاده

وشهد مشاهد تأخذ بمجامع القلوب مثل شعب بوان :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ومع هذا كله فقد بقي بدوياً قحاً كما كان في صباه شهد هذه المشاهد كلها فلم يزهد في اعرابيته ولئن رق غزله بعض الشيء وخرج من التغزل بالبدويات الى التغزل بالشاميات :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت به فاها
فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها
تبل خدي كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها
ما نفضت في يدي غدائرها جعلته في المدام افواها

لئن رق هذا الغزل بعض الشيء ولئن تبدل خياله بعض التبدل فما تبدلت اعرابيته حتى انه عاد في القصيدة نفسها التي تغزل فيها بالشاميات الى ذكر الغزو والصيد وقد كنت تلوت عليكم ابيات هذا الغزو وهذا الصيد :

ان اعشبت روضة رعيناها او ذكرت حلة غزونا ا

وعاد الى التغني بالقنا والطعان :

فاما تريني لا اقيم ببلدة فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي

يحل القنا يوم الطعان بمقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

تبدل ايامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرن في النحس والسعد

لئن بدلت هذه النجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابيته ، وارجوزته في عضد الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه باهداب هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :

ما اجدر الايام والليالي بان تقول ماله ومالي

فآثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه .

دمشق : في ١٥ آذار سنة ٩٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية[1] »

— ٢ —

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخرها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تختمر فيأكلها مختمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهويه سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجدّ في وصلها طلباً . وكلما رشف منها وشلاً تلظى لكاسها ظمأً . وكلما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اهتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكّر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة منشودة ، ومباحة محرمة ، وعاهرة مشرّفة ، لا يضنيها الوصل ، ولا يفسد من ملاحها الدهر . يأتيها المرء لاول مرة مجاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ماهو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ماهو نفساني . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشدّ الى شرب الخمور من احتياج

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٣٠ م .

الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمور ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعةً او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات مابين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان ما يخالفها مما تشتهيه نفسه و يصبو له قلبه ، وتضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى مايستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضيع الطموح ان يكون ملكاً تعنو له الرقاب ولا للفقير ان يكون غنياً يتنعم برغدالعيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً او يستهوي به قلب غادة فتانة ، أسرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار تتأجج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كان تحقيق كل هذه الاهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبية شخصية و بات الشقاء البشري عامًا لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخروية وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تملل النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين و لأحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

وهتك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها ورعايتهـا هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تفنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، تتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية، اي منذ خرج من الحيوانية، وبدأ يعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتململ منها اليوم كل أنسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للمجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل ... عمـا مضى منهـا وما يتوقع

وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القحي :

تحامق تطب عيشاً ولا تك عاقلاً ... فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان ... والجهولـ المغفول والصفعان

وانشد ابو منصور مهلهل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحمق ... وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة ... فليلزم الجهل مع الحمق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للمجانين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين · وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى مابين يديه من الحقائق الملموسة · ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفته ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤملين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين » ·

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضمحل وتفنى بتأثير العقل · توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتملص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده · وقد تفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسم دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية · والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً ·

قال المنفلوطي في كلمته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير أعصابهم · كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الافيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة يتخللها شقاء · الا انها خير عندهم من حياة شقاء لايتخللها سعادة · ولولا حب الحياة الشعرية ماوُجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين ·

لا يجد السكير لذة العيش وهناءته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ماتشتهي نفسه ان تراه · فان كان قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفتنة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تحليق الأطيار على الأشجار ، وان كان فقيراً معدماً لايملك فلساً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه · واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة باسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحبه على وجهه الى غرفة السجن ليقضي فيها ليلته ·

وجملة القول ، ان عينه لاتقع على مايحزنه من المنظورات ، وان أذنه لاتسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخبل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفيتها وحالة الشارب ومزاجه . واليكم صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجتازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي . وتتصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضيء العينان . ويزداد عدد الضربات القلبية ، والمبادلات التنفسية ، وتخدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويخيل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيها . وتتوقد الذاكرة وتسرح المخيلة . فيذكر ما كان ناسياً ويبتدع من الصور الخيالية مالايقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محاكمته ومميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البداهة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخدر الناقدة والمراقبة تنطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسراره التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائع . ويعتري السكير في هذا الدور الغرور والأنانية ، والغطرسة ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً للمدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يخل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعي وباطنه المكتوم . ومن الخطإ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضح الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبليـة والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بهـا اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً مايتوصل به الدهاة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بانحلالــ قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيـال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف في الاندية والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشهية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، اوالجُنة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هـذا الدور بخمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والعواطف اما الثمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقـاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات الى الحسيات ، و يتعرض لما فيـه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل، في سبيل المرأة في المراقص وعلى موائد السكر عنا بغريبة ، واذا اضفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب تجلى لنـا صورة الثمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى المخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشـاهد في الهذيانات الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجرع الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقد دقتها ، وتعتري السكير الرعشة والاضطراب فلا يتماسك في المشي ، وتختل موازنته ، و يسترخي كلامه ، و يتداعى الى الجمود والخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منبهة كما كان يظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكير ثمة قواه الحركة و يصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض بيديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التملص من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فما هي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقدها حياتها العملية . و ينزل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يتمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تتصعد ، ونبضات قلب خائر تتابع ، تنتشر منها روائح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما تقذى لمنظره الاعين ، وتمج وصفه الآذان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي تتجلى بها السكير منذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكد يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تتوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تخرب وتصير الى الغرق .

وهكذا غد السكير ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، تتلاشى رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها

فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بادئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم الناقع . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشفة المشهية الصحية المباحة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاآت شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاآت اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية — . ويبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المهذب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثالاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يأتلف معهم من الناس ، و ينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتخشن معاملته ذويه ، ويهمل واجبه نحو اسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذه شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العته الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان

الاختلال يعم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع اسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بهما وفقد الإباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهذيب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره: فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاداة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادئ العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوئ الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولاسيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله و يتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر مايفتن النظر و يخجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس و يتلاعب بالقلوب يتدهورون رويداً رويداً بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسمها فيمسي الغولي مسيراً بحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والذوقية والمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثمالة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواه . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الأسرة والهيأة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كيانها . والقائل يقول ان من الامم من تتعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبح بيعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لاول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم يتفش في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما اهتدت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيهما ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صنعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضةً لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية – فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسوجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام بوصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الأقدمون فلم يكونوا ليشربوا سوى الخمر الصرف الخلو من الغش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايحوي سوى ثمانيـة أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعانيه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد أقرنه مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و . . .

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من جميرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أيدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبمال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل و يندر وجود الحوينات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض و يختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hcbopper) من جامعة فينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكروا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل جميراتها المنوية .

وذكر الاستاذان و يشلباوم و كيرل من فينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثها عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابداً بفقد الاقنية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهري ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لسائر اعضاء الجسم .

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحوينات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادىء الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية .

(٣) و يحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي ·

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقد ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة ·

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي نغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي ستثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك ·

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها · قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل · وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله وكان المأمون يقول : يالطف الخمار ·

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هـذا الولد · مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في استحالة النسل ·

وذكر سباتية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس ·

وقد ايدت مشاهدات بزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين قدماً اي ابلة فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس موللير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

وذكر سيبيش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضائها التناسلية فقد حدث فيها استحالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه مما يسمونه عجيبة .

ويطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتمدنة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استحالة البذور المنوية عند الرجل بتأثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنتقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأن سكر الام اثناء الحمل يفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيانه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسممه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فانتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ر يدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بيض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : انى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلبات السكيرات تنتج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع . — وهنا ننتقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد الغول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدسم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا و يحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتحصى . وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليلة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع مهما قلّت كميته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع السكيرة سم قتال للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر. منها ماذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلهـا باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فشفي الطفل . ومن ذلك ماذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورماندیا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرّة . فيعرضون بعملهم هذا اطفالهن لانواع الآلام والآفات . ولا ينحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أيدتهـا مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضـاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . وان انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الإرضـاع هذا سيؤدي حتماً الى نتيجتين مؤلمتين احداهما أخلاقيـة وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الإرضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة وتداعي كيان الامة . وقد أيدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمبفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تضخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للإرضاع .

الغولية ووفيات الاطفال .— ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ عن

معاقرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال . وقد جاءت استقراآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هــذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغوليــة اللواتي لا يعيش لهن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاآت العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تتعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هــذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة .

استحالة النسل الغولية . — ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاآت أطباء المدارس في الممالك الراقيــة ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاآت المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف فدم اي ابله منتــاه بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تلميذ في المدارس فشاهد ان ٥٣ — ٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . و بالنظر لتفاقم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوربة واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، يعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة ويثقل كاهل موازناتها السنوية .

الجنون والغولية . — وقد لا نعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً ، وألفة من انقاض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره مايذان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن .

وجاء في الاحصاآت الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) ومايذان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاآت سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء .

وجاء في احصاآت ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاآت ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٣/٢٦ في المائة عند الرجال و (٤/١٠) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) لملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و٥/٩ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/١ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجئ نيويورك خلال سنة ١٩٠٨ — ١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكلها متضافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآية الكريمة (واثمهما اكبر من نفعهما) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال تفشى في هذا العصر في الامم العظمى تفشياً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد .

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك بيد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنتحر به) (فمن ذا الذي لايعلم ما فعله مستعمرو اميريكا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنعه

الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نحصد السود بخمورنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بيد الامم القوية ستقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

ومما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان للغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتنحصر هذه المنافع بامرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتعل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواتر وبنديك نفسها وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقوه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما يطرأ على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها ويضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال لغران

أضرُّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويخدم صناعه و باعته عنواناً لدعاياتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهوون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فمن الفضيلة والانسانية اذاً ان ينادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر المداهم بالامم الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت تتداعى كما تتداعى الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براثنه ، كما تتشعب الياف السرطان في الجسم فبات الويل في نزعه والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساءً ورجالاً شيباً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهنالك في سكانديناڤيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والهزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكنَّ في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيئته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاداة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث .

وبينما نار الحرب تتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتمدنة هذه الغادة الاسيرة الفتانة تتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت تتطلب من سمه مخرجاً منها . وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٨ —

الجسم الذي له شكل مخروط والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم • فاذا تفتح عن محور خشبي واوراق سمي عيناً و بالفرنسية (Oeil) اما اذا تفطر عن زهرة فهو البرعم والبرعوم و بالفرنسية (Bouton à fleurs) ويلاحظ ان لفظة « العين » لم نضعها نحن ترجمة للفظة الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث كانت تستعمل للمعنى المذكور •

واذا تفتحت العيون او البراعم فقد اكمحت وقطنت وانضرجت وانفصدت وفقّحت وتفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) •

والاغصان التي تنضرج عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم الشجر • والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشتمل على المعاني الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها • فالعين في بدء تفطرها غرنوق و بالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمى غرنوقاً ما دام صغيراً طرياً •

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات و كان غليظاً متغضناً سهل القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخُوط و بالفرنسية (Lambourde) و يكون الخوط في الدراق والخوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه في فرنسة « باقة ايار » •

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣—٨ سنتيمترات املس غليظ صغير العيون والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة • وهو اجود الاغصان المثمرة في التفاح والكمثري والسفرجل • يسمى بالفرنسية (Dard) ورأيت ان نسميه الغُملوج •

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة . وتكون براعمه العليا صالحة للازهرار في التفاح والكمثرى اما براعمه السفلى فتتلف . وفي الدراق تزهر جميع براعمه . ويسميه الفرنسيون (Brindille) وارى ان نخصه بلفظة المسلوج .

ومنها غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكوّن مع الفرع الذي يحمله زاوية حادة . وهو لا يزهار على الأكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau) وبالعربية الخرعب والغصن .

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع النبات مضر في الغالب و يسمى الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) .

ومنها الذي يحمل عيوناً و براعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلمونه في التفاح والكمثرى واسمه الغصن المختلط او الشامل او المشترك (R.mixte) ومتى شاخ الغصن وقسا ونشأت عليه اغصان فهوفرع اوشعبة (Branche) وهاك خلاصة الالفاظ المذكورة مع ما يقابلها بالفرنسية :

العين	Oeil
البرعم	Bouton à fleurs
اكمح وقطن وانفرج وانفصد وفقح ونفطر	Bourgeonner
الغرنوق	Bourgeon
الخوط	Lambourde
الغملوج	Dard
المسلوج	Brindille
الخرعب والغصن	Rameau
الغصن العرضي او الطفيلي	Romeau gourmand
الغصن المختلط او الشامل او المشترك	R. mixte
الفرع والشعبة	Branche

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صغاراً او كباراً ، متفرقة او ملتفة ، نامية من بزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ . ولم

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ للمعاني المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع أو التقييد وهي :

الحَرَجة ج حِراج وأحراج وحَرَج ومحاريج لجماعة الشجر على الاطلاق وهو بالفرنسية (Bois) او (Forêt) ومتى كان شجر الحرجة طوالاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنتيمتراً وربما بلغ ٥٠ سنتيمتراً فالحرجة هي غابة و بالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الاشجار المقطوعة .

وقبل ان تكبر أشجار الغابة وتضخم سوقها اي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنتيمتراً فالحرجة تسمى أجمة و بالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الأشجار قدّ شجر الآجام اي عندما تكون شجيرات مشتبكة الأغصان مختلفة الطول فهي غيل و بالفرنسية (Fourré) .

هذه كلها في الشجر التي تنبت من البزور فاذا نمت في عجز الأشجار المقطوعة اي كانت فراخاً او أرآداً فالحرجة تسمى خيساً (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في أشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنها لا تفرخ بعد ان تقطع .

والعيص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعياص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشائكة التي تنبت في الحراج .

وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

الحرجة	Forêt
الغابة	Futaie
الأجمة	Perchis
الغيل	Fourré
الخيس	Taillis
العيص	Broussaille

« للبحث تلو » مصطفى الشهابي

آراء وافكار

اصل لفظة « عربة »

ما كدت أطالع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربة للعجلة التي تقل الركاب) حتى خشيت ان يسري هذا الوهم الى سواه فجئت في نبذتي السابقة (ص ٦٩٩) أتساءل عما اذا كان ابن بطوطة هو الذي وضع هذا اللفظ ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع. ولما كان الشيء بالشيء يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انستاس الكرملي ان لفظة (عربة) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٥١٩) اوتركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سرياني وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ابزرا وعربا) ملحقاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عربة خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه) وهذا يؤكد ماقلته : لا اظن العربة من اصل تركي مذيلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف. وهو ما قاله العلامة ابن منظور في لسان العرب . بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربة . وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربة حيث قال : والعربة بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها رحى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى . وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربة) في الماء و يرجح ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصةً . فظهر الآن من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً . وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية . وقلت اخيراً ان العربة كانت من اعتاد[1] الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انستاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبته اللغويون في هذا

من معنى الرحى التي تكون في الماء الى معني المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى · على ان الأب انستاس الكرملي لم يرقه كل ذلك فعاد في مجلته لغة العرب[١] يؤكد ان العربة تركية الاصل وانه لما قال تركية لم يقل انها كذلك بلفظها الحالي بل اراد ان يقول تركية التركيب والوضع ··· الى ان قال : اما ان العربة تركية فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ﻫ (١٠٧٣ م) وای في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغدد نقل الفاظه عن الترك كما نعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعاد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ويجمع على اعتدة ايضاً · قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبده بالباء الموحدة جمع قلة للعبد · وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طولب بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلعم) انه لا زكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله · والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه اﻫ · وقال في المصباح « واخذ للامر عتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة · وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله · ويروى واعبده بالباء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح · اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اﻫ بلفظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام · ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انستاس من هذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقيل كما لا يخفى ·

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي ·

مئات من السنين ... الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سريانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من المعصرة والرحى في الماء الى المركبة او العجلة .

لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصناف من الترك ايضاً . وجاء في سيرة مارآبا (سنة ٥٤٠—٥٥٢ م) ان خان الهون البيض « وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكتريانة » أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبا المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفاً ينصر القبائل التي كانت خاضعة لسلطانه ففعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبا ص٢٦ وكتاب لابور ص ١٨٩) وممن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموتاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك تنصرت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى توما المرجي في كتاب الرؤساء (ص٢٥٢—٢٦٣) ان شوبحا ليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بأمر طيموتاوس الكبير الى جهات الهرقانيين والاتراك فنصّر كثيرين وشيد الكنائس . وقد تبعه اخواه يباهالا وكرداغ اللذان سقفهما طيموتاوس الموما اليه وأرسلهما الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهباً من دير مارآبا .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سليمان ان طيموتاوس دعا الى الايمان خاقان ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كراسي أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عدّدها عمرو بن متى في تاريخه المعروف بالمجدل (ص١٢٦) وانا لا أقصد تبيان انتشار النصرانيـة بين الاتراك بل أتوخى ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعار الاتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعاروا كثيراً من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقرر ان الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدراً من دولة بني العباس فامتلأت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً[1] في المهن والصنائع ...

---

(١) الجمع لعل صوابه نُدُلاً او خولاً .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء وأخص منهم بالذكر عشائر القانقلي والقالاج والتركمان سكان مابين النهرين يتقدمون في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الأغور [1] وطلباً للرزق (Le Cahun (int. a l hist. de l' asie ·

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا مماليك بالقصور في ايام الأمويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢-١٣٧ هـ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧-١٥٨ هـ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شرذمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب وللخراسانيين الفرس (المسعودي ج٢ص ٢٤٦) ·

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفوهم من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا انزولهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم ·

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتهـا الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخواله الفرس على اخيه الامين وعصبيته العرب تفرد الفرس بالسيطرة · ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة تخلو من الترك النافذي الكلمة يذكر منهم طولون جد الدولة الطولونية بمصر · ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ · ولا سيا منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ — ٢٣٢ هـ) فكثر اذ ذاك الترك في ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص٣٢ وما يليها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربة) عن السريان العراقيين وقد كانت على حبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة · فلا يقتضي لها مئات او آلاف من السنين حتى تنتشر وتشيع بين الترك كما ادعى حضرة الاب · بل لا يستغرب اذا

(١) كذا رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاوبغور) ·

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني ٠

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث ٠ وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول كشغر وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطئ الجنوبية من بحر طبرستان (الخزر) فمقاطعات قوهقاف الى الاناضول تدعى (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على ألسنة التركمان ٠ وكيف كان الامر فقد ثبت ان هذه اللغة لم تكتب باحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونية (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية ٠ وقد غلب على بعض القبائل ولاسيما الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعُرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين ٠ الى ان كتبت التركية الآن بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية ٠ فاذا كان الاتراك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فليس بمستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض الالفاظ فتأمل ٠

واذا تقصيت الجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) تجد مؤلفه يذكر في مادة (عربة) عرب ٠ عُرباء ٠ عربان ٠ عربده ٠ عربدهجو ٠ عربستان ٠ عربون ٠ عَرَبة ٠ عربي ٠ عربيد ٠ فنتحقق ان (عربة) لا تمتّ الى أصلي تركي ٠ واذا طالعت قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) تراه يقول في مادة (عربة) عرب — عراب اسود زنجي ٠ عرب داريسي قمح اسود ٠ عرب صاچي مشوش مضطرب ٠ عَرب كُوله المملوك الاسود ٠ عربجه عربي ٠ عربدهجو (ع ف) معربد ٠ عربستان بلاد العرب عَرَبه عجله (عربة) فنتأكد ان لفظة (عربة) لا تشتق من اصل تركي ٠

ولا بدّ من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعته في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عنّي نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربها العلامة سليمان البستاني في الالياذة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيده ذكر غيرها من الالفاظ التي عربهـا العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاً عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربة) مدونة في اللغة التركية بهـذا الرسم قال عربة خطأ محض وعلل ذلك مبرهنًا عليـه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلفظ عربة غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لااثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبصّر وتدبّر .

وغريب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عفارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط اوالآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يعدُّ حجة للأب بل حجـة عليه يؤيد به قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عفارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربة بمعنى العجلة لم تشع بين الناطقين بالضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك كذلك فممن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي نقل الركاب تصرف بهـا الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معنى المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب انستاس في رده ونقده تراه على خلاف عادته لا يعرج على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربة) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر العثمانية وصاحب لهجة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ديوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعاً في هذا البحث ولا يثبت ان

العربية تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السرياني . واذا كان السريان عرفوها بمعنى المعصرة او الرحى او ما اشبه ذلك فقد توسع بهـا الترك ونقلوها الى معنى العجلة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ مما لا يحتاج الى دليل او برهان . و بهذا القدر كفاية للمتأمل البصير فقد اخاصت القصد ووفيت الامانة حقهـا في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب .

الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

استدراك

كتب الي عالم من علماء العراق يقول : خطأتَ في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البق والصنار والفندق وأوجبت استعمال البعوض والدلب والبندق بدلاً منهـا على حين ان الألفاظ الاولى لاغبار عليها . وخطأتَ استعمال حرفي الدبق والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) و باللاتينية (Viscum album) وهما صحيحان .

قلت لاشك ان البق في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما أنواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهـة (Punaise) . ولكن الشاميين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البق تطلق على البعوض . اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يجهلها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الاستاذ الهـاشمي ان تسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرّس في المدارس .

ومن البديهي لديّ ان لفظتي الصنار والفندق صحيحتان . ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن چنار الفارسية . انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الدلب الشائعة . وكذا لفظة بندق فانه لا يلفظها احد في الشـام بالفاء فلهذا السبب « ثم لأسباب أخرى يطول شرحها » رجحت استعمالـــ الدلب والبندق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصةً الا اذا كان العراقيون لم يألفوا

سوي لمنطقي الصنار والفندق فعندئذ توضعان بين هلالين بجانب حرفي الداب والبندق ٠

اما الدبق فهو مواد لزجة لانبات ٠ ومن هذه المواد صنف يصنع من نبات الـ (Gui) لكن أهمها « ولاسيما الدبق الذي نصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل النبات المسمى (Ilex) وغيره ٠ فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الذهن كل الاشجار التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار ٠ اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرد الى الذهن سوى نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) ٠

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من تحلية هذا النبات » اطلاقها على نبات الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) ٠

مصطفى الشهابي

مطبوعات حديثة

مرجريت
— أو —
غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفْعة خمسين صفحة من كتاب دون ان يواثبني اليسير من التعب او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جلست لقراءتهـا جلستين ، فما نهضت حتى أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو انّ المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون لهذه الرواية آخر أقف عنده ٠

خلاصة هذه الرواية ان «مرغريت» وهي بغيّ من بغايا باريز بارعة الجمال أحبت فتى اسمه «ارمان» ولما علم والد «ارمان» بهذا الحب ألحّ على «مرغريت» في هجر «أرمان» فهجرته «مرغريت» رأفة بوالده على فرط حبها إياه ٠

لا تظن ان هذه الخلاصة تطلعك على شيء من جمال (غادة الكميليا) فاذا أردت ان تنعم بهـذا الجمال فاقرأ (غادة الكميليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانا أضمن لك انك لا تكاد تفرغ من قراءتها حتى تحدثك نفسك بالعودة الى هذه القراءة ·

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ما أقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً عجيباً ، أراد ان يصوّر لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصوّر لنا هذه المخلوقات التي دفعت بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فتم له ما أراد وصوّر البغيّ في أكمل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحببتَ ان تخاطبهن بمثل ما تخاطب به المحصنات لما نجوتَ من شر سخريتهن ·

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب في الرواية مذهباً أبعد وحلّق في جوٍ أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا الحاقرين لمعيشتهن ان الفضيلة قد تنبت في منابتهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائهن ظهرت بظهورها أعمال تعجز عنهـا أكمل المحصنات خُلُقاً · أحبت « مرغريت » الفتى «أرمان» حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها وعميت بصيرتها فلا تتهيّب شيئاً في سبيل عشقها كائناً ما كان ، أحبته حباً جماً فكان من المنتظر ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحّت بنفسها في سبيل هذا العشق وقتلت عاطفتهـا لتحيي عاطفة والد « أرمان » رحمة لهذا الشيخ ورأفة بابنه وبمستقبل ابنه ·

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء رمز الخلق الكريم والقلب الشريف ·

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد تكون البغي أشرف الشريفات وقد تكون المحصنة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أحطنا بأسرار كثيرة ، قد تفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد تفحش للفحش نفسه ، فمن البغايا محصنات النفوس ، ومن المحصنات بغايا النفوس ، ما هذه

هي الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (غادة الكميليا) من اجلها ولكن اقرأ (غادة الكميليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح ولتدرك اثر الفن في القلوب . فبين انت تسمع كلام (أرمان) وهو ينقم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولأنها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا ونقمته عليهن ، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فترجع الى رضاك وتقلع عن نقمتك وتشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وماسلبك هذه الارادة الاّ فن (دوماس) وعبقريته الساحرة . فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالغصون ، فتارةً يميل بك الى الرضى عن البغايا فترضى ، وتارةً يميل بك الى الغضب عليهن فتغضب وهذا كل شيء في الفن .

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الايام وعلى هرمها .

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي الينا عبقرية (دوماس) في أروع معارضها ، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية ، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولا أعوزته لطائف اللغة الشعرية .

واذا سامحناه في بعض ألفاظ استعملها في غير مواضع استعمالها ، منها قوله : طُرَف شيقة والشيّق في اللغة المشتاق ، والدكتور يريد ان يقول : الطرف الرائعة أو اذا سامحناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلين والدنتلات والألواج ، أو إذا سامحناه في بعض صفاتٍ أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) توخياً منه ان يجعل النغمات أوقع في الآذان ، اذا ساهلناه في هذه الهفوات اليسيرة استطعنا ان نذوق ما يستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة ، وأظهر هذه الحسنات تناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها .

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

الجواهر
« في تفسير القرآن الكريم »

اهدانا السيد مصطفى البابي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسمى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهري • وقد قضى الاستاذ سنين طويلة في تحبير هذا التفسير ولما يتم وقد بلغ فيه سورة فاطر • ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناء الذي كابده في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، وتنسيق مباحثه •
وأول ما يخطر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لآياته ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً وتنبيهاً وتحذيراً حتى انه لم يخل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصدده من تفسير الوحي الالاهي وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فيتبين لك اذ ذاك وجه المناسبة ولو ضئيلة بين هذا البحث وبين الآية المفسرة • افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام متسلسلة ثم تقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام • ويجب ان تتمتع به في الحال • وبينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك تقرأ تفسيراً للقرآن فترجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثاً مبحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت • • • • وجعلناها وابنها • • • • ان هذه امتكم • • • • كل الينا راجعون) •

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول • ولا للضجر الملول • وانما ألف للزميت الوقور • الجليد الصبور • ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا •

وانا لنشكر للمؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن أمتهما خير الجزاء •

« المغربي »

مختار الشعر الجاهلي
« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي بمصر
في ٣٣٦ صفحة

مَن تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في مطابعنا. (والامر الثاني) ان المشتغلين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون لنا أدب جديد مالم يُبن على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية بالادب الجديد فينبغي اولاً أن تستقصي منابع الادب القديم وتنسق مواده وتصحح كتبه وتضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي نقرظه مذ الساعة هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه الاول وضمنه شعر الطبقة الاولى من الجاهليين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة و يعلق عليها في ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . وقد لاحظنا أن الاغلاط فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلمة (الود) في قول امرئ القيس ص ٥٣ (تخرج الودّ الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً سواء أ كانت بمعنى الوتد أو اسماً للجبل . ومنها كلمة (الممر) في قول امرئ القيس ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني في أنفه لاحق الإطلين محبوك مُمر)

فقد ضبط (ممر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره بالمعتدل الخلق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم الفاعل (بضم ففتح) من أمرّ الحبل اذا فتله فتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديد الأسر كالحبل المحكم الفتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوك) . وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغةً ولو قال موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم التوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة و يقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . و بالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم شققتُ أديمه على ضامر الجنبين معتدل عالي)

فانه لا يصح تفسير (الإمرار) بالاعتدال ولا(الممر) بالمعتدل .

« المغربي »

كتاب رغبة الآمل
« من كتاب الكامل »

تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ — ٢٦٠ صفحة بمطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب النسب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وآونةً اكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشارح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة يصف سيفاً استشهد به الشارح وهو :

(وأبيض موشي القميص نصبته على خصر (مقلاة) سفيه جديلها)

(مقلاة) كذا بالقاف والتاء المربوطة . وصوابه (مفلاة) بالفاء والتاء المربوطة من فلى المفازة يفليها اذا تخللها ومنه قوله :

(ساهمت عيسك مرَّ عيشك قاعداً أفلا فليتَ بهنَّ ناصية الفلا ؟)

او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال ناقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان

عدم الولد ربما كان أعون للناقة على الإغذاذ والجدّ في السير فلا يشغلها الحنين الى ولدها عن المضيّ فيه أو يقال انها اذا لم يكن لها ولد كانت قوية على السير فلا تكون هزيلة ولا ضعيفة الجسم بسبب الولادة والإرضاع . ولعمري ان المؤلف قد خدم بمؤلفه هذا المكتبة العربية عامة وكتاب الكامل خاصة فله الشكر وطول العمر . «المغربي»

تنبيه — اصلاح الاخطاء التي وردت في الجزءين الماضيين الثالث والرابع :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٤	١٦	هذه ثلاثة عشرة كلمة	هذه ثلاث عشرة كلمة
١٨٠	٦	ونحن اول ممن	ونحن اول من
١٨٠	٨	الاب انستاس	الاب انستاس
١٨٣	١٨	ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه	ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه
٢٣١	٢٣	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين	جاءت الزلزلة سنة ثنتين وخمسين
٢٣٥	٧	وسجنه ثم اعدمه	وسجنه ثم قتله
٢٣٦	٢٣	في سنة اثنين وثلاثين	في سنة ثنتين وثلاثين
٢٣٦	٢٤	في سنة اثنين واربعين	في سنة ثنتين واربعين
٢٥٥	٩	يعرف قارءه	يعرف قارئه
٢٥٥	٢٠	يجدونه في اعمل	يجدونه في اعمال
٢٥٦	٤	اثني عشر قطعة	اثنتي عشرة قطعة

الجزء ٧ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ ١١٥

المحاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

— ٧ —

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر و برع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صبوته ، فلنراقب اباالطيب في اول حركة من حركاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلنتقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبيء ، لماذا لقبوه بالمتنبيء هل تنبأ ابوالطيب وكم كان عمره في دعوى النبوءة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غيردعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انهم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل تهيأ له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطن نفسه للموت وهوفي السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذاهبهم ام اوهن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبيء ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صحب ابا الطيب دهراً طويلاً قال :

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

سمعت ابا الطيب يقول انما لقبت بالمتنبيّ لقولي :

انا في امة تداركها الله　　غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا　　كمقام المسيح بين اليهود

فتشبهه بصالح و بالمسيح مدعاة الى تلقيبه بالمتنبيّ ٠

هل تنبأ المتنبيّ ، وكم كان عمره لما تنبأ ، وماهي اقوال رجال التاريخ فيهذه النبوة ٠

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المتنبيّ اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته، فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه، قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير فقال : و يحك اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : ما تقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال: املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع واتى ، وضرب الاعناق لمن عصى وابى فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان يظهر وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

ابا عبد الآله معاذ اني　　خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم ما طلبي وانا　　نخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تأخذ النكبات منه　　و يجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان الي شخصاً　　لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي　　ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني　　فو يل في التيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المتنبيّ فلنسمع قول كافور الاخشيدي وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعي المملكة مع كافور لحسبكم .

اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل تنبأ المتنبي انه قد شك في دعوى النبوة وبنى مقاله على هـذا الشك ، فهو يعتقـد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساده او من ملفقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدّق الدعوى وروى احاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المتنبي، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المتنبي) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرتفع من الارض و كان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يديرها في العلو مدبر ظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد ان يخفق ، وقد دلت اشياء في ديوانه انه كان متألهـاً ، ومثل غيره من الناس متدلهـاً ، فمن ذلك قوله :

(ولا قابلاً الا لخالقه حكما)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي بريتـه ... ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبيء عن اعتقاد الانسان ، لان العالم مجبول على الكذب والنفـاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يجعل ذلك تزينا ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالبة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون » .

فمن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المتنبي حتى انه بيّن علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وستسمعون أحاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهر .—

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :

ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبي تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبي على ان بعضهم نسبوا الى المتنبي اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :

وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :

وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبـوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان نلمح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منهـا ابو عبد الله معـاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال :

«وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليهـا فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبريء الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات .

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما في النباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، والخربق سم الكلاب . »

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أُنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار · امض على سنتك · واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا · »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبيء في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته ·

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبيء في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان معنى المتنبيء كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل · فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع ·

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبيء لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت ·

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام: خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال: الذي قلته : انا احمد النبي ·

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه · وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي · ونرى ابا عبدالله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة · ونرى كافور الإخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي · وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي · وانا انرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليهما ولا يذكره . ونرى المتنبي نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة فالانسان كما قلت لك يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام ... وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ... ولا تعبأن بعجل اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ... ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان اباالطيب اراد امراً من الامور ولما همّ بهذا الامر اخفق فما هو هذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاوى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أملك الملك والاسياف ظامئة ... والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآني ماء مات من ظمإ ... ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ... ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم ... وان تولوا فما ارضى لهـا بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جمالها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها   فيهتدى لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي نوطئ له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه   مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً   في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه   ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله   ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به ٠

ومدقعين بسبروت صحبتهم   عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية غرثى بطونهم   مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

يستخبرون فلا اعطيهم خبري   وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبيء متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد   وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة   لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

اامالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين توطين النفس للموت من هذه الاستغاثة ·

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠

المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبي

- ٨ -

أرى ان أفضي اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بجملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظراته الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكا الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لاتخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

* * *

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . توفي ابوه فقيراً فضرب ابوالطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والحواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعلبك ومر بحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت ارضي ... قتودي والغريري الجلالا

فما حاولت في ارض مقاماً ... ولا ازمعت عن ارض زوالا

على قلق كأن الريح تحتي ... أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداه وكرمه فقد كان

فقيراً شكا فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم

ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :

لله حالٌ أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهري ويمطلني

لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ، ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدها
شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

وقد اكثر من التنغم بقلة المطايا :

وحييت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا
حالٌ متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائبا

نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي
ابداً أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللطف من عزيز حميد
لسريّ لباسه خشن القطن ومروي مرو لبس القرود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واولها :

(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابوالطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .

مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائداً من أناث الخيل والحصن

فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم اقض منها على شغفي بها شروى نقير

وكم طلب الرزق لجدته ففاته هذا الرزق :

طلبت لها حظاً ففاتت وفاتني وقد رضيت بي لورضيت بها قسما

فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل من جودهم الا على الكلام ·

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم

على انه اذاذم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يبخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر ·

هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفاقه في السعي ، وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد ·

فلو اني حُسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور

ولكني حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا سرور

ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لذ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله ·

* * *

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد ·—

كان ابوالطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد مابين الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالبي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ اربعاً وثلاثين سنة ·—

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة ·

قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابوالعشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرّفه منزلته من الشعر والادب · واشترط ابوالطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى مايرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقربه واجازه الجوائز السنيه ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة · وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها غزوة العثاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار احدهم المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف ·

هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياه واخفافه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فخار في كثرة خيله وخوله ·

بالشرق والغرب أقوام نحبهم ... فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني في مكارمه ... اقلب الطرف بين الخيل والخول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهبا ·

تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والإقطاعات ·

اسير الى إقطاعه في ثيابه ... على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

له وكيل يتوكل له في داره بحلب اسمه ابو سعيد ، فأين حاله من هذه من شقوته التي كان فيها ولا مطية له الا قدماه ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابو الطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فستجدون انه سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد .—

* * *

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا تُنجي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنتقصّ انباء الذين آلمهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبئ .

وخصر تثبت الابصار فيه كأنّ عليه من حدق نطاقا

قال : هذا والله معنى ماقدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فمال عنه اليه فغاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعاتبه وقال : الامير لمَ يفضل عليّ ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله :

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد اغذ اليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابو فراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا المتشدق يعني المتنبئ كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان ابو الطيب غائباً فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الابيات :

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً   فداه الورى امضي السيوف مضاربا
ومالي اذا ما اشتقت ابصرت دونه   تنائف لا اشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه   احادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسؤولا ولبيك داعياً   وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً   اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا
وان كان ذنبي كل ذنب فانه   محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي متغيراً وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكتم حباً قد برى جسدي   وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته   فليت انا بقدر الحب نقتسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة   وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي   فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال ابو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ماذرفت   عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال ابو الطيب :

اعيذها نظرات منك صادقة   ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال : ومن انت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً واظهرت اعراباً وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم ابصاراً واسماعا

ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني .

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس :

وهذا سرقته من قول معقل العجلي .

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور و باطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتي غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعاو به فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلاشكوى ولاضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه وقبّل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى ..

لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال اللغة ممن كان يضعّف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان المتنبي حاضراً فضعّف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك وللعربية فضرب المتنبي بذلك المفتاح وأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان واحدهم لم يستطع ان يملك نفسه ، ويضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهى الغيظ .

وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكا الحسد وهو في خشونة من العيش ، فاخلق به ان يضجر من حسد الحساد وهو يتقلب في ظلال النعيم فما غفل الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً

ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا برق يحاول بي لحاقا

ومن قوله :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيّ تجول
سوى وجع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنيل

من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

م : ٢

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقيعة فيه واخذ سيف الدولة يعبث به بعد ذاك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج الببغا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحثى فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيلي دراعتي فحثى لي جانباً والمتنبيء حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبيء انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة فخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستمر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقعون فيه ، و يضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به و يعبث ، وكان المتنبيء يشكو من سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظم المتنبيء ويجفو عليه اذا كلمه والمتنبيء يجيبه في اكثر الاوقات و يتغاضى في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وسع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوتب المتنبيء في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذّرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين النـاس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

لفت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كردعلي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على ابتياع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعيها ودفع اليّ نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لديّ من ليالي الصيف جلست للمعجم جلستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد الى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه الى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافاها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقَل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العَكْس والتَرْقيد . والعكيس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفَسْل فهو مايسميه المصريون (الغرس بالعُقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) و بالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر التنوب (Abies) بانه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العَقّوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصعنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصعنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلمة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لها هي العثكول اما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مبحث الخيل) قلت الجملة الاولى خطأ والثانية ناقصة لان هذا العلم (تحليـة الخيل) يشتمل على مباحث كثيرة ومتنوعة وسماه اجدادنا (الزرطقـة) وهي لفظـة معربة تصلح ايضـاً مقابل (Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرّب (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هـذا النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة قديماً وحديثاً (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبـات او الحيوان في بلد غريب ، تبلد ، تعود على الاقليم ، تعوّد الهواء » . قلت لوقال (ايلاف الإقليم) لكفى .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة الجنين ، اصل الساق » . قلت أصلح لفظة لها هي السَّبَد .

(١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف الأعجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشياتها ففتشت عن لفظة (Gris) بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمد — أشيب — أشمط — أشهب) ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان تتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر النكشة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

أشهب الى بياض	Gris clair
〃 الى سواد	〃 foncé
〃 حديدي	〃 de fer
أبرش	〃 sale

أرمد	Gris cendré
أغبر	« rouanné

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن انه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدهمة والبياض والكمتة والحوة والصفرة والبلقـة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم ٠

(١١) سمى الفصيلة السنفية (قرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية ٠ والألفاظ الاولى أرجح لاسباب يطول شرحها ٠

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم في معجم علمي ٠

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوةالزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المنّ) و يداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعساليجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولاسيما في الغوطة ٠

اما مرض العفونة (Mildevv) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضـاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس وكبريتات النحاس في الماء ٠

وما دام صـاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتريانـ الكروم فلماذا لم يوجد فيـه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعتري تلك الجنبة مثل :

مرض العفونة السوداء	Guignardia bidvvelii
مرض (سويد) الكروم	Manginia ampelina
مرض تعفن الجذور	Agaricus melleus Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعتري النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجد لها ذكراً ٠

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالقُشَيب والدُّعاع ٠ قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النبات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين استشهد باقوالهم .

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (Sorghum halepense). وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (S. Annuum) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي يلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (Artemisia) منها ما لا شأن له ولم يذكر (Artemisia dracunculus) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (Cerasus) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجانرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (Prunus) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً تنفرد به .

(١٨) ذكر (Salicornia fructicosa) ولم يذكر (S. herbacea) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الحمص (Cicer arietinum) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (Triticum durum) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب اوربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكفى . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بانه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم .

وترجم (T. sativum) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بانه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة وهما :

T. polonicum
T. turgidum

وسها عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانهما من الحنطة المكنسية اي ان العصافة تظل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير ٠

(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير ٠ بل أورد مقابل الاسم اللاتيني لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum) بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي ٠ شعير حذوري ٠ شعير حب حوري » ٠ ولايخفى انالأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها على سبيل المثال ولكنه لايقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع ٠ ولذلك يجب على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة و(H.tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة ٠ وبعد ان يورد هذه الاسماء العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بامكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع الاول او الثاني او الثالث[1] ٠ « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شو ينفورث وغيره دون ان يكون علماً بعدد كبير من هذه النباتات و بالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير حذوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف شو ينفورث وهما من أصناف (ضروب) شعير اليمن كما نقل أصناف الشعير الواردة في الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً ٠ ولو كانت المعاجم التي هي مثل معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمربوطي من اصناف مصر والعربي والرومي من اصناف الشام الخ ، وللزم ان يملأ عدة صفحات في تمداد اصناف النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالمئات والمعجم خلو منها ٠

ونقل لفظتي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورث ولم يذكر ان النبات المبحوث عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في الكتاب المذكور ٠ وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامية للنباتات التي وردت في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي تقابلها ٠ ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام عامية ٠

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور اتت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ — ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النضر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ماروى صاحب الفهرست ان عبيد بن شرية الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ماامر فامر معاوية ان يدون و ينسب الى عبيد ، ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما في (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ماساعدهم عدد الكاتبين ٠ وباثبات هذه القضية ، على ما تجلت لنا بأخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشئ المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه ٠

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شرية الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان ٠ ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية ٠ وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : «وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكماً) ٠ » وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شرية ، وقال له مرة « خليق ياعبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصي اياديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى ٠٠٠ »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

اوائل ما دوّن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملاء الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستمليا محصلاً متيقظاً يبلغ عنه اكثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليّ يعبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فا كثر الى آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزّى من اهل الصفّة وسمع على ما في طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها و يشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن . وفي مفتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح: (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بتقييد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال: اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ،وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لاسبيل الى تزييفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شرية ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسع الماحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي

تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاءني كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه : ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليوميـة لقضية تتعلق بتقسيم نوُب الماء الخ :

هذا ما سألنيه السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ١٣٠ في داخلها و ٣٠ في ظاهرها و بلغت حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين ار بابها نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولا سيما ايام (التحاريق)[1] وكثيراً ما ادى النزاع حول سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعراً جاهلياً بخس حقه في مائه فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلاّ   وربي ما جننت ولا انتشيت)
(ولكني ظُلمت فكدت أبكي   من الظلم المبين أو بكيت)
(فإن الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الالهي علينـا ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هـذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسر أولها و يقال له في اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدّان) . وقد اصطلحوا في دمشق على تقسيم ساعات اليوم الى قسمين يسمونها مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي) وهو ١٢ أيضاً . ولهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد: فمن الفصيح كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسوسي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب). ولهم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة لى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهاليل والتسابيح التي ينشدونها بتطريب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساءً وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القارئ عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية تنتعش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠)ساعة اي حصة من الزمان كالهنود و بعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبَّرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يبتدئ في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرى الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لفقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدماء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمة واحدة لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدئ في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعدُ . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدئ ايضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدئ الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعلب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق .

وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهـار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتهما ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطّي هذا الاصطلاح المألوف الى اصطلاح آخر ربما شوّش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم .

والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تتبعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها لليل ونصفها للنهار ومعظمهـا من قبيل المترادف كالعتمة والفحمة . والصبح والفجر . والهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كان هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتبـاري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا إرجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة · والدقيقة من ستين ثانية · والثانية هي اللحظة من الزمان تسع قولك (واحد) — كلا لا يعرف العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطارئ · وانما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلّت او كثرت · قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قلّ · وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اه ·

واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الإشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف لا اللغوي السالف ·

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على أحوال الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اسم للساعة الوسطى من الليل · وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية ، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق) مثلاً وهو مقدار ما بين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) · وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ أن تحديد الزمان يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته · ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون بنكاماته[1] · والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام · ومنها الساعة المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا · وكان مثلها في جامع بني أمية في دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته ·

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب · ثم جاء القرن الرابع للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدح المعلى في الطب والهندسة والفلك فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشيدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش عالمان نبيلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرّفته العامة قديماً فقالوا منكاب · واصل اللفظ يوناني ·

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتوارد خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء او الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتّب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَفَق
« الثانية	البكور	« الثانية	الغَسَق
« الثالثة	الغدوة	« الثالثة	العَتَمة
« الرابعة	الضحى	« الرابعة	السُدْفة
« الخامسة	الهاجرة	« الخامسة	الفَحْمة
« السادسة	الظهيرة	« السادسة	الزُلّة
« السابعة	الرواح	« السابعة	الزُلْفَة
« الثامنة	العصر	« الثامنة	البُهرة
« التاسعة	القَصْر	« التاسعة	السَحَر
« العاشرة	الأصيل	« العاشرة	الفجر
« الحادية عشرة	العشيّ	« الحادية عشرة	الصبح
« الثانية عشرة	الغروب	« الثانية عشرة	الصباح

ورأيُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاحٍ له والا فأيُّ فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . ومما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان الهمذاني صاحب كتاب الألفاظ

الكتابة عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً .

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصراً) اي عشياً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها و بهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزُآة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنىً زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزَآة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتها في كتابه (وصف صناعة الكتّاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الذرور (أو) البكور	الساعة الاولى	الشاهد
« الثانية	البزوغ (أو) الشروق	« الثانية	الغسق
« الثالثة	الضحى (او) الاشراق	« الثالثة	العتمة
« الرابعة	الغزالة (او) الرأد	« الربعة	الفحمة
« الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	« الخامسة	الموهن
« السادسة	الزوال (او) المُتوع	« السادسة	القِطع
« السابعة	الدلوك (او) الهاجرة	« السابعة	الجوشن
« الثامنة	العصر (او) الاصيل	« الثامنة	العنكة
« التاسعة	الاصيل (او) العصر	« التاسعة	التباشير

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصبوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
〃 الحادية عشرة	الحدور (او) العشيّ	〃 الحادية عشرة	الفجر الثاني
〃 الثانية عشرة	الغروب	〃 الثانية عشرة	المعترض

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمتوع والصَبوب والشاهد والجوشن والعتكة والمعترض واذا فسرناها خرجنا عن الصدد. وقد زادنا النحاس حيرة مذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أوكذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء إزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للثعالبي ثم ذكرها كل من العاملي في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكنز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذ ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفة للزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منهما أسهل الكلمات واقربها تناولاً من أفهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإذاعتها وهذه هي قائمتنا :

❊ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❊
« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشروق	الساعة الاولى	الشَفق
〃 الثانية	البكور	〃 الثانية	الغَسَق
〃 الثالثة	الغدوة	〃 الثالثة	العَتَمة

(ساعات النهار)

الساعة الرابعة	الضحى
〃 الخامسة	الهاجرة
〃 السادسة	الزوال
〃 السابعة	الرواح
〃 الثامنة	العصر
〃 التاسعة	الأصيل
〃 العاشرة	الطَفَل
〃 الحادية عشرة	العشيّ
〃 الثانية عشرة	الغروب

(ساعات الليل)

الساعة الرابعة	الفحمة
〃 الخامسة	المَوْهِن
〃 السادسة	القِطع
〃 السابعة	الزُلفة
〃 الثامنة	البُهرة
〃 التاسعة	السَحَر
〃 العاشرة	الفجر الاول
〃 الحادية عشرة	الفجر الثاني
〃 الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بداً من اختيار القِطع للساعة السادسة الليليـة هرباً من كلمة (الزلّة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القِطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسّر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل .

هذا مارأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولاسيما المزارعين منهم .

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كان عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويد ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطَفَل الى القِطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانيـة أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كفيل بتسهيل عقباته . وتذليل صعوباته إن شاء الله .

«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب الحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الازمة صارفاً للخصيبي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار ليتملكها عاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرته وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بجكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القنائي ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

«١» يريد ابن ابي عمر .

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتفويض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتمادت الايام به ولم اعده الى ان كتب اليّ باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب اليّ بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعوني فتأبى والآن قد جئتك جامعاً للعيادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طعام ولا غلمان ولا زي يصلح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك. قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو معي فاكلنا وجعل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشقه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المومنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدرت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكى بكاء شديداً فقلت

« ١ » لعله مع . «٢» م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة و يحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله . «٣» م : ع . الجف والجفة و يضمان الجماعة او العدد الكثير . «٤»م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شحاً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة ويزعج (١) ازعاجاً شديداً انه مابكي لذلك وقال كيف ابكي على ما سيبلى امرّ به حيث جعلتني اهلا لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها وبلغتها بفضل امير المومنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المومنين بامره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المومنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لامير المومنين على الناس — بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المومنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير المومنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلمت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرققت له وعلمت فضله وقلت له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شيء بعدي فالحياة على كل حال خير من الموت ولك فيّ اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقراره بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

«١» م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرست نفسه و بقيت نعمته واستحال الامر عما عقدته له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي ٠

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباه يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس وايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي نهر النهروان بذلك لان بعض ملوك الاكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي ٠ قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

«١» معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ ٠ «٢» م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يوءتدم به ومنهم من خصه بالمخللات المستعملة لتشهي الطعام جمعه كوامخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج ٠ «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر انه مخرق اي مموه مشعوذ وفي ياقوت حاذق ٠

به ذلك الرجل فلقيه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخاتل الرجل والغلام واخذ باعيانهما (٢) بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصة وعرفه ما عمله ووصف له الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد كذب هذا وليس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتلف لما علم انك تجرب ذلك فتجده قاتلا فخاف ان تعذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصعة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعينهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاه يغطيه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه وا كرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحون داره وحجرها و بساتينها ويقف على ابواب حجر نسائه وغلمانه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خاطه صاحب المطبخ بنفسه وغلمانه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقي ويعدد تقصيره في حقه، ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمله مما يزيل عنه إثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهراً وشرباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتمحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع النهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت : وصاحب المائدة . «٤» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه . «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحفر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة .

حدثني (١) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن الايادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي ابو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة ابي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان الى ابي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت اليه في ايام ابيه فامر الوزير عبيد الله ابي ان يستخلف ابا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات ابي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقي عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك فانها تؤخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا افضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢ : ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلعة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان بياء ممالة . «٣» لعله سقط . بان تحفظ . «٤» لعله فضلك ،

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ وا كون بك للانام (١) معديا ان تخالطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استعديت وتجيرني فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتشماني (٢) باحسانك فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بآرائهم واقتفيت آثارهم اقتفاءً حصاني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها الغالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحي بن ابي البغل وهو اذ ذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت نا ابا قوصرة وانا حدث وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قدماً ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي البغل قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته للمعتمد لما قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً واتخبر (٤) له على سليمان واشير

«١» م : ع . في معجم الادباء للايام . «٢» بالاصل وتسمني والصواب عند ياقوت .
«٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله وانسيه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش .

عليه فوقفت على ان عبيد الله بن سليمان قد عمل على ان يجمع هو وابوه وصاعد بن مخلد وابو صالح بن المدبر وجماعة من الكتاب في مجلس ويخرجوا الحسن فيباهتوه (١) بكل محال لا اصل له ويكابروه على المحالات حتى يضطرونه (٢) بذلك الى الاداء ويرهبوه باخذ خطه بزيادة على ماعليه لانه كان قد بلح وقال لي لم يبق لي ما اؤديه قال فجئته الى الحبس فحدثته بانهم في غد سيخرجونه لذلك قال ففكر ساعة فظننته يفكر فيما يدبر به امره ثم انشدني لنفسه :

من صادر الناس صادروه　　وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتاً　　وبالاباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح　　او حسن منه باكروه

حدثني ابو الحسين قال كان ابو الفضل عبيد الله بن عبدالله بن الحارث الكاتب من وجوه العمال ثم خلف ابا القاسم سليمان بن الحسن في وزارته الاولى على كبره (على) كثير من امر الوزارة فتكبر على الناس ولم يوفهم الحق فبحثوا عن معايبه واطلقوا الالسن بمثالبه وكان قد اشتهر ان امه تزوجت ازواجاً بعد ابيه وقبله وقيل ان عددهم بضعة عشر رجلا ومنهم رجل يعرف بسوشيخ يبيع الارز باللبن فقال فيه العصفري الشاعر يهجوه وانشدنيها لنفسه :

«١» م : ع . يقال باهته اذا استقبله بامر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه . «٢» م : ع كذا في الاصل والاظهر يضطروه .

قالوا ابو الفضـل شمخ ... وازداد كبراً وبذخ(١)
فقلت مه قولوا له ... ياهرل(٢) سوشيخ الوسخ
ما كنت لا كنت بذي ... سوشيخ يقرط لأمتخ

وانما اراد ان يطيب (٣) بذاء الشعر مع ذكر امه لان اصله كان من قرية من اعمـال واسط بالاسافل يقال لها قلهايا وقد كان ابو الحسين بن عياش القاضي انشدني هذه الابيات قديماً او حكى مثل هذه القصة فأنشد الابيات حتى اذكرنيها ابو الحسين ابن هشام وفي رواية ابن عياش :

ويلك ما كنت بذي

قال ومعنى يقرط لأمخ ينيل أمك .

حدثني ابو الحسين بن هشام قال حدثني ابو الحسن زكريا بن يحي بن محمد بن ساذان الجوهري قال حدثنـا ابو العباس المبرد قال حدثت عن الخليل بن احمد اجتزت في بعض اسفاري وانا متوجه براهب في صـومعة فدققت عليه والمساء قدازف جداً وقد خفت من الصحراء وسألته ان يدخلني قال فقال من انت فقلت انا الخليل بن احمد فقـال انت الذي يزعم الناس انك وجهاً (٤) واحداً في العلم بامر العرب فقلت كذا يقولون ولست كذلك قال ان اجبتني عن ثلاث مسائل جوابا مقنعاً فتحت لك واحسنت ضيافتك

«١» م : ع ، بدخ كبذخ تكبر وتعظم ، «٢» قال في محيط المحيط الهرل ولد المرأة من زوجها الاول وهو قاروط له عند العامة . «٣» بالاصل سطب «٤» م : ع كذا في الاصل والصواب وجه واحد ووجه القوم سيدهم ووجيههم .

والا لم افتح لك فقلت وما هي قال السنا نستدل على الغائب بالشاهد قلت بلى قال فانت تقول ان الله تعالى ليس بجسم وعرض ولم نر له مثلا فباي شيء اثبته وانت تزعم ان الناس في الجنة ياكلون ويشربون ولا يتغوطون وانت لم تر آكلا شارباً الا متغوطاً وانت تقول ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي وانت لم تر شيئاً الا منقضياً . قال فقلت له بالشاهد الحاضر : استدللت على ذلك كله اما الله تعالى فانما استدللت عليه بافعاله الدالة عليه لا مثل له وفي الشاهد مثل ذلك . الروح التي فيك وفي كل حيوان نعلم انها يحس بها تحت كل شعرة منا ونحن لا ندري اين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا جوهرها ثم نرى الانسان من الناس يموت اذا خرجت ولا يحس بشيء وانما استدللت عليها بافعالها وبحركاتها وتصرفنا بكونها فينا . واما قولك ان اهل الجنة لا يتغوطون مع الاكل فالشاهد (١) لا يمنع ذلك الا تعلم ان الجنين يغتذي (٢) في بطن امه ولا يتغوط . واما قولك ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي مع ان اوله موجود فانا نجد انفسنا نبتدي الحساب بالواحد ثم لو اردنا ان لا ينقضي الى مالا نهاية له لم نكرره واعداده وتضعيفه الى انقضاء ما . قال ففتح لي الباب واحسن ضيافتي .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن سعد مولى بني هاشم وكان يكتب ليوسف القاضي قديماً قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق

«١» بالاصل بالشاهد . «٢» م : ع كذا في الاصل والعبارة محرفة. والمعنى ظاهر من سياق الكلام .

القاضي عن اشياخه قال كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء باحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة وكان عافية عالماً زاهداً فصار الى المهدي في وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله واذا معه قمطرة فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يامره بذلك فظن ان بعض الاولياء قد غض منه او اضعف يده في الحكم فقال له في ذلك فقال ما جرى من (١) هذا شيء فقال ما سبب استعفائك فقال كان تقدم الي خصمان من شيراز واصبهان في قصة معضلة مشكلة وكل يدعي بينة وشهوداً و يدلي بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحا او يعين لي وجه فصل ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري على اني احب الرطب السكر (٢) فعمد في وقتنا جمع (٣) وهو اول اوقات الرطب الى ان جمع رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله الا لامير المؤمنين وما رأيت احسن منه ورشا (٤) بوابي جملة دراهم على ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد - فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المومنين ولم اقبل فكيف ولو قبلت ذلك ولا آمن ان يقع علي حيلة (٥) في ديني فاهلك وقد فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني. فاعفاه .

«١» بالاصل في . «٢» م: ع السكر رطب طيب شديد الحلاوة . «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر حذف كلمة جمع . «٤» م : ع كذا في الاصل ورشا لا تتعدى الى مفعولين بنفسها وكأنه ضمنها معنى اعطى . «٥» لعله خلل .

حدثني ابو الحسين قال سمعت حامد بن العباس في وزارته يتحدث قال كان صاعد بن مخلد وصفني للناصر لدين الله وعظم عنده من امري حتى اختصصت بخدمته فاستدعاني يوماً على خلوة وقال قد علمت ما لحقنا من هذا العدو يعني صاحب الزنج حتى عدنا الى هاهنا وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج وعوده من مقامه بواسط ليستريح ويتأهب للرجوع ويستعد لقتاله وقال لي الناصر وامري كما ترى مختل وجميع ما في خزانتي ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع مني (١) واريد ان تصرف همتك الى ما يتم (٢) معه ويضعف قدره قال فقلت له هاهنا وجه فيه مرفق عظيم فقال ما هو فقلت هذه اسناية الخيزران ومنها يشرب المبارك باسره وبعض الصلح وكان اقطاعاً لام الرشيد الخيزران فحفرت لها هذه الاسناية (٣) وكانت تغلها غلة عظيمة وقد تعطلت الآن وخرب الصلح والمبارك كله فان صرفت هذه الثلاثين الالف الدينار في حفر الاسناية واطلاق البذر والبقر لاهل هاتين الناحيتين توليت لك تفرقة ذلك ومشاهدة الحفر بنفسي حتى لا يضيع منه دانق واحد ولا يرتفق احد بحبة منه وتغل في سنة ضعف هذا واكثر قال قد فعلت قال فانفقت على حفر الاسناية عشرين الف دينار باتم احتياط وأطلقت العشرة الآلاف الدينار الباقية للضعفاء من الاكرة والتناء والمزارعين في اثمان بقر وبذور واحتطت

«١» يريد لا اعتد به . «٢» م : ع كذا في الاصل ولعله ينمو . «٣» لم اجد هذه الكلمة فيما عندي من القواميس ويظهر انها مشتقة من السنو اي السقي .

في جميع ذلك وطـالبت الاقوياء بالزراعة من اموالهم وحرصوا هم ايضـاً الحرص كله لما رأوا الماء وان الضياع معطلة منذ سنين كثيرة . وطمعوا في كثرة الريع ووفور الاسعار في النواحي فزرع الناس بالرغبة والرهبة حتى استنفدوا جهدهم فلما ادركت حصلت في بيدر واحد من بيادر الصلح وقـد كان ارتفع اصـل الكيل منه ثلاثةآلاف كر وستمائة كر حنطة بالنصف . فحصلت منه الثلث والعشر على المقاسمة مع الاجور وفضـل الكيل الف كر وسـتمائة كر للسلطان . وبعتهـا حساب الكر بنيف وعشرين ديناراً فحصل الثمن ستة وثلاثون(١) الف دينار عيناً من بيدر واحد وبقي البلد كله باسره ربحاً فحصل له في اول سنة اضعاف ما انفق مضـاعفاً فتقوى بذلك على الرجوع الى الخـائن وكان ذلك من اكبر اسباب تقـدمي عنده ورفعتي قال وكان حامد (٢) يحدث بهذا عقيب شيء جرى قال حامد معـه لا تصلح الدنيـا الا بالعمارة والعدل وقمع العمال عن السرقات ثم تحدث بهذا الحديث .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول كان ابو الحسن محمد بن فراس الـكاتب سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله والعباس بن الحسن حتى استكتبه له فلما علت حال عباس حسده ابن فراس وعاد يسعى عليه (٣) ويثلبه عند القاسم الى ان اعتل القاسم علة موته فقال

«١» م ، ع كذا في الاصل . «٢» م ، ع ، كذا في الاصل ولعل اصله وكان حامد اذا اراد ان يحدث بهذا عقب شيء جرى قال . معه . لا تصلح الخ .
«٣» م ،ع المعروف سعى به وربما ضمنه معنى نم او نحوها .

ابن فراس ان عباس بن الحسن يسعى في طلب الوزارة مع الداية وصافي الحرمي وانه قد قطع السواد فلم يتقبل ذلك القاسم وكتب الرقعة المشهورة الى المكتفي قال فدخلنا في الليلة التي ولي فيها الوزارة وهو موت القاسم(١) ولم يكن خلع عليه ودخل ابن فراس مهنئاً له فجلس في اخريات الناس وتشاغل العباس بتقليب ثياب السواد وقد جاؤه بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من غد في دخوله الى الخليفة قبل الخلع حتى يبركه(٢) هناك ويلبس الخلع فوقه وكان الرسم اذ ذلك ان لا يصل احد الى الخليفة في يوم موكب الا بسواد. قال فلما اختار العباس ما يريده من الثياب اقبل علينا وقال معرّضاً بابن فراس لعن الله اهل الحسد والشر سعى قوم على دمي عند ولي الدولة وقالوا له اني قد سعيت في الوزارة واني قد قطعت السواد منذ ايام كثيرة وهذا بحضرتكم على غير تواطيء هو ذا اقلب ثياباً ليقطع منها سواد لي فقام ابن فراس قائماً وقال قد حضرني اطال الله بقاء الوزير بيتان في هذا المعنى فان أذن الوزير ايده الله انشدتهما فاستحيا العباس وقال بحياتي اجلس وانشد فجلس وقال :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن اوليتـه حسناً فزده
ستكفى من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

حدثنا(٣) ابو الحسن محمـد بن محمـد بن عثمان الاهوازي الكاتب

«١» م ، ع : الظاهر بعد موت القاسم . «٢» بالاصل غير معجم يقال برك اذا ثنى ثوبا . م ، ع : لم نجد برك بهذا المعنى ولعل اصله ركب اي في الموكب . «٣» الفرج بعد الشدة ١ : ٥٥

المعروف بابن المهندس قال حدثني ابن مروان الجامدي قال لما ظلم الناس بواسط ابو عبدالله احمد بن علي بن سعيد الكوفي وهو اذذاك يتقلدها الناصر الدولة وقد تقلد(١) امرة الوزراء والامراء ببغداد كنت احد من ظلم (٢) فظلمني واخذ من ضيعتي بالجامدة (٣) نيفاً واربعين كراً ارزاً بالنصف (٤) من حق رقبتي (٥) سوى ما اخذه من حق بيت المال بغير تأويل ولا شبهة فتظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك بثلاثين ديناراً فقلت له قد اخذ سيدنا مني ما اخذ ووالله ما اهتدي انا وعيالي الى شيء سواه ومالي ما اقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان تطلق لي من جملته عشرة اكرار وأجعل الباقي له حلالاً فقال هذا ما لا سبيل اليه فقلت فخمسة اكرار فقال لا أفعل قال فبكيت وقبلت يده ورققته وقلت فهب لي منه وتصدق عليّ بثلاثة اكرار وانت من الجميع في حل وبيبعه يطيب (٦) (من) قلبي فقال لا والله ولا أرزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال لي كن على الظلامة يكررها دفعات ويكسر الميم بلغة الكوفيين . قال فانصرفت محترق القلب فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من اخذه الارز وجئت الى البيدر فأخذت أرزي وحملته

«١» يعني ناصر الدولة . «٢» بالاصل تظلم . م ع : وتظلم صحيح ايضاً ومعناه شكى الظلم . «٣» م ، ع : الجامدة قرية كبيرة بين واسط والبصرة من اعمال واسط .

«٤» م ، ع : لعله بالنصيف وهو مكيال اي ذلك الكر مكيل بالنصيف .

«٥» في الفرج الدهقنة . «٦» م ، ع : كذا في الاصل ولعله . وتبيعه بطيب الخ .

الى منزلي وما عاد الكوفي بعدها الى واسط ولا أفلح .

حدثني ابو الحسن محمد بن محمد الاهوازي ابن عثمان المعروف بابن المهندس قال كنت أتقلد الضريبة وغيرها من أعمال واسط في هذا الوقت للكوفي فقدم ملاح يقال له ابن شبيب من بغداد في زورق عظيم وكان فيه حديد وخواب فطالبته على ضريبتهما بثمانيـة الف (١) درهم وكسر فالتجأ الى يمك فكتب رقعة وهو غلام سيف الدولة لابن سيف الدولة وكان مقيما بواسط حينئذ اميراً عظيما فكتب الى يمك رقعة يلزمني تخفيف الضريبة عن الملاح ومقاربته وأنفذ غلاماً من غلمانه فوضعت في نفسي المقاربة لاجله فقلت للملاح عليك ثمانيـة آلاف درهم وكذا وكذا فكم تحب ان أسامحك لاجل كلام فلان أيده الله قال وكان مجلساً حافلا باهل الاسواق والتجار والمعاملين في الضريبة قال فقال لي الملاح مستفهماً كم عليّ ؟ فقلت ثمانية آلاف درهم وكسر قال فضرط من فمه لي وقال تأخذ مني بميزان قرع وصنج بعر قال فورد عليّ امر عظيم من استخفافـه بي في مجلس العمل وكرهت ان اوقع به ويشرق (٢) الحال بيني وبين يمك مع تمكنه من سيف الدولة وتصير منابذة بيني وبين صاحبي ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك • فقلت له اما أنت فاقلّ أن تجـاب عن هذا الـكلام ولكن سأريك امرك كونوا معه . قال فوكلت به جماعة من الرجالة وعبرت في زبزبي (٣) الى الكوفي

«١» م ، ع كذا في الاصل والصواب آلاف . «٢» م ، ع : في الاساس شرق ما بينهم بشر اذا وقع الشر بينهم . «٣» م ، ع : الزبزب نوع من السفن .

فحدثته بالقصة فحين استتم حديثي قال وأي شيء عملت بالملاح ؟ فقلت لم أقدم ان أعمل به شيئاً لاجل عمك وخشيت ان تنكر انت ذلك فقال نفاطين (١) نفاطين وصاح وتغيظ فاحضروا وقال ثلاثين راجلا الساعة فأحضروا فقال اعبروا الى الزورق فاحرقوه بجميع ما فيه من الامتعة الساعة . قال فورد عليّ امر عظيم وندمت على الشكاية فقلت يكفي من هذا أطال الله بقاء سيدنا ضرب الملاح بالمقارع في السوق وان تضعف عليه الضريبة وتستخرجها منه فقال لا والله الا الاحراق قال فاجتهدت به فلم يكن في يدي منه شيء وتوجه النفاطون والرجالة الى الزورق فضربوه بالنار وأقبل الملاح يلطم ويصيح ويقول يا قوم فيه أموال الناس قد افتقروا (٢) وافتقرت ويستغيث بالمسلمين ولا يقدم احد على اعانته وأحرقت قلوس (٣) الزورق التي كانت تربطه وتمسكه وخرج منه الملاحون وطرحوا أنفسهم الى الماء فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه فوقع على الجسر فقطعه وانحدر حتى انتهى الى موضع معسكر سيف الدولة (٤) وكان نازلا في الماصر (٥) بواسط والملاح في بكائه (٦) ورآه لا يجسر ان يطفي النار ولا يقدر على (ذلك (٧)) اكثر من

«١» م . ع : النفاطون الرماة بالنفاطة وهي اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار . «٢» بالاصل افتقر . «٣» م . ع : القلس حبل السفينة جمعه قلوس .

«٤» لعله ابن . «٥» م . ع : قال في التاج واللسان المأصر حبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير حتى يؤدى ماعليها من حق السلطان في دجلة والفرات . وفي اللسان والمأصر يمد على طريق اونهر تؤصر به السفن والسابلة اي تحبس لتؤخذ منهم العشور.

«٦» بالاصل ركايه . م . ع : كذا في الاصل ولعل الصواب في براكية وراءه والبراكية ضرب من السفن . «٧» م . ع : لا حاجة الى لفظ ذلك .

ان يلطم ويصيح فلما رأى سيف الدولة الصورة استهولها مع صياح الملاح وقوله فيه أموال فاستدعاه وقال ايش فيه فقال فيه مال صاحب البريديين اصدره اليهم صاحبهم من بغداد سرّاً وجعله تحت الحديد قال فأمر سيف الدولة بالزورق فقدم الى الشط وأطفئت النار وقد احترق جوانب الزورق وظلاله (١) واكثر آلته الا الامتعة التي في أسفله فانها كالسالمة فرقي بها الى الشط فأخرج المال فاذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ونيف وستون سيفاً ومنطقة من فضة وبعضها من ذهب فأخذ ذلك وسلم الزورق الى الملاح وشد على يده وعصمه من الكوفي حتى نقض الملاح الزورق وانتفع ببقية خشبه وحديده ووصل التجار الى ما سلم من المتاع . « للحديث صلة »

«١» لعله اطلاله بالطاء المهملة جمع طلل وهو جل السفينة اي شراعها وجمعه جلول واجلال .

آراء وافكار

كتاب الاكليل للهمداني

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكها من يفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في بابه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضاً والذي تحسر الناس عليه ولا تظفر به ٠

وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات جمعتني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشراف مكة ٠ ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياه امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني ٠

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدّت امور عدَلتنا عن هذا الامر ٠ وبرحتُ الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاتني النظر الى كتاب الاكليل ٠

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة احمد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة ٠

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر ٠ فجاوبني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة ٠

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوّف فيها ونقّب ونسخ واستنسخ وصوّر بالفوتوغرافيا وقيّد واودع ما اودع في كناشاته ٠

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القرقني من عيون أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتصّ لي أثر

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عمر بن هزاع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الآتي أنقله بالحرف :

« امس (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانتظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعثر على الاكليل فعند مجيء المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسأله ده بالان يوق يا كلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع اوالثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريفيني) من اليمن » .

« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزءين ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشاراليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وُفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرةً أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبيان ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما سترى . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . يبتدئ بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويداوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة ومانقلته

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و «غمدان» و «قصر الذيل» و «قصر سحرار» و «بينون» و «ظفار» الخ و يصف كلاً منها و يستشهد بابيات قيلت في حقها مثل :

وقد كان في بينون عزٌّ وسؤدد   وفي ناعطٍ ملكٌ قديمٌ ومفخرُ

ومثل :

وأسأل بينون وحيطانها   قد نطقت بالدر والجوهر

(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ   أبعد بينون يبني الناس بنيانا

وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام و يرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الأحدب الاصغر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

واهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع   والموت لا ينفع فيه الجزع

والنفس لا يحزنك اتلافها   ليس لها من يومها مرتجع

والموت ليس له دافعٌ   اذا حميم عن حميم دفع

(اوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة بالخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . و بحثه مفيد جداً . ونسخ صورة كتابة وجدت بجامع صنعا بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العالم علي بن احمد الموسجي الحياري . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . أولها :

نفى طيبَ النوم الامى المتأوّبُ ووجدٌ مقيمٌ في الحشى ليس يذهبُ
عشية ودّعت الاحبة للنوى و بانوا وحبّات القلوب تأوّبُ

وآخرها :

حميتُ به أحساب قومي ولم ازل أدافع عن اعراضهم وأذبّب
اذا امتهنت اعراض قوم اذاتهِ فاني عليهم مشفقٌ متحدِّبُ
ومازال من قومي عروشٌ مصونةٌ وبكرٌ تبذّ القائلين وثيّبُ
اذا رويت كادت من الغيظ انفسٌ تغص وكاد الحلم عنهن يعزب

وقد تجد التنقيط ناقصاً في اكثر الكتاب ، وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لايمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضاً انه سمع من المرحوم علي اميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك » . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة «ليدن» بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . افضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ما رُوي نقطع على اربعة أقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب و يقول : كملت الارجوزة وكمل بكمالها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولا تاريخ ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية في دار الفنون في مدينة وينا انه طابع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر ايار سنة ١٨٨٤ .

وسننقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان تفضل بشيء فهي عادته .

لوزان : شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحبها الامير الكتاب الآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكليل

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فها انا ذا الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

....

....

.... فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيته واخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري افندي في الاستانة

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في ايتاليا بين كتب غريفيني ولعل التي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليان بكتب اليمن كما يسمع .

هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى .

وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غريفيني هذا لعل اليد تظفر بكتاب الاكليل كاملاً . وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة المثال وسنرى ما يكون من جوابه .

لوزان : شكيب أرسلان

مطبوعات حديثة

كتاب التيجان

« في ملوك حمير عن وهب بن منبه »

الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند بمملكة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٧ هجرية ص ٣١٠

ويليه

اخبار عَبيد بن شَرْيَة الجرهمي

« في اخبار اليمن واشعارها وانسابها »

وهو في ١٨٢ ص طبعت في حيدر آباد الدكن ايضاً

نشر هذين الكتابين كأنهما كتاب واحد لتناسبهما في الموضوع — صديقنا العلامة السيد كرينكو من كبار علماء المشرقيات المستعربين عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني كتبت بخط علي بن سعيد بن محمد بن هاجر القملاني سنة ١٠٣١ هـ وقال كاتب الاصل ان الفراغ كان من نسخها سنة ١٠٣٤ بخط مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين في الدار الحمراء بصنعاء اليمن وهذه النسخة منقولة من نسخة محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وعورضت بنسخة اقدم منها محفوظة في المكتبة العمومية في برلين . والكتابان في اخبار اليمن قبل الاسلام وبعده بقليل . وفيهما من اخبار ذاك القطر منه ما نقل في كتب أخرى ومنه مالم يعثر عليه الى اليوم . ووهب بن منبه كانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدول توفي في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة . وكتاب التيجان رآه ابن خلكان في عصره قال « ورأيت له (لوهب بن منبه) تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة » وكتاب التيجان هذا نفس كتاب الملوك المتوجة من حمير . ووهب بن منبه كثيراً ما كان يعزو العلماء بعض الشك في مروياته لاكثاره . فما نقله له صاحب الطبقات الكبير قوله : لقد قرأت اثنين وتسعين

كتاباً كلها أنزلت من السماء اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس وعشرون لايعلمها الا قليل وجدتُ في كلها انه من أضاف الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . »
وفي مقدمة كتاب التيجان قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مماأنزل الله على الانبياء فوجدت فيها ان الكتب التي أنزلها الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الالواح . قال الله : (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان . . »
وقال في مكان آخر (ص ٢٠) وقد ذكر الله صحف شيث وغيرهما من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة .) وقال : (اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) . ووهب من علماء التابعين وهو من الابناء ابناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذي يزن لقتال الحبشة في اليمن فهو فارسي الاصل واسع الخيال . ومن الفرس من وضعوا الاخبار في الاسلام عمداً او اتوا ذلك عن نية حسنة اعتقدوها .

وكتاب التيجان هو رواية ابي محمد عبد الملك بن هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه بدأه باحوال خلق العالم ونسب ولد سام وحام ويافث وملك حمير ووائل والسكسك ويعفر وعامر ذي رياس والمعافر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد والهمال بن عاد والحارث بن الهمال والصعب ذي القرنين وابرهة والعبد بن ابرهة وعمرو بن ابرهة وشرحبيل والد وهب ومُلك بلقيس وملك رحبعم ابن سليمان ومالك بن عمرو بن يعفر وعمرو بن الحارث بن مصاص وشمر يرعش بن ناشر النعم وتبع صيفي وعمرو بن عامر مزيقيا ملك متوج تبع وعمرو بن جفنة اول من تتوج من ملوك غسان بالشام وربيعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اضعاف التبابعة وقصة النار التي كانت تعبدها حمير الى آخر من ذكر من الملوك المتوجين فوافق اسم الكتاب مسماه . وكتاب الملوك المتوجة او التيجان من صحف الادب القديم بما ذكر فيه من الشعراء والاخبار .

اما كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي فهو من أقدم الكتب في الاسلام وبطبعه حلت اشكالات كثيرة في اصل التدوين في الامة . وكان عبيد بن شرية من المعمّرين

من اهل اليمن وفد على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه في الشام وهو آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة « وامر معاوية كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شرية في كل مجلس سمر فيه مع معاوية » (ص ٣١٤) فعبيد بن شرية راوية والمدوّنون كتّاب معاوية . وقد كان هذا يعجب بما يلقيه عليه عبيد في كل مجلس ويستزيده من ايراد الشعر لان الشعر كما قال معاوية (ص ٣٥٢) ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية . وذكر عبيد اونقل عنه حديث هلاك عاد وثمود وجرهم وخروجهم من اليمن الى الحرم وناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو ، وشمر يرعش بن افريقيس بن ابرهة بن الرائش وتبع الاقرن وهو ذو القرنين وملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر واسعد ابو كرب الاوسط . وكل ذلك بلغة سلسة وشعر رائق خال من تكلف المحدثين فهو شعر الفطرة الاولى بل هو نموذج صالح من شعر الجاهلية نُقل في الصدور قبل البعث الى السطور أوائل المئة الاولى للاسلام .

وعلى الجملة فان هذين الكتابين التيجان لوهب بن منبه واخبار اليمن لعبيد بن شرية من أهم الاسفار المفيدة التي نشرت بالطبع في العهد الاخير فجلت شبهات في موضوعات كثيرة وأبرزت لنا صورة كانت متوارية وراء حجاب من أخبار الجاهلية .

لا جرم ان الباحثين يسقطون في هذين السفرين على مسائل كثيرة يستنجون ويستقرؤون فيستفيدون ويفيدون . م . ك

دانتي اليجييري

« للسيد طه فوزي طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨ — ١٩٣٠ ص ١٥٠ »

صاحب هذا الكتاب ممن يحسنون اللغة الايطالية وقد درس في هذه الرسالة حياة دانتي شاعر الطليان وواضع اصول لغتهم ثم لخص قصصه ولاسيما قصة المهزلة المقدسة التي قسمها الى ثلاثة أقسام « الجحيم » و « الاعراف اوالمطهر » و « الجنــة » باسلوب يحبب تلاوتها الى القلوب وتدل على تشبعه بروح موضوعه وروح اللغتين اللتين ينقل من الاولى الى الاخرى . م . ك

اصلاح الوعظ الديني

« تأليف الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي »

« واولاده بمصر سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م ص ٢٥٤ »

ليس المؤلف بالمجهول شأنه بين المشتغلين بعلوم الشريعة الغراء فهو من نوابغ أساتذتها في مصر وممن عانوا تلقينها والتأليف فيها . وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات الاستاذ المؤلف أخرج به خطب المنابر والمواعظ الدينية من طور الجمود الى دور الارتقاء المحمود وأعاض الوعاظ والخطباء خطباً بليغة منبرية وغيرها بدلاً من الخطب التي أكل الدهر عليها وشرب ، وبطلت تأثيراتها بما ظهر في الناس من البدع والمقالات وفساد الاخلاق ، وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات الجديدة بعبارة سلسة و بايجاز لايخل بالمعاني الجليلة التي يقصد اليها ، ملقناً في كل خطبة بل وفي كل صفحة شيئاً من روح الشرع والسنة النبوية فجاء كتابه دليلاً ناطقاً على دخول الدروس الدينية في مصر في عصر تجدد اتى على القديم البالي ، و ياليت سائر الاقطار الاسلامية تنسج على هذا المنوال البديع وتخرج من طور التلفيق والترقيع . م . ك

خطرات نفس

« للدكتور منصور فهمي طبع في مطبعة المعارف بمصر »

« سنة ١٩٣٠ ص ٢٢٢ »

هي مقالات موجزة تحمل في مطاويها أفكاراً اجتماعية صحيحة يُراد بها تلقين مدنية وغرس فضائل والوصول بالمجتمع الى مواطن التفكير والتقدير . وقد أحسن الاستاذ منصور فهمي وهو من أساتذة الجامعة المصرية بوضعها هذا الوضع اللطيف الذي يقربها من القلوب و يجعل لها القبول فيها . وحبذا لو زاد المؤلف من عدد ما ينشر من فقراته وضم كل سنة شواردها في صحيفة كصحيفة خطراته . م . ك

الجزء ٨ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبي (١)

— ٩ —

لو سألنا ابا الطيب عن الاسباب التي من اجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً لبيّنها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فانه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب وستعلمون كيف كان ذلك ، اتصل به ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة وبهذا تستدلون على انه لم ينج من حسد الحساد في قربه منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يتمنون موته فقال قصيدته التي اولها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرّض بسيف الدولة فقال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم   ولا يدرُّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل   وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم   حتى يعاقبه التنغيص والمنن

هذا ما حمله على الانزعاج عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من القوارص ما فيه فلم

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

يصن سيف الدولة عرض المتنبي ولم تسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احق الناس به :

ولله سيري ما أقل تئية عشية شرقي الحوالي وغرب

عشية احفى الناس بي من جفوته واهدى الطريقين التي أتجنب

ومع هذا جفاه ، فارقه لما شكا من امره ما شكاه :

الى اين صار المتنبي بعد ان ترك سيف الدولة وكيف اتصل بكافور ، وفي اي شيء كان يطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأضمر له الشر ، هل سلم المتنبيء من عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ما ذا لقي المتنبيء في بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ، هل استطاب المتنبيء إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ماذاقت لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولاعرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المتنبيء بعد مفارقته سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء في الصبح المنبيء ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار الى دمشق ، والقى بها عصا التسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور ملك مصر فالتمس من المتنبيء ان يمدحه فثقل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور الإخشيدي يكتب في طلب المتنبيء من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي الطيب ، فسار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلى . وكان كافور الإخشيدي يقول لاصحابه أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المتنبيء انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من امير الرملة فسار اليه »

فقبل ان يتصل المتنبي بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طغج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شرالارض اهلاً وتربة   بها علوي جده غيرها ثم

فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المتنبي والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية يقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :

أتاني وعيد الادعياء وانهم   اعدوا لي السودان في كفر عاقب

ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم   فهل في وحدي قولهم غير كاذب

الي لعمري قصد كل عجيبة   كأني عجيب في عيون العجائب

فما كاد يسلم المتنبي من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكأن بينه وبين المصائب صلة رحم ، فلننظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .

لما قدم ابو الطيب على كافور الإخشيدي امر له بمنزل ، ووكل به جماعة ، واظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن أمانيا

وأنشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المتنبي لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق وكان لا يجلس في مجلس كافور .

هكذا اتصل المتنبي بكافور الإخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سمت به نفسه الى أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت هذه الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتي في عسجد أستفيده   ولكنها في مفخر أستجده

وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :

وغير كثير ان يزورك راجل   فيرجع ملكاً للعراقين واليا

نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينتهي به في مراد من المرادات .

ومن في الناس يرضي بميسور عيشه   ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلبًا بين جنبي ما له مدى ينتهي بي في مراد احده

ولقد أكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لانه نظير فعال الصادق القول وعده

وألح على كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

واستنجزه وعده :

ارى لي بقربي منك عينًا قريرة وان كان قربًا بالبعاد يشاب

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

طمع المتنبي في الولاية فسأل كافوراً ان يوليه صيداء من بلاد الشام او غيرها من بلاد الصعيد وكان كافور قد وعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المعين سمت بك نفسك الى النبوة فان اصبت الولاية وصار لك اتباع فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المتنبي بالشر .

ولم يخل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبغضونه ويوغرون صدر كافور ، وفي جملتهم ابن حرابة وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المتنبي مدحه ، فكان ابن حرابة يشيع استهزاء المتنبي بكافور في مدائحه ، والحقيقة ان ابا الطيب قد سخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب

فجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جني : لما قرأت على ابي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :

ويغنيك عما ينسب الناس انه اليك تناهى المكرمات والنسب

وهذا البيت ظاهره أبلغ المديح ولكن باطنه لا يخلو من غمزة الهجة .

وقد أشار المتنبيُّ الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون السواد على مسامع كافور أمرّ من الموت . فمن قوله :

ان في ثوبك الذي المجد فيه　　لضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض　　النفس خير من ابيضاض القباء

وهذان البيتان فيهما تعريض بسواد كافور وأصرح منهما :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون　　بلون الاستاذ والسحناء

فلا يبعد ان ابن حرابة كان يذيع مهزأة المتنبيُّ بكافور حتى يكيد له ، فما أشبه ما كان يقع لابي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء الغوائل به وكان ابوالطيب وهو في مجالس كافور يتعرض للادباء والشعراء فيجلب عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء ابوالقاسم بن ابي العفير الانصاري فقد عارضه المتنبيُّ بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي اولها :

(نظر المحب الى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لاتقول : اليه غرام وانما تقول : له ، فقال له الانصاري العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، والوزير ابوبكر بن صالح الروزباذي حاضر والوزير ابوالفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري قصيدة منها هذان البيتان يعرض فيهما بالمتنبيُّ :

لما تعرض لي بمقت حاسد　　ابدى الملام وكيف يرضى الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذا　　انشدت عارضني لاني قاعد

* * *

لم يستطع المتنبيُّ بعد هذا كله ان يطيل الاقامة بمصر ، ولعل مدحه لابي شجاع فاتك المعروف بالمجنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني　　ظهور جري فلي فيهن تصهال

وقد قال الواحدي في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فاني أمدحك الى أوان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة صهل شوقاً اليها .

من اجل هذا كله فكر المتنبي في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على الهرب فآخر قصيدة قالها في كافور :

منى كن لي ان البياض خضاب فيخفى بتبييض القرون شباب

وانقطع ابو الطيب بعد انشاده هذه القصيدة لايلقى الاسود الا ان يركب فيسير معه في الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل مايحتاج اليه على ممر الايام بلطف ورفق ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فكان خروجه من مصر سنة خمسين وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقريب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره بيوم واحد قال قصيدته :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى ام لامر فيك تجديد

وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ايلام هذا الحسد اياه :

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا شاك منه محسود

هرب ابوالطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكتب الى عماله وسائر اعماله فأخفق .

ضرب المتنبي في البوادي في طريقه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى

ولكن عبيده تنكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال له وردان الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المتنبي بذلك ضرب احد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلمان فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء وردان :

اشذ بعرسه عني عبيدي فأتلفهم ومالي أتلفوه
فان شقيت بايديهم جيادي لقد شقيت بمنصلي الوجوه

تنكر عبيده له وربما أضمروا تسليمه فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار والقوم لايعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده نوراً يلوح فقال : هذه منارة . ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا   تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل   وظنوا الصوار عليك المنارا

ومن هذا يتبين لكم ما كنت قلته من ان ابا الطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد صار له عبيد وغرق في المكارم .

وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم والعلى :

وبتنا نقبل أسيافنا   ونمسحها من دماء العدى

وكان دخوله الكوفة في جمادي الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

هل طمع سيف الدولة في عودة المتنبي اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟

لما عاد ابو الطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشاقتها قلائد المتنبي فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبي وهذا ما يدلنا على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكأن امير حلب ندم على مافات فأحب ان يصلح ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي اولها :

ما لنا كلنا جو يا رسول   انا أهوى وقلبك المتبول

اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة ست سنين ، وفي هذه القصيدة مايدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي ان عشت لي الف   كافور ولي من نداك ريف ونيل

ولما توفيت اخت سيف الدولة بميافارقين وورد خبرها الى الكوفة عزاه بها المتنبي وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المتنبي ان ينفي عن نفسه الظن بفتور محبته لسيف الدولة فقال :

يظن ان فؤادي غير ملتهب   وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية   لحرمة المجد والقصاد والادب

والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب ·

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المتنبيء عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله فأنفذ اليه كتاباً بخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه · في ميافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المتنبيء عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقني غير خوف الوشاة   وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم   وتقريبهم بيننا والخبب
وقد كان ينصرهم سمعه   وينصرني قلبه والحسب

وعاتب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والابيات كلها تعريض بالماضي :

وليت شكاتك في جسمه   وليتك تجزي ببغض وحب
فلو كنت تجزي به نلت منك   اضعف حظ باقوى سبب

اقام المتنبيء بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه التقريب اي من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه وبين ابي علي الحاتمي ما وقع فالظاهر ان ابا الطيب لما قدم دار السلام عظم احتقاره لغيره من الناس فثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الحاتمي قد قصده في مجلسه فلم يبال به المتنبيء وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له و بالغ في تعنيفه فاعتذر المتنبيء عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي ينقد بعض شعر المتنبيء واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصحبة ، وصار ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً ·

ولما نجا المتنبيء من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلبي في بغداد وفي شر معز الدولة نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولان الوزير المهلبي ساءه ترفع ابو الطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الثعالبي حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجبهم ولم يفكر فيهم وقيل له في ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الثعالبي فلم يسع المتنبيء الا الهرب من بغداد ٠

فاتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فسار اليها مراغماً للمهلبي الوزير فورد ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ٠

وقد كان ابوالطيب في مدحه لابن العميد يتهيبه لمنزلة ابن العميد في الادب فمن قوله فيه :

ما كفاني تقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناه انتقاده
انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده
ماتعودت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفاً فنهض ابن العميد من مجلسه وأجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختار منها واحداً ثقيل الحلى ، واختار ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته

أجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد : فبماذ تجربهما ؟ فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلتقطها ويأتي بها اليك فقال ابو الطيب : بل صاحب الحاجة اولى .

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فودع ابو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان الصاحب طمع في زيارة المتنبئ اياه باصبهان على ما ذكره الثعالبي واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبئ وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .

لم يعرج ابو الطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز وكان ابو علي الفارسي اذذاك بشيراز وكان ممر المتنبئ الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستثقله على قبح زيه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لا يبالي باحد يذمه او يحط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابياتاً من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المتنبئ هو قائل هذه الابيات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً .

وكان ابا الطيب قد استطاب الاقامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ماذكره الثعالبي وربحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود .

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الاقامة في ذراكا

وأذن له وامر بان تخلع عليه الخلع الخاصة و يقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته بالمال الكثير فامتثل ذلك وانشده ابوالطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه منه قوله :

وانى شئت يا طرقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محسد وغلامه ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه فتعرض له فاتك خال ضبة الذي هجاه المتنبي بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، واتصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول فجمع عشرين رجلاً من بني عمه فقتله بضيعة تقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محسد وغلامه فوجه احد معارف المتنبي واسمه ابوالنصر من دفنه ودفن ابنه وغلامه وذهبت دماؤهم هدراً .

وقد كان ابوالنصر هذا نصح للمتنبي ان يكون معه في الطريق جماعة يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فاتك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام المتنبي على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتاظ من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسيرون بسيرك وهم في خفارتك فابى ابو الطيب فكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من يسأله : اين هذا من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعطاء عضد الدولة تطبعاً فغضب

عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلتني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح فتقدموه ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطبسي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت خاتمة قلب ما له مدى ينتهي بصاحبه في مراد من المرادات لقد همدت هذه الروح التي جالت فيها أفكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

« للدكتور محمد شرف »

— ٣ —

(٢٢) كثيراً ما ينقل المؤلف الحروف التي تدل على الأنواع النباتيـة كما وردت في اللاتينية فيسمي مثلاً النبات (Sabbatia angularis) شبطية انجيولاريس على انه كان يجب ان يسميه الشبطية الكثيرة الزوايا وقد عثرت على عدد كبير من مثل ذلك .

واذا ترجم الحروف المذكورة غلط في ترجمتها احياناً مثاله (Sabbatia campestris) فقد ترجمها بلفظ شبطية الآجام والصواب الشبطية السهليـة . واذا أعيته ترجمة هذه الحروف صرف النظر عن ذلك مثاله انه أطلق اسم الخبازى والخبيز على كل من الانواع النباتية الآتية وهي :

Malva parviflora

〃 sylvestris

〃 verticillata

وكان يجب ان يسمي الاولى الخبازة الصغيرة الزهر والثانية الخبازة الأجمية والثالثة الخبازة الدولابية او الكوكبية او الدوارية وهكذا .

(٢٣) لم يذكر الاسماء اللاتينية للحشرات الآتية وهي :

الجراد الراحل	Acridium peregrinum
الجراد المراكشي	Stauronotus marocanus
دودة لوز القطن	Earias insulana
سوس العدس	Bruchus lentis
منّ الفول	Aphis fabœ

الى عشرات غيرها من الحشرات المهمة التي تضر بالنباتات الزراعية والتي لا يجوز ان يخلو منها معجم علمي .

(٢٤) سمى النبات (Medicago sativa) البرسيم الحجازي والقَضْب ونسي اصح اسم له وهو الفصفصة والرَّطْبة .

(٢٥) ذكر النبات (Andropogon alepii) فسماه (ذرة شامي) ولم أدر من اين اتى بذلك فالذرة الشامية هي (Zea mays) ثم ان حرف الذرة مؤنث فلما ذا يجعله مذكراً .

(٢٦) عرّف النبات (Nicotiana rustica) بانه (الدخان البلدي) قلت هذا التعريف لا معنى له وقد ذكر بوست ان هذا النوع هو نوع التنباك .

(٢٧) عرّف الثمرة المسماة (Capsule) بما يلي (ثمرة جافة منفتحة مكونة من مدقة مركبة) وقد سميتها الجروج جراء يقال جراء الخشخاش (انظر ج ٤ م ١٠ من هذه المجلة) .

(٢٨) ذكر أنواعاً من البلوط لا وجود لها في مصر والشام وبلاد العرب السائرة وسها عن ذكر الانواع الآتية وهي أهم اشجار حراج الشام :

السنديان	Quercus coccifera
الملول	« lusitanica
البلوط الاخضر « البهش »	« ilex
البلوط المسمى عفصاً	« œgilops

(٢٩) لم يذكر الماش (وهو حب مشهور في الشام) بين انواع الجنس المسمى (Vigna) .

(٣٠) ترجم (Petal) بلفظ (بتلة ، ورقة نويجية) واصلح لفظة لها هي القمالة .

(٣١) لم يذكر الدفران (Juniperus drupacea) وهو من الاشجار المشهورة في بعض حراج الشام .

(٣٢) ترجم (Anther) بلفظة انثيرومتك ووعاء الطلع الخ . قلت ان أصلح الألفاظ على ما أرى هما مئبر ومئبار وقد ذكرهما العالم المحقق الطبيب ابن المملوف (انظر ج ٨ م ٨ من هذه المجلة) .

(٣٣) قال عندما ذكر (Tilletia) انه جنس من الفطر الأستيلاجي ولم يزد على ذلك . قلت كان يجب ان يذكر على الاقل النوع المسمى (Tilletia caries)

وهو الذي يوجد مرض نخر الحبوب اي حفرها وتسوسها ويسمى بالفرنسية (Carie) وهو غير مرض (السويد) الذي يحصل من أنواع الجنس المسمى (Ustilago) · وقال في ذكر الجنس الاخير ان (Tilletia fœtens) هو صدأ القمح على حين ان مرض الصدأ في الحبوب يحصل من طفيليات أخرى تنسب الى جنس (Puccinia) مثل (P. triticina) و (P. graminis) و (P. glumarum) ولم يورد صاحب المعجم منها شيئًا في معجمه ·

(٣٤) ذكر خمسة أنواع من جنس (Polygonum) وترك اهم انواع هذا الجنس اي :

P. fagopirum
〃 tartaricum
〃 emarginatum

وهي أنواع الحنطة السوداء (Sarrasin) التي تكثر زراعتها في اوربة وبلاد الصقالبة خاصة ·

(٣٥) الكتاب كثير الأغلاط العربية والمطبعية · فقد فتحت الصفحة ١٦١ عرضًا فوجدت فيها ما يلي :

« نقةُ ـأ ، بُرْعمَ ، ضفدعة زيتوني سمراء ، مايل للبياض أفريقيا أُسْمَنْدَةَ »

والصواب « نقةٌ ، بَرْعَمَ ، ضفدعة زيتونية سمراء ، ضارب الى بياض إفريقية ، أسمندة » ·

(٣٦) وجاء في الصفحة نفسها ان نبات (Menyanthes trifoliata) هو البرسيم والأطريفل · فهذان الحرفان لا يطلقان على النبات المذكور بل على أنواع النباتات التي هي من جنس Trifolium) ولئن سمى الاوربيون النبات الاول « طرفيل الماء » فلأن اوراقه تشبه اوراق الطرفيل لا لأنه برسيم او اطريفل ·

(٣٧) ترجم جنس (Tritolium) بلفظ (تراي فوليوم و برسيم) ولم يقل انه جنس النفل[1] والطرفيل والاطريفل والطربفلن (ابن البيطار) وهواشهر من ان يعرّف ·

(١) يطلق الشاميون هذه اللفظة على أنواع الطربفلن والفصفصة والحندقوق وغيرها

وعندما ذكر نبـا . (Trifolium pratense) غلط غلطتين الاولى ترجمتـه بالبرسيم الاحمر والصواب برسيم المروج (او البرسيم العادي كما تسميه معظم الامم الاوربية) والثانية رسمه الحرف الذي يدل على النوع هكذا (Partense) .

(٣٨) ترجم لفظة (Spore) بما يلي : « بزرة النبـاتات خفية التزوج او عديمة الأزهار » قلت اني استعملت لها لفظة غبير والواحدة غبيرة . ووجدتها اخيراً في احد كتب الدكتور بوست . وهي على كل حال أرجح من ذلك التعريف الطويل العريض وان كانت من الغبار .

(٣٩) سمى الجنس (Viscum) شجرة الدبق والدابوق . قلت الأرجح شجرة الهدالة (انظر ج ٤ و٦ م ١٠ من هذه المجلة) وكان يجب ان يذكر النوع (Viscum album) على الأقل .

(٤٠) لم يذكر جنس (Diospyros) وانواعه العديدة ومنهـا بلح طرابزون (مشمش اليابان ، كاكي ، بلا كمينيا) وهي شجرة مثمرة مشهورة .

(٤١) لم يذكر مرض الجماع (الحَلَق ، البَجَل) في الخيل المسمى (Durine) وهو مهم .

(٤٢) لم أجد ذكراً للكرسنة (Vicia ervilia) وهي من القطاني الدائمة .

(٤٣) لم يذكر لجنس (Styrax) وجنس (Cercis) انواعاً . وكان من المفيد ذكر النوعين الآتيين :

اللبني «الأبهر»	Styrax officinalis
الزمزريق	Cercis siliquastrum

وهما مبذولان في لبنان خاصةً .

(٤٤) قال ان الحشرة المسماة (Sitotroga cerealella) هي دودة الشعير .

من نباتات الفصيلة السنفية « قطانية ، قرنية » التي تنبتها الطبيعة في المروج مع أنواع من الفصيلة النجيلية فتسمن عليها الخيل والماشية . وقد خصت لفظة النفل اليوم بنباتات الطريفلن ولا يحول ما كتب عنها في المعاجم اللغوية دون ذلك .

قلت هذه الحشرة تسطو على حبوب الحنطة والشعير والذرة والشوفان وغيرها واسمها يدل على ذلك . فيجب إذن تسميتها بما يلي « نوع من سوس الحبوب » لانها ليست خاصة بالشعير . ولايخفى ان أهم حشرات السوس التي تسطو على الحبوب في الانابير ثلاث وهي اولاً هذه التي نتكلم عنهـا ، ثانياً (Calandra granària) وهذا النوع لم يذكره المؤلف بل اكتفى باسم الجنس وقال « جنس من خنافس الحبوب » . والأرجح «جنس من سوس الحبوب » . ثالثاً (Tinea granella) وهذا النوع ايضاً لم يذكره صاحب المعجم بل اكتفى بذكر الجنس فقال « تينيا — نوع من العث او السوس » والصواب « جنس فيه أنواع من العث وسوس الحبوب » .

(٤٥) ذكر في مقدمة المعجم في جملة المؤنثات السماعية الألفاظ الآتية وهي : « الصدر والضحي والرحم والجراد والمسك والسبيل » قلت لقد وَهِمَ المؤلف فان هـذه الحروف تذكر وتؤنث . وكان يجب ان يشير الى ذلك .

وذكر في جملتها ايضاً «الظهر» وهو مذكر لا غير .

هذه هي الاغلاط والنواقص التي عثرت عليهـا في جلستين وانا لا أدعي العصمة فيما كتبت كما انني لا أنكر ان صاحب المعجم ذو فضل كبير وان معجمه هوالاول في بابه لكنه يستحيل على فرد من الافراد اياً كان ان يؤلف وحده معجماً علمياً خالياً من الاغلاط والنواقص ولذلك كان يجب على الدكتور محمد شرف بك المحترم ان يشرك بعمله الجليل ذوي الاختصاص بعلوم الزراعة والنبـات والحيوان وغيرها فيكون معجمه خالياً من الشوائب وصالحاً لغير الاطباء ممن يراجعون المعجم لتحري الألفاظ المستعملة في تلك العلوم .

واذا سُئلتُ هل معجم الدكتور شرف ثقة في المصطلحات الطبية فانني غير صالح للاجابة عن ذلك . اما من حيث المصطلحات الزراعية فأرى ان المعجم (طبعته الثانيـة سنة ١٩٢٨) كثير النواقص لايفي باغراض تلامذة المدارس الزراعية وخريجيها فلعل المؤلف يتلافى هذه النواقص في الطبعة الثالثة .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

رسالة الكرم

« موضع الكرم »

الفِرْدَوْس بالكسر الموضع تكون فيه الكروم مذكر وقد يؤنث . قال في اللسان والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم فردوساً . واهل الشام يقولون للكروم والبساتين الفراديس . ويقال كرم مفردس اي معرش .

الجَنَّة — الحديقة ذات الشجر والنخل والجمع جِنان . وقال ابو علي في التذكرة لا تكون الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فحديقة وليست بجنة كذا في لسان العرب ونحوه في التاج وفي المخصص فان كانت اشجاراً لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق وسائر النبات الرياض وفي القرآن الكريم . (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) .

الحديقة كل ارض ذات شجر مثمر ونخل . وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب قال :

صُورِيَّة أولعتُ باشتهارها ناصلة الحِقْوَين من ازارها
يطرق كلب الحي من حذارها أَعْطَيَتُ فيها طائعاً أو كارها
حديقة غلباء [1] في جدارها وفرساً أنثى وعبداً فارها

أراد انه أعطاها نخلاً وكرماً محدقاً عليها [2] وذلك أنفَس للنخل والكرم لانه لا يحدق عليه الا وهو مضنون به مُنفِس وانما أراد انه غالى بمهرها على ماهي به من الاشتهار وخلائق الاشرار . وفي اللسان . وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة .

والبستان بالضم الحديقة او الحديقة من النخل قيل انه عربي وقيل معرب بوستان اي آخذ الرائحة [3] سقطت الواو عند الاستعمال ثم توسع فيه حتى أطلقوه على الأشجار

(١) عظيمة متكاثفة . (٢) كذا في اللسان والتاج ولعله من قولهم أحدق به اذا استدار وأحاط به . (٣) او مجمع الرائحة .

وفي التاج البستنبان هو حافظ البستان · وفيه ايضاً الناحي خادم البستان وفي التكملة هو البستانبان وفي اللسان الجَوَّار الذي يعمل لك في كرم او بستان أكَّاراً · وقدم اعرابي من نجد بعض القرى فقال :

سقى نجداً وساكنه هزيم حثيث الودق منسكب يماني
بلاد لا يحس البق فيها ولا يُدرى بها ماالبَستَنقاني
ولم يستب ساكنها عشاء بكشخان ولا بالقرطبان

قيل البَستَنقاني صاحب البستان وقيل الناطور ·

الحائط الجدار والبستان من النخل اذا كان عليه حائط اي جدار جمعه حوائط · وجاء في الحديث (على اهل الحوائط حفظها بالنهار) يعني البساتين وهو عام فيها · وجاء في كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي والمخصص لابن سيده وغيرهما اطلاق الحائط على الكرم وسيأتي ذلك · ويقال حوَّط كرمه تحويطاً بنى حوله حائطاً فهومحوَّط وفي اللسان · ويقال للارض المحاط عليها حائط وحديقة فاذا لم يحيط[1] عليها فهي ضاحية وفي التاج ·

الحاجر كرممثناث[2] وهومطمانّ له حروف مشرفة تحبس عليه الماء وبذلك سمي حاجراً والجمع حُجْران · والحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض كالمَحْجِر ·

والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به كالحاجور ·

جدر العنب حائطه جمعه جُدُور · والجَدْر والجِدار الحائط وجدرُه يجدره جدراً حوطه وجدَّرَه شيده واجتدره بناه والجدْر اصل الجدار والجَدير المكان يبنى حوله جدار ويقال للحظيرة من صخر جديرة ·

« الوشيعة والحظيرة »

الوَشيع حظيرة الشجر حول الكرم والبستان والجمع الوشائع · ويقال وشعوا على كرومهم توشيعاً · حظروا عليها بالشجر · ووشع كرمه جعل له وشيعاً وهو ان يبني جداره بقصب او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع ·

ويقال للوشيع السياج قال في اللسان السياج الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم

---

(١) كذا في اللسان · (٢) يقال ارض مثناث وانيثة اي سهلة منبات ليست بغليظة ·

والبستان وقد سيّج على الكرم · ويقال حظر كرمه بالسياج وهو ان يسيج حائطه بالشوك لئلا يتسوّر ·

والحظيرة ماأحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب · وكل ماحال بينك وبين شيء فهو حِظار وحَظار وحِجار والمحتظر الذي يعمل الحظيرة واحتظر القوم وحظروا واتخذوا حظيرة ·

والحَظِر الشيء المحتظر به وقيل الشجر المحتظر به وقيل الشوك الرطب و نـه قولهم وقع في الحَظِر الرطب · اذا وقع فيما لا طاقة له به ·

« الحفر والركايا »

الشَرَبة بالتحريك كالحويض يحفر حول الشجرة ويملأ ماء فيكون ريها فتتروى منه والجمع شَرَب وشَرَبات وشرّب الارض والنخل جعل لها شربات ·

الجِباب الركايا تحفر وينصب فيها العنب اي يغرس فيها كما يحفر للفسيلة من النخل الواحد جُبّ · والركايا جمع ركيـة وهي البئر تحفر من ركا الارض ركواً اذا حفرها حفراً مستطيلاً · وفي اللسان ركا ركواً حفر حوضاً مستطيلاً ·

الجَبايا الركايا التي تحفر وتنصب فيها قضبان الكرم ·

الفُقُر ركايا محفورة بعضهـا الى جنب بعض و ينفذ بعضها الى بعض واحدها فَقير وفي اللسان الفقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل وهو الطين و بالدمن وهو البعر · وقيل الفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست · وفقروا الفُقُر بعضها الى بعض اي أفضوا ·

الجُفْرة الحفرة الواسعة المستديرة · وحفرة كل شيء وسطـه ومعظمه · والجُفَر خروق الدعائم التي تحفر لها تحت الارض ·

« طرق الماء »

الكِظامة · القناة تكون في حوائط الأعناب والكرم · وقيل هي ركايا الكرم وقد أفضى بعضها الى بعض وتناسقت كأنها نهر · وكظموا الكظامة · جدروها بجَدْرَين والجدر طين حافتيها ·

القُتْرة الخرق الذي يدخل منه الماء الحائط (والقترة صنبور القناة) ·

السَرَب خشبة جوفاء تجعل في القترة فيدخل منها الماء حتى لا يأكل الحائط وفي

التاج السرب القناة الجوفاء يدخل منها الماء الحائط ٠

الركيب مابين النهرين من الكرم او مابين الحائطين من النخل والكرم وفي المخصص كل نهر من أنهار الكرم فهو ركيب والجمع رُكُب ٠ وفي اللسان الركيب المشارة وقيل الجدول بين الدبرتين وقيل هي مابين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي مابين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة ٠ وقال في : عرق : والركيب النهر الذي يدخل منه الماء الحائط ٠ والجَدْر والظهر مابين الركيبين من التراب المرتفع ويقال لكل شطر من الركيبين مرية والجمع السرايا وعراق الركيب حاشيته من ادناه الى منتهاه والجمع أعْرِقة ٠

في الرسالة المنسوبة للاصمعي ولا بد للحائط اذا لم تكن له كظامة (قناة) من ان يكون فيه اللُّفُج والخُلُج والفُلُج والثعالب في أواسط الحائط وأعلاه اه ٠

واللفج مجرى السيل ٠ والخلج جمع خليج وهو في الاصل : شعبة تنشعب من الوادي تعبّر بعض ماءه الى مكان آخر ٠ وما انقطع من معظم الماء لانه يجبذ منه وقد اختلج ٠ ونهر في شق من النهر الاعظم وجناحا النهر خليجاه ٠ والفلج الساقية التي تجري الى جميع الحائط ٠ والفلجان سواقي الزرع ٠ والنبائث اعضاد الفلجان واحدتها نبيثة ٠ والثعالب جمع ثعلب وهو مخرج الماء من جرين التمر ٠ والجُحر الذي يسيل منه ماء المطر ٠ ومخرج الماء من الدبار او الحوض ٠

والسَّرِيّ النهر الصغير كالجدول يجري الى النخل والجمع أسْرِية وسُرْيان ٠

ولا بد من القصاب والقصاب ان تقطع فيه الثمائل وتبنى بناء عراق الحائط بناءً مخلخلاً لايخلب بالطين فاذا أراد ان يخرج الماء منه فلا تهدم الثمائل ٠ وعراق الحائط أسفله يخرج منه الماء الذي يدخل الحائط ٠

والثمائل الضفائر التي تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث واحدتها ثميلة ٠ وقيل الثميلة الجَدْر نفسه ٠ وقيل الثمائل البناء الذي فيه الغراس والخَفْض والوقائذ (الخفض حجر يبنى به والوقائذ جمع وقيذة وهي الحجارة المفروشة) ٠

وفي اللسان القصابة مسناة تبنى في اللَّهْج كراهية ان يستجمع السيل فيوبل الحائط اي يذهب به الوبل و ينهدم عراقه ٠ و ٠

وفي التاج القصاب ككتاب وفي نسخة ككتابة مسناة تبنى في اللحف بالكسر هكذا في النسخ وفي بعض الامهات في اللهج اه. واللحف اصل الجبل . وليس للاهج في عبارة اللسان معنى . ولا للحف في عبارة التاج مناسبة ولذلك قال بعضهم الصواب في الجف بالجيم محركاً وهو محبس السيل . وحفر في جانب البئر . ولا يبعد ان يكون اللهج محرفاً اللفج وقد تقدم انه مجرى السيل .

« العزق »

والحائط يعزق في كل سنة بالمعزقة والمعزقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد فيعتزقونه حتى يذهب شجره و يكرب الحبل وانما يعزق في زمن الحطاب . وفي اللسان عزق الارض يعزقها شقها وكربها ولا يقال ذلك في غير الارض والمعزقة والمعزق (كمكنسة ومنبر) المر من حديد ونحوه مما يحفر به الارض وجمعه المعازق . وقال ابن بري: المعزقة ما تعزق به الارض فأساً كانت او مسحاة او شكة وهي البيلة[1] المعقفة . وأعزق الرجل عمل بالمعزقة وهي المر الذي يكون مع الحفارين . وارض معزوقة اذا شقت بفأس اوغيره .

« شجر الكرم »

الكرم كفلس العنب واحدته كرمة . وقال الاصمعي يقال لشجر العنب الكرم والحبل قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة   تروي عظامي بعد موتي عروقها

وقيل الكرمة الطاقة[2] الواحدة من الكرم جمعه كروم . والكرّام كشدّاد حافظ الكرم ويقال له اللامص كما سيأتي . و يقال هذه البلدة انما هي كرمة ونخلة يعني بذلك الكثرة .

و يقال للكرمة جفنة والجمع جفن بفتح فسكون فيهما . وقيل الجفن اسم مفرد وهو اصل الكرم يقال تجفن وتجفّن الكرم صار له اصل . وقيل الجفن قضبانه او ورقه . قال الاخطل يصف خابية خمر :

---

(١) هكذا ذكرت في اللسان والتاج ولم أجد الشكة ولا البيلة بهذا المعنى .

(٢) الطاقة بمعنى الشعبة يقال طاقة من ريحان او شعر وطاقة الحبل قوته .

آلت الى النصف من كلفاء أنأقها   علج وكتمها بالجفن والغار

وقيل الجفن قشر العنب الذي فيه الماء وقيل ضرب من العنب واحدته جفنة . وقال الراغب سمي الكرم جفناً تصوروا انه وعاء للعنب . وقيل الجفن ما ارتقى من الكرم في الشجر فتجفن فيه اي تمكن ولا يسمى بذلك غيره . و يقال للخمر ماء الجفن قال الشاعر يصف ريق امرأة و يشبهه بالخمر :

يحسي الضجيع ماء جفن شابه   صبيحة البارق مثلوج ثالج

أراد بماء الجفن الخمر . و يقال ايضاً شربوا ماء الجفن اي الكرم .

الحَبَلة بفتحتين و يجوز سكون الباء والحبلة بضم ففتح الكرم وقيل الاصل من اصول الكرم . والحَبَلة طاق من قضبان الكرم . والحَبَل شجر العنب واحدته حبلة ونهي الشرع عن بيع حبل الحبلة بحَر بكها اي حمل الكرمة قبل ان يبلغ . جعل حملها قبل ان تبلغ حبلاً . وكان لأنس بن مالك حبلة تحمل كُرّاً وكان يسميها ام العيال . وهي الاصل من الكرم انتشرت قضبانها عن غراسها وامتدت وكثرت قضبانها حتى بلغ حملها كراً (والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكاكيك والمكوك صاع ونصف) .

المَلْبَس ضرب من الكرم ينهض على ساق بعض النهوض لم يتفرع كله واليه ينسب الزبيب الميسي كذا قاله في التاج . وفي اللسان الميس شجر عظام شبيه في نباته وورقه بالغَرَب واذا كان شاباً فهو ابيض الجوف فاذا تقادم اسود فصار كالآبنوس و يغلظ حتى تتخذ منه الموائد الواسعة والرحال . ثم قال : قال ابن سيده واخبرني اعرابي انه رآه بالطائف قال واليه ينسب الزبيب الذي يسمى الميسي . ولعل ما في التاج أقرب الى الصواب .

الزَرَجون بالتحريك شجرة العنب واحدته زَرَجونة . قال دُكين بن رجاء :

كأن بالبَرَزاَ المعلوف   ماء دوالي زرجون ميل

وقيل الزرجون قضبان الكرم ومنه قول الشاعر :

بدلوا من منابت الشيح والإذ   خر تيناً و يانعاً زرجونا

وقيل الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكرم وأنشد :

اليك امير المؤمنين بعثتها   من الرمل تنوي منبت الزرجون

أراد بمنبت الزرجون الشام لانها اكثر البلاد عنباً ·

وقال ابن سيده : فاذا تأصل واستحكم نباته فكل اصل زرجونة وحبلة وكرم وكرمة

وقال في موضع آخر فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضاً زرجونة وجمعه زرجون · ثم قال والحبلة كالشكير وجمعها حبل ·

الحَبَلة بالتحريك والهاء والحَبَلْ بحذف الهاء الأصل من اصول الكرم ·

العوادي من الكرم مايغرس في اصول الشجر العظام واحدته عادية · قال الاصمعي ويسمون كرم العنب الذي يعرش[1] في اصول الشجر العظام العوادي وذلك انهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التف شجره الذي لا يخلو اصله من الظل ولا تصيب الشمس ماتحته فيسمونه الصّارّ فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة من الكرم الى الشجرة التي غطت عليها ولا يسمونها الحبلة كما يسمونها في الحوائط ولكن يقولون عادية العتمة وعادية العَرْعَرة وعادية الثومة ويسمون العوادي الجفن ومثله في المخصص الا انه قال فيسمونه الضار بالضاد المعجمة وهو تصحيف والصواب الصار بالصاد المهملة · قال في تاج العروس والصار الشجر الملتف الذي لا تخلو اصوله من الظل لاشتباكه ·

« اصطفاف شجره واتساقه »

السريف كأمير السطر من الكرم ·

السُرْبة الصف من الكرم وكل طريقة سربة · وفي المخصص السربة الطريقة من شجر العنب ·

وفي اللسان في مادة (ج ب) والشَّرَبَّة الطريقة من شجر العنب على طريقة شربه ولم يذكرها في مادة (ش ر ب) بهذا المعنى ·

السكة السطر المصطف من الشجر والنخيل · وقال الاصمعي العنب اصيل اي كثير أصلاً وفي التاج عن الاساس ان النخل في ارضنا لأصيل اي هو بها لا يزال باقياً لا يفنى ونحوه في اللسان ·

---

(١) كذا في الاصل والصواب يغرس ·

« النَوْر والزهر »

النَوْر بالفتح الزهر او الابيض منه · وقيل النور الابيض والزهر الاصفر وذلك انه يبيض ثم يصفر وجمعه أنوار · ويقال له النَوْرة والنوار كرمان واحدته نُوّارة ونور الشجر تنويراً وأنار انارة اخرج نوره وأنار الشجر والنبات وانور ظهر وحسن ·

الزهرة بفتح فسكون وبفتحتين نور كل نبات والجمع زَهْر وازهار وجمع الجمع أزاهير ويقال أزهر النبات والشجر بالالف وازهرّ وازهارّ اذا نور وظهر زهره ويقال زهر النبت كفرح وكرم اذا حسن ·

قال الأصمعي : أزهر العنب · وقد طار الزهر عن العنب وهو ان يخرج زهره اي نوره · وفي المصباح أزهر النبت خرج زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة · وفيه قالوا ولا يسمى زهراً حتى يتفتح · وقال ابن قتيبة حتى يصفر وقبل التفتح هو برعوم · و يقال ازْرَأشَق الشجر اذا أزهر ·

و يقال تفتحت الاكمّة عن النور اي انشقت وكل ماانكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتح · وفي اللسان وكل نور تفتح فقد تفقح وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار ·

الزَهْو نور النبت وزهره واشراقه والنبات الناضر وزها النبت يزهو اذا نبت ثمره وأزهى يُزهي اذا احمر او اصفر وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار ·

القعال كغراب نور العنب وشبهه · او القعال ماتناثر عن نور العنب وفاغية الحناء وشبهه من كامه واحدته قُعالة · وأقعل النور انشقت عنه قُعالته وكذلك اقعألّ كاشمعل وأقعل الكرم انشق قعاله وتناثر · والاقتعال تنحية القعال · واقتعله الرجل استنفضه في يده عن شجره · وفي المخصص واذا انتثرت اكمة الكرم فذلك القعال والاقتعال جمعه واخذه · وزعم جماعة ان القعال بزر العنب ·

الكم والكمامة بكسرهما غطاء النور والجمع أكمّة وأكمام وكمام بالكسر · وكم الكبائس يكمها كمّاً وكممها تكميماً جعلها في اغطية تكنها كما تجعل العناقيد في الاغطية الى حين صرامها واسم ذلك الغطاء الكمام · وفي اللسان لكل شجرة مثمرة كُمٌّ وهو برعومته · وكمام العذوق التي تجعل عليها واحدها كُمّ · وفيه ايضاً وكُم كل نور وعاؤه والجمع اكمام

وا كاميم وهو الِكام وجمعه أكمَّة . وكُمَّ الفسيلُ اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى . والكُمة بالضم كل ظرف غطيت به شيئاً والبسته اياه فصار له كالغلاف . واكمام الزرع غُلُفها التي يخرج منها والِكم غلاف الثمر والحب قبل ان يظهر .

و يقال للاكمة لباس النور . ولباس كل شيء غشاؤه .

قال اللسان : الكافور كِم العنب قبل ان ينوّر . وقال ايضاً وقول العجاج كالكرم اذ نادى من الكافور كافور الكرم الورق المغطي لما في جوفه من العنقود شبهه بكافور[1] الطلع (وهو وعاؤه وقشره الاعلى) لانه ينفرج عما فيه ايضاً . وفي المصباح والكافور كم النخل لانه يستر ما في جوفه . وقال ابن فارس الكافور كم العنب قبل ان ينور لانه كفر الوليع[2] اي غطاه و يقال له الكُفَرّى .

وفي التاج والكافور زمع الكرم وهو الورق المغطى الخ ماجاء في عبارة اللسان ثم قال وجمعه كوافير و كوافر . والمشهور في جمع الكافور كوافير واما كوافر فانه جمع كافر كما صرّح به في اللسان وسيأتي عن المخصص ان البنائق هي الكوافير اي الاغطية .

البُرعُم والبُرعُمة والبرعوم والبرعومة بضم الباء والعين وسكون الراء فيهن كم ثمر الشجر والنور . وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل ان يتفتح و برعمت الشجرة فهي مبرعمة وتبرعمت اخرجت برعمتها والجمع البراعيم .

القُنْبُعة غلاف نور الشجرة مثل الخنبعة قنبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبعة اي غطاء .

البَرْهَمة و يضم برعمة الشجر . وفي اللسان بَرهمة الشجر برعمته وهو مجتمع ورقه وثمره ونوره . قال رؤبة : يجلو الوجوه ورده و برهمه .

البَهْرَمة زهر النور . و بها روى قول رؤبة السابق وفي اللسان بهرمة النور زهره .

الحَذْر محركة نور العنب . وحبه بعد البرم وسيأتي .

الخَمْطَة . ريح نور الكرم وما أشبهه مما له ريح طيبة وليست الشديدة الذكاء طيباً . « للبحث صلة » سليم الجندي

عضو المجمع العلمي

(١) قيل وعاء كل شيء من النبات كافوره . (٢) الوليع الطلع او الطلع قبل ان ينفتح او ما في جوف الطلعة .

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

- ٧ -

حدثني ابو الحسين قال سمعت اباعيسى احمد بن محمد بن خالد المعروف باخي صخرة يحدث ابي قال ما رأينا احسن رعاية من ابي القاسم عبيد الله ابن سليمان فمن ذلك ان اسماعيل بن ثابت المعروف بالزغل كان يتقلد لابي الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته طساسيج بادوريا وقطربل(١) ومسكن(٢) ونهر بوق(٣) والذنب وكلواذى(٤) ونهر بين(٥) فلفق على عبيد الله بن سليمان وهو اذ ذاك متعطل في منزله بعقب تقضي النكبة عنه ولزومه لبيته ثلاثة آلاف درهم ذكر انها تجب عليه ببادوريا في سنين من مظالم باطلة وبقايا غير لازمة وأحضر وكيله وطالبه بها فقال له أمضي والتقي بصاحبي واوافقه على الاداء فوكل به عدة من رجالته وانصرف . فصار الى عبيد الله وقال له اغرم للرجالة جعلا ودافع بلقائه يومين الى ان اطرح عليه من يسأله ترك المطالبة بان يقررها معه فخرج الوكيل وبذل للرجالة أوفر الاجعال فذكروا انهم لا يقدمون على الافراج عنه خوفاً من الزغل وتكرر الكلام

«١» م ، ع : قطربل قرية في ضواحي بغداد كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين.
«٢» م ، ع : مسكن موضع على نهر دجيل كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب ابن الزبير . «٣» م ، ع : نهربوق طسوج من سواد بغداد قرب كلواذى .
«٤» كلواذى طسوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلعاء كثيراً . «٥» م ، ع : نهر بين ويقال له نهربيل طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

بينهم الى ان وثب حاجب عبيدالله بهم «١» وحال بينهم وبين الوكيل وادخله الدار وانصرفوا فشكوا ذلك الى الزغل واسرفوا خوفاً منـه ليقوم عذرهم فجاء الزغل فأسرف اسرافهم وأضـاف كل قبيح الى عبيد الله وشكاه الى الوزير اسماعيل وقال له انه لا يقدر على استخراج مال عليه الا بالمبالغـة في مكروه عبيد الله والانكار عليه وحبسه بنفسه في الديوان حتى يؤدي ولا يقتدي به المتعذر . وكان اسماعيل من العداوة لعبيد الله والبغض له والخوف منه على محله بمنزلة عظيمة وفيه مع ذلك تشدد في نصرة العمل وجبرية في نفسه فاغتاظ جداً فأحضرني وانامع ذلك «٢» اتولى له ديوان ضياعه وتقدمته وتدبير الجيش برسمه ومنزلتي في الاختصاص به قوية فقـال احضر هـذا الجاهل عبيد الله بن سليمان وعرفه ما شكا منـه اسماعيل بن ثابت وان جرأه عليه الابعاد الى طنجة «٣» وقبض نعمته وضياعه واني اعرفه بالعجب والجهل ولولا ان الزمان قد كفاني اسقاطه باسقاط ابيه وصار الى منزلة ان عاقبتـه بما يستحقه جملت له فيه سوقاً — لما أخرت عقوبته ولكن قل له والله اولا تذممي لأمرت بالاخير (٤) ان يصفع من داره الى ديوان اسماعيل بن ثابت ويقام على رجله حتى يؤدي ما عليـه ولا تدعه من الديوان او يحضر وكيله

«١» م ، ع : كذا في الاصل والمعروف وثب عليه . «٢» لعله حينئذ . «٣» م، ع : كـذا في الاصل : وفي معجم البلدان طنج رستاق بخراسان قرب مرو . وطنجة بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء هي آخر حدود افريقية . ولعل الاصل وان جزاءه عليه الابعاد الى ... «٤» م ، ع : الاخير . الادنى والارذل والموءخر والابعد ويقال في الشتم ابعد الله الاخر والاخير .

وحاجبه فيسلمهما الى اسماعيل بن ثابت وتصرفه حينئذ ليطالبهما اسماعيل بما عليه . قال فخرجت وكتبت اليه رقعة استدعيه فيها الى الديوان دعوت له فيها كما يدعى من الديوان لمثله وهي سطران دعاء وترجمتها من ظاهرها لابي فلان من فلان وكان الكاتب كتبها عني فلما عرضها عليّ زدت فوق الدعاء بخطي يا سيدي وكتبت من داخل الرقعة عبدك وانما أردت توفية الحق بذلك وستر الامر عن كاتبي لئلا يسمع اني خاطبته بتعظيم (١) فأقع في مكروه مع اسماعيل . وزدت في آخر الرقعة بخطي انه لا يجب ان يستوحش من شيء أتوسطه فاني أحوطه بجهدي وان سبيله ان يحضر عشياً ولا يتأخر فيطرق على نفسه امراً عظيما . وأردت ان يحضر عشياً ليكون مجلسي خالياً فأوفيه الحق ولا يجيء عدوه فان وفيته الحق لحقني من الوزير انكار . وان قصرت تذممت اليه وراعيت المواقب فيه . فجاءني في جواب الرقعة عشياً فقمت اليه وكان هذا عظيما محظوراً على مثلي وخاصة في الديوان وصدرته وجلست بين يديه وعرفته ماجرى من الزغل واعدت من كلام الوزير من الانكار والايعاد ما جمل لفظه ، وقلت قال اشياء أخر كثيرة قبيحة عظيمة هائلة لا أستحسن تلقيك بها وأجل سمعك عن ايرادها عليك هذا أقلها وأحسنها . ومع ذلك فانه أمرني ان لا تبرح او تحضر الوكيل والحاجب ثم استأذنته في انصرافك . فأجاب على ان فعلت هذا ان يصير لك اعتقال ان خالفت ثم لا ادري اي شيء يتولد من طمعه فيك ولا اي

«١» بالاصل بعظيم .

شيء ينجز عليك واكون سببه ولكن اجعلني على ثقة من انفاذك الرجلين اليه وانصرف لاعرفه ماجرى فان انكر عليّ انصرافك بغير اذن جحدته اني سمعت ذلك منه وكن على تحرز من غير ان يشيع ذلك الى ان يجيئك ثقتي بجلية الصورة فتعمل بها وبحسبها اما في الامن او الهرب . فشكرني وقال ما أطمع (١) ان اكافيك على هذا . وقام وقمت بقيامه وودعته وقلت ياغلمان باسركم بين يديه . فخرج وانفذ الرجلين وتوقى توقياً ضعيفاً . ودخلت فعرفت الوزير الصورة وجملت القصة وأمرني بترك التعرض له وتسليم الرجلين الى الزغل . فأحضرت الزغل وسلمت الرجلين اليه وقلت له تقبل رأيي ؟ فقال قل : فقلت قد بلغت ما تريد فأحسن في الامر ماقدرت . فقال ياسيدي هذا ابطال العمل ولا بد من تقويمهما فجهدت به في الاحسان فلم يفعل وانفذ الرجلين الى باب عبيدالله فضربهما عليه كل واحد منهما عشرين مقرعة وصفع الوكيل بعد الضرب خمسين صفعة واستخرج الدراهم ومضت السنون على هذا وفرج الله عن عبيد الله وتقلد الوزارة فاستترت لاجل اختصاصي باسماعيل الوزير وما التزم من جهته . وقبض عبيد الله على الزغل وكان اول من صودر من اسباب اسماعيل وعومل من المكاره بما لم يسمع باعظم منه . ولم يتصرف في ايام عبيد الله الى ان مات وهو يتصدق (٢) واستترت انا اياماً فلم يعرض عبيد الله لطلبي ولا لشيء من داري وضيعتي

«١» لعله : اطمعني . م ، ع : الاظهر ما في الاصل لان المراد اظهار اليأس من القدرة على مكافأته لا التعجب من الطمع في المكافاة .

«٢» م ، ع : تصدق بمعنى سأل وبمعنى اعطى وانكر الاصمعي وغيره كونها بمعنى سأل .

ولا لاهلي ولا معاملي فأنست بذلك وكتبت اليه بعد ذلك أسأل الامان فأمنني فحضرت مجلسه وهو حافل بالناس وبين يديه الخلق من اصحاب الدواوين والقواد . فحين رآني قام الي قياماً تاماً فقبلت رجليه وقلت قيلني (١) الوزير أطال الله بقاءه وليس هذا محلي . فقال ولم ؟ مايفي قيامي لك بقيامك لي لانك قمت لي في وقت عرضت بقيامك لي نفسك ودمك ونعمتك وحالك لذلك العدو لله . وعاملني بما الف (٢) به شكري ولك كلما تحبه عندي ولن يلحقك سوء في مالك ولا غيره قال ولج به المعتضد في مصادرتي وهو يدفعه عني ويقول له اشياء يدفع بها عني لا اصل لها منها انه قال له هذا قد صادره اسماعيل في ايام تصرفه معه دفعات وافقره على سبيل القرض وكانت له نفقات عظيمة ومروءة وهو مع هذا عفيف لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه ولا حال له فيصادر ولا طريق عليه . قال والمعتضد يلح فقال لي عبيد الله ليس لك الا ان تبعد عن المعتضد حتى ينساك . فقلت الامر للوزير فقلدني الخراج والضياع بقم وكتب الى صاحب المعونة يخدمني واخرجني على امر يعظم . وطالبه المعتضد بالتزام مصادرتي فأعاد عليه القول . وقال احتجت الى الاستعانة بكفايته فأنفذته الى قم . فقال فلا بد من الزامه شيئاً هناك فكتب بالصورة الي والزمني عشرين الف دينار وعدني باخلافها علي . فالتزمتها ولم يكن القول بها مؤثراً في حالي . فلما أديت منها عشرة آلاف

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولم نجد في معاني قبل ما يلائم هذا المقام ولعلها محرفة عن قيد ، من قولهم قيده باحسانه .

«٢» لعله لم يف .

أسقط الباقي . وسأل المعتضد فيه فحطه عني وماعطاني الى ان مات . فسلمت ونعمتي عليه وكسبت معه نعمة ثانية انا فيها الى الآن ثمرة ذلك الاحسان . وهلك الزغل وبلغ الى الصدقة ومات في الفقر ثمرة ذلك الشر .

ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء في سواد واسط : حدثني جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد ابن سهل بن حامد الواسطي وجده ابو بكر محمد بن سهل كان وجهاً من وجوه الشهود بواسط . ثم تقلد القضاء بها سنين دفعات فأثبت ذلك بخطه محمد بن عبد الله عقيب هذا الكلام : شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون (١) قرية من قرى النبط او الاكاسر وتعرف بالحراوقله (٢) فيها آثار قديمة من بنايا جير وجص وفيها قبة قائمة كالهيكل كانت قديماً وتمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق يعرف عند اهل ذلك الصقع بابي اسحاق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقاً فيذكر اهل الموضع انهم سمعوا أشياخهم يدعونه بذلك على قديم الايام وهذه القرية خراب لا يذكر فيها عمارة قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجاندى كان على حماية المأمون فعمد اليه وشد فيه الحبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعاً من الصحراء فأمسى فتركه في موضعه فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

«١» راجع كتاب المشترك لياقوت الحموي ص ٤١٣ .

«٢» كذا بالاصل : ولعله بالجير او قلة .

الموضع الذي تركه فيه و ن ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الاول وتركه وانصرف . ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الحمالين يتناوبون عليه حتى أدخله الرصافة . فحضر اهل ذلك الصقع الذي كان فيه يصيحون ويقولون ان هذا يؤنس به في ذلك المكان وانا نأوي اليه في الليل فنأنس به ويمتنع عنا الوحش اذا كنا نقربه فلا يقربون ما يأوي اليه . فحملوه ثانية حتى ردوه الى موضعه الاول بعد ان بذل لهم الرجال حمله من الرصافة وكان على صدره وعلى ظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باي قلم هي . وفي هذه البلاد قرية تعرف بقصبة نهر الفضل وهي تلهوار (١) بنحو فرسخين «من» تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير وهو كالسرير طوله تسعة اذرع في اذرع (٢) قد غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان أراد اقلاب (٣) هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك : انهم كانوا (٤) كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما أعياه ذلك تركه على حاله . وفي موضع من (٥) الذي في

«١» م ، ع : كذا في الاصل وفي معجم البلدان تل هوارة من قرى العراق . ونهر الفضل من نواحي واسط . «٢» م ، ع : كذا في الاصل .

«٣» م ، ع : اقلب بمعنى قلب وهي لغة ضعيفة .

«٤» لعله : لانه كان .

«٥» بياض بالاصل .

ظهر البطائح بين واسط والبصرة مما يلي الطفوف [١] من القبة العتيقة فيه خزانة يقال لها القارة يقال انها من خزائن قارون . طولها اربعون ذراعاً والعرض مثله وارتفاعها اكثر من ذلك. مبنية بالقار والحصى والنوى وهي مجموعة الرأس لها باب ولا نقف لها على مدخل وكان رجل من ساكني تلهوار يعرف بعمر النجار أضاف رجلا من المجتازين واكرمه فأحب ان يكافيه فأعلمه كيف الوصول الى هذه القارة وكتب له بذلك كتابا أوقفه عليه وقال له نريد ان نستعين برجل كبير وأومى الى خاقان وابي القاسم بن حوط العبدسي [٢] وكانا رئيسي البلد فاعلمهما ذلك فأعدوا له آلة لما يحتاج اليه من الفتح من مرور وآلات حديد وخشب وزبل [٣] وسلاليم [٤] واجرة سفن وحبال وغير ذلك ولزمهما عليها مع مؤن الرجال الوف دراهم كثيرة وأثبتا [٥] رجالا كثيرة للحماية لان الموضع تطرقه القرامطة والبوادي ثم أخرجاه ومن معه من الرجال في سفن في البطيحة لان الماء اذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين فمضوا اليها . فحدثنا ابن لهذا الرجل المعروف بعمر النجار انه كان مع ابيه في الموضع

«١» م ، ع : الطف ماأشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف طف الفرات اي الشاطي موضع بناحية الكوفة والجمع طفوف . «٢» غير واضح .

«٢» غير واضح . م ، ع : قال ياقوت عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة وفي التاج عبدس كمنبر علم .

«٣» م ، ع : زبل ككتب جمع زبيل كأمير القفة او الوعاء .

«٤» م ، ع : جمع سلم وهو المرقاة .

«٥» م ، ع : كذا في الاصل ولعله بثا اي فرقا ونشرا .

فوافى فمسح مما يلي مطالع الشمس من هذه القبة اربعين ذراعاً ثم احتفر الموضع فظهر له حجر عظيم لا يقله الا الجماعة الكثيرة فلم يزل يحلحل (١) حوله حتى أخرجه واذا أزج (٢) عظيم كان ذلك الحجر عليه على بابه ولحقه المساء فعمل على المباكرة لدخول الازج والوصول الى باب القبة فبات ليلته ومن معه فلما كان من وجه الصباح حين يبدو الفجر سمعت الجماعة تكبيراً وضجة ونظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فناذروها (٣) ولم يشكوا انها خيل القرامطة وتوجهوا نحو البطيحة والسفن التي لهم هناك فلم يزالوا كذلك يتعادون الى ان أصبحوا وبان ما في الصحراء مما يحتاجون ان يروه فلم يروا خيلا فظنوا انها قد انصرفت عنهم فعادوا راجعين الى مواضعهم فصادفوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق ووافوا الى مواضعهم فوجدوا أمتعتهم كما هي : مافقدوا منها شيئاً . فاحتملوها واحتملوا عمر النجار وانصرفوا . وقيل انه لم يوجد الحجر ولا أثر الموضع الذي احتفروا . وقد يجد الناس ممن يجتازون بذلك الموضع اويقصده — دراهم وجواهر حول تلك الخربات والقبة وقد يأوي الى تلك الخربات النعام وتبيض فيها لخلوها وانقطاع الناس عن الاجتياز بها الا في الحين بعد الحين .

رأيت بواسط شيخاً ذكر لي في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٣ انه قد

«١» م ، ع : يقال حلحل الشيء اذا حركه وأزاله ولعل الاصل يحلحل ما حوله .

«٢» م ، ع : الازج بيت يبنى طولا وقد ذكر علماء اللغة أن القنطرة أزج يبنى ويعبر عليه . «٣» م ، ع : كذا في الاصل ولعله تناذروها اي انذر بعضهم بعضاً وخوفه .

تجاوز الستين سنة وان مولده ومنشأه بالدحب (١) قرية من سواد واسط وان اباه كان رجلا من اهل البصرة من بني تميم وفد قديماً الى واسط ثم استوطن السواد فولد هو فيه ونشأ الى ان بلغ ، فأحب العلم فرجع الى البصرة وأقام بها وتأدب ثم دخل البادية فأقام بها نحو عشر سنين ولقي الناس ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرفاً وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين ويلقب بسيدوك . وأخبرني هو قال قال لي ابو محمد المهلبي وقد امتدحته لمّا وزر : لمَ تسميت بسيدوك ؟ قال قلت لانه اسم رئيس الجن وانا رئيس الشعراء . قال فقال لي أفتدري لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم ؟ قلت لا قال . بلغني انه انما سمي بذلك لان في الجن قبيلة يقال لها هلوك (٢) وهو سيدها فاستثقلوا ان يقولوا سيد هلوك (٣) فخففوها فقالوا سيدوك والرجل كان يكنى ابا طاهر واسمه عبد العزيز بن حامد بن الخضر على ما أخبرني .

وحدثني «٤» قال كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب فرماني بنارنجة نصفها أصفر ونصفها أخضر . وقال لي قل في هذه شيئاً . فقلت في الحال :

وطيبة النشر مسكية مرصعة بالتحايا «٥» العذاب
فاصفر في لون شمس المسا واخضر في لون قوس السحاب

«١» لعله : بالرحب . «٢» بالاصل يقال لها هلوك .
«٣» بالاصل سيدوك . «٤» بدائع البداءة لابن ظافر ٢ : ٢٢ .
«٥» في البدائع بالسجايا .

فلون كوجنة مرعوبة ولون كأثر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر (١) الحبيب وذاك كماءل صرف الشراب

وأنشدني لنفسه ايضاً :

شربت حلاوة عيش الصبي وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم اكره مما أغتدى خضابك مستهتراً من خضابي (٢)
ولا شيء أعجب مما التقى نصول الخضابين يوم العتاب
اشارت الى قصص محدقات بالوان نيلوفرات طياب

وأنشدني لنفسه :

ارى قسمة الارزاق أعجب قسمة كذي رعة (٣) مثر ومكد به الكدّ
فاحمق ذو مال واحمق معدم وعقل بلا حظ وعقل به (٤) جدّ
يعم الغنى والفقر ذا الجهل والحجى ولله من قبل الامور ومن بعد

وأنشدني لنفسه :

أظن بلية دهمت فؤادي وأحسبها غزال بني سليم
والا لم بقيت فيمتريني بدا له ضائم من غير ضيم
ولم عيني اذا فقدته كانت كمين الشمس اذغطيت بغيم

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله قال كنت مع ابراهيم ابن نافع العقيلي المعروف بابن البارد الطوق وبعض العرب (٥) بباري الطوق

«١» في البدائع : خد . «٢» م ، ع كذا في الاصل . «٣» م ، ع كذا في الاصل والرعة حسن الهيأة . والاولى ان تكون دعة بالدال . وهي السعة في العيش والراحة . او هي الرعية بكسر الراء الماشية الراعية . «٤» بالاصل بدي . «٥» لعله سقط : يسميه .

وكانت العامة تسميه ابن البارد الطوق . وخبروني انه سمي بذلك ابوه لانه ضرب رجلاً في عنقـه طوق فبراها (١) بالضربة قال وكان ابو اسحاق بن البارد هذا اذذاك امير نهر الايسر الذي بين رستاق البصرة والاهواز (٢) وهو اذ ذاك يليهـا من قبل معز الدولة . فورد عليـه رجل قد هرب من القرامطة من بني عقيل يعرف بمختار بن فرناس وكان من حي ابراهيم من بني معاوية بن حزن . وكان في عنق المختار هذا طوق فضـة . وكان سبب هربه على ماسمعت خلقاً من بني عقيل يخبرون بذلك اذ ذاك انه قتل اخاه وابن عمه لاجل ضيف أضافه وذلك انه كان مع الضيف مال صامت (٣) فأعمل اخوه على الغدر بالضيف واخذ المال منه فأعلم المختار بذلك (و) منعه واقتتلا بالسيوف فقتل اخاه فجاء ابن عمه يلومه وتخاطبا الى ان تجاذبا السيوف وتخابطا بها فقتل ابن عمه ايضاً وسكن من نفس الضيف حتى لا يذعر ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة فعرقب فرسه وذبحه واشتوى من لحمه واوقده حتى اصطلى به الضيف . فلما أصبح وارتحل الضيف خاف ان يبلغ القرامطة خبره فيأمر العريف باخذه واسلامه الى المحنة فهرب الى ابراهيم . فرأيت رسول القرامطة قـد جاء الى ابراهيم فأخـذه على صلح وامان ورجع الى حيه . ثم بلغنا انهم محنوه بعد ذلك تأديباً له . فما سمع برجل في زماننا من اهل البادية أشجع ولا أكرم ولا آدب منه ، والمحنة عند القرامطة انهم

---

(١) م ، ع : كذا في الاصل . وعليـه يعود الضمير على العنق لانهـا قد تؤنث . وفي بري العنق بري للطوق . (٢) في معجم البـلدان : كورة ورستاق بين الاهواز والبصرة . (٣) م ، ع : الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الابل .

اذا نقموا على رجل استدعوه من حيه الى الاحسا بلدهم فطرحوه : امامقيداً يكدي في البلد او سائساً للخيل او راعياً للغنم او الابل او ضربوه وجددوا عليه في كل يوم لوناً من العقاب . ولا يزال عندهم حولاً واكثر وربما عاقبوه بالوان أخر لجميع ما يعملونه من التأديب يسمونه محنة .

انشدني ابو القاسم لنفسه :

اصدع صدر الرمح في صدر فارس ‏ ‏ ‏ واوقد ما يبقى من الرمح للضيف
واقطع سيفي في الطلى ثم انثني ‏ ‏ ‏ فاذبح عيري (١) بالبقية من سيفي
واني اصيف في الشتاء اذا اتى ‏ ‏ ‏ واني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابة ‏ ‏ ‏ وقلب الوغى ناب عن الضيم والحيف

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحي ابن زكريا بن شيرزاد قال لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الخال مع مونس ونصر والقواد لمحاربة القرمطي حين وافى من زبارا (٢) عرضنا الجيش لانه كان ديوان العرض الى صاحبي ابن الخال وكنت اكتب عليه وعلى امره كله فأمره المقتدر بعرض الجيش بزبارا لئلا يكون قد اخلى (٣) ممن جرد الى الحرب احد فتقدم اليّ ابن الخال بذلك فعرضتهم فكانت العدة من سائر الفرسان والرجالة مع من جرد من الحجرية وخدم الدار

«١» م ، ع : كذا في الاصل والعير بفتح العين الحمار الوحشي وبالكسر الابل .

«٢» م ، ع : قال ياقوت في معجم البلدان زبارا موضع اظنه من نواحي الكوفة ذكر في قتال القرامطة ايام المقتدر ولم يضبطه . «٣» م ، ع : اخلى الرجل انفرد واخلاه غيره ولعله خلى اي ترك .

اثنين وخمسين الف رجل مرتزق اواحداً وخمسين. الشك من ابن شيرزاد وهذا سوى من تبعهم ممن لارزق له على السلطان وانما رزقه على صاحبه. قال ابو جعفر وكان قد تخلف ببغداد نازوك وعسكره برسمه ورسم الشرطة سبعة آلاف فارس وراجل وبقي في دار الخليفة ممن لم يخرج الف غلام من الحجرية والف خادم (١) اقل او اكثر ممن ترك لحراسة الدار وهذه المدة سوى من كان في النواحي من الشحن (٢) الا من استدعي ممن كان في السواد لمعاون بغداد مثل طريق خراسان وطريق دجلة وسقي الفرات وهذه النواحي القريبة.

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي قال كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير بالموصل فحملوني الى حي لهم بالبادية على ايام منها فاقمت في الحي شهوراً فكنت يوماً جالساً فرأيت فتىً بدوياً يسمى بعساف حدث (٣) السن حسن الوجه راكباً. فقال لي صاحب البيت هذا رجل من بني نمير وهو جار لنا وهو شاعر فيجب ان تسمع من شعره، فقلت نعم: فسأله النزول فنزل وذاكرته بالشعر فوجدته كثير الرواية لاشعار البادية في زمانه فما انشدني بيتاً اعرفه ولا نسب شيئاً مما انشدنيه الى شاعر اعرفه: متأخر او متقدم ووجدته لا يلحن البتة. وانشدني شيئاً كثيراً

«١» م، ع: كذا في الاصل ولعله او اقل الخ. «٢» م، ع: الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد او الكورة من جهة السلطان والرابطة من الخيل.

«٣» م، ع: جمهور اللغويين يقولون حدث فان ذكرت السن قالوا حديث السن ونقل عن ابن سيده حدث السن وحديثها.

فملق بحفظي من ذلك قصيدة استعدته اياها دفعات حتى حفظتها وقد شذ عني منها ابيات . قال وكان هذا في سنة ٣٣٦ واسم الشاعر عساف النميري . قال ولا اعرف اسم ابيه ولا نسبه . والقصيدة :

نظرت واعلام السرية دوننا   بعيني فتى صب يرى الهجر مغرما
واشرف ركب يهلك الطرف دونه   يظل به الحبشية (١) الحوّ جثما
واكرهت طرف العين حتى كأنني (٢)   ارى بفضاء الارض ستراً منمنما
اذا القوم قالوا اصح شيء (٣) حسبته   اصم وعن رد المشورة اعجما
دعاهن من نجد لحوران بعدما   رمين بسهم الحب قلباً متيما
تعرّض (٤) لي يوم اللوى عن مشورة   واودعن في ذات الوشاحين مرنما «٥»
وقلن اقتلنه «٦» يا مليح فانه   متى مارمى كانت مراميه «٧» حذما
دماء الغواني عند ذا مستحلة   فان نرم رشقاً «٨» نلق سهماً مسمما
فابدت على اللبات وحفاً «٩» كأنه   عناقيد عناب تفرّع عن سلما

«١» م ، ع : الحُبشية ضرب من النمل سود عظام • والحو السود. ومن النمل نمل حمر يقال لها نمل سليمان وجثم جمع جاثم اي لابد . والمعنى انه يتراءى له من كثرة تحديقه في الركب خيالات نمل اسود بينه وبين الركب . «٢» بالاصل كانا . «٣» بالاصل سا . م ، ع الصواب صح شيئاً وهو اقرب الى مافي الاصل . والمراد انه صح قليلا من عشقه .

«٤» لعله تعرضن . «٥» م ، ع كذا في الاصل والظاهر انه محرف عن مزعم اي مطمع . يقال زعم في غير مزعم . طمع في غير مطمع . اي انهن اودعن فيها طمعهن وثقتهن في ان تكون هي العاملة على قتله . «٦» م ، ع كذا في الاصل والظاهر اقتليه يامليحة . «٧» م ، ع المرامي جمع مرماة وهي السهم وحذما قاطعات . «٨» م ، ع يقال رموا رشقاً واحداً اي وجهاً واحداً بجميع سهامهم . «٩» م ، ع الوحف الشعر الكثير الحسن الاسود .

وجيداً كجمار «١» الفسيلة بزه من الليف جانيه وكان مكرّما
وعيني غضيض الطرف من جدل(٢) المها كحيل الماَقي قرنه حين كمّما
وابيض براق الغروب (٣) كأنه حصى برد همّت به ان تبسما
قالت انا سعدى تبدلت بيننا صدوداً ومحمود العشيرة ضيغما
فقلت هنيأً ذاك شيء يسرني غناها وان تلقى من العيش انعما
ولكن سليني عن حراجيج (٤) ضمر سواهم (٥) يحذفن (٦) السريح المخدّما
وخرق (٧) كأن البق (٨) يلدغ دفها اذا المعجب الساري عليها ترنما
وعن فتية شمث اللمام (٩) رمى بهم هويّ (١٠) المطايا مخرما (١١) ثم مخرما
سروا لسنا نار هوين (١٢) وكلهم من البرد ما يبدي البنان المكمما
فلما اتونا جانب الحي عرسوا غرائى وما ذاقوا من الامس مطعما

«١» م ، ع : الجمار شحم النخل . والفسيلة النخلة الصغيرة . «٢» م . ع : جمع جادل وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها اذا قوي وتبع امه وكم اي طلع من كممت النخلة اخرجت كامها وهو وعاء الطلع وغطاء النور . «٣» م . ع : جمع غرب وهو الماء الذي يجري على الاسنان . «٤» م ؛ ع : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الارض . «٥» م ؛ ع : جمع ساهمة وهي الضامرة المتغيرة . «٦» م ؛ ع : كذا في الاصل والصواب يحذين السريح المخدما . والسريح جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها اخفاف الابل. والسريح المخدم هو المشدود الى الخدمة وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير قال الاعشى : (وطايفن مشياً في السريح المخدم)

«٧» م ، ع : كذا في الاصل والصواب وحرف : وهي الناقة الشديدة ودفها جنبها او صفحة جنبها . «٨» م ؛ ع : البق عظام البعوض . «٩» م ؛ ع : جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . «١٠» م ، ع : اي سرعة . «١١» م ، ع : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل والرمل . «١٢» لعله ؛ هويا .

فجئتهم قبل القرى وقريتهم قرى لم يكن نزراً ولم يأت مقنما
وماء قديم قد مضى دون عهده اوارده عشرون حولاً متمما
وعن شزب (١) شمث النواصي كأنها سراحين يحملن الوشيج المقوّما
عليهن منا كل اروع ماجد كريم اذا ما عارض (٢) الموت اوسما (٣)
اخو حملات يعلم القوم انه ضروب بنصل السيف ضربا غشمشما (٤)
لحقت بهم جمع القطامي بعدما دنا من يسير (٥) الصبح ان يتكلما
غداة التقينا لا سفيرة بيننا سوى مخلصات (٦) تترك الهام اقمما (٧)
يكر عليهم مخطفات (٨) كأنها صقور المضري كان للصيد مطعما
كأن على المشوين (٩) منا ومنهم عمائم تسقى حالك اللون عندما
سلو قرن مرفوع (١٠) فقد كان شاهداً غداة التقينا اينا كان اكرما

للبحث صلة

«١» م، ع : اي ضمر . «٢» م، ع : العارض السحاب المعترض في الافق .
«٣» م، ع : كذا في الاصل وصوابه اوشم ومن قولهم اوشمت السماء بدا منها برق واوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً قال الشاعر : ﴿ حتى اذا ما أوشم الرواعد ﴾
«٤» م، ع رجل غشمشم جريء ماض لا يثنيه شيء عما يريد ، ويقال ضرب غشمشم ومنه قول القحيف بن عمير :

لقد لقيت افناء بكر بن وائل وهزان بالبطحاء ضربا غشمشما

«٥» م، ع كذا في الاصل . والصواب بشير الصبح اي المبشر به .
«٦» م، ع اي سيوف اخلصت اي جعلت خالصة قال الحصين بن الحمام

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود مبهما

«٧» م، ع الاقمم الذي اصابه داء فقتله . «٨» م، ع ضوامر «٩» م، ع يقال أشوى الرجل اذا اصاب شواه وهي جلدة الرأس . واليدان والرجلان . والاول هو المراد . «١٠» لعله مدفوع .

الاستاذ جبر ضومط



أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية واحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق توفاه الله ليلة الاحد الواقع في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ في الثانية والسبعين من عمره بعد ان جاهد في خدمة العلم والادب واللغة العربية اربعاً وخمسين سنة ، وقد أقيمت له جنازة مهيبة وسير بنعشه مرفوعاً على اكف تلاميذه وعارفي فضله الى منتدى الجامعة الكبير حيث صُلي عليه ، ثم نقل الى سوق الغرب يشيعه موكب عظيم من زملائه وأصدقائه وتلاميذه ودُفن بكل احترام في مدفن أسرته .

(نشأته) — كانت ولادة الاستاذ جبر ضومط في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٩ في برج صافيتا من اعمال طرابلس الشام من ابوين فاضلين ولكنه مالبث ان مُني بفقد والده وهو في الثانية من عمره فقامت والدته بتربيته وأحسنت فيها مع انه كان وحيداً لها .

تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الاميركان في مسقط رأسه ثم انتقل

منها الى مدرسة عبيه العالية ١٨٧٠ ودرس فيهـا سنتين متواليتين استعداداً لدخول المدرسة الكلية في بيروت وفي سنة ١٨٧٢ التحق بالقسم العلمي من هذه الكلية (بكلية العلوم والآداب) ونال رتبة بكالور يوس علوم ١٨٧٦ وكان ممتازاً بقوة عقله ومقدرته على حل المسائل الرياضية ·

(حياته التعليمية) — بعد ان أحرز البكالور يا قصد حمص وعلَّم في مدرسة المرسلين الاميركية نحو نصف سنة ثم انتقل منها الى طرابلس الشام وتولى التدريس في مدرستي الاميركان العاليتين فيها مدة ثماني سنوات كان في خلالها يطالع مؤلفات الفيلسوفين هربرت سبنسر وتشارلس داروِن وقد نشرت بعض مقالاته في ذلك العهد مجلة المقتطف والنشرة الاسبوعية في بيروت ·

(أسفاره وأعماله فيها) — وكأنه سئم التدريس المتواصل وهو لا يزال في إبان شبابه وعنفوان طموحه فغادر طرابلس في سنة ١٨٨٤ الى الاسكندرية واشتغل مدة في إدارة جريدة المحروسة وترجم لها كتاب دفاع عن عرابي باشـا لمحامٍ انكليزي · ثم برحها الى مصر وكانت بريطانيا العظمى في حاجة الى تراجمة للحملة السودانية التي عبأتها لانقاذ غردون باشا فتطوع الاستاذ ضومط مع صديقه جرجي زيدان لهذه الخدمة وعينا ترجمانين في تلك الحملة وصحباها الى السودان وعادا في العام التالي بعد ان عانيا من اختبارات الحملات العسكرية وأهوالها ما عانياه — وما بقي اثره بليغاً في نفس الاستاذ ضومط أورثه الكره الشديد للسياسة الاستعمارية كل ايام حياته ·

وأقام الصديقان جبر ضومط وجرجي زيدان في بيروت يدرسان العبرانية والسريانية استعداداً للاشتغال في احدى جامعات اوربا · وسافرا الى انكلترا وأقاما في لندن مدة من الزمن يترددان الى المتحف البريطاني والى بعض مكاتب لندن الشهيرة · اما الاستاذ ضومط فقد كان من نتاج درسه لهاتين اللسانين انه وضع باكورة مؤلفاته كتاب « خواطر في اللغة » ثم عاد الصديقان الى الوطن للعمل بين اخوانهم ·

(استئناف الخطة التعليمية) — كان الاستاذ ضومط قبل سفره الى بلاد الانكليز قد علَّم في مدرسة كفتين العالية للروم الارثوذكس بضعة اشهر فلما آب من سفره عاد الى وظيفة التعليم في هذه المدرسة ولازمها ثلاثة أعوام حتى انتدبته الكلية السورية

الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) لادارة الدروس العربية فيها وكان ذلك سنة ١٨٨٩ على اثر استقالة سلفه الاستاذ المهندس يوسف افتيموس . وقام الاستاذ ضومط بادارة الدروس وأعباء التعليم والتهذيب خير قيام مع ما كان يلاقيه مدرسو العربية من مثبطات الهمم سواء أكان ذلك من اولياء الطلبة ام من الحكومة الحميدية في ذلك العهد .

وقدرت الكلية مواهبه العقلية وجهوده في التعليم فمنحته رتبة معلم علوم سنة ١٩٠١ ورفعت مقامه الى كرسي أستاذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩ على اثر اعلان الدستور وتنبه الحياة القومية في السلطنة العثمانية .

(مؤلفاته) — ومما يدل على مقدرة الاستاذ ضومط العقلية واجتهاده العلمي مع انه كان يلقي الدروس العربية بنفسه على الصفوف العالية و يقوم بالواجبات المدرسية المتعددة وكان رب أسرة كبيرة — فانه تمكن مع كل ذلك من وضع المؤلفات القيمة في الموضوعات التي درسها .

كانت باكورة مؤلفاته خواطر في اللغة — الكتاب الذي طبعه بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦ وقد تناول فيه اكثر المبادئ التي سارت عليها اللغة في نشوئها . قال الدكتور يعقوب صروف (في المقالة التي أعدها قبيل وفاته لتُتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذهبي) « المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قلّ منهم من يُبقي أثراً يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومئتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او الالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وأمثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو . ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من بحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعد بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت ما بلغته . وهذا شأن العربية — ولكنني لا أعلم ان احداً أطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط ... والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع لمعرفته العبرانية والسريانية ...

ولو عرف الحميرية والحبشية لزاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض . فهو مثل ورنر وليل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك وداروين في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعضها ، ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء .. فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث و يكون متضلعاً من العربية والسريانية ومن الحميرية والحبشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيميط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية ؟ » .

وألف كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان وطبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٨٩٦ ونحا في تأليفه نحواً جديداً يلائم حال الطلبة في هذا العصر وما هم عليه من تعدّد الدروس اليومية وانقلاب نسق التدريس من مجرد سماع شرح الاستاذ الى أمثولة معينة يكلفون درسها بانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني . وقد اكثر من الأمثلة والايضاحات والاعادات على ما يقتضيه الاسلوب التعليمي الكي يقرب لافهام الطلبة ما كان بعيد المنال عليهم .

ثم لم يلبث ان أردف كتاب الخواطر الحسان بكتاب فلسفة البلاغة وطبعه بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ وقد حاول في هذا المؤلف ان يقرر المبدأ العام الذي تنتهي اليه كل قواعد البلاغة وتتشعب عنه جميع تفرعاتها وضوابطها الكثيرة وهو الاقتصار على انتباه السامع وعلى التأثير فيه .

وكانت الحاجة ماسة الى مؤلف جديد في علم النحو فنشط الاستاذ ضومط لسد هذه الحاجة ووضع كتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وطبعته المطبعة الادبية في بيروت . وقد أراد به ان يكون لفهم الطالب اكثر مما هو لحفظه ولتنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة به . وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه الى العقل فهي مما لا يعتد به .

ومما يدل على ما أحرز كتاب الخواطر العراب من المكانة عند أئمة اللغة كتاب بعث به الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيه يخاطب

الاستاذ ضومط — « قصرت في الاسراع الى شكرك لما أتحفت به اهل لغتك من ذلك الكتاب الذي تجلى فيه ذكاؤك واعتدال رأيك في أحسن صورة — كتاب لم تفتك فيه فضيلة الابداع ، ولم تنقصك مزية حسن الاتباع . اقتفيت اثر سلفك في تجويد الرأي واحترام مقام العقل ، فلم يهبط بك التقليد الى مايحط بالعمل و يسقط من قيمة الكد في الجد . ثم ابتدعت في تركيب كتابك على ماهو أقرب الى الفهم وأدنى الى التقريب من حقيقة العلم ... جزاك الله عن نفسك خير مايجزى به عامل عن عمله ، وجزاك عن أهل لغتك أفضل مايجزى به محسن عن احسانه » .

وكان كاتب هذه الرسالة يدرّس علم الصرف في الدائرة الاستعدادية من المدرسة الكلية في ذلك العهد وكان الاستاذ ضومط لايزال ينوي تتميم مؤلفاته في علوم اللغة فاتفقنا على وضع كتاب « فك التقليد » في علم الصرف وطبعناه في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ وقد قلنا في مقدمته اننا تطاولنا فيه الى الدعوى انا مجتهدون لم نتبع ولم نقلد . وسواء أصحت هذه الدعوى ام لم تصح فاننا ننبه بها كثيرين الى ان الاجتهاد في هذا الفن لم يزل بابه مفتوحاً لكل مؤلف . وحسبنا ان ننبه الخواطر الى هذه الحقيقة الراهنة ، فان اكثر الطلبة والمدرسين ان لم نقل كلهم يؤخذ من ظاهر أحوالهم انهم يعدون علم الصرف من العلوم التي أغلق فيها باب الاجتهاد فما كُتب فقد كُتب لا يجوز لمؤلف ان يتطاول الى خلافه . وفي هذا ما فيه من جمود الفكر وجمود لغتنا العربية الشريفة على ما كانت عليه في علم أفراد قلائل منذ بضع مئات من السنين الى الآن » .

وكان آخر مانشره الاستاذ ضومط بحث في من هو كاتب سفر التكوين وأجاب على سؤاله هذا بقوله هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لا موسى الكليم — بانياً رأيه هذا على مااستنتجه من درس اسفار العهد القديم ولاسيما الاسفار الخمسة ونقد سفر التكوين وتحليله باعتبار ان يوسف كاتبه لا موسى .

وقد جمعت المقالات التي نشرها الاستاذ ضومط في مجلتي المقتطف والهلال وطبعت معاً في كتاب واحد بمطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ تحت عنوان فلسفة اللغة العربية وتطورها .

(تقاعده عن التدريس و يوبيله الذهبي) — وفي سنة ١٩٢٢ تقاعد الاستاذ ضومط

ن اعمال التدريس فأطلقت عليه عمدة الجامعة لقب أستاذ شرف للغة العربية . وفي أواخر نيسان سنة ١٩٢٨ احتفل تلاميذه واصدقاؤه الكثيرون بيوبيله الذهبي . اقاموا الحفلة في منتدى الجامعة الاكبر وشهدها جمهور عظيم من وجوه بيروت وادبائها وفضلائها يتقدمهم رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومتها . وتكلم في الحفلة فريق من زملاء الاستاذ وتلاميذه وتليت رسائل و برقيات التهنئة من الكثيرين ممن لم يتمكنوا من حضور الحفلة . وناب عن المجمع العلمي العربي في دمشق الاستاذ فارس بك الخوري . ومما زاد في رونق ذلك اليوبيل ان فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قام في مستهل الحفلة وعلق على صدر الاستاذ ضومط وسام الاستحقاق اللبناني وقد اهدت اليه ايضاً رئاسة حكومة سورية الجليلة وسام الاستحقاق السوري .

(اخلاقه وصفاته العلمية) — تحلّى الاستاذ ضومط بصفات المعلم الصالح — امتلك ناصية الموضوعات التي كان يدرّسها بما خصه الله من قوى العقل الثاقب ومن الجهد في الاكباب على الدرس والتقصي في المسائل التي كان يعالجها . اكتسب محبة تلاميذه واحترامهم بغزارة علمه وكرم اخلاقه — بلطفه في معاملتهم واخلاصه في ارشادهم وقد كان يجريهم مجرى بنيه . اختطّ لنفسه أسلوباً جديداً في التعليم وحبب الى تلاميذه درس العلوم العربية على صعوبتها . كان مع جرأته العلمية وديعاً متواضعاً بعيداً عن الدعوى لا يغمط حق زميل او يحاول الحط من كرامته اذا تحدّث عنه . كان ذا شخصية محترمة عالماً عاملاً بعلمه لا يكذب قوله فعله . وفوق هذا كله كان شديد الوطنية يحض الناس على التشبث بكل ما يعز الوطن و يحفظ مقوماته الادبية والاقتصادية والاخلاقية . وان في كثير من خطبه العمومية ومن المقالات التي نشرت في المجلات ما يؤيد ذلك .

هذا غيض من فيض مما يجب ان يقال في أستاذنا الفقيد الخالد الذكر وفي ما خلف بعده من الاثر الباقي والسيرة الصالحة .

بيروت : بولس الخولي
عضو المجمع العلمي العربي

نجوى آدم

رمت بآدم أبدٍ ما أحيط بها ... عن عالَم مائج الظلماء غربيب
رمت به في عراءٍ كله عجب ... فحار آدم في تلك الأعاجيب
انى تلفّت لم تأخذ نواظره ... الا تحاسين من شتى الأساليب
شمس تضاحك من علياء هامتها ... روضاً يميد بريّان التعاشيب
وأنجم في كفاف الأفق لاهية ... في أفقها بين تشريق وتغريب
فقال آدم : ما للشمس باسمة ... هيهات ما انقصت شجوي وتعذيبي
فما الذي في مجال الطرف يطربني ... أصحوة الجو أم دفق الشآبيب
أم نظرة من رفيف الفجر ناعسة ... كأنها غمزة من عين محبوب
أم نفثة من شفاه الورد ناعمة ... كأنها فرجة عن صدر مكروب
أم موجة في عصيف الريح صاخبة ... كأنها غضبة في وجه مغضوب
أم هبّة من نسيم البان لينة ... تناعم الخدّ في صبح وتأويب
هواي في شبح نشوان من مرح ... ألهو به في دجى ليلي ويلهو بي
أعطيه حبي و يعطيني محبته ... نذوب في مثل في الحب مضروب
نشدو فوافي الهوى في ظل ألفتنا ... حياتنا في الهوى شعر المناسيب

* * *

وبينما آدم في خلوة قلِق ... في جاحم من أجيج الغم مشبوب
يبعّد الغم عنه او يقرّبه ... حيران في بعده عنه وتقريب
إذ روح حوّاء في عطفيه رامضة ... العوبة العين ، ويحًا للألاعيب
فيها من العالم المجهول أمثلة ... من كل فنّ وفيها كل أسلوب
فقال آدم لما هاج هائجه ... مرحّباً بسناها اي ترحيب
ما الموج ما الفجر ما الريحان من أربي ... لولاك لم ألف للريحان من طيب
فما تنفّس هذا الورد في سحر ... الا ليفترّ عنه ثغر رعبوب

يا دمية حجبت عني محاسنها حتى تذوقت حسناً غير محجوب
كأنما وهبتك الشمس رونقها يا خير موهبة في خير موهوب
ألقت شعاعاً على عينيك مؤتلقاً بريق عينيك مأمولي ومرهوبي
هذي الروائع فيها الحس منتقد اذا نعمت فلم أنعم بمكذوب
غدائر كصفيح اليم مائجة تكاد تلمع في سود الغرابيب
وبسمة كحفيف الروض هادئة تحنو على لجب الاشجان مشجوب
حتى تسل من الملهوف لهفته فلست تلقى عليه ظل تقطيب

* * *

هيهات ما ملأت عيني ولا أذني عوالم حسها حس الأناصيب

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الارب »

نشرت مجلة المجمع العلمي في عددها السابع من أعداد سنة ١٩٢٩ فصلاً[١] ممتعاً للاستاذ المغربي عن تصحيح الجزء السابع من كتاب نهاية الأرب الذي تقوم بنشره دار الكتب المصرية ، وقد أورد الاستاذ في هذا الفصل طائفة من عبارات هذا الجزء وذكر ان التعبير في بعضها صواب ، وفي البعض الآخر أصوب ، ونحن مع شكرنا الخالص لحسن جهاده وفضل اجتهاده ، نرى ان نبين له وللقراء والادباء وجهة نظرنا في هذه العبارات التي اعتبرها خطأ واعتبرناها نحن صواباً خدمة للعلم وتمحيصاً للبحث :

(١) — جاء في ص ٣ س ٥ من هذا الجزء (اتى صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ، وفلّ حد المؤرخين) اه . وقد أراد المؤلف بقوله : (وفلّ حد المؤرخين) انه قد ذكر في القرآن من انباء القرون الاولى ، وقصص الانبياء والرسل الماضين ، وأحوال الامم السالفة مالا علم به للقصّاص وأصحاب الاخبار من علماء الاديان الأخرى الذين كانوا في هذا العصر ولم يمكنهم الوصول الى معرفته قبل القرآن ، وقد عدّ الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الانباء والقصص من وجوه الاعجاز في كتابه ، ودليلاً من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى في سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

ذلك ما فهمناه من كلمة : « المؤرخين » في عبارة المؤلف ، وذكر الاستاذ ان صواب

---

(١) نشرت هذا الفصل في مجلد السنة التاسعة (ص ٣٨٥) وفيه ٦٤ تصحيحاً وقد ناقشني الاستاذ صاحب هذا المقال في صحة نصفها وسكت عن الباقي . ولم أر لزوماً لإعادة القول فيما ناقشني فيه لظهور امره .

« المغربي »

العبارة : (وفلّ حد المعارضين) واحتج لذلك (بانه لم يكن في بلاد العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخون) اه . ونحن نقول : ان الذي كان غير معروف في بلاد العرب انما هي التسمية بالمؤرخين فقط لأنها تسمية ظهرت في العصور الحديثة ، اما العلم بمسمى التاريخ وهو القصص والأخبار فذلك كان معروفاً لديهم ، شائعاً بين علماء الأديان في هذا العهد ، ويدل على ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه حكاية عن الكفار في تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا) وإذن فلا نرى مقتضياً لتغيير كلمة (المؤرخين) الموجودة في الأصل (بالمعارضين) مع ظهور المعنى السابق وبعد الثانية في رسم الحروف من الاولى وان كان المعنى يستقيم بها ايضاً .

(٢) — وجاء في (ص١٩ س٦) بعد ان أورد المؤلف قوله تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم) قال : (فوصف نفسه تعالى جدّه بان علّم بالقلم كما وصف به نفسه بالكرم) اه كلام المؤلف ويريد بهذه العبارة انه كما وصف نفسه تعالى بالتعليم بالقلم وصف نفسه بسبب ذلك التعليم بانه كريم ، فالباء في قوله : « به » للسببية والهاء ضمير يعود على التعليم بالقلم ، وإذن فقوله : (به) غير زائد ولا حشو وليس من الصواب إسقاطه كما رآه الاستاذ ، بل لو أسقط لضاع بذلك معنى في العبارة لا يؤدى الا به .

(٣) — وجاء في (ص١٩ س٦) (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) قال الاستاذ : صوابه : (واعتد ذلك) باسقاط باء الجرّ ، واحتج لذلك بان (اعتد) هنا بمعنى (عدّ) وهو (يتعدى بنفسه) اه كلام الاستاذ : وأقول : ورد في المصباح المنير انه يقال : اعتددت بالشيء على افتعلت ، اي ادخلته في العدّ والحساب ، والشيء معتد به ، اي محسوب غير ساقط اه كلام المصباح ، وعلى هذا فإثبات الباء في قوله : (بذلك) صحيح لا خطأ فيه ، لان اعتد كما يتعدى بنفسه يتعدى كذلك بالحرف .

(٤) — وجاء في (ص١٩ س١١) في ذكر الدواة وما يجب على الكاتب من اصلاحها ، قال : (فلينعم ربها واصلاحها) اه . وقوله : (ربها) بالباء الموحدة يحتمل معنيين اولهما انه مصدر قولهم : رب فلان الامر اذا أصلحه وأحسن القيام عليه ، يريد انه يجب على الكاتب ان يتعهد دواته ويحسن القيام عليها بسائر ضروب التحسين ، وإذن فيكون

عطف الاصلاح عليه من قبيل عطف التفسير وثاني المعنيين ان المراد بالرب هنا : التطييب يقال : ربّ فلان الدهن اذا طيبه ، وقد كان بعض الكتاب كالحسن بن سهل وغيره يطيبون دواتهم بالمسك وغيره من انواع الطيب وعلى هذا فقوله (ربّها) صحيح لا بعد فيه ولا تكلف ولا ينبغي لذا ان نغيره الى ما اختاره الاستاذ من إثباتها بالياء المثناة التحتية مادام الاصل مستقيما .

(٥) — وجاء في (ص٢٥س٢) في صفة الاقلام : (تفصح باود القدود) اه . ذكر الاستاذ أن صوابه (تفضح أود) الخ ونقول انه يريد بقوله (تفصح باود القدود) ان هذه الاقلام تحاكي القدود محاكاة تامة حتى كأنها تعبر عنهـا تعبيراً فصيحاً ان يراها وهذا أبلغ في التشبيه وأدق في أدائه ، فان هذه العبارة تتضمن تشبيهين : احدهما تشبيه الأقلام بالقدود ، وثانيهما تشبيه تلك المشابهة بتعبير اللفظ عن المعنى في وضوحها ودلالتها على ان هذا التعبير قد ورد في الشعر ، قال الشاعر :

وطرف يترك الأبطال صرعى   بلا جرح ويعبث بالحلوم
ووجه مفصح بالصبح تبدو   على قسماته سيما النعيم

(٦) — وجاء في (ص ٣٧س٧) في الكلام على اللفظ المجازي وسبب تسميته مجازاً ما نصه : « وصف بانه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ، ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره » اه كلام المؤلف . ويقول الاستاذ : « ان صوابه (يقف فيه) بالفاء بدل (يقع) بالعين المهملة » اه ونقول : ان الوقوع هنـا بمعنى الحصول ، والمراد ان الكلمة المجازية حين استعمالها في غير ماوضعت له قد وقعت اي حصلت في غير مكانها الاصلي ، وكثيراً مايستعمل الوقوع بالعين وصفاً للألفاظ فيقال : هذه كلمة وقعت موقعها وهذا اللفظ وقع في موقع هذا ، ولم نجدهم استعملوا في ذلك الوقوف بالفاء فلم يقولوا : هذه كلمة وقفت في مكانها او وقفت موقف كذا ، واما قول المؤلف بعد ذلك (كالواقف في موقف غيره) فهو تشبيه لتقريب المعنى .

(٧) — وجاء في (ص٦١ س١٤) في الكلام على الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل بان الاول يفيد الثبوت بخلاف الثاني ما نصه : «بل جعل الانطلاق

او البسط مثلاً صفة ثابتة ثبوت الطول او القصر » الخ كلام المؤلف ، قال الاستاذ : « صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) » اه . ونقول : ان إسقاط كلمة كهذه من الاصول التي بين ايدينا بدون حجة قوية لإسقاطها امر خطير لا يصح ان نرتكبه ، والا فقد اخللنا بالأمانة الواجب على المصحح مراعاتها ، ومع ان المصادر التي بين ايدينا لهذا الكلام قد تضافرت على اثبات هذه الكلمة فان المعنى على اثباتها مستقيم لا غبار عليه واما احتجاج الاستاذ لرأيه بانه لم يسبق في كلام المؤلف مثال فيه وصف بالإنطلاق ، فهو احتجاج لا يسوّغ لنا إسقاط هذه الكلمة لجواز ان يكون المؤلف قد اكتفى عن ذكر هذا المثال بالبيت الآتي بعد هذه العبارة وهو قوله :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

واما استظهار الاستاذ ان يكون هذا البيت كان متقدماً في الكلام ، وقد أخر سهواً فيمنعه ان ارتباط الكلام واتساقه من اول الفصل الى هذا البيت لايجعلنا نشعر بان البيت في غير موضعه بل اننا لا نجد في الكلام السابق موضعاً يصح ان يكون هذا البيت فيه .

(٨) — وجاء في (ص٩٧س١٦) هذا البيت :

حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعامته من عارض متلبب

وقلنا في تفسير لفظ (المتلبب) انمعناه المتحزم بالسلاح ، يريد المتهيء للحرب ، وقد نقلنا هذه الكلمة عن كتاب حسن التوسل اذ كان لفظها في الاصل محرفاً ، وقد اعترض الاستاذ على هذا التفسير « بان (المتلبب) بهذا المعنى لا يناسب ان يكون صفة للعارض فان العارض هو السحاب المعترض في الأفق » واستظهر « ان لفظ العارض محرف عن كلمة (الفارس) وإذن يستقيم الوصف » اه كلام الاستاذ . ونقول : ان العارض هنا معناه الجيش تشبيهاً له في كثرته وكثافته بالسحاب المتراكم في الأفق ، وهو جيش المهلب بن ابي صفرة الذي كان يقاتل قطري بن الفجاءة ، وقد شاع بين الشعراء استعارة لفظ العارض للجيش ، ومنه قول الهذلي يرثي اهل أنف عاذ :

من الأسى اهل انف حين جاءهم جيش الحمار ولاقوا عارضاً بردا

يريد ولاقوا جيشاً كالعارض الكثير البرد وإذن فوصف العارض بالمتلبب مستقيم لا غبار عليه من النقد ولا ينبغي ان نستبدل لفظ (العارض) الوارد في الاصل : بلفظ

(الفارس) كما رآه الاستاذ مع استقامة المعنى على الاول ، وبعد الكلمتين في رسم الحروف من بعضها ٠

(٩) — وجاء في (ص١٢٥س١١) في الكلام على عتاب المرء نفسه ، قال المؤلف : « ان هـذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم ينشد عليه اي ابن المعتز سوى بيتين ذكر ان الآمدي انشدهما عن الجاحظ » اه كلام المؤلف ٠ وقد كتبنا على قوله : (الآمدي) مانصه : « كذا في الاصل وحسن التوسل ، والذي في تحرير التحبير وخزانة الأدب للحموي : (الأسدي) ولم نقف فيمابين ايدينا من المظان على مايرجح احدى الروايتين) اه وقد اعترض الاستاذ على شكنا هذا في انه : (الأسدي) او (الآمدي) ورجح ان يكون المنشد هو (الأسدي) واحتج لذلك « بان الآمدي وهو ابوالقاسم الحسن بن بشر بن يحيى قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد » اه ٠ ونقول : اننا لم نشك هذا الشك الا بعد ان راجعنا كتب الأدب التي بين أيدينا والمعاجم التي اشتملت على اسماء الرواة فلم نقف على من ينسب الى بني أسد من رواة الشعر والاخبار ونحن مع علمنا بان ابا القاسم الحسن بن بشر قد توفي بعد ابن المعتز بزمن بعيد فليس ذلك مزيلاً لشكنا لجواز ان يكون الذي أنشد البيتين رجل آخر غير ابي القـاسم ينسب الى (آمد) فان (آمد) من البلاد التي ينسب اليها خلق كثير من اهل العلم ، في كل فن كما في ياقوت ٠

(١٠) — وجاء في (ص ١٨٦س٨) قال المؤلف : « وليكن ماتختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله » الخ كلام المؤلف ، وقد اعترض الاستاذ على قوله (بمثل) بان الباء زائدة ورأى ان الصواب إسقاطها محتجاً لذلك بان (مثل) خبر لقوله (يكن) اه ٠ ونقول : وما المانع من ان يكون قوله : (بمثل) متعلقاً بمحذوف خبر لقوله (يكن) وفي كتب النحو ان الخبر كما يكون مفرداً يكون جملة وشبـه جملة كذلك و يريدون بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وإذن فيكون تقدير الكلام « وليكن ماتختم به فصولك مقترناً بمثل (نسأل الله) الخ يقول : « انه يتعين على الكاتب في ختام رسائله في التعزية مثلاً ان يقرنه بالدعاء للمكتوب اليه ان يدفع الله عنه المحظور ، ويصرف عنه المكروه » الخ وقد بني الاستاذ نقده على ظنه « ان الباء في قوله : (بمثل) زائدة فقال :

(ان هذا ليس من المواضع التي تجوز فيها زيادة الباء) اه وليس كذلك كما بينا ، فان الباء اصلية في الكلام ٠

(١١) — وجاء في (ص١٩٥ س ١٠) يصف استسلام عدو : (فلاذ بالالتجاء الى سلمنا ، وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحلمنا) الخ وقد ضبطنا (إسناد) بكسر الهمزة وهو مصدر قولك : أسندت كذا الى كذ اذا جعلته متكأً له ومعتمداً ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان ذلك العدو قد عاذ من بأسنا بان أسند رجاءه الينا اي جعل حلمنا متكأً لرجائه ، ومعتمداً لآماله ، وقد اعترض الاستاذ على ضبط (إسناد) بكسر الهمزة وقال: « ان المعنى لا يستقيم عليه واستصوب ان تكون (إسناد) بفتح الهمزة على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما اه ٠ ونقول : ان قول الكاتب بعد : (الى كفنا عنه) يؤيد ما أثبتنا كما يمنع ما رآه الاستاذ ، وقد اعترف هو بذلك ، و يرجح ما أثبتنا ايضاً مقابلة الإسناد في هذه الجملة بالالتجاء في الجملة السابقة ، فكلتا الكلمتين من واد واحد ، فاذا صح ان يلوذ العدو بالالتجاء وهو مصدر صح ان يعوذ باسناد رجائه اذ لا فرق بينهما ، على ان الكاتب لا يريد بالالتجاء والإسناد معناهما المصدريّ ، وهو نفس الحدث بل يريد المعنى الحاصل به ، والفرق بينهما في كتب القواعد مشهور ٠

(١٢) — وجاء في (ص١٩٩ س١٧) في وصف مارق يمالئ الاعداء : « وجرّ لنفسه بموالاة التتار عناء كان عنه في غنى ، وأوقع روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا » الخ ٠ قال الاستاذ : قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه اه ٠ ونقول : وكذلك (المظافرة) بالظاء مصدر ظافره اذا ناصره ، وهو مشتق من الظفر بفتح الظاء والفاء وهو النصر ، فمعنى المظافرة ، المناصرة ، وهذه الكلمة وان لم ينص عليها في كتب اللغة مادة (ظفر) الا ان صيغة المفاعلة قياسية في كل فعل يراد جعله مشتركاً بين اثنين كما نص على ذلك في كتب القواعد ، واذ قد نصوا على قياسية الصيغة فلا موجب لتتبع أمثلتها في كتب اللغة ٠

(١٣) — وجاء في (ص ٢٠١ س٨) ذكر المؤلف « انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناشير والتواقيع امور : منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة »

الخ . والمراد بالحال هنا الصفة التي يتصف بها من صدر له التقليد او التوقيع كالخبرة بفنون الحرب حتى استحق ان يقلده الملك قيادة جيشه ، اوالحذق بالامور الحسابية حتى استحق ان يجعله الملك على ديوان خراجه ، او العلم الواسع بالفقه وأحكام الشريعة حتى كان اهلاً لان يتولى القضاء او الافتاء مثلاً ، ذلك مافهمناه من كلمة (الحال) بالحاء المهملة . وقد قال الاستاذ : « لعل صوابه (المال) بالميم ، واحتج لذلك بان تواقيع الملوك كما تصدر بالرتب تصدر كذلك بالمال اه . ونقول : اذا صح المعنى على الاولى فلاموجب لتغييرها بالثانية مادام الاصل مستقيماً لا عوج فيه .

(١٤) — وجاء في (ص٢٠٤س١١) « وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح » الخ . يقال : أظله الشيء اذا غشيه كما في القاموس ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان السيوف قد غشيت الأعداء فأبادتهم كما أبادت قوم نوح دعوته عليهم ، وقد استصوب الاستاذ ان تكون الكلمة (وأطلت على الأعداء) الخ بالطاء المهملة واحتج لذلك (بان الإظلال بالظاء المعجمة للرحمة اما السيوف لا تظللهم برحمتها) اه . ونقول ان تفسير اهل اللغة الإظلال بالغشيان عام ليس مقيداً بالرحمة او العذاب ، على ان الظل ، وهو اسم للإظلال قد ورد استعماله في العذاب ايضاً كما ورد استعماله في الرحمة . قال تعالى : « الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب » واذا سلمنا ان الإظلال يستعمل في الرحمة فلمَ لا يكون استعماله هنا في العذاب من قبيل التهكم الذي يستعمله البلغاء كثيراً على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » و يقول الاستاذ (ان فعل الإظلال يتعدى بنفسه لا بالحرف) ونقول (ان هذا الفعل يتعدى « بعلى » ايضاً) فيقال أظل عليه ، كما يقال (أظله) كما في كتاب أقرب الموارد .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

الامتيازات الأجنبية

« تأليف محمد عبد الباري »

(الامتيازات الاجنبية) — علة الشرق عامة ، والدول الاسلامية منه خاصة . كانت منحة الكريم المضيف ، قلد بها عنق المضيف الضعيف . فعادت مع الايام غلاً في عنقه ما يستطيع منه فكاكاً ، ولا يطيق معه حراكاً .

وليس يعرف شر هذه الامتيازات ، الا امرؤ قضى عليه نكد الطالع ان يعامل في بلده اجنبياً سيئ المعاملة شرس الطبيعة ، او آخر عانى القضاء وكان احد الخصمين في احدى قضاياه أجنبياً ، فهناك القانون مدوس ، والحق مضاع . فلا أوراق تبلغ ، ولا مجالس تعقد ، ولا أحكام تنفذ — ان هي نفذت — الا بشق الأنفس ، وبعد السنين الطوال .

فليس عجيباً بعد هذا ان لا تعد في الدول المستقلة دولة ترهقها هذه الامتيازات ، ولا غريباً ان يكون هم الدولة اول ما تستقل ان تفلت من ربقة هذا القيد مهما كلفها الامر .

ومن لم تستطعه من الدول غلاباً ، كما فعلت تركيا والفرس والافغان والصين واليابان ، حاولته طلاباً ، كما تفعل الدول المستضعفة الى اليوم ، ومنهن : نحن ومصر .

شتان ما يومي على كورها ويومُ حيان اخي جابر

هذا ما دعا السيد الفاضل محمد عبد الباري الى ان يضع كتابه (الامتيازات الأجنبية) ولقد قدم هذا الكتاب الدكتور عبد الرزاق السنهوري بمقدمة ممتعة ملأى بالأنظار القانونية ، تعرض فيها للمقترحات البريطانية فنقدها نقداً صحيحاً وجرحها من حيث مساسها باستقلال مصر القضائي . ثم تناول المؤلف الكلام فبرهن على « ان في الامتيازات معارضة لمبدإ المساواة ، وهدم لأهم اركان القانون العام ، وقضاء على سلطان الدولة » .

ومضى يقدم الحجة بعد الحجة على فساد هذا النظام ، ويهدم المعذرة بعد المعذرة يستند اليها الغاصب في تبرير موقفه وتمسكه بالامتيازات ، ولو ان الحق ينال بنفسه

وفوته ، لكان خليقاً بمثل الحجج التي أدلى بها المؤلف ان تدفع عن مصر هذا الكابوس. ولكنك تسمع من ؟

وهل الابقاء على هذه الامتيازات، وتوسيع ولايتها بشمولها من لم تكن تشمل من قبل، والاستمساك بها من غير تبديل ولا تعديل ، الاّ دليل على ان الغرب يريد ان يبقي هذه الامتيازات في حيث يستطيع من بلاد الشرق لسبب آخر غير الحاجة اليها من وجهة الحق والعدل ، وحماية القلة ، الجنسية او المذهبية ؟

واستنتج المؤلف ان الامتيازات ليس مصدرها اسلامياً « وانما هي من اصل روماني عرفته اوربا قبل ان تعرف الاسلام . وأساس هذا النظام فكرة (محلية القوانين ومركزيتها) واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية الراقية تباشر تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية ، ولم يفرضوا تطبيق القانون الروماني العام الا في الامور ذات الارتباط بالشؤون الرومانية العامة » .

والكتاب قيم مفيد ، لايستغني عنه رجل يعنى بدراسة القوانين في البلاد العربية التي ترزح تحت هذا النير .

عارف النكدي

نيل الوطر

« من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة »
« الحسني اليمني الصنعاني »

مما تثلج به النفس، ان هذه النهضة العربية لايختص بها قطر دون قطر ، بل هي تكاد تعم الاقطار العربية جميعاً ، على تفاوت بينهن تقتضيه حال كل قطر، من سبق في الأخذ باسباب النهضة الحديثة ، او موقع جغرافي ، او غير ذلك من العوامل الاجتماعية .

وهذا الكتاب الذي جاءنا من اليمن فساق هذه الكلمة ، يقع في اربعمائة صفحة ونيف فيه مئتان وخمس عشرة ترجمة من رجال اليمن جلهم ممن عانى الفقه، وقال الشعر ، وعرف بالتقوى والزهد . وقد أورد المؤلف رجاله على النمط الذي فعله ابن خلكان وابن البسام وغيرهما ممن الفوا في التراجم .

وفي هذا الكتاب كثير من الشعر ، منه طائفة تكاد تعد في الطبقة الوسطى اودونها قليلاً . وهذا الشعر في جملته أشبه بما كان ينظمه شعراء الشام ومصر لمئة او مئة وخمسين سنة خلت . اي في القرن الثاني للهجرة . أوزان والفاظ وتواريخ .

ولا يؤخذ على أشقائنا في اليمن ان يكون بيننا وبينهم قرن من الزمن . فلقد خالطت مصر والشام ، الغرب ولابستاه برهة من الدهر أثرت في نهضته وادبه هذا الاثر .

واليمن — من حسن حظها — لم توفق الى هذه الخلطة ، او بعبارة اصح لم تصب بها . فظل أدبها قاصراً بعيداً عن الروح الجديد .

واذا كان هذا الانزواء ناقصاً في ادبها ، فلقد كان حافظاً لاستقلالها ، وما ذا على اليمن ان يظل أدبها حيث هو ، واستقلالها خالصاً تاماً لا يشوبه حماية ولا استعمار . واي شيء هي هذه الصناعة اللفظية ، والبضاعة الكلامية ، في جانب الحرية الحقيقية ، والحياة القومية .

على ان في مكنة اخواننا في اليمن ان يستعينوا بادب اخوانهم العرب المخلصين : في مصر والشام ، فيستفيدوا من النهضة الغربية بالواسطة لا مباشرة . فيفوزوا بالحسنيين : الادب عالياً ، والاستقلال باقياً .

عارف النكدي

السوريون في مصر

رسالة للخوري بولس قرألي في هجرة السوريين المسيحيين الى مصر . وطأ لها بموجز عن تاريخ القطر الشقيق ، منذ القديم الى ايام محمد علي باشا مؤسس الأسرة المحمدية العلوية .

عارف

في اوقات الفراغ

— بقلم —

« الدكتور حسين هيكل »

رسائل في الأدب والتاريخ والأخلاق والفلسفة كتبها الدكتور حسين هيكل بك وجمعها في كتاب أهداه الى احمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية اعترافاً بفضله عليه .—

يصعب في مثل هذا المقام ان أطيل الكلام على خصائص هذه الرسائل ، فمن جملة هذه الخصائص الرأي المختمر ، والفكر الجديد ، وليس بقليل ان يكون الكاتب في عصرنا هذا صاحب رأي في موضوعات شتى كالفلسفة والأخلاق والتاريخ وأشباه ذلك ، ان العصر انما هو عصر تفكير ، والكاتب كل الكاتب من انبسط مداه في أفق هذا التفكير ، غير ان الفكر وحده قد لا يخلد صاحبه فلا بدَّ لهذا الفكر من قالب لفظي يجمع شيئاً من روح اللغة وعبقريتها ولكنَّ الدكتور حسين هيكل بك لا يوافقنا على هذا المذهب ، ان له رأياً في مسائل القوالب اللفظية غير رأينا ، واليك شيئاً من هذا الرأي :

« الأدب لا يقوم على الألفاظ ولا على العبارات التي يستعملها الكتاب بمقدار ما يقوم على الصور والمعاني التي تلهم بها خيالاتهم وتجود بها قرائحهم » .

فالدكتور حسين هيكل بك من أصحاب مذهب المعاني فالعبرة في نظر الدكتور بالمعنى لا بالمبنى ، فلو جرينا على هذا المذهب لما كان فرق بين الأدباء وبين غير الأدباء لان المعاني كما قال شيخنا الجاحظ في القديم مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وعلى هذا الرأي اكبر كتّاب فرنسة في عصرنا ، منهم « اميل فاكه » و « اناتول فرانس » .—

اما وقد عرفنا مذهب الدكتور حسين هيكل بك في الصيغ اللفظية فلا عجب اذا وجدنا في كتابته شيئاً من المسامحة والمساهلة في هذه الصيغ فقد تستفيض العجمة في كتاباته في بعض الأحوال فاذا كنت تعرف اللغة الفرنسية وقرأت كلام الدكتور

تصوّرت لك في الحال العبارة الفرنسية التي تقابل عبارته، من هذا القبيل قوله : ولتكون عندهم فكرة عامة من عالم بأسره ، فهذا التركيب انما هو تركيب فرنسي محض واليك التركيب الفرنسي : « afin qu, ilsaient une idée générale de tout un monde » فقد ينقل الدكتور العبارة الفرنسية حرفاً حرفاً دون ان يزيدها او ان ينقصها شيئاً اي دون ان يخلع عليها برداً عربيًا يستر عجمتها ، ومن هذا القبيل كثير من عباراته ، منهـا قوله : اني اعلّق الأهمية الكبرى على الكاتب ، فالذي يستخرج من هذا ان الدكتور حسين هيكل بك يفكّر تفكيراً أعجميًا اي انه تزدحم في صدره أفكار اقتبسها من قوم غير قومه فاذا أحبّ ان يؤدي الى قومه هذه الأفكار المختمرة في ذهنه أدّاها بصورها الأعجمية ، اما ان يكون الدكتور حسين هيكل بك أعجمي المعنى فهذا لا سبيل لنا الى مؤاخذته به فان افكارنا اذا لم يمتزج بها في هذا العصر كثير من الافكار الاوروبية المستحسنة جمدت ونضب معينهـا ، واما ان يكون الدكتور أعجمي المبني فهذا ما يسوءنا جداً لانه مصقول العقل مهذّب الفكر فلا ينبغي لهذا الفكر الصقيل ان تظهر عليـه آثار العجمة . —

وقد يقول لنا قائل : واي غضاضة على الدكتور حسين هيكل بك في هذا كله ، أما تفهمون كلامه ؟ أما تدركون مراميـه ؟ فسواء أكان أسلوبه أعجمي الطراز أم كان عربي النمط ان كلامه مفهوم ، قد يقول لنـا قائل هذا كله وشبه هذا ، فنحن نقول له : كل هذا صحيح ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا تزال تفوته عبقرية اللغة وروحها فقد اخذت تخنّق أسلوبه رائحة غريبة ، فأسلوبه فيه شيء من رائحة اللغة الفرنسية وفيه شيء آخر من العربية غير المصقولة . —

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

مبادئ الميكانيكا

« تأليف السيدين الدكتور احمد عبد السلام الكرداني المفتش بوزارة المعارف »
« وحسن الجندي المدرس بالمدرسة الخديوية بمصر »
يقع في ٣٧٢ صفحة وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة
سنة ١٩٢٩ م

قابلت هذا الكتاب بكتاب فرنسي كنا ندرس به في فرنسة وهو (كالكتاب الذي نبحث عنه) وضع وفق منهج مدارس التجهيز فاذا بكتابنا العربي يفوق الكتاب الفرنسي بكثرة تمرينانه ووضوح اشكاله ووفرة امثاله . ولغته جيدة اجمالاً واغلاطه العربية والمطبعية قليلة . وفيه بعض مصطلحات يستعملها المصريون تخالف مصطلحاتنا في الشام وربما كتبنا عنها على حدة .

والذي يعلم شدة حاجة اللغة العربية الى كتب مدرسية كهذا الكتاب و يدرك ما في تصنيفها من صعوبة لا يسعه الا الارتياح الى هذا المصنف المفيد فامل مؤلفيه الفاضلين يتمكنان من تأليف كتاب ثانٍ مسهب وفق منهج مدارس الهندسة او على الأقل وفق منهج المدارس الزراعية العليا فيكون لهم على البلاد العربية يد جديدة تضاف الى هذه اليد .

مصطفى الشهابي

الجزء ٩ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هـ ١١٧

درس

في حياة أسامة بن منقذ
و « كتاب الاعتبار »

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كارمون خطابه الذي يعدّ حقة باعتبار نتائجه الصليبية أفعل خطاب في التاريخ ، وُلد لبني منقذ الامراء في شيزر على العاصي (وذلك يوم الاحد ٢٧ جمادي الآخرة سنة ٤٨٨ = ٤ تموز سنة ١٠٩٥) غلام أُطلق عليه والداه اسماً تحلّى به في صدر الاسلام اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام[١] ، وكان ذلك الاسم قد ورد في الرُّقُم الحميرية السابقة للاسلام[٢] . ذاك أسامة بن منقذ ، مؤلف كتابنا هذا وبطله .

عاش أُسامة شهماً فارساً ، واشتهر مجاهداً مقاتلا ، ولمع أديباً وشاعرا ، وتلهى صياداً وجوّابا . نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماة ، وقضى معظم ايام شبابه في البلاط النوريّ بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وغالب سني كهولته في الدار الاتابكية بالموصل ، وفي حصن كيفا على دجلة . زار بيت المقدس في فلسطين وحج الى

(١) أُسامة بن زيد . (٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أتى به من صنعاء الرحالة بركهاردت زبرت عليه كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم « أُسامة بن عامر » راجع :
M . lidzbarski - Ephemeris Fur Semitische Epigraphik
(Giessen ١٩٠٢) مجلد ١ صفحة ٢٢١ — ٢٢٢ .

الحرمين ، وتنقل بين معظم العواصم الاسلامية مدنية ودينية . عاشر نور الدين زنكي ، وصاحب الخليفة الحافظ . وخلفه الظافر ، وتعرّف بنفسه الى بوهمند وتنكرد وملوك من الافرنج الصليبيين ، وخصه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قمريا ، صديقه صلاح الدين بعطفه . آخى الافرنج — ولا سيما الفرسان منهم — في وقت السلم ، وقاتلهم في حال الحرب ، كما قاتل غيرهم من الاسماعيليـة وسائر العرب ، فضلاً عن الأسد والوحوش الضواري . وفي آخر ايامه دوّن لنا كل ما خبره بالذات ، وعرفه من مصادره الاصلية ، في مذكرات شائقة رائعة قلّ نظيرها — من حيث الامانة في النقل والصدق في الرواية والدقة في الملاحظة وطيب النكهة في التعبير — في آداب اللغة العربية .

فحياة أسامة إذن تمثل لنا ازدهار الفروسية الاسلامية العربية في ربوع الشام في أواسط القرون الوسطى . التي بلغت زهوها الكامل في عهد صلاح الدين ، وسيرته تتضمن موجز تاريخ البلاد في القرن الثاني عشر — قرن التجريدات الصليبية الثلاث الاولى — ومذكراته الموسومة « بكتاب الاعتبار » مرآة تجلى فيها المدنية الشامية في أجلى مظاهرها — لا لذاتها فقط بل بالمقابلة مع المدنية الافرنجية التي قامت الى جانبها . وأسامة لو عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً في المجمع العلمي العربي ، ولكان بيته مجلس الأدب بدمشق ، ولراسل «الهلال» و «المقطم» ، ولأكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان و يراقب نموّ النبات ، ولنالت جياده العربيـة جوائز السبق في بيروت ، ولكان بلا تردد في اثناء الحرب العظمى جيّش جيشاً من المتطوعة تولى قيادته بنفسه .

* * *

على بعد (١٥) ميلاً الى الشمال من حماة أكمة صخرية منتصبة على ضفة العاصي الغربيـة يكلّلها حصن لم يزل قائماً الى اليوم معروفاً باسم «سيجر» تحريف شيزر . شيزر هو المرسح الذي تمثلت عليه معظم الحوادث المدوّنة في الكتاب والتي جرت وقائعها في ايام أسامة الفتى . الهضبة لنتوئها سماها مؤلفو العرب « عرف الديك » . نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث ، فهي إذن شبه جزيرة بوضعها الجغرافي . غير ان الانسان كمّل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر ،

مما زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول اليه . وشيزر قسمان : قسم في القلعة على الرابية وهو البلد ، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو المدينة . وللقلعة أبواب ثلاثة أهمها يفتح الى الجسر . وعلى الجسر حصن أطلق عليه اسم «حصن الجسر» .

اذا غزا غاز البلاد السورية من الشمال فأمامه طريقان : طريق بحرية تمر في اللاذقية فالساحل الفينيقي — وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الأشوريين ، وطريق داخلية تماشي العاصي الى حماة فحمص ثم تنعطف غربا مع وادي النهر الكبير الى شمالي طرابلس ، أو انها تستمر من حمص في سهل البقاع وتتصل بالساحل الغربي جنوباً عند سفوح سلسلة لبنان . والطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريين والبابليين مثل رعمسيس ونبوخذنصر ، وآثرها اكثر الصليبيين . ولا بد لمن طرق هذه الطريق الثانية من اجتياز أفامية (قلعة المضيق) واختها الجنوبية شيزر المتسلطة على وادي العاصي . هذا مايجعل لموقع شيزر خطورة حربية .

لشيزر اسم في رأس قائمة المدن السورية المتوغلة في القدم . ذكرها طثميس للمرة الاولى بالهيروغليفية نحو سنة ١٥٠٠ (ق . م) وهو يصف احدى حملاته من مصر باسم «ستزار» او «سيزار» وذكرها بعده خلفه البعيد امحوتب الثاني[١] . ووردت بصيغة «زِنْزَر» في رُقم تل العمارنة المسمارية . وسماها اليونان الأقدمون «سِدْزارا» ، والبيزنطيون «سيزِر» . وفي أواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقس الاول مهاجرين من لارِسّا في تساليا وغيَّر اسمها الى «لارِسّا» . على ان الاسم السامي الاصلي ما لبث ان عاد فتغلَّب وظهر بالعربية في صيغة «شيزر» . وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم لامرئ القيس :

تقطَّع أسبابُ اللُّبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيد الله بن قيس الرُّقَيات :

فواحزناً اذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا[٢]

---

(١) راجع J. H. Breasted Ancient records of egypt (chicago ١٩٠٦) مجلد ٢ فقرة ٥٨٤ و٣١٤ . (٢) ياقوت «معجم البلدان» (ليبزغ ١٨٦٨) ٣ : ٣٥٣

اما مؤرخو الافرنج الصليبيون فأطلقوا عليهـا اسم « قيصرية » (Coesarea) او « قيصرية العاصي » للتمييز .

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية ، وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، فتلقاه اهل شيزر « يكفّرون ومعهم المقلّسون ، ورضوا بمثل ما رضي به اهل حماة[1] » . وبالنظر لموقع البلدة الجغرافي ، وباعتبار كونها مفتاح سورية الداخلية ، بقيت مطمح ابصار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها ، الى ان أخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعهـا فيه عزالدولة سديد الملك ابوالحسن علي جد أسامة من ايدي الامبراطور ألكسيس كومنينس .

* * *

وكان صالح بن مرداس صـاحب حلب قد منح الامراء المنقذين من بني كنانة عام ١٠٢٥ إقطاعاً في جوار شيزر . فتمكن احد هؤلاء الامراء (مقلّد) من الاستيلاء على كفر طاب سنة ١٠٤١ . وجاء بعده خلفه ابوالمتوّج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبني حصن الجسر عند قدمي شيزر ليقطع عنها المدد . ولكن البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى ايام سديد الملك . فسديد الملك اذن هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر . ولدى وفاته عام ١٠٨١ عقبه ابنه عزالدولة ابوالمرهف نصر[2] ، وهو مع اشتهاره بالورع وحب السلام تولى الى حين أفامية وكفرطاب واللاذقية عدا شيزر .

توفي ابوالمرهف بلاعقب عام ١٠٩٨ ، فانتقلت الإمارة من بعده الى اخيه الأصغر مجد الدين ابي سلامة مرشد (١٠٦٨—١١٣٧) ، والد مؤلف كتابنا أسامة . ولكن مجد الدين شغف بالصيد ونسخ القرآن اكثر من السياسة ، فتنازل عن السيادة لاخيه الأصغر عزالدين ابي العساكر سلطان مردّداً (والله لا وليتها . ولأخرجن من الدنيا كما

(١) البلاذري «فتوح البلدان» (ليدن ١٨٦٦) ١٣١ . (٢) فصّل ذلك ابن الاثير « كامل التواريخ » في Recueil des Historiens des Croisades Historiens Orientaux (paris ١٨٧٢) ٥٠٤ : ١

دخلتها [١] .

وكانت شيزر على عهد سلطان عم أسامة عرضة لغزوات متتابعة يغزوها بنو كلاب في حلب ، وكذلك الاسماعيلية والروم البيزنطيون والافرنج الصليبيون رشقها الامبراطور جان كومنينس عام ١١٣٨ بالمجانيق عشرة ايام متوالية . وحاول الافرنج الاستيلاء عليها مراراً ، ولكن على غير جدوى . فأنقذتها من السقوط مناعتها الطبيعية وحصونها القوية ، وزعامتها المنقذية .

وفي خلال إمارة (سلطان) جرت معظم الحوادث التي دوّنها أسامة في مذكراته ، وهو شاهد عيان لها ، فخلد وقائعها وجعلها ارثاً لنا . ومع ان أسامة كان احد اخوة اربعة هو ثانيهم ، فان عمه سلطاناً – ولم يكن له اولاد ولد ذكر – خص أسامة بعطفه ورعايته ، ودرّبه على الفنون الحربية ، وكان يمتحن بالسؤال حضور ذهنه في ساعة القتال [٢] ونشأه تنشئة من يريد ان يجعل منه خلفاً له . وكثيراً ما وكل اليه قضاء مصالح اهل بيته مثل مرافقته لزوجة عمه واولادها من شيزر في ايام الحر الى مصياد [٣] . اما بعد ان رزق العم ولداً يخلفه فوجهة نظره نحو ابن اخيه تغيرت ، والحسد أخذ يعمل فيه ، مما جعل أسامة الشاب يغادر شيزر موقتاً عام ١١٢٩ ، ثم اطردت هجرته بعد وفاة والده أخي سلطان في ٣٠ ايار سنة ١١٣٧ . وكانت جدة [٤] أسامة لابيه حذّرته مرة من عمه وقد رأت حفيدها داخلاً البلدة مساء وبيده رأس أسد ضخم كان قد اصطاده ، فأسدته النصح مشيرة الى الأثر الذي يحدثه عمله هذا في نفس عمه قائلة له « مايقرّبك هذا منه وانه

(١) ابو شامة « كتاب الروضتين في اخبار الدولتين » (مصر ١٢٨٨) ١ : ١١١ – ١١٢ وابن الاثير في (Recueil) ١ : ٥٠٤ . (٢) « كتاب الاعتبار » (ليدن ١٨٨٤) ٧٦ ولا بد من التنبيه الى ان الاشارات فيما بعد كلها الى هذه الطبعة – طبعة درنبورغ – ريثما تتم الطبعة الجديدة المبنية على المخطوطة الاصلية والتي نتولى الآن طبعها في مطبعة جامعة برنستون العربية . (٣) كتاب الاعتبار ١٠٩ .

(٤) ابن الاثير « تاريخ الدولة الأتابكية » في (Recueil » (paris ١٨٨٧ » مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٠ يجعلها والدته .

يزيدك منه بعداً و يزيده منك وحشةً ونفوراً [١] » . ومع هذا فان (كتاب الاعتبار) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان . وخلاصتها ان امرأة كان قد تزوجها سلطان وطلقها فوقعت أسيرة في يد الافرنج ، ففكّ للحال أسرها وسلمها الى اهلها قائلا « ماأدعُ امرأة تزوجتُها وانكشفتْ عليّ في أسر الافرنج [٢] » .

توفي سلطان حوالى عام ١١٥٤ فخلفه ابنه تاج الدولة ناصرالدين محمد ، وهو آخر الامراء من بني منقذ وفي ايامه جرت في شيزر مأساة مفجعة قضت على بني منقذ بأسرهم . وذلك خلال ختان ولد لتاج الدولة فقد أولم الوالد وليمة حضرها جميع آله ، وفي اثنائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي « ملك فيه مالايحصى » والذي خرّب حماة وشيزر و كفرطاب والمعرة وأفامية وحمص وحصن الاكراد الخ [٣] » « ولم ينج من بني منقذ احد [٤] سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم ، الا ان نور الدين صاحب دمشق عاد فعمر شيزر .

(التأثير الاكبر في نفسية أسامة كان لعمه سلطان وبعده لوالده) — تمثل صورة الوالد التي ابقاها لنا أسامة في مذكراته رجل تقوى وسلام لا تهمه شؤون هذا العالم الفاني ، يفرغ « زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله [٥] » . مع ذلك لايجب ان يُفهم من ذلك انه كان متقاعداً جباناً . ففي غير مكان يذكر أسامة ان والده لم يكن « له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله [٦] » ثم يقتبس عنه عبارة قالها لما حذّره ولده في معركة : « ياولدي في طالعي انني لاارتاع [٧] » .

ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالة على نوع التربية التي ترباها أسامة في ظل والده وعمه ، ومردّها كلها في قول أسامة « ما رأيت الوالد رحمه الله ، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر ، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اشفاقه وايثاره لي [٨] » . أسامة وهو دون العاشرة [٩] ، يطعن خادمه طعنة تجيء قاضية دون ان يستوجب سخط والده

(١) كتاب الاعتبار ٩٣ . (٢) ص ٥٣ . (٣) ابن الاثير في « Recueil » ١ : ٥٠٣ . (٤) ايضاً ٥٠٥ ـ ٥٠٦ . (٥) كتاب الاعتبار ١٤٤ .
(٦) ايضاً ١٩٩ . (٧) ايضاً ٤١ . (٨) ايضاً ٧٦ . (٩) ايضاً ١٠٧ .

يباشر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف أنه في اول قتال حضره حمل على افرنجي طعنه فخرج من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة[1] . يرى حيـة وهو صبي على حائط الدار فيتسلق اليهـا ويأخذ يحزّ رأسها بسكينه الصغير وهي تلتف على يده ووالده يراه ولا ينهاه[2] . نعود رهائن من افرنج وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في ايدي صاحب حمص وهو مسلم ، فتصدر اوامر والد أسامة له في هـذه الصيغة « اتبعهم بمن معك وارموا انفسكم عليهم واستخلصوا رهائنكم[3] » الكلمات الأخيرة (ارموا بانفسكم) تقع من نفس أسامة موقعاً شديداً .

وللدلالة على الرابط البنويّ الذي كان يربط الابن بالوالد يكفي الاستشهاد بعبارة أوردها أسامة بعد ان أطنب بحسن خط والده : « وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لأستدعي الرحمة (على الوالد) ممن وقف عليه[3] » .

أما والدة أسامة فلنـا ان نحقق المعدن التي جبلت منه من مراجعة حادثة ذكرها أسامة[4] . ومفادها ان الاسماعيليـة مرة هاجمت شيزر والرجال متخلفون ، فوزّعت أم أسامة السلاح والبست ابنتها الخف والازار واجلستها على روشن يشرف على الوادي حتى اذا ما انتهى الاعداء اليهـا تدفعها وترميها الى الوادي فتراها ميتة ولا اسيرة في ايدي « الفلاّحين والحلاّجين[4] » . حقاً انـ والدته كجدته كانت من « أمهـات الرجال[5] » .

تلك هي البيئة التي نشأ فيها أسامة وترعرع . فتصلّب عوده وهو مرن ، وإلف اقتحام المخاطر والمغامرات ، ونشـأ على مباديء الفروسية والشهامة . وذلك في عصر تلاحقت فيه الحروب ، وتتابعت الغزوات من الافرنج والعرب ـ من مسيحيين ومسلمين ، وفي بلاد كثرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة . حتى ان أسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلّح مستعد للعدو المفـاجيء[6] . ولم يشهد أسامة القتال في شيزر وحماة في شمالي سورية فقط ، بل في عسقلان وبيت جبريل

(١) كتاب الاعتبار ٣٠ . (٢) ايضاً ٧٦ . (٣) ايضاً ٣٩ .
(٤) ايضاً ٩٢ . (٥) ايضاً ٩٣ . (٦) ايضاً ١٤٦ .

من اعمال فلسطين ، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر ، وفي دياربكر والموصل . فلا غرو اذا أصبح اسم أسامة في التواريخ الاسلامية مرادفاً للبطولة .

ولقد دعاه الذهبي « احد أبطال الاسلام[١] » ووصفه ابن الاثير بانه « كان من الشجاعة في الغاية التي لامزيد عليها[٢] » . وأسامة نفسه أجمل اختباراته الحربية بقوله في آخر ايامه « فكم لقيت من الأهوال ، وتقحمت المخاوف والاخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلتُ الاسود ، وضُربتُ بالسيوف ، وطُعنتُ بالرماح ، وجُرحتُ بالسهام والجروخ[٣] » ! هتاف ليس المقصود منه التأثير الخطابي فقط بل تبيان الحقائق .

ومن خلال كل هذه التجارب نتبين انا شخصية أسامة . فاذا بها شخصية مستسلمة تستقبل الأفراح ، وتودّع الأحزان ، تواجه الظفر وتجابه الفشل ، بروح الصبر والتسليم . النصر — باعتبار أسامة — من الله[٤] . وكذلك الهزيمة . الموت لا « يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[٥] » . « الله مقدّر الأقدار ، وموقت الآجال والأعمار[٥] » . في الجملة الاخيرة متضمن فلسفة الحياة بامرها كما فهمها أسامة .

وفي مجمل معاملاته مع اصدقائه وخصومه يدهشنا ميله للنصفة والعدلة . ها كه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج . الرفيق يشير باخذهم على غرّة ، ولكن جواب أسامة : « ما هذا انصاف ، بل نحمل عليهم انا وانت[٦] » والمبهج انه لا يتم سرد هذه الحادثة ، التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية ، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها « رويجل »[٦] . يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمقابلة مع الطب العربي[٧] — وهي من أبدع قصص الكتاب — ثم يردفها باخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب[٨] . يطنب بوالده صياداً . ولكن سلامة ذوقه توحي اليه على الأثر « ما أدري : كنتُ أراه بعين المحبة . كما قال القائل : وكل ما يفعل المحبوب

---

(١) « دول الاسلام » (حيدرآباد ١٣٣٧) ٢ : ٧١ . (٢) « الدولة الاتابكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٧ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢١ — ١٢٢
(٤) ايضاً ١٠٩ . (٥) ايضاً ١٢١ . (٦) ايضاً ٤٣ . (٧) ايضاً ٩٧ — ٩٨ .
(٨) ايضاً ٩٨ .

محبوب . ما أدري : أ كان نظري فيه على التحقيق . وأنا ذاكر شيئاً من ذلك يحكم فيه مَنْ يقف عليه[١] .

قضى أسامة سنين غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (١١٤٤ — ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشّشت فيها جراثيم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار : يد الوالد على الابن ، والابن على الوالد ، ويد الخليفة على الجميع . ابن الاثير[٢] يدّعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن ابي الفتوح بقتل العادل وزير الظافر[٣] . ولكن مذكرات أسامة لاتدلّ على انه لوّث يديه في حال من الأحوال . صلاح الدين الغسياني ، ذلك الجلف التركي ، يوسّط من يشاء من رجاله (اي يأمر بقطعهم من الوسط شطرين) لسبب او لغير سبب ، فلا يتردد أسامة في الشفاعة بهم[٤] . عمّ أسامة يجلوه عن مسقط رأسه ، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر ، فيرثيهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب :

لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم   قلباً أجشّمه صبراً وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات أسعدُنا   وعاش للهم والأحزان أشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبّرني   عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجباً   للخطب أهلك عمّاراً وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم   كذاك كانوا بها من قبل سكانا

الى ان يقول :

بنو أبي وبنو عمي دمي دمهم   وان أروني مناواةً وشنآنا[٥]

وان احترام أسامة للنساء لامر يسترعي انتباهنا . فانا نراه يضع تأليفاً موسوماً « باخبار النساء » ويخصص في (كتاب الاعتبار[٦]) صفحات للاشادة باعمال البطولة التي قام بها بعضهن وبينهن والدته . وفي قصته مع خادمته العجوز التي أفرد لها بيتاً في

(١) « كتاب الاعتبار » ص ١٤٤ . (٢) « كامل التواريخ » أپسالا ١٨٥١ ١١ : ١٢١ . (٣) قابل « كتاب الاعتبار » ٦ . (٤) ايضاً ١١٦ — ١١٧ .
(٥) ابو شامة ١ : ١٠٦ . (٦) ٨٧ — ٩٧ .

داره وكان يناديها « يا أمي[١] » نافذة نطلّ منها على الشيءِ اللطيف ضمن أعماق نفسه. وما ألطف ملاحظته بعد ن افتدى اسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل ان يدفع الفداء فألزمه الافرنجي القيمة كلها « وهان ذلك عليّ لسروري بخلاص اولئك المساكين[٢] » .

حين لم يكن أسامة منهمكاً بقتال الاعداء من البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذ ملأى بها ، او يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحُمُر الوحش بالبازي والباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة . ونرى زبدة اختباراته ضمنها فصلاً في الصيد ختم به كتابه ، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه . أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد سبعين سنة[٣] وانه حضر قتال الاسد في مواقف لاتحصى ، وقتل عدة منها لم يشاركه في قتلها احد[٤] وان الخليفة الحافظ عناه في سؤاله الانكاري « واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟[٥] » لذّته في درس الحيوان جعلته يكتشف ان « الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان[٦] » وان « الاسد اذا خرج من موضع لابدّ له من الرجوع اليه[٧] » وان « الاسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه ، وفيه غفلة وبله ، ما لم يُجرَح ، فاذا جُرح فحينئذ هو الاسد[٨] » .

وان النمر « دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً[٩] » . على ان صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم : « ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فارة مات ، ولا ترتد الفارة عن جريح النمر[٩] » . ولما عرض افرنجي في حيفا (فهداً) للبيع أدرك أسامة لاول نظرة من طول الوجه وزرقة العينين انه نمر لا فهد ولا يصلح للشراء[٩] » . ومن دقيق ملاحظاته ان الحُبارى اذا اقترب منها الصقر (استقبلته

---

(١) كتاب الاعتبار ص١٣٨ . (٢) ايضاً ٦٢ . (٣) ايضاً ١٦٧ .
(٤) ايضاً ٨١ و١٠٦ . (٥) ايضاً ١٤٢ . (٦) ايضاً ٧٨ . (٧) ايضاً ٧٨ لم أجد في الكتب العلمية ما يثبت صحة هذه الملاحظة . (٨) ايضاً ٨١ .
(٩) ايضاً ٨٢ .

بذنبها . فاذا دنا منها سلحت عليه بأت ريشه وملأت عينيه وطارت [١] » .

نظر أسامة للصيد كسبب للهو — ظاهر من البيت الذي استهلّ به فصله :

ولله مني جانبٌ لا أضيعـه ولِلهو مني والبطالة جانبُ [٢]

ونزعته الارستقراطية تلوح من عدم تلبيته طلب نورالدين عندما سأله ان يصلح الباز فرفض وأجاب — لما أظهر نورالدين عجبه كيف ان أسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن إصلاح الباز — « يامولاي ما كنا نصلحها نحن ، كان لنا باز يارية وغلمان يصلحونها [٣] » .

درس أسامة النحو عشر سنين على (ابوالطُّلَيطُلي ، سيبويه زمانه) الذي كان قد تولى دار العلم بطرابلس [٤] . ولا شك ان سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخط والشعر والقرآن — وهي فروع الثقافة في ذلك العصر . فتهذّب أسامة على الطريقة التي كان يتهذّب بها أشراف العرب في زمانه . ونشأ راوية كاتباً ، واديباً شاعراً .

بهذه الصفة الاخيرة عرفه معظم الذين ترجموه . فالذهبي [٥] يذكر عن لسان أسامة انه قال كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي ، والراجح انه لم يتصل بجيل أسامة هذا المقدار من الابيات . ويقول عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع باسامة في دمشق في « خريدة القصر وجريدة العصر [٦] » : « أسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه .... حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، نديّ الندى بماء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة » . ابن عساكر تلميذ أسامة ، ذكر في (التاريخ الكبير [٧]) ان لأسامة « يداً بيضاء في الأدب والكتابة والشعر » واقتبس عن لسانه احدهم قوله ان أسامة « شاعر اهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر » وان مقطعاته « أحلى من الشهد

---

(١) كتاب الاعتبار ١٠٣ قابل C. H. Stockley, Big Game Shooting in the indian Empire (London ١٩٢٨)

(٢) كتاب الاعتبار ١٣٩ . (٣) ايضاً ١٤٤ . (٤) ايضاً ١٥٣ .

(٥) ملحق (Paris ١٨٨٩) Derenbourg, « Vie d' ousàma » ص ٥٩٥

(٦) (باريز ١٨٨٧) ١٢٢ .

(٧) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤٠٠—٤٠١ .

والذ من النوم بعد طول السهد » . واقتبس ياقوت في (معجم البلدان [1]) من أشعار أسامة . وأفاد ابوشامة [2] ان صلاح الدين الايوبي كان « عنده ديوان الامير مؤيد الدولة أسامة ... وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، والى استحسانه مصروف » . وصالح بن يحيى (٣) يفاخر باقتناء ديوان شعر «عز الدين ! » أسامة بن منقذ بخطه . وعليه فيكون أسامة قد عُرف لمعظم الذين ترجموا له بشاعريته . .

وهاك ابياتاً تدل على قوة الابداع في أسامة الشاعر قالها في ضرس له قلعه :

وصـاحب لا أملّ الدهر صحبته يشقى لنفعي و يسعى سعيَ مجتهدِ
لم ألقه مذ تصاحبنـا فحين بدا لناظريَّ افترقنا فرقة الابدِ [4]

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب ، وكان قد زار المسجد قبلاً في طريقه الى الحج :

لك الحمد يا مولاي كم لك منةٌ عليَّ وفضلٌ لا يحيط بهـا شكري
نزلتُ بهذا المسجدِ العـامَ قافلاً من الغزو موفورَ النصيبِ من الاجر
ومنه رحلتُ العيسَ في عامي الذي مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضاً وأسقطت ثقلَ ما تحملت من وزر المسيئة عن ظهري [5]

وأخرى تعرب عن حنينه لوطنه الشامي وتوق نفسه للرجوع الى اهله ، وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل :

دارٌ سكنتُ بها كرهاً وماسكنت روحي الى شجنٍ فيهـا ولا سكنِ
والقبرُ أسترُ لي منها وأجملُ بي إن صدّني الدهر عن عودي الى وطني [6]

واليك ما كتب في صدر كتاب الى بعض اهله :

---

(١) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤١٧ . (٢) ١ : ٢٤٧ . (٣) « تاريخ بيروت » (بيروت ١٩٠٢) ٣٥ — ٣٦ . (٤) الذهبي ملحق (Vie d, ousàma) ٥٩٦ . قابل ابن عساكر ٢ : ٤٠٢ ، ابن خلكان ١ : ١١٣ ، ابوشامة ١ : ٢٦٤ ، عماد الدين الكاتب ١٢٣ . (٥) ابن الاثير « الدولة الاتابكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٨ . (٦) ابن عساكر ٢ : ٤٠١ .

شكا ألمَ الفراقِ الناسُ قبلي ورُوّع بالنوى حيٌّ وميتُ
وأما مثل ما ضمّتْ ضلوعي فاني ما سمعت ولا رأيت (١)

ويتضح شغف أسامة بالكتب من ملاحظة أبداها عندما عادت أسرته من مصر فوقعت في ايدي الافرنج وخسر الكثير من المال فلم يأسف عليه أسفه على ما فقد من الكتب وعددها اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة « فان ذهابها (على ما قال) حزازة في قلبي ما عشت (٢) .

« للبحث صلة »

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي

(١) ابن خلكان ١ : ١١١ .

(٢) « كتاب الاعتبار » ٢٦ .

المحاضرة الثامنة عشرة

اخلاق المتنبي (١)

— ١٠ —

ليس من المستسهل ان أخوض في شيء من الكلام على اخلاق المتنبي وعلى طبائعه ، وعلى الخصوص فان اباالطيب لم يكتب ترجمته بقلمه وان اهل عصره لم يمض لهم قول وافٍ في هذا الباب ، فلانعرف هيأته ولا نعرف تركيب خلقته ، ولو كنا نحيط بطائفة من هذا الامر لاستطعنا ان نستدل بذلك بعض الاستدلال على معرفة اخلاق المتنبي وطبائعه ، فما وصل الينا من أقوال اهل زمانه في هذا الموضوع لا ينقع غليلاً . —

ان اباعبدالله معاذ بن اسماعيل اللاذقي لما قدم عليه المتنبي في سنة عشرين وثلاثمائة اي لما كان عمره سبع عشرة سنة وصفه فقال : قدم اللاذقية وهو لاعذار له ، وله وفرة الى شحمتي أذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، واضاف الى هذا كله انه لم يسمع منه كلمة هزل قط .

والذي أعلمنا به ابو الفرج وقد كان ابو الطيب يأنس به و يأمنه على غيبته ان سيف الدولة كان يغتاظ من تعاظم المتنبي .

وقد عاتب ابو عبدالله بن خالويه سيف الدولة لما غمز غلمانه على المتنبي فقال له سيف الدولة : يتعاظم تلك العظمة و ينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

وحكي عن ابي حمزة البصروي انه بلا من ابي الطيب خلالاً محمودة منها عفة المذهب ، والصدق وبلا منه ثلاث خلال ذميمة وذلك انه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن .

ووصفه ابن فورجة فقال فيه : كان داهيةً مر اللسان شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً باخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه و يسقطه الا بخله وشرهه على المال .

والذي دلنا عليه الوحيدي ان المتنبي كان سيء الرأي ، وسوء رأيه أخرجه من

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

حضرة سيف الدولة ، وعرّضه لعداوة الناس .

وقد ذكر ابوعلي الحاتمي ان ابا الطيب المتنبيَّ عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة فلا يرى احداً الا و يرى لنفسه مزية عليه حتى ثقلت وطأته على اهل الأدب بمدينة السلام وبلغ من شذوذه انه لبس مرة سبعة اقبية ملوّنة وكان الوقت أحرّ مايكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس وشهد له ابو علي هذا بالفضيلة وصفاء الذهن ، وجودة القدح .

وكان ابو علي الفارسي قبل معرفتـه بالمتنبيّ يستثقله عن قبح زيه وعلى ما كان يأخذ به نفسه من الكبرياء .

هذا ماانتهى الينا من وصف بعض ظواهر المتنبيّ وبواطنه بوجه التقريب ، ولم يكن في مختلف هذا الوصف شيئ من الخروج من لقدار ، فمن المحقق ان الرجل كان قليل الميل الى الهزل ، فان روحاً مثل روحه نزّاعة الى العظمة والعلو لاشـأن لها في الهزل ، فقد كانت حياته جداً كل الجد ليس فيها متسع للهزل ، وان رجلاً يضرب في مناكب الارض وبواديها وحواضرها ابتغاءً لأمر جلّ ان يسمى :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة وماتبتغي ، ماابتغي جل ان يسمى

ان رجلاً هذا هو مطمعه في الحياة لايجد لغير الجد معني ، ولئن عبث في قليل من شعره ، مثل عبثه في قوله وقد مرّ برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يعجّبان الناس من كبره :

وايكما كان من خلفه فان به عضّة من الذنب

او مثل عبثه في قوله :

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له : الحق

نعم فما كان العبث من مذهبه .

ومن المحقق ان اباالطيب كان صادقاً عفيف المذهب :

ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبتُ عن شعَر في الرأس مكذوب

فلسنا نجد في اضعاف شعره نزعة الى اللهو والطرب ، فقد كان ينظر الى الحيـاة من ناحيتها السوداء وقلما نظر اليها من الناحية البيضاء اللامعة ، فما تغنى في شعره بشيء من نضارة الحياة ولذتها ، وانما أعرب في شعره عن الألم وقلما يجتمع اللهو وألم النفس ، وللهو

نفوس لا سبيل للآلام اليها ، اما الأبيات التي تدل على ألم روحه فهي كثيرة . فمنها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ماتهب اللئام

ومنها :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

ولقد اكثر من الاشارة الى تضافر المصائب فمن قوله في مصر وقد أصابته حمى :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلتِ انتِ من الزحام

وفي هذه القصيدة يقول :

وان أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحِمام الى الحِمام

فحياته في نظره موت له ، فما أقلّ سروره :

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم واتيناه على الهرم

على انه قد جاء في شعره ما يدل على ذوقه شيئاً من اللذات ، فمنه قوله :

درّ درُّ الصباء ايام تجريـــر ذيولي بدار أثلةَ عودي

ومنه قوله :

إنعمْ ولَذّ فللأُمور أواخر ابداً اذا كانت لهنّ اوائل
مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمرُّ كأنها قُبَل يزوّدها حبيب راحل

ولكن مذهبه في اللذّات العفة التامة :

اني على شغفي بما في خُمْرها لأعفُّ عما في سراويلاتها
وترى المروّة والفتوّة والابوّة فيّ كل مليحةٍ ضرّاتها
هنّ الثلاث المانعاتي لذّتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

نعم هذا هو مذهبه : المروّة والفتوّة والابوّة ، وان بيتاً مثل هذا البيت :

اذا كان الشبابُ السكر والشيبُ همّاً فالحياة هي الحِمام

لا يصدر عن قلب قضى صاحبه شرخ الشباب في شيء من اللهو وفي شيء من توابع اللهو ، فما اصدقه في هذا الكلام :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه .

* * *

اما شجاعته فلا ريب فيها وان رجلاً يقولون له : كمنت لك جماعة تريد بك الشرّ فخذ معك من يسير بين يديك فيغتاظ من هذا القول غيظاً شديداً ويقول : والله لا أرضى ان يتحدث الناس باني سرت في خفارة احد غير سيفي ، ان رجلاً مثل هذا يحذّرونه من الموت فلا يبالي بتحذيرهم استصغاراً لشأن الموت ، واحتقاراً لمن كمن له ، فيقدم في الذي حذروه منه لا يدخل الخوف قلبه ، ولقد أعانه على هذه الشجاعة صحبته للأعراب ، وإلفته لغزوهم ، وسيره في البوادي ، ومصاحبته لسيف الدولة في كثير من غزواته ، فالرجل كان شجاعاً لاشك في شجاعته والذي يرى حياته موتاً يستوي عنده الموت والحياة .

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

واما شرهه على المال فهذا امر طبيعي ، فقد ذاق المتنبيء في حداثة سنه ألم الفقر ، فما زال يسعى في طلب المال حتى اجتمع له شيء منه ، فحرص على ثروته ولم يبذّر ولا يعرف قيمة المال الا الذي يتعب في جمعه ، والمتنبيء لم يغنَ من غير ان يساوره كثير من الألم ، واي ألم أعظم من ألم الحساد ، فهل يلام على حرصه ولا سيما ان الرجل كان محسّد الشأن حتى كان حساده يتمنون موته ، فكانوا يبغضونه ، ويتربصون به الدوائر ، هل يلام على اتخاذه المال جنة يدفع بها عن نفسه اذا أعرضت الدنيا عنه في يوم من الايام فما ذا كان يلاقي من الناس في حالة اعراضها ، أفكان يلاقي منهم غير الشماتة ؟

على اني أعتقد ان الرجل كان مقتصداً ولم يكن بخيلاً والفرق بين البخل وبين الاقتصاد ظاهر ، فما أظن ان ابا الطيب كان من البخلاء الذين ينشأ بخلهم عن مرض من أمراض العقل فلا يجدون في انفسهم سلطاناً عليه ، وانما كان مقتصداً يحسب للامور حساباً ويعدّ لها عدّتها حتى لا يفاجئه الزمان بمكارهه .

واما ضعف عقيدته ورقة دينه فهذا امر صحيح ، وكثيراً ماقرع المتنبيء هذا الباب كما قال الثعالبي ، وقد رويت لكم الابيات التي دلت على اخلاله بالدين واستهانته بامره والظاهر ان الرجل كان على مذهب المتشككين .

تخالف النـاس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

* * *

ولكن أظهَر أخلاق المتنبيء التعظُّم وقلة المداراة ، وقد أثبت هـذه الأخلاق ما كان يقع له في مجالس سيف الدولة وكافور وفي بغداد ، فأبو الطيب كان قليل المداراة للناس ، وقد شهدتم كيف كان يتعرّض لأكابر الادباء ويستأنس بتجهيلهم ، وليس معنى هذا ان اباالطيب كان يجهل بعواقب تعرضه للناس ، و بخوانيم قلة المداراة ، ولكن الرجل كان شاذ الخلق ، يصعب عليه ان يداجي ويداري َ ، ولو فعل شيئاً من ذلك لملك القلوب ، ونحن نشاهد في عصرنا من لايداجي ولا يداري ، فتنقبض القلوب عنه و يبسطون المتهم فيه ، والناس ينقادون عادةً من نواحي العاطفة والهوى ، فربَّ ابتسام نبتسمه ينزع ماوقر في الصدور من غل او حقد ، وربَّ تقطيب نقطبه يغرس لنا البغضاء في القلوب ، هذه هي طبيعة البشر . ولكن ابا الطيب اكبر من ان يحتاج الى شيء من المداراة والمداجاة ، فكان يجري على طبيعته لايعبأ بشيء من غضب الناس عليه أو طعنهم فيه ، فان له من الثقة بخلود عبقريته مايجعله يحتقر اولئك الغاضبين الطاعنين .

ليت ثنائي الذي أصوغ فِدى مَن صيغ فيـه فانه خالدُ

فالطعن على اهل العبقرية يذهب جُفاءً ، وتمكث عبقريتهم في الارض ، فلا الافراط في الثناء على اهل البلاهة يمهد لهم سبيلاً الى الخلود ، ولا الافراط في تنقص اهل العبقرية يغلق الأبواب في وجه خلودهم ، نعم كان ابوالطيب يعرف هذا كله ، ولكنه أرفع من ان يُسِفَّ الى المداجاة والمداراة . ماداجى ولاداري الا كل من لايثق بقوة نفسه ، وكل من يحتاج الى قوة غيره ، و يستعين بها على حياته .

على ان اباالطيب كان يجاري الناس في بعض الاحايين في الخداع ، وما مجاراته هذه الا هزء بالناس :

ولما صار وُدّ النــاس خبّاً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فيمن اصطفيه لعلمي انه بعض الأنام

فالرجل كان قليل المداراة ، وقلة مداراته أوغرت الصدور ، وهاجت الضغائن ، ولكن ابا الطيب كان يسخر من حسد الحساد ، واغتيــاظ المغتاظين ، فلم يفكر فيهم ولا شغل ذهنه بهم ، فقد سلّح الأدب بابيات سلاحاً يهزأ بثرثرة الثرثار وهذر المهـذار ، أفأجد حاجة الى ان أُعيد هذه الابيات وقد سمعتموها في المجلس الماضي و يكفيني ان أشير منها الى بيت واحد :

ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ يجد مراً به الماء الزلالا

او الى بيت آخر :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكله

بهذه الابيات واشباهها كان المتنبيء يسحق المتطاولين للوقيعة فيه ، فما أصدق الذي وصفه بمرارة اللسان ، واي مرارة أمرّ من هذه المرارة ، ولو جمعوا كل ماقالوه فيه من طعن لما وازن حرفاً من هذه الأبيات :

بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تُضر رياح الورد بالجعل

* * *

نعم كان ابو الطيب مرّ اللسان ، فاذا غضب على احد أذاقه مرارة هذا اللسان فانه لما فارق سيف الدولة لم ينج سيف الدولة من قوارصه ، وفي اول قصيدة قالهـا في كافور أثر من هذه القوارص :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكن أنت وافيـا
وأعلم ان البين يشكيك بعـده فلست فؤآدي ان رأيتك شاكيـا
فانّ دموع العين غدر بربها أذا كنّ اثر الغادرين جواريا
اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

فهذا الشعر كله تعريض بملك حلب ، والظاهر ان سيف الدولة كان يؤلم المتنبيء

في عطاياه ، فكان ينعم عليه ولكنه كان يبطل نعمته بالمن والاذى فاذا تأخر مدح ابي الطيب عنه انكر له بالحال (١)

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحيياً وازجر في الخيل مهري سرارا

فكان المتنبي يضطر الى الاعتذار :

كفرت مكارمك الباهرات ان كان ذلك مني اختيارا
ولكن حمى الشعر الا القليل َ همٌّ حمى النوم الا غرارا

ولا يخفى ما في الاعتذار من إعنات النفس والتشديد عليها ، واذا علمنا ان الشاعر قد تعرض له في بعض الحالات عوارض يعاف فيها حياته ، فيستعصي عليه الكلام أدركنا الالم الذي كان يساور ابا الطيب في ازورار سيف الدولة عنه اذا ابطأ عليه مدحه ، فكان سيف الدولة يقول له : انا اشتريت شعرك بالمال ، وقد أخذت مالي فاعطني شعرك ، وكل هذا لا يخلو من منة واذى ، وكل هذا لا يخلو من ايلام وايجاع ، وعلى الخصوص اذا كانت الروح الابية مثل روح ابي الطيب يحركها اقل شيء ، ومن الذي يحق له ان يلجأ الى المنة ، أسيف الدولة أم المتنبي ، أفكان سيف الدولة لولا المتنبي الا ملكاً من اولئك الملوك الذين ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ولم يبق لهم الا القليل من الذكر ، أفكان سيف الدولة لولا ابو الطيب يخلد هذا الخلود على شبيبة الزمان وعلى هرمه ، فالمتنبي لم يسيء الى سيف الدولة ، وانما سيف الدولة هو الذي بدأ بالاساءة ، ومع هذا كله فقد كان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة بعد الانصراف عنه .

(١) كان سيف الدولة اذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه واكثر أذاه وأحضر من لا خير فيه وتقدم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب فلا يجيب ابو الطيب احداً عن شيء فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتمادى ابو الطيب على ترك قول الشعر و يلج سيف الدولة فيما كان يفعله الى ان زاد الأمر وكثر عليه فقال قصيدته التي اولها .

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى　　هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي

نعم ترك المتنبي مجالاً للصحبة فلم يغضب على سيف الدولة كل الغضب :

فراق ومن فارقت غير مذمم　　وأمٌّ ومن يممت خيرُ ميمَّم

ولما خرج ابو الطيب من مصر الى العراق كتب اليه سيف الدولة بالعودة اليه وألح عليه ، فلم يرض بذلك ابو الطيب ، وهذا يدل على أن أثر الجرح في نفسه بليغ ·

* * *

نعم غادر المتنبيُ سيف الدولة ولم ينفض كل ما في قلبه من محبة سيف الدولة ، وانما اقتصر على الاشارة الى التنغيص والمنن ، فلم تظهر مرارة لسانه الظهور كله ، ولكنه لما ترك كافوراً عرض علينا هذه المرارة في أوضح معارضها ، فان كافوراً أساء الى ابي الطيب من اول اتصاله به ، فقد أظهر له التهمة اول يوم ولم يسمح له بان ينشده وهو قاعد ، ولم يسمح له بان يجلس في مجلسه ، ووعده بان يوليه فأخلف الميعاد ، وفي خاتمة الامر نوى ان يقتله ، أفيلام ابو الطيب اذا تشفى من غيظه ، وعلى الخصوص بعد ان أطمعه كافور في الولاية ولم يذقه حلاوتها ، وانتم تعلمون كم كانت الولاية تشغل باله ، أفيلام ابو الطيب اذا آذاه كافور فردّ اليه شيئاً من الاذى :

أميناً واخلافاً وغدراً وخسة　　وجبناً أشخصاً لحت لي ام مخازيا

لم يتزيد المتنبيُ في هذا الهجو ، رمى كافوراً بالكذب ، وقد كذب عليه ، ورماه بالاخلاف وقد أخلف وعده ، ورماه بالغدر ، وقد غدر به فأراد قتله ورماه بالجبن وقد كان يخافه اذا هو ولاّه ·

ليس من العجب بعد هذا كله ان تظهر مرارة لسان المتنبيُ في أهاجيه في كافور ولست أنبهكم على موطن من مواطن هذه المرارة فارجعوا الى كل اهاجيه فيه فانها آلم ما يكون من الشعر :

من علّم الأسود المخصيّ مكرمة　　أقومه البيض أم آباؤه الصيد

أم اذنه في يد النخاس دامية　　أم قدره وهو بالفلسين مردود

اولى اللئام كويفير بمعذرة　　في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

وذاك ان الفحول البيض عاجزة　　عن الجميل فكيف الخصية السود

وما هي عطايا كافور الى جنب ماقاله المتنبيُّ فيه ، وما هو حظ كافور من الخلود لولا شعر ابي الطيب الذي خلَّده .

على ان ابا الطيب لم يكن قليل الوفاء ، فما عرّض بسيف الدولة الاّ لأن سيف الدولة كان يؤلمه في عطاياه ، وما أفحش في هجاء كافور الاّ لان كافوراً أراد قتله ، ولقد وفى ببعض العهود ، وفاء دل على ان الرجل كان صادق الود فقد توفي ابوشجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاث مائة فرثاه المتنبيُّ بعد خروجه منها اي بعد انقطاع رغبته في كل عطية من عطايا فاتك ، وتوفيت اخت سيف الدولة بميافارقين ، وورد خبرها الى الكوفة فرثاها ابو الطيب وعزى اخاها بها سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة اي بعد مفارقته سيف الدولة وبعد عزمه على ان لا يعود الى مجالس سيف الدولة ، وجاء في هذه القصيدة ابيات دلت على حسن وفائه :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

تبين لكم ان ابا الطيب كان لا يداري والغالب على الذين تقل مداراتهم التعظم والكبرياء وقد يكون تعظمهم في بعض الاحيان خلقاً ظاهراً يظنه الناس خلقاً باطناً فقد تغش الظواهر فلا تنم عن حقائق البواطن ، ولسنا ندري أكان ابو الطيب من أصحاب العنجهية الظاهرة أم تمكنت الكبرياء من باطنه ، فكان متعظم الظاهر والباطن ، فالذي دل عليه شعره انه اكثر من الفخر بنفسه في كل حال من احواله ، فلا يجب ان نشبهه باحد لأنه لا شبيه له :

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوقي ولا احد مثلي

وقد كان يشعر بعجبه ، و يوضح سبب هذا العجب :

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

ولكن الذي يزعج في بعض الاحوال ان لفظة « انا » لا يكاد يخلو منها شعره ، فلقد حار في الشيء الذي يشبه به نفسه ، فمرة هو صخرة الوادي والجوزاء :

انا صخرة الوادي اذا مازوحمت واذا نطقت فانني الجوزاء

ومرة هو الاديب الذي لا اديب غيره :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي واسمعت كلماتي من به صمم

وحينا هو المبدع لكل شيء .

انا السابق الهادي الى ما اقوله اذ القول قبل القائلين مقول

وحيناً هو السمهري :

وما انا الا سمهري حملته فزين معروضاً وراع مسودا

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذاقلت شعراًأصبح الدهرمنشدا

لقد امتلأ ابو الطيب عجباً ، واظن انه كان يقلق اهل عصره في بعض الاحايين بهذا العجب ، فلو حدثنا محدث ، واخذ في كل فرصة يحدثنا عن نفسه و يردد لفظة«انا» « انا » لما فرغ من احاديثه دون ان يغادر في قلوبنا شيئاً من الملل ، اقد يحتمل المرء اذا نخر بنفسه مرة او مرتين ولكنه اذا جعل مجيراه هذا الفخر فقد نثقل وطأته علينا ، ولا شك في ان ابا الطيب قد ثقلت وطأته على اهل عصره في بعض الاحيان .

ان تعظمه ظاهر في شعره لايكاد يخفيه فهو كثيرالتكلم على نفسه ، لا يبالي بما ينشئ هذا التكلم من الآثار في النفوس ، ولم يقتصر على التغني بجمال عبقريته ولكنه جاوز هذا التغني الى شيء من العجب والفخر ، وقد يكون هذا المذهب مدعاة الى الاضجار ، اننا نحب ان يذوق الناس محاسننا من تلقاء انفسهم اي من دون ان نذيقهم اياها ، اننا نحب ان يشعروا بهذهالمحاسن من غير انشعرهم بها فاذا توخينا اظهارها والتنبيه عليها والاشارة اليها فقد يذهب شيء من آثارها في النفوس ، وربما عادت هذه المحاسن مساوئ ، فابوالطيب كان يحب ان يذيق الناس محاسنه بنفسه فهو لا يريد ان يدع لهم مجالاً لذوقها بانفسهم ، ولعل هذا السر في ثقل وطأته على الناس ، وقد يكون السبب في لجوئه الى هذا المذهب ان الناس كانوا يبخسونه حقه ، ويطمسون من آثار حسناته فكان يضطر الى التنويه بحسناته :

واذا خفيت على الغبي فعاذر ان لا تراني مقلة عمياء

نعم كان ابوالطيب متعظماً في الظاهر وفي الباطن وكثيراً ما كان يجعل نفسه في اماديحه بمنزلة الملوك الذين كان يمدحهم :

انما التهنئات للاكفاء ولمن يدّني من البعداء

وانا منك لا يهنيُ عضو بالمسرات سائر الاعضاء

وربما كان حظه من مدح نفسه في بعض شعره أوفى من حظ الممدوحين ، وقد حمله تعظمه هذا على احتقار الناس ، وما ذهب عنكم امر هذا الاحتقار ، ولقد هزأ بكافور نفسه في أماديحه فيه ، فأخلق به ان يهزأ به بغير كافور فكان كثيراً ما يلجأ الى التصغير حتى قال فيه ابوالعلاء : ان الرجل كان مولعاً بالتصغير لا يقنع من ذلك بجلالة المغير والصحيح انه أولع بالتصغير فلم يكتف بتصغير الأحمق :

مقالي للأُحيمق يا حليم

او بتصغير الخادم :

ونام الخويدم عن ليلنا

او بتصغير الشاعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر

ولكنه صغّر اهل زمانه كلهم :

أُذمُّ الى هذا الزمان اهيله

دمشق : في ١٩ نيسان سنة ١٩٣٠

المقارنة

بين المعري والخيام(١)

تقوم محاضرتي على المقارنة بين شخصيتي شاعرين حكيمين هما ابو العلاء المعري العربي وعمر الخيام الفارسي واكبر الظن ان ليس في الحاضرين الكرام من لا يعرف شيخ المعرة الكبير او يجهل ادبه ورأيه في الحياة ونظره في الكون ، اذ انه اشهر من نار على علم ، لذلك ارى من الضرورة ان اتكلم اولاً عن شخصية عمر الخيام . حتى اذا اطلعتم عليها وفهمتم مناحيها ، سهل علينا جميعنا الانتقال الى الالمام برأي هذا الحكيم الفارسي ومعرفة اوجه الشبه بينه وبين حكيمنا الجليل ابي العلاء . وقبل ان اخوض هذا البحث ارغب ان ابين لكم وجه اهتدائي الى هذا الموضوع وما هي الاسباب التي دفعتني الى معالجته وما علاقة فتى عربي بالفارسية وما هي صلته بهذا المفكر الفارسي ؟ .

ولدت في كربلاء ، ولا اغالي اذا قلت انها المدينة التي يحج اليها في كل عام مائة الف فارسي ، لزيارة تربة سيدنا الحسين الشهيد واخوانه ، ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغني والامير بالمكوث فيها بضعة ايام ، بل فيهم من يبقى فيها مجاوراً اعواماً طويلة ، وفيهم من ينقل اليها تجارته واعماله ويتخذها له موطناً ثانياً . فبمقتضى هذا الاختلاط اصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم بالفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

ولما فتحت عيني في كربلاء وترعرعت فيها ، واخذت اميز بين الخير والشر ، والنار والنور ، وجدت نفسي اتكلم بالفارسية العامية كباقي الفتيان ، بيد اني وجدت في بيت ابي عجوزاً شمطاء قد وهن عظمها ، وفشا المشيب في رأسها ، ووجدت كل من في البيت يضمر لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً شديداً ، وكانت (زن اغا) او (بي بي جان) الآمرة الناهية في طول البيت وعرضه لا يعصى لها امر ، ولا ترد لها ارادة ، وقد نشأت على احترامها كسائر افراد العائلة غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي ،

(١) محاضرة القاها في بهو المجمع العلمي العربي الاستاذ السيد احمد حامد الصراف من ادباء العراق .

وقد قصت عليّ امي امرها فعلمت انها كانت زوجة غني فارسي ، كان قد هجر وطنه شيراز وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها ، فأصبح مجاوراً ، وقد توثقت بينه وبين جدي اواصر المحبة والوداد ، فكانا يتهـاديان و يتزاوران ، غير ان نكد طالعه جره الى استعمال الافيون فاستنزفت امواله فأنزلـه من عرش الثراء واجلس على بساط الفقر ، فهجره خدامه وتركته حاشيته ، واصبح مثقلاً بالديون ، واخيراً صرعته هـذه الآفة وسلبته روحه ، وبقيت زوجته وحيدة لا معين لها ولا نصير ، الى ان طحنها الفقر ووطئها الحزن فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جرى لها هزته الحمية وحركته المروءة فنقلها الى بيته وجاء لها بالاطباء فعالجوها حتى شفيت وقوي جسدها ، فجعلهـا مربية لاولاده وبناته ، وكان يحترمها ويحسن معاملتها ويوصي بهـا خيراً . وكانت (زن اغا) احدى حفيدات (فتح علي شاه) ملك فارس القـاجاري وهي على جانب عظيم من الفضل والادب والاخلاق وكانت لبيبة تجيد الانشـاء وتنظم القريض في الفارسية ، وتستظهر اروع الشعر واحسنه في الفارسية وكانت تلم بنكات الشعراء وتحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية ، وقد تولت (زن اغا) تعليم امي واخواتها ، ادركتها ولم يبق في فمها غير ناب واحد ، وكنا اذا اجتمعنا عندها في ليالي الشتاء حدثتنا حديثاً لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء حتى يتغشانا النعاس فتصرفنا الى مضاجعنا واحداً اثر واحد .

في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٩١٨ اجتمعنا عند (زن اغا) وكانت تدير علينا اكواب الشاي وقد امسكت بيدها غليونها الطويل واستعدت لتقص علينا مما خزنته في صدرها .

قالت : احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيـام وكان سكيراً مدمناً للخمرة مفتوناً بالمشعشعة كافتتان ابي نواس بها :

حمل ذات يوم ابريق خمرته وصعد الجبل ليحسو كؤوسها وكانت تصحبه ابنته وبينما كان يتمتع نفسه بلذيذ طعمها هبت ريح شديدة فحطمت ابريق مدامه وانسكب ما في الابريق على الارض فغضب وقال مخاطباً الرب بهذه الرباعية :

ابريق مي مراشكستي ربي برمن درعيش رابستي ربي
برخاك فكندي مي كلكون مرا خاكم بدهن مكر تومستي ربي

اي - ياآهي حطمت ابريق خمري واوصدت باب الطرب في وجهي وقد سكبت على الارض خمرتي اللازوردية تراب بفمي فهل انت مثلي سكران يا آهي .

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه حالاً فقالت له ابنته ياابتي لقد اسود وجهك فطلب المرآة ونظر الى وجهه فالفاه اسود فاحماً فعلم ان الله قد غضب عليه فخاطب الله مستغفراً بهذه الرباعية .

نا كرده كنه درجهان كيست بكو   وانكس كه كنه نكردجون زيست بكو

من بد كنم وتو به مكافات دهي   بس فرق ميان من وتوجيست بكو

اي — يا آهي قل لي من الذي لم يرتكب خطأ في هذه الحياة وكيف عاش انسان ولم يرتكب خطيئة ؟ انا اعمل سوءاً وانت تقابلني بسوء مثله اذاً اي فرق بيني وبينك ياآهي .

وبعد انشاد هذه الرباعية عاد وجهه الى ما كان عليه .

بهذا حدثتني (زناغا) عن عمر الخيام قبل اثني عشر عاماً ، وقد بعثت هذه الاسطورة اللذيذة في نفسي رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه ، فطلبت اليها ان تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره ما لا يتفق مع الشرع فالححت عليها الحاحاً شديداً فاخذت تدرسني رباعياته . واذابي امام شاعر حكيم وفلكي شهير وفيلسوف مفكر له نظرة في الحياة غير هذه النظرات وتأمل في الكون غير هذه التأملات ، وانه لم يكن بالقلندري السكير وانما كان رجلاً فذاً منقطع النظير وانه يعد بلا مدافع من حكماء المسلمين المفكرين .

اما وقد اطلعتم الآن على الاسباب التي دفعتني الى البحث في ادب الخيام حق لكم ان تستفسروا مني سائلين من هو عمر الخيام ، وفي اي عصر عاش ، وما هو رأيه في الحياة وما هو اثر ادبه ورأيه في الفرد وفي المجتمع ؟ :

* * *

في سنة ١٩٢٧ نشر العالم الكبير الدكتور (ميلار) مقالاً في جريدة (المورننك وست) ادعى فيها ان شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وابهام . وقد نسجت حوله اساطير غامضة تدعو الى الشك في وجوده ، وجاء ببراهين واهية واهنة انكر فيها عمر الخيام وزعم انه كان شخصاً موهوماً قد تخيلته ادمغة الناس تخيلاً فانبرى له اذ ذ

العالم الجليل القدر (السر دنيسون روس) مدير مدرسة الدراسات الشرقيـة في لندن وفند اقواله بدلائل تنحصر في خمس نقاط ، ولما كنت قد قضيت بضعة اعوام في درس حياة هـذا الحكيم وادبه شعرت في نفسي بقوة للرد عليه فرددت عليه بمقال اثبت فيه شخصية المبحوث عنه بثلاث عشرة وثيقة تاريخية لا غبار عليهـا ، واذ كان الذي يهمنا انما هو الاطلاع على ترجمته لذلك اكتفي بسرد الوثائق الهامة منها :

* * *

ان من اقدم الوثائق التاريخية التي ورد فيها اخبار عن عمر الخيام وحوادثه كتاب (جهار مقاله) لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ هـ فقد قيل له ان استاذه توفي منذ اربع سنوات .

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي خصها باخبار الفلكيين ما نعرّبه : في سنة ٥٠٦ هجرية في مدينة (بلخ) وفي صرح سراي (امير بو سعد جره) حظيت بمقابلة الاستاذ عمر الخيـام والامام مظفر اسفزاري وفي اثناء الحديث سمعت حجة الحق اي (عمر الخيام) يقول انني اذا مت فان قبري سيكون في مكان تهب عليه نسمات الشمال و ينتشر عليه الزهر والورد — وقد اخذني العجب من قوله لانني كنت اعتقد ان خياماً لا يتكلم الا عن روية . وفي سنة ٥٣٠ هجرية بلغني ان التراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلي يتيماً . واذ كان له حق التعليم عليّ ذهبت الى زيارة قبره يوم الجمعـة ومعي رجل يدلني على قبره فأخذني الى مزار حيرة والتفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد نبت حول القبر اشجـار المشمش وكان منوراً وكان الزهر يتساقط على قبره حتى توارى قبره . وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ فبكيت ولم اجد في هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جنانه بمنه وكرمه .

وبين هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود : وقد ذكر عمرالخيام في كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذي الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ .

عمر الخيام نيسابوري الآثار والميلاد كان تلو ابي علي (ابن سينا) في معرفة اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيئ الخلق ضيق العطن تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت . وله ضنة بالتصنيف

والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ، رسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ ·

ودخل عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير على الخبير سقطنا فسئل عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهم وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً فقال الغزالي كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من ادمه[1] اهلك وارض عني فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء · واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها ·

ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخيام الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وضن بالخوض في محل النزاع وكان هذا من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام ·

وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك بخاري يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره ·

وممن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ قال :

امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم اليونان ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حياة للشرع الواسع ومجامع للأغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم اسراره ولا بد ان تبدو

(١) كذا في الاصل ·

وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق العصمة وله شعر طائر نظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه . فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازماني موعدي اومواعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية فسيان حالاً كل ساع وقاعد

جاء في (ج ٤ ص ٦١) من تاريخ روضة الصفا للمؤرخ الفارسي الشهير خواند مير نقلاً عن وصايا الوزير نظام الملك ما ملخصه :

قرأت اربع سنين على الاستاذ موفق الدين النيسابوري فصادفت عنده تلميذين ذكيين عمر الخيام وحسن الصباح ، فصادقتهما وكنا بعد الدرس نجتمع لتكراره والمذاكرة فيه وعندما اجتمعنا يوماً لمثل ذلك قال لنا حسن الصباح لقد اشتهر ان من يقرأ القرآن او الحديث على الاستاذ موفق الدين يصبح ذا حظ عظيم ومنزلة سامية فاذا كان احدنا مصداقاً لذلك فما الذي يجب عليه لصديقيه فقلت له فما رأيك انت قال ان يشرك كل منا صديقيه فيما يناله من النفع فاتفقنا على ما رآه .

وبعد حين من الدهر جاءني عمر الخيام على عهد السلطان الب ارسلان السلجوقي فقابلته بمزيد الحفاوة وقلت له الآن وجب علي ان ابين درجة علمك وفضلك للسلطان واطلب منه ان يجعلك ملازماً لمجلسه حتى نكون شريكين في الجاه عنده كما كنا شريكين في الدرس لدى موفق الدين ، فقال اشكر لك حسن ظنك بي ، ولكن افضل ان تأمر لي بشيء اصلح به شأني كي اتمكن من ممارسة العلوم ومزاولة الفنون لان ملازمتي لمجلس السلطان تمنعني عما اتوخاه ، فجعلت له راتباً سنوياً قدره ١٢٠٠ ذهباً يتقاضاها من املاك نيسابور .

وبعد برهة من الزمن قدم عمر الخيام مرو على عهد السلطان ملك شاه السلجوقي وكان قد اشتهر في العلوم شهرة فائقة ولا سيما في الرياضيات وعلم الفلك فنال حظوة عظيمة

عنده وحاز منزلة كبار العلماء والحكماء ، ولم يجد نظام الملك في حسن الصباح خيراً لانه اراد مزاحمته في الديوان ·

* * *

ولقد علمتم الآن ان عمر الخيام نيسابوري المنشأ وانه عاش في اكناف الدولة السلجوقية وعاصر ملكشاه والب ارسلان وقد تتلمذ في عنفوان شبابه لموفق الدين النيسابوري مع نظام الملك والحسن الصباح في مدرسة واحدة وانه زار بغداد وتحاور مع الامام الغزالي في قضايا شرعية وفلكية وقد اثنى عليه الامام الغزالي وان له تآليف قيمة في العلوم الشائعة في عصره وانه قد توفي في اوائل القرن السادس الهجري · بقي علينا ان نفهم ماهي الافكار التي تجول في خاطر الحكيم وما هي تلك النظرة التي كان يرسلها الى الحياة وما هي فلسفة هذا الرجل الذي ملأت شهرته ارجاء العالم واستهوى شعره الناس ·

ارى ان اتلو على مسامعكم طرفاً من شعره ليتوضح لكم جلياً رأيه الصريح قال :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند فرماي كه تاباده كلكون آرند
توزرنه اي غافل نادان كه ترا در خاك نهند و باز بيرون آرند

قبل ان تهاجمك همومك مرهم ان يأتوك بمدامة وردية · انت لست ذهباً ايها الجاهل الغر ليدفنوك في التراب ثم يخرجوك ·

اي آنكه نتيجهٔ جهار وهفتي در هفت وجهار دائم اندر تفتي
مي خور كه هزار بار بيشت كفتم بازآمدنت نيست جو رفتي رفتي

يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات حتى م انت تتألم بالتفكر فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت ذهبت ·

جام ومي وساقي بر لب كشت بهتر ز بهشتي كه خير بودش دشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از كس كه رفته بدوزخ وكه آمد زبهشت

ان خيراً من الفردوس الذي وعدته كأس وخمرة وساق في جنب روضة · لا تسمعن من احد حديث الجنة والجحيم من ذا الذي ذهب الى الجحيم ومن ذا الذي جاء من الجنة ·

جون حاصل آدمي در ين جاي دودر جزد رد دل ودادن جان نيست دكر
خرم دل انكه يك نفس زنده بنود وآسوده كسي كه خود نزاد ازمادر

ان حاصل الانسان من هذه الدار ذات البابين الالم وزهوق الروح . فهنيئاً لمن يعيش ساعة وطوبى لمن لم يولد من امه .

روزي كه دومهلتست مخوري ناب كاين عمر دوروزه برنكردد در ياب
داني كه جهانت رو بخرابي دارد تومنيز شب وروزهمي باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين في كل يوم . فان هـذا العمر القليل لا يعود اليك مرة اخرى مادمت تعلم ان مصير الكون الى الخراب . انت ايضاً كن خراباً ليلاً ونهاراً .

ازحادثهٔ زمانت آينده مپرس وزهرچه رسد چونيست باينده مپرس
اين يكدمه نقدر اغنيمت ميدان از رفته ميند يش وزآينده مپرس

لا تسل عن حادث الزمان الآتي وعن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم اغتنم الساعة التي انت فيها ولا تفكر فيما مضى ولا تحفل بما يأتي .

لقد بان لكم رأي عمر الخيام في الحيـاة عريان صريحاً فان نظرة واحدة الى المعاني التي تضمنتها هذه الرباعيات تكفي لان توضح للباحث ان الطريق الذي يوصينا الخيام ان نسلكه هو طريق مظلم خطر يضل الانسان فيه ولا يهتدي الى السبيل السوي فان هذه الفلسفة السلبية التي بمقتضاهـا يتجرد الانسان عن كل شيء سوى الساعة التي يعيش فيها فلسفة هـدم وتخريب لا فلسفة بناء وتعمير لانها فلسفة ترمي الى هدم امسنا الذي نحن ابناؤه والذي نستمد منه عناصر القوة في يومنا لنعيش في غد عيشة رغدة .

امس واليوم وغد سلسلة ذات حلقات ثلاث لا تنفصم عراها ولا تنفك احداها عن الاخرى ولا يمكن تصور تجزئتها لانها الحياة والحياة لا تتجزأ لان عناصر الحياة قوة واحدة في شكل مادة واحدة وان اختلفت مظاهرها وحياتنـا اليومية حافلة بالاحلام والاماني والآلام وغيرها مما يختلج في الصدر في كل لحظة و يرد على الخاطر في كل برهة والانسان لا يستطيع ان يتخلى عن امانيـه وآلامه واحلامه وخيالاته واوهامه اذ لا مندوحة له من هذه السلسلة التي لا تنفك تتجدد في كل يوم بل في كل لحظة ، على ان هذه الانفعالات كلها وليدة الحوادث وكل حادث يستحيل الى ماض بمجرد وقوعه وهذه المشاكل او الانفعالات النفسية تحتاج الى متسع من الوقت لحلها وهذا الوقت هو الغد فأمس واليوم وغدحلقات الحياة والوجود وكلها سلاسل وقيود لا يمكن التملص منها .

اذاً فما هو السر الذي جعل الناس يتهافتون ويتلذذون بآرائه وكلماته .

لقد اراد عمر الخيام ان يحل المعضلة العظيمة التي لم يستطع ان يحلها احد قبله ، اراد ان يفهم الحياة ففشل ولما فشل تشاءم ولما تشاءم اخذ يصور الحياة بابشع صورة وزعم انها ملأى بالاوجاع والاتراح مترعة بالأذى ، لذلك حث على عدم الاهتمام بها واوصى بطلب اللذة اغتناماً لهذه الفرصة فهذه الفلسفة السلبية تلائم ذوق الفرد خصوصاً البائس المتألم ، ورأى الخيام في الحياة يتلخص فيما يلي :

ما دام ليس في امكاننا ايقاف دورة الفلك وما دمنا لا نعرف من اين جئنا والى اين نذهب وما دمنا مسيرين لا مخيرين وما دام العمر قصيراً والحياة اذى فيجب قتل هذا الوقت المؤلم القصير بالخمرة وعدم الاهتمام بالتقاليد .

هذه كلمة موجزة في فلسفة عمر الخيام ، والآن نعود الى اصل الموضوع وهو المقارنة بين المعري والخيام .

* * *

كنت في اثناء درسي لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين هاتين الشخصيتين وكنت كلما امعنت النظر في فلسفة الخيام ازددت عقيدة بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشآ في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة وتربيا في بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فيه فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت آراؤهما ونظراتهما في الكون ، لقلنا ان المعري والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكأن المشيئة الآلهية قد قدتهما من أديم واحد وجبلت طينتهما في آنية واحدة وفي آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين .

***

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معني بها ، وكلاهما ابي النفس صادق

القول مطلق الرأي جريء على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة ، وكلاهما عاش عزبا لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة ٠ واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف ٠ اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة في زمانهما فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري ٠ واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام لدولة الغزنوية ولم تقم تلك الدولة الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥—٤٨٥ الذي كان يجل عمر الخيام اجلالاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج ٠وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الآخر (نظام الملك) بطعنة باطني ٠

تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما تشعبت آراؤهم في السنة التي توفي بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ —و٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفي في اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام — وهو تلميذ خيام — انه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات ٠

وذكر البيهقي في كتابه حكماء الاسلام وفاته فقال : حكى لي ختنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل في بحث الالآهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول في سجوده اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي وان معرفتي اياك وسيلتي اليك ومات رحمه الله تعالى ٠

اما ابو العلاء المعري فقد اجمعوا على انه ولد في سنة ٣٦٣ هجرية وتوفي عاشر ربيع الاول من سنة ٤٤٩ ٠ فعلى هذا يكون المعري اقدم من الخيام بما يزيد على نصف

قرن وهي مدة كافية لنشر كتب ابي العلاء ورسائله ودواوينه في اقطار العالم الاسلامي ولا يبعد ان يكون الخيام اقتنى كتب ابي العلاء في طريقه الى الحجاز واطلع عليها . على اننا لا نريد ان نتهم الخيام ولا نغض من قدره ولا نقدح في علمه وفضله وعبقريته انما نريد ان نبحث عن هذه الاراء المتشابهة التي اشترك فيها الحكيمان ، فالمعري متقدم على زميله وعربي بحت لا يعرف الا اللغة العربية والخيام متأخر فارسي مستعرب يعرف اللغتين وله شعران عربي وفارسي .

فهل الخيام عيال على المعري في مذهبه الفلسفي والشعري ينبغي ان نذكر أمثلة بهذا الخصوص .

« اتهامهما بالزندقة »

كان كل واحد من الشيخين متهماً بضعف الايمان والمروق عن الشريعة وموصوماً بالتعبير الذي كان شائعاً في ذلك العصر وهو (الزندقة) ذلك الجرم الذي ما الصق باحد الا كان جزاؤه الموت وكانت فرائص الاحرار ترتعد خوفاً منها وقد ذهب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس والحلاج والسهروردي وغيرهم ضحايا هذه التهمة .

اما ابو العلاء فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقرأ (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) يريد بذلك إهانة الشيخ ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين .

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يروبه عنك الناس؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي والآخرة فقال ابو العلاء (والآخرة ؟) ثم اطرق ولم يكلمني حتى قمت عنه .

وزاره بعض القضاة فقال له ابو العلاء لم اهج احداً . قال صدقت الا الانبياء قال فتغيرلونه .

وقد ابتلي عمر الخيام بما ابتلي به صاحبه فقد وصمه (شيخ نجم الدين الرازي) في كتابه (مرصاد العباد) الذي الفه سنة ٦٢١ هجرية بانه ممن يدين بدين الفلاسفة والدهريين الطبيعيين وكان القائلون بهذا المذهب كفاراً ضلالاً في نظر الناس وقد احتج نجم الدين على ضلاله وزندقته باحدى رباعياته وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

ومما يؤيد ظن الناس به ظناً سيئاً واتهامهم له بالزندقة قول (القفطي) (ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من لسان قلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ... الخ) وقول القفطي فيه يدل على ان الناس كانوا يناوئونه و يتناوشونه بالكلام القارص البذيء ولا اشك في ان الذين كانوا يتهجمون عليه و يغرون العوام بايذائه هم رجال الدين وهذا شأنهم في كل عصر مع الاحرار والعظماء الا ان الخيام لم يقصر في رد كيدهم في نحورهم واظهار مايبطنونه من المكر والخبث فقد قذعهم في كثير من رباعياته فمن ذلك قوله في المفتي واظنه كان من مناوئيه :

اي مفتي شهر ازتو بر كار تريم   بااين همه مستي زتوهشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان   انصاف بده كدام خونخوار تريم

يا مفتي المدينة أنا احسن منك عملاً ومع كثرة سكرنا فانا أصحى منك أنا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فانصف فأينا شراب الدماء .

«اعتقادهما بالجبر»

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعري في مقدمة (اللزوميات) على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً اياه ومناضلاً عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي   الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر   على عمل ام مستطيع فجاهد

...

ما باختياري ميلادي ولا هرمي   ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

...

جئنا على كره ونرحل رغَّما   ولعلنا ما بين ذلك نجبر

...

وردت الى دار المصائب مجبراً   واصبحت فيها ليس يعجبني النقل

...

ولم نحلل بدنيانا اختياراً ولكن جاء ذاك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازيم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب . (الثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون بالجبر ونفي الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله . (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعاني اي انه صفة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم .

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلاً دقيقاً وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً ومما يؤيد ذلك قوله في احدى رباعياته .

آورد باضطرارم اول بوجود جزحيرتم از جهان جيزي نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جـه بود زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

بر رهـگذرم هزار جاد ام نهي كوبي كه بكيرمت اكركام نهي
يك ذره زحكم توجهان خالي نيست حكم توكني وعاصيم نام نهي

تضع الاشراك يا آلهي في الف مكان من سبيلي وتقول انك اذا وطأتها فانا نهلكك لا تخلو ذرة في العالم من حكمك انت تحكم وتقدّر عليّ وانت تسميني بالعاصي .

« البعث بعد الموت »

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد في الدنيا ، وكان فلاسفة اليونان الآلهيون ولا سيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التي لا تلبث

ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدمي عقلي وهناك تحي حياة إما شقية واما سعيدة لقاء ما أتته في الحياة من آثام أو اعمال مبرورة . اما ارباب الديانات فرأيهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه تارة منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأي الزاعمين حشر الاجساد ومستهزئاً بافوالهم وطوراً معترفاً به مما يصعب على الباحث ان يصدر حكماً قطعياً ورأياً نهائياً بالسلب او الايجاب وقد لمس خيام هذا الموضوع استطراداً وذلك اثناء بحثه عن الخمرة وحثه الناس على شربها فمن قوله :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند فرماي كه تاباده كلكون آرند
نوزرنه اي غافل نادان كه ترا درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك غمومك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية . ايها الغافل الجاهل انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى .

ما لعبتكانيم وفلك لعبتباز ازروي حقيقتي نه ازوري مجاز
بازيچه كنان بديم بر نطع وجود رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .

فقوله (انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد) دليل على انه لم يكن معتقداً بالحشر والنشر كما يعتقد به المسلمون غير اننا نراه في موضوع آخر يبرم ما نقضه .

از خالق كردكار وزرب رحيم نوميد نيم به جرم وعصيان عظيم
كرمست وخراب مرده باشم امروز فردا بخشد به استخوانهاي رميم

لست قانطاً من رحمة الله الرحيم لجرمي وعصياني العظيمين وان انا مت اليوم سكران فانه سيغفر (غداً) رميم عظامي .

وكلمة (غدا) هنا لا تفسر الا بيوم القيامة التي يكون بها البعث والحساب والعقاب والعذاب .

وعمر الخيام بنقضه وابرامه يشبه اباالعلاء المعري فان الثاني اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً فكان تارةً مؤمناً به وتارةً منكراً له فمن قوله الذي أثبت فيه البعث :

وإني لأرجو منه يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
اذا راكب نالت به الشأو ناقة فما أينقي الا الظوالع والحسرى
وان أعف بعد الموت مما يريبني فحظي الادنى ولا يدي الخسرى

ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحاً :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

اما الجسوم فللتراب مآلها وعييت بالارواح انى تسلك

على انني ارتأي ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام وخلود الأرواح واما الابيات التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليهما (والشك) ولا ريب أثبت في الانسان من اليقين ولا سيما في قضية هي أقرب الى الخيال الشعري من الحقيقة اليه .

وكان ابو العلاء المعري يرى التقية ومداراة الناس و يحتاط في اظهار آرائه ويعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفي لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى في الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فإفصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسبي من معايبها اني أعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل اومن رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان ابا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزير جمال الدين ابي الحسين علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي » مانصه : « ولما قدح اهل زمانه في دينه وأظهروا ماأسرّه من مكنونه خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى أسراراً من السرار غير نقية » .
ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء مايكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك راز نتوانم گفت   كوته سخنم دراز نتوانم گفت
حالي دارم كه شرح نتوانم داد   رازي دارم كه باز نتوانم گفت

لا أستطيع ان ابوح بسري لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا أستطيع ان أطيله . لي حال لا أستطيع ان أشرحها وسرّ لا أستطيع ان اقوله .

ولاسيما ان عصر الخيام كان عصراً طافحاً بجماعات من المتصوفة العمي الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين أعمى التعصب الممقوت أفئدتهم وأطفأ سراج عقولهم فكان من حقه ان يتكتم وان لا يبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التي أنزلت بزملائهم وأنسبائهم في الرأي من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليما .

والنطع الذي أضجع عليه صالح بن عبد القدوس ، والسياط التي ألهبت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذي صلب عليه الصوفي الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذي بتر عنق الفيلسوف السهروردي وغيرهم من الفطاحل الأفذاذ الى غير ذلك من الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبراً ودروساً .

« التناسخ »

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان

اذا مات اوقتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لاهامة ولاعدوى ولاصفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام وذلك منذ أواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبدالله بن سبأ[1] الذي قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) اى أنت الاله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهي في الأئمة بعد علي . ومثل هؤلاء أصحاب ابي كامل[2] الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص يكون امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كإشراق الشمس في كوة او كإشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ و لرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاته .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكي في تاريخ الالفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة في حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية :

---

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢ و١٣٣ من كتاب الملل والنحل .

اى رفته و باز آمده بل هم كشته نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته ريش از پس كون در آمده دم كشته

اي . يا أيها الذي ذهب وعاد مرة أخرى وصار (كالانعام بل هم أضل سبيلا) قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في عجزك فصارت ذيلاً .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فأجابهم ان الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها غير انه لما شاهد رفقاءه الاقدمين رضي بالدخول .

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلاً ان يعتقد بانها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الأحاديث التي يختلقها العوام لان هذا الرجل الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على رجاحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأي المبتذل المأفون . هذا من جهة ومن جهة أخرى ان رباعياته التي اشتهر بها والتي أودعها آراءه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكرانه البعث والحشر والنشر وبقينه بالعدم المحض لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران وفي لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن مايخبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

« تشاؤمهما »

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وآراءهما في الكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين مافتئين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل مافيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس أشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شيء في الكون خبيث ردئ وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان آلام الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وأفراحها .

والتشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة اوجاعهم وهذا المرض العضال يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة بالامراض القليلة الأرزاق الفقيرة التي مافيها عمل ولا كسب وكثيراً مايحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لايلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت الحاجة زال التشاؤم سريعاً ٠

اما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم وشأنه كبير فانه يتولد في نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وامور مبهمة لم يتوصل العقل البشري الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون ومنشئه وهل هوحادث اوقديم وهل هومحدود ومتناه اوهو غير محدود وغير متناه والأزلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الأسرار والألغاز التي ماتأمل فيها احد الارجعت تأملاته على أعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لااختياراً والشك الذي هونتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد (التشاؤم) ويورث الألم واليأس ٠ وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لاتعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولاريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريعة واحلام محزنة والانسان مفطور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكدر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشاؤم الذي لامندوحة عنه ما دام موقناً بها ٠

وقد أعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء أوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما أوجده وان هناك حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم

طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها ألوان من العذاب أعدت للمجرمين الآثمين .

فهذا الأمل الرائع يمنح المعتقدين راحةً وسلاماً وأماناً في الحياة فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب .

وان اباالعلاء المعري الذي تدل كلماته وأقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً في وجود خالق صانع مدبر ، حائراً في سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكاً في العقائد التي من ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هو الواقع وانك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيحاته الأليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه في شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم .

وهذه الآراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التي ألمت به بفقدان بصره وموت أبيه وأمه وفقره ووهنه هي التي أشعلت في قلب الشيخ جذوة اليأس والألم فراح يكيل للأديان السباب وللأنبياء الشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلاً خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلاً عن الناس ، منزوياً قابعاً في كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك برهان أقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره .

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد

وقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

* * *

تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس :

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب في لؤمه والناس كالنسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقدرأت أشخوص جن أم شخوص أناس

عرب وعجم دائلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

* * *

والشر طبع قد بثت غريزته مقسومة بين أنواع وأجناس

* * *

سجايا كلها غدر وخبث توارثها أناس عن أناس

وقد تزاحمت هذه الافكار في دماغ عمر الخيام كما تزاحمت في دماغ صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهته للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لو لم يكن مخلوقاً في الدنيا .

گر آمدنم بمن بدی نامدی ورنیز شدن بمن بدی کی شدمی

به زآن نبدی که اندرین عالم خاك نه آمدی نه شدمی نه بدمی

لو كان مجيئي باختياري لماجئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت ان أخلق . الافضل أنني لم اكن في هذا العالم ولم اجئ اليه ولم أخلق ولم أبق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا في الدواء .

« الخمرة — المنية »

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السالفة . وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت . وفي طاقتنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد ذهب في المغالاة بمدحها والاسراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما احمل بعض الباحثين ان يسيئوا به الظنون ويعتبروا أقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للأوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار ومما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا المعني قوله :

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عولت أمري

فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر

فبذي أدوّن حكمتي وبذي ازيل هموم صدري

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخذه دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :

مى خوردن من نه از براى طرب است نى بهر فساد وترك دين وادب است

خواهم كه ببيخودى بر آرم نفسى مى خوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب . انما أريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكري لهذا السبب .

از آمدن بهار واز رفتن دى اوراق وجود ماهمى كرد دطى

مى خور مخور اندوه كه گفتست حكيم غمهاى جهان جوز هر و ترياكش مى

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا . أشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقة) او (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشعة الحمراء بنت الكروم لابادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم .

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلاً فهو في وصفه الرائع أشبه بابي نؤاس في وصفه لها حتى لقد سن للسكارى قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

گر باده خوري تو باخرد مندان خور يا باصنمى لاله رخى خندان خور

بسيار مخور ورد مكن فاش مساز اندك خور وگه گاه خور وپنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء او مع مليح ضحوك ذي محيا منير ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام اشرب قليلاً وبين آونة وأخرى وفي الخفاء .

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى وأكثر من ذم الخمرة وقبحها وندد بشاربيها وزعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهي عدوة   من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

* * *

البابلية باب كل بلية   فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره   واذى النديم وفرقة الاحباب
ام الحباب وان أميت لهيبها   بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت   مهن العبيد تهضم الارباب
ونوهم الشيب المدالف انهم   لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألفيت   صهب الدنان اعادي الالباب

* * *

دبيب نمال من عقار تخالها   بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت   قلاها اصيلات النهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة   من الخمر في كاساتهم والاباريق

قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هي (الخمرة) واما المعري فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها في كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فمالي عندها فرج   فليت شعري عن موتي اذا قدما
صحبت عيشاً أعانيه ويغلبني   مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد ملات زماناً شره لهب   اذا دنا الخبو عاد فاحتدما
من باعني بحياتي ميتة سرحا   بايعته واهان الله من ندما

* * *

رب متى ارحل عن هذه الـ ـدنيـا فاني قد أطلت المقام
لم ادر ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدي ولا عدوي يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثواي ومثواهم وما رأينا احداً منه قام

* * *

مللت عيشي فعوجي يا منية بي وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدي سيوجد امسي لا ينازعني في ذاك خلق وامسي لا يصير غدي

« مصير الجسم بعد الموت »

وقد اختلف الحكيمان ايضاً في قضية مصير الجسم بعد موته فكان ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :

خفف الوطأ ما أظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد

ومن قوله في عدم تكريمه :

نكرم اوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق أمواتهم .

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم وذاك اروح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشون من ضبع تسرى اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غبّاً واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكان مبالغاً في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلاً انها أجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .

اى كوزه كران بكوش اكرهشيارى تاجند كنى بركل آدم خوارى
انكشت فريدون وكف كيخسرو برجرخ نهادهٔ جه مي بنداري

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين : حتى م تظلمون طينـة ابن آدم · انكم قد وضعتم اصبع فريدون وكف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون ؟

دي كوزه كري بديدم اندر بازار   بر باره كلى لكد همى زد بسيار
وآن كل بر بان حال باوي ميكفت   من همجو توبوده ام مرانيكودار

رأيت امس خزافاً في السوق وكان يركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت ياهذا مثلك فعاملني بالحسنى ·

وقد عاش الشيخان عزبين ولم يتزوجا وكان رأي المعري في المرأة سيئًا وكان يكره النسل ويرى الزواج إثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجني على غيره كما جنى عليه ابوه وفي ذلك يقول :

وارحت اولادي فهم في نعمة الـ   ـعدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة   ترمي بهم في موبقات الآجل

* * *

فالبث وحيداً لا وصيـ   ـفة في ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه في الزواج والمرأة والنسل ·

لقد علمتم ايها السادة مما تقدم ذكره ان عمر الخيام لم يأتنا بشيء جديد وانما كرر ما تكلم به قبله شيخ المعرة وترنم بعين النغمة التي كان يترنم بها حكيمنا الجليل · فسلام على الجزيرة وسلام على ربوع الشآم منبت الفحول العظام ·

احمد حامد الصراف
العراقي

رسالة الكرم

- ٣ -

« اول ماينبت من الحب والغرس »

اول ما ينبت من الحُبَّة نسميه الحمنة مالم نغرسه بايدينا فننزعه ثم نغرسه . فاذا غرسناه سميناه غرساً . هكذا جاء في الكتاب المنسوب للاصمعي ولم أر من ذكر الحمنة بهذا المعنى . والذي في اللسان والتاج ان الحمنة واحدة الحمن وهو صغار القردان ولا معنى له هنا ولعلها محرفة عن الحَبَّة . ويؤيد هذا ما جاء في المخصص فقد قال فيه : قال بعض الطائفيين اول ما ينبت من الحُبَّة يسمى الحَبَّة ما لم ننزعه فنغرسه بايدينا فاذا نزعناه ثم غرسناه سميناه غرساً وسيأتي عن التاج ان الحبة كثبة العنب اول ماينبت من الحب مالم يغرس جمعه حبي كهدي .

وقال في المخصص ايضاً اذا نبتت حبة العنب وهي العجمة والحصرمة والفرصد وهي طائفية . والنواة فهي حَبَّة ما لم ينزع نباتها من موضعه فيغرس فاذا نزع ثم غرس سمي غُرْسة (هكذا ضبط بالشكل بضم الغين ولم ارها لغيره) وسيأتي تحقيق اسمها في الغراس . الاصمعي عن ابي الخطاب . العنب اول ما يغرس يكون غَرْسة ثم تصرم في قمر قابل اي يقطع من غصونها ما ييبس منها اجمع حتى يبقى منها اصلها ثم تخرج لها شكر فاذا علقت الغريسة قطعت من وجه الارض وترك اصلها وعروقها في الارض فاذا قطع رأسها دُمّنَت بالدِّمْن اي ألقي على اصلها الدمن وهو السرجين .

فاذا نبت اصلها الذي في الارض ثانية فهي نشأة . وقد أنشأت اذا نبتت . وفي القاموس النشيئة والنشأة مانهض من كل نبات ولكنه لم يغلظ بعد ونحوه في اللسان . ويأتي نشأ بمعنى حيي ، وارتفع ، وربا ، وشب ، وبدا .

ويقال سرى عرق الشجرة في الارض يسري سرياً ، دب تحت الارض .

وقد تقدم ان عروق كل شيء أطناب تتشعب منه واحدها عِرْق والعِرقاة بالكسر جمع عِرْق وعِرْقة وقال الليث العِرقاة من الشجر أرومة الأوسط ومنه تتشعب العروق .

ويقال أنسغ الشجر والكرم اذا نبت بعدما قطع .

الغرس — عقافيل الكرم ماغرس منه . ولم يذكر لها واحد . قال الشاعر :

نجذ رقاب الاوس من كل جانب كجذ عقافيل الكروم خبيرها

الفَسْل — قضبان الكرم للغرس وهو ما أخذ من أمهاته ثم غرس والافتسال قطع غِصَنة الكرم للغرس . واسم الغصن الفسل .

العَكيس — القضيب من الحبلة يعكس تحت الارض الى موضع آخر . (الاصمعي) العكيسة التي تمس الارض في قضبانها وهي أغلظ من الشكر .

الشكير كقضيب الكرم يغرس من قضيبه جمعه شُكُر كقُضُب والفعل منه شكِر كفرح وأشكر واشتكر .

وشُكُر الكرم (قضبانه الطوال) وقيل قضبانه الأعالي .

وفي المخصص فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضاً زرجونة ثم قال والحبلة كالشكير .

والشكير ماينبت من القضبان الغضة الرخصة بين القضبان العاسية . وما ينبت حول الشجرة من اصلها . او ماينبت في اصلها من الورق ليس بالكبار والشكير ماينبت في اصول الشجر الكبار . والورق الصغار ينبت بعد الكبار وقيل الشكير الشجر الذي ينبت حول الشجر .

الغريسة شجر العنب اول مايغرس ، والنواة التي تزرع ، والغرس بالفتح الشجر الذي يغرس والجمع أغراس وغِراس والغَرْس القضيب الذي ينزع من الحبة ثم يغرس . والغِراس بالكسر زمن الغرس ووقته ومايغرس من الشجر والمغرِس موضع الغرس وجمعه مغارس وغرس الشجر من باب ضرب وأغرسه ايضاً بمعنى أثبته في الارض فالشجر مغروس وغِراس وغَرْس كما تقدم ولم نجد غرسة بضم الغين او بفتحها في اللسان والتاج والمصباح ولعل الاولى تحريف والثانية واحدة الغرس فتأمل .

ويقال نبَّت الزرع والشجر تنبيتاً اذا غرسه ، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيراً . ويقال استأصلت الشجرة نبتت وثبت أصلها .

***

« التطعيم »

أطعم الغصن إطعـاماً وطعّمه تطعيماً اذا وصل به غصناً من غير شجره فَطَعِم الغصن اي قبل الوصل ·

الغروز بالضم : الاغصان تغرز في قضبان الكرم للوصل واحدها غرز بالفتح والتغاريز ماحول من فسيل النخل وغيره الواحد تغريز سمي بذلك لانه يحول من موضع الى موضع فيغرز وهو التغريز ·

وغرز عوداً في الارض وركزه بمعني واحد ، وكل ما سُمِّر في شيء فقد غُرِز وغُرِّز

« ماء الكرم »

أغطى الكرم اذا جرى فيه الماء وزاد ونما ·

التوحيم : ان ينطُف[1] الماء من عود النوامي اذا كسر يقال وَحَّمَت الكرمة تُوَحِّم ·

الدماع كرمان وغراب ما يسيل من الكرم في ايام الربيع · كذا في اللسان والمخصص واقتصر الصاغاني على الاول قال في التاج وفي نسخ الصحاح والاساس بالتخفيف ·

النسغ بالضم ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ·

وقد تقدم ذكر الطل وهو الندى الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها ·

« الأُبن والزمع وما شاكلهما »

واذا جرى الماء بعد الحطاب قيل أفطَرَت شكره ثم يقال ازغبت ·

ويقال ازغب الكرم وازغاب كاحمر واحمار اذا صار في أُبن (عقد) الاغصان التي تخرج منها العناقيد مثل الزَّغب[2] وذلك اذا جرى فيه الماء وبدأ يورق ·

الأُبن جمع أُبنة بالضم وهي العقدة في العود او العصا ويقال لها عين وجمعها عيون وقد تقدم ان قطعات الشجر أُبنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قطعة ·

الزمع محركة أُبن تكون في مخارج عناقيد الكرم · وقيل الزمعة الحبة اذا كانت مثل رأس الذرة واحدتها زمعة بالتحريك وتجمع على زمعات ، ويقال ازمعت الحبلة اذا عظمت

(١) نطَف الماء ينطِف وينطُف قطر قليلاً قليلاً ·

(٢) الزغب اول ما يبدو من شعر الصبي والمهر وريش الفرخ ·

زمعتها ودنا خروج الحبة منها. وفي اللسان الزمعة الطلعة في نوامي الكرم بعد مايصوف[1].
وقيل العقدة في مخرج العنقود. وفي الاصمعي اذا رأيت فيه الطلع قلت أزمع وفيه ايضاً
العنب اول شيء يخرج منه ان تعظم الزمعة فاذا عظمت جداً سميناها بنيقة ثم يكون
حثراً ثم يكون غصناً[2] وذلك اول مايعقد فلا يزال غصناً حتى يأخذ في النضج و يرى
فيه السواد.

فاذا عظمت الزمعة سميت بنيقة كسفينة.

ويقال اكمحت البنيقة[3] اذا ابياضت وخرج عليها مثل القطن.

وفي المخصص والبنائق. هي الكوافير اي الاغطية.

و يقال اكمح الكرم بالحاء المهملة اكماحاً اذا تحرك للايراق. واكمخ بالخاء المعجمة

---

(١) هكذا ضبط في اللسان في مادة زمع وقد ذكر في مادة: صوف، صوّف الكرم بتشديد الواو وهو الموافق لما في التاج والاصمعي والمخصص.

(٢) هكذا في نسخة الاصمعي وكتب الشارح في ذيلها عند هذه اللفظة اي (غصناً) ومنه أغصن العنقود وغصّن اذا كبر حبه شيئاً. ومن البين ان قوله ثم يكون غصناً وذلك اول مايعقد الخ ينافي قولهم أغصن العنقود اذا كبر حبه شيئاً ففي العبارتين تباين بين. والظاهر ان في العبارة تحريفاً لم يفطن له الشارح وان اصلها هكذا: ثم يكون غضاً.

وقد وقع في عبارة اللسان في تفسير الغض خطآن: وذلك انه قال والغض الحثن من حين يعقد الى ان يسود و يبيض وقيل هو بعد ان يحدُر الى ان ينضج الخ. ولا معنى للحبن ولا ليحدر في هذا المقام والصواب في الاول الحثن وفي الثاني يجدر كما تدل عليه عبارة المخصص فقد جاء فيه: اذا صار حب العنب فوق النفض قيل جدر ثم يكون غضاً. ثم قال والغض من صفات الحثن. ثم قال وقيل هو غض من حين يعقد الى ان يسود او يبيض. وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج وقد جاء عن الاصمعي مايؤيد ذلك فيما نقله عن ابن الخطاب: ثم يجدر اذا كان فوق ذلك. قال يخرج مثل الجدري ثم يكون غضاً ثم يرق حتى يلين و يطيب وسيأتي ذلك مفصلاً في مواضعه.

(٣) في اللسان الزمعة.

بدت زمماته وذلك حين يتحرك للايراق ٠

وفي اللسان حثرة الكرم زممته بعد الاكماخ وسيأتي الحثر في العنقود ٠

« تقطينه »

و يقال قطن الكرم تقطيناً وعطب تعطيباً اذا بدت زمماته وظهرت ٠ وفي المخصص اذا تحرك للايراق فبدت زمماته ظهر لها عطب فيقال قد عطب الكرم وقطن وأكمخ وفي اللسان العُطُب والعُطْب القطن واحدته عطبة ٠

« تجبيبه وتفتحه »

جدر الكرم كفرح اذا حبب وهم بالايراق ٠ وفي اللسان جدر النبت يجدُر وجدُر جدارة وجدّر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً اونصف شهر ٠

الأصمعي صوّف الكرم بدت عيونه ٠ وفي المخصص فاذا بدت عيون النوامي بعدما تصرم قلت صوّف ٠ وفي اللسان والتاج : صوف الكرم بدت نواميه بعد الصرام يقال صرم النخل والشجر والزرع اي جزه ٠ والصرام بالفتح و يكسر أوان ادراكه ٠ والصرْم القطع البائن للحبل والعذق ونحو ذلك الصِرام ٠

و يقال بصّص الشجر اذا تفتح للايراق ٠ وبصّصت البراعيم اذا تفتحت أكمّة الرياض وبصصت الارض ظهر منها اول ما يظهر من نبتها كبصبصت وأبصت وأوبصت ٠

وجصّص العنب والشجر وهو اول ما يرى منه شيء قدخرج مثل بصص مأخوذ من تجصيص الجرو اذا هم ان يفتح عينيه ٠ وجصص العنقود هم بالخروج ٠

الخَضَب مايظهر في الشجر من خضرة عندابتداء الايراق وجمعه خضوب وخضَب الشجر يخضب خضوبا ٠ وخضِب وخُضِب واخضوضب كله بمعنى اخضر وخضبت الارض خضباً طلع نباتها واخضر ٠

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »

— ٣ —

(١٥) — وجاء في ص ٢٠٥ س١٥ يصف العدو الذي استسلم : فأبصر بالخدمة موضع رشده اه . ذكر الاستاذ ان الصواب : « فأبصر بالحذق » بدل الخدمة وقال : (لان الحذق سبب ابصاره رشده اما الخدمة فانما تصح ارادتها على استكراه وتكلف) اه ونقول : ان الباء في قوله بالخدمة ليست بمعنى السببية كما فهم الاستاذ وبنى على ذلك انتقاده وانما هي بمعنى (في) الظرفية والمراد ان هذا العدو قد أبصر رشده في رجوعه الى الطاعة وملازمته للخدمة ويدل على ذلك قول الكاتب قبل هذه العبارة (وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلاً ويأمل اسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلاً اه) . وإذن فلا موجب لتغيير لفظ الخدمة بالحذق مادام المعنى صحيحاً لااستكراه فيه ولا تكلف .

(١٦) — وجاء في ص٢١٤ س١٥ يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابابكر ارسلها الى سيدنا علي « ومخبآت الصنادق » اعترض الاستاذ على قوله : «الصنادق» (بان صوابه الصناديق بالياء لمكان الواو في مفرده وهو صندوق) . ونقول : أجاز علماء الكوفة حذف الياء من مماثل مفاعيل كما أجازوا زيادة تلك الياء في مماثل مفاعل فنقول في جعافر جمع جعفر : جعافير كما نقول في عصافير جمع عصفور : عصافر ، ومن الاول قوله تعالى : (ولو ألقى معاذيره) والاصل معاذره بدون ياء جمع معذرة . ومن الثاني وهو حذف الياء قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) والاصل مفاتيح بالياء جمع مفتاح ، واذ كان ذلك مذهباً لبعض علماء الصرف مستشهدين على صحته بالتنزيل العزيز وهو حجة لاتجحد لم نشأ والحالة هذه ان نغير ماجاء في الاصل فنزيد ياء في قوله : «صنادق» لجواز ان يكون صاحب هذا الكلام جارياً على مذهب الكوفيين في ذلك .

(١٧) — وجاء في ص٢١٧ س٥ (والتعريض سجال الفتنة اه) . والسجال جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة ، يريد بهذه العبارة ان التعريض بالكلام وهو التلميح به الى عيوب الخصوم يحمل الشر والفتنة في ثناياه كما تحمل الدلو الماء . وإذن فعبارة الاصل مستقيمة لاخطأ فيها ، وقد وردت هذه العبارة ايضاً في صبح الأعشى وقد قال الاستاذ ان الصواب (شجار) بدل (سجال) كما في نسخته المخطوطة لمحاضرة الأبرار ، وقال في تفسير الشجار انه من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار ، ومعنى كون التعريض شجار الفتنة ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم تثير الحفائظ وتهيج الأحقاد و يكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفتنة) الخ كلام الاستاذ . ونقول : « ان المعنى متى استقام على الرواية الاولى فلا موجب لطرحها ووضع غيرها مكانها على ان القارئ المدقق اذا وازن بين الروايتين ونظر بذوقه ليعرف اي المعنيين أقرب الى الأذهان واي الكلمتين أشبه بالاساليب العربية في مثل هذا الغرض الذي نحن بصدده لتبين له واضحاً ان المعنى في الرواية الاولى أشد تبادراً الى الذهن وأقل تكلفاً في توجيهه من الرواية الثانية التي نقلها الاستاذ عن محاضرة الأبرار كما يظهر له ان التعبير بسجال اقرب الى الأساليب العربية في مثل هذا المعنى من التعبير بشجار وانك اذا راجعت كلام العرب وجدتهم اذا ذكروا الفتن والحروب شبهوهما بالاشياء المظروفة كالماء ونحوه وليس أدل على ذلك من قولهم : (الحرب بيننا سجال) قال في اللسان في تفسير هذه الكلمة مانصه : معناه (انّا نُدال عليه مرة و يُدال علينا أخرى وذلك لان المستقيين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سجل اي دلو ملأى ماء) اه . فأنت ترى من هذا ان المساجلة في الحروب اصله من السجل وهو الدلو على التشبيه .

(١٨) — وجاء في ص٢١٨ س٧ من كلام ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى علي قال : (ماهذا الذي تسوّل لك نفسك ...) الى ان قال : (و يسري فيه ظعنك) اه يريد بقوله : (و يسري فيه ظعنك) إظهار التعجب والدهشة من هذه الخطة التي اتبعها عليّ رضي الله تعالى عنه معه حين ابى عليه البيعة فقال : (ماهذا الذي يسري فيه ظعنك ، اي ماهذه السبيل المظلمة التي تسلكها و يسري فيها ركبك على غير هدى متبعاً بسلوكها

غير سبيل المؤمنين كأنه يقول : ان هذا خلاف ما نعرفه منك ، ونعهده فيك) . وقد ذكر الاستاذ « ان في نسخة المخطوطة لمحاضرة الأبرار : (ويستشري فيه ضغنك) ورأى تفضيل هذه الرواية على الاولى » ونقول : اننا لم نتبين وجهاً لتفضيل احدى الروايتين على صاحبتها ونرى انهما مستويتان في ظهور المراد وتأدية الغرض والتئامها مع ماقبلها من الكلام على انه ان كان هناك وجه للتفضيل فان الرواية الاولى أليق باخلاق ابي بكر وأنسب بآدابه دون الثانية لما فيها من شتم علي رضي الله تعالى عنه ونسبة الضغن والحقد الى صدره المأهول بالتقوى المعمور بآداب الكتاب والسنة .

(١٩) — وجاء في ص ٢١٨ س ١٠ من كلام ابي بكر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (أومثلك ينقبض عليه الفضاء) الخ المعنى أو مثلك في ذكائه وفطنته يضيق عليه المتسع من الامور ، وتلتوي عليه سبل الرشد مع ظهورها ، وتخفى عليه طرق الهداية مع وضوحها واستبانتها . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى اي نسخة محاضرة الأبرار : (يُغَصُّ عليه الفضاء) مكان (ينقبض) اي يضيق عليه الفضاء » ونقول : ان الانقباض ايضاً يؤدي هذا المعنى فانه ضد الاتساع والانبساط وما دام المعنى واحداً في كلتا الروايتين فلا وجه لتفضيل احداهما على الأخرى .

(٢٠) — وجاء في ص ٢١٩ س ٩ في كلام ابي بكر ايضاً : « ولا نبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه » الخ . قال الاستاذ : (ان الصواب إسقاط احدى الكلمتين إما كلمة (مراداً) او كلمة (الى شيء) فتكون العبارة هكذا : ولا نبلغ الى شيء الا بعد الخ او (ولا نبلغ مراداً الا بعد) الخ كلام الاستاذ . ونقول : ان تخطيء الاستاذ لعبارة الاصل وتصويبه حذف احدى الكلمتين انما سرى اليه من انه فهم ان قوله : (الى شيء) متعلق (بنبلغ) وليس كما فهم ولكنه متعلق بقوله (مراداً) وفعل الارادة يتعدى بالى اذا ضمنته معنى الحاجة والاضطرار ومنه قول الشاعر :

اذا ما المرء كان ابوه عبساً فحسبك ما تريد الى الكلام

قال في لسان العرب بعد ذكر هذا البيت (انما عداه بالى لان فيه معنى الذي يحوجك او يجيئك الى الكلام) اه فقوله هنا مراداً الى شيء اي حاجة الى شيء .

(٢١) — وجاء في ص ٢٢٠ س ٢ من كلام ابي بكر ايضاً : (وانهض الخير لك)

المعنى يسّره لك ، وقربه منك ، وجعله في متناول يدك ، فاستعار الانهاض لهذا المعنى كما يستعار الانهاض في الحظ ايضاً فيقال : أنهض الله حظك ، اي أقاله من كبوته . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة اي نسخة محاضرة الابرار (وأرهص الخير) الخ يقال : أرهص الشيء اذا أثبته وأسسه » . ونقول : ان المعنى الذي بيناه للرواية الاولى ظاهر لا تكلف فيه فلا نرى مايوجب طرحها ووضع الرواية الثانية مكانها ولسنا في حاجة الى ان نبين هنا ان اكثر الكلام العربي من نظم ونثر قد اختلفت فيه الروايات الى اكثر من ثنتين وشرّاح دواوين العرب تثبت جميع هذه الروايات ولا تثبت رواية مع اطراح الباقي مادام لكل رواية صحيحاً معنىً تسكن اليه النفس ويطمئن له القلب .

(٢٢) — وجاء في ص ٢٢١ س ٨ : (وخصه بمزية وأفرده بحالة) الخ يريد : وأفرده بصفة من صفات الخير اي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك واحداً من أصحابه رضي الله تعالى عنهم الا أثنى عليه وذكره بصفة يحمدها . وقال الاستاذ : « لعل الاصوب (بجلالة) مكان (حالة) واحتج لذلك بان الحال تشمل الحسن والقبيح من الصفات بخلاف (الجلالة) » . ونقول : ان سياق الكلام يعين ان المراد بالحالة احدى صفات الخير دون غيرها من الصفات فانه يقول قبل هذا : « اما تعلم انه لم يدع — اي النبي صلى الله عليه وسلم — أحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه الا أبانه بفضيلة ، وخصه بمزية » الخ . على ان قوله (بمزية) عام ايضاً لا تخصيص فيه اذ لفظ المزية كلفظ الحالة في اشتراكهما بين صفات الخير والشر فكان مقتضى احتجاج الاستاذ تغيير قوله (بمزية) ايضاً .

(٢٣) — وجاء في ص ٢٢٣ س ٥ من كلام ابي عبيدة بن الجراح (لحقني اي عمر — بوجه يبدي تهللا) الخ . ومعنى قوله : (يبدي تهللا) ان أمارات السرور والبشر بادية على محياه ظاهرة لا خفاء بها . واما قول الاستاذ : (ان قوله يبدي تهللا) ليس من جنس كلام العرب فذلك ما نتوقف في قبوله اذ لا يمكننا الحكم به الا بعد الإحاطة بكلام العرب نظماً ونثراً على ان مثل ذلك التعبير شائع في الشعر قال الشاعر :

يبدون في رهج الوقائع بشرهم والشمس كاللحة الإهاب قطوب

واما الرواية الثانية التي استصوبها الاستاذ وهي قوله : (ينديي) بالنون مكان (يبدي)

فهي رواية جيدة ايضاً لاخلاف في ذلك وانما الخلاف في تخطيء الاستاذ للرواية الاولى وقد ظهر صوابها بما بينا ·

(٢٤) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١١ في كلام عمر بن الخطاب يريد به علياً رضي الله تعالى عنهما (حين لا راد لقولك الا من كان منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك ، يمص إهابك ويعرك اديمك) الخ · يريد بقوله : (يمص إهابك) ان أتباعك من الطامعين فيك لا ينقطع طمعهم حتى اذا استنفدوا كل مالديك واستخلصوا كل ما في يدك ولم يبق الا إهابك اي جلدك امتصوه كما يمتص العلق الدماء رجاء ان يجدوا فيه مايسد مطمعهم · وقد كنى عمر رضي الله تعالى عنه بهذه العبارة عن ان الطامع لا يترك في يد المطموع فيه حقيراً ولا جليلاً الا تبعته عينه وامتد اليه طمعه هذا الذي فهمناه من هذه العبارة عند تصحيحنا لها وإذن فلا موجب ان نستبدل قوله (يمص) بالصاد المهملة بقوله : (يمض) بالضاد المعجمة كما رآه الاستاذ ويمضه من مضه الامر اي أحرقه وأوجعه بل اننا نرى ان في الرواية الاولى من المبالغة في وصف تكالب الطامعين وحرصهم ما لا يخفى على ذي بصر بكلام العرب ·

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

دمية القصر
« وعصرة اهل العصر »

لابي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وبليه ملتقطات من ديوانه . طبعه وصححه الشيخ محمد راغب الطباخ بحلب ص ٣١٦ والملتقط من شعره ص ٥٤ . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠

هذا ماذيل به الباخرزي على يتيمة الدهر للثعالبي ، ونسج في ذيله على منوال الاصل ، ذكر فيه تراجم من كانوا على الأغلب بعد عصر الثعالبي من شعراء البدو والحجاز والشام وديار بكر وآذربيجان والجزيرة والعراق وبلاد المغرب والري والجبال وجرجان واستراباذ ودهستان وقومس وخوارزم وماوراء النهر وخراسان وقهستان وسجستان وغزنة وغيرهم . والتزم المؤلف التنويه بهم بالسجع وبعضه الجيد ، واكثره متكلف يعدُّ دون طبقة الثعالبي ، كما ان من ترجم لهم هم في ادبهم دون رجال اليتيمة ، والضعف بادٍ على منثورهم ومنظومهم ، وان كال المؤلف لهم ولنفسه ولابيه المديح كيلاً على عادة الفرس في مبالغاتهم .

والباخرزي نسبة الى باخرز (بفتح الباء الموحدة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها زاي) ناحية من نواحي نيسابور . و باخرز بين نيسابور وهراة . وحقيقة ان هذا النمط من التراجم المختصرة لا يبقي في ذهن القارئ اقل صورة حقيقية عن المترجم له ولا عن عصره وشعره ونثره . وقليل من المؤلفين من وفقوا في هذه السبيل توفيق ابن بسام في الذخيرة والثعالبي في اليتيمة ولسان الدين في الإحاطة والفتح بن خاقان في القلائد . وقليل فيمن جمعوا التراجم وكتبوا الطبقات من دانوا الصولي في كتاب الأرزاق ويافوت في معجم الادباء وابن خلكان في الوفيات والصفدي في الوافي بالوفيات وابن سعد في طبقاته والجمحي في طبقات الشعراء والاصفهاني في الاغاني والجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب والقفطي في اخبار الحكماء وابن ابي أصيبعة في طبقات الأطباء والصابي في تاريخ الوزراء .

و يخيل اليك وانت تقرأ دمية القصر انك في القرن العاشر او الحادي عشر كأنك تتلو ريحانة الخفاجي او سلافة ابن معصوم لا في القرن الخامس الذي كان على جانب من الأدب متين · وقد اعتمد الناشر على احياء هذا الكتاب على نسخة في المدرسة الاحمدية بحلب وعلى أخرى في المكتبة المارونية في حلب ايضاً والثالثة نسخت له من الموصل ولم يزد في التعليق على مارآه شيئاً في حين ترى الحاجة ماسة الى الشرح والتعليق وبقي في نفسه من تصحيح هذا السفر اشياء كما قال عن نفسه · وقد احسن باثبات مايرى بعضهم اليوم حذفه من المجون لان المقصد الانتفاع بما كتبه المؤلف غثاً كان او سميناً لا التعديل في أشياء يستنكرها بعضهم اليوم وكانت أمس مما لا شأن له ·

م · ك

ديوان التحقيق
« والمحاكات الكبرى »

تأليف محمد عبد الله عنان بك طبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٤٨ — ١٩٣٠) بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٥٤٤

هذا كتاب كأ كثر مانشره المؤلف حتى الآن جامع بين أفكار الغرب وماينتفع به هذا الشرق ، جوّد تأليفه على الأسلوب الحديث واخذه من اوثق المصادر الافرنجية وبعض المصادر العربية وقد قسمه قسمين الاول في تاريخ ديوان التحقيق (الانكيزيسيون) ولاسيما الاسباني وما آل اليه من جلاء العرب وتنصيرهم في الاندلس وعرض في القسم الثاني للمحاكات الكبري في التاريخ الغربي · وكلها تدل على ظلم الانسان للانسان ، وان دعوى الشفقة والمرحمة قلّ ان وجدت في الامم الحديثة والقديمة · فعسى ان يقع المطالع العربي في هذا المجلد على امور تفيده في قيام مجتمعه الحديث فلا يرتكب من الخطايا ماوقع فيه اخوه الانسان في سالف الازمان ، وعسى ان تصح عزيمة المؤلف البحاثة على وضع كتاب فيما وقع للعرب من هذا القبيل · م · ك

قلب الطفل

« تأليف ادمون دوآميتشي تعريب السيد عز الدين التنوخي طبع بالمطبعة »
« الحديثة بدمشق (١٣٤٩—١٩٣٠) ص ١٨٧ الجزء الاول »

مؤلف اصل هذا الكتاب من علماء التربية في ايطاليا ، جعله دروساً للأطفال يتلقون فيها حقائق تنير العقل وتكوّن الخلق وتبث العلم ، وقد ترجم الى كثير من اللغات الاوربية . وما نظنه الا كان في الاصل بلغة ساذجة يفهمها الطفل الذي كتبت له . اما الترجمة العربية فمع حسنها لاتكاد تخلو من العهدة ، لان المترجم وهو يعربها عن ترجمة افرنسية توخى ان يصور الاصل فما استطاع احياناً الا ان يأتي بشيء بعد من عويص اللغة عند الطلبة المبتدئين ، وان كان من المألوف عند جمهور المتأدبين ، فاذا أضيف الى هذا العويص كونه لم يفسر ولم يشكل ضاعت فائدة الكتاب على من يراد استنارتهم بقبس العلم ، وتلقينهم الفضائل العملية ، وانحصر النفع فيمن يتلون فيفهمون والقليل ماهم . وقديماً قالوا ان البلاغة ان يعطى كل موضوع الكلمات التي تليق به فلا يخاطب العالم خطاب الجاهل ولا الكبير كما يخاطب الصغير . م . ك

افريقية الغربية البريطانية

« تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع بمطبعة الفيحاء في دمشق ص ١٣٢ »

هذا باحث مفكر من اهل النشأة الحديثة في دمشق ، رحل الى افريقية الغربية وأقام فيها مدة وكتب في تاريخها وحاضرها واهلها وحيوانها ونباتها وعاداتها وخيراتها الخ صفحات قليلة أظهر بها ما كان العربي في معزل عن معرفته واذا احتاج الى شيء منه فلا يقع عليه الا في كتب الافرنج ، وعسى ان ينظر الكاتب في لغة كتابه في الطبعة الثانية ويحذف بعض المكررات من افكاره وتعليقاته النافعة .

م . ك

كتاب قواعد الافعال السامية

« وصيغها لزمانية »

للاستاذ مارسل كوهن طبع في باريز سنة ١٩٢٤ في ٣١٧

Marcel Cohen - Le Systeme Verbal Simitique et l'Expression du temps .

وضع هذا الكتاب بالافرنسية وهو يتضمن ابحاثاً لغوية سامية خاصة بالافعال ودلالتها الزمانية في مختلف اللغات السامية من قديمها وحديثهـا ولطالما عابوا عليها عدم الوضوح التام في بيان حدوث الفعل في الماضي والحاضر والاستقبال كما هو الحال في اللغات الهندية الاوربية . و بالرغم من صعوبة هذا البحث فقد عالجه المؤلف من جميع انحائه وتوسع فيه بصورة دلت على طول باعه واحاطتـه بجميع تفرعاته ، وقد استفاد المؤلف من الوثائق القديمة فبين جمود اللغات السامية الفصحى وعدم تطورها مستشهداً باللغة الآكادية التي لم يطرأ عليها التطور خلال ثلاث آلاف سنة ومثلهـا العربيـة لم تخط خطوة في هذا السبيل منذ تدوينها ، كما انه ذكر شواهد على تشابه اللغات السامية وقلة الفروق بين تراكيبها ، فالكنعانية القديمة مثلاً تشبه العربية من اوجه كثيرة . كما ان المؤلف بحث في تطور بعض اللهجات السامية العامية منذ القرن الثالث حتى القرن العاشر بعد الميلاد وتباعدها عن قواعد اللغة الفصحى ، وقد أورد المؤلف نصوصاً كثيرة أثبتها باحرف لاتينية تتطلب من المطالع احياناً جهوداً لقراءتهـا . ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة ومكانة مؤلفه وشهرته لا تحتاجان الى تعريف .

جعفر الحسني

دليل الاصطياف والسياحة
« في سورية سنة ١٩٣٠ »
لواضعه السيد اسكندر بارد عدد صفحاته ١٩٤ طبع بمطبعة
وديع ابو فاضل بمصر

من يطالع هذا الدليل يدرك مقدار مابذله واضعه من العناية في وصف مايهم السائح والمصطاف معرفته من الاماكن الأثرية في سورية وقرى الاصطياف فيها وعلى ايجازه تراه شاملاً لمايفيد ، واف بالغرض الذي وضع من اجله . وقد اعتمد واضعه على اوثق المصادر لمعرفة مختصر تاريخ الشام ووصف أقاليمها وزينه برسوم عديدة . وقد وجدت فيه طائفة من الاسماء محرفة مشوهة واغلاطه المطبعية وافرة ، فالأمل ان يعنى واضعه بتصحيحها في طبعته الثانية لتتم بذلك الفائدة المرغوبة .

جعفر الحسني

هدايا كتب

أشهر شروح المجلة الشرح الذي وضعه علامة الترك العثمانيين علي حيدر وسماه (درر الحكام شرح مجلة الأحكام) وقد اخذ الاستاذ فهمي الحسيني المحامي بنشر ترجمة الشرح المذكور الى العربية . وقد أهدي الينا امس ترجمة الكتاب الثامن من الكتب الستة عشر التي تنقسم اليها المجلة . وهو يتضمن مبحثي الغصب والاتلاف ويشتمل على مقدمة وبابين وربما لا يجد الشاكي شكوى من هذا الشرح النفيس سوى انه غير متقن الطبع فتلفت اليه الفقهاء والمحامين .

واهدى الينا المجمع العلمي في موسكو مجموعة تتضمن نموذجات من الخطوط الشرقية ، كالخط الهندي والصيني والياباني والهيروغليفي والعربي والمغولي الخ وهو في ٧٣ صفحة حسنة الطبع جميلة الوضع .

المغربي

الجزء ١٠ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٩ هـ ١١٨

مجموع نادر

في خزانة كتب احمد باشا الجزار بمدرسته المسماة « نور احمدية » في مسجده المعروف بمدينة عكا مجموع قديم كُتب باول صفحة منه بخطٍ غير خط ناسخه (تخريجات ابن ابي الدنيا . »

وتحت ذلك عبارة نصها « مجموع ما في هذا المجلد الشريف » ثم اسماء الرسائل الآتية :

١ — تخريجات اهل الحديث تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا وهو من ورقة ١ الى ١٠

٢ — وكتاب الاحاديث الاربعين له ايضاً وهو من ورقة ١١ الى ١٨

٣ — وكتاب فضائل الشام وفضل دمشق لابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي وهو من ورقة ١٩ الى ٣٦

٤ — وكتاب فضائل البيت المقدس للامام ابي بكر محمد بن احمد الواسطي وهو من ورقة ٣٧ الى ٧١

٥ — وكتاب اخبار مصر لابي عمرو يوسف بن يعقوب الكندي المصري جمعه باسم كافور الإخشيدي وهو من ورقة ٧٢ الى ٧٩

٦ — وكتاب قضاء الحوائج من تخريجات ابن ابي الدنيا وهو من ورقة ٨٠ — ٩٢

٧ — وكتاب من عاش بعد الموت له ايضاً وهو من ورقة ٩٣ — ١١٦

٨ — وكتاب الأولياء له 〃 〃 ١١٧ — ١٣٤

٩ — وكتاب الغيبة والنميمة . له	وهو من ورقة ١٣٥ = ١٤٦
١٠ — « حسن الظن بالله . له	« « ١٤٧ = ١٦٤
١١ — « المنام له	« « ١٦٥ = ٢٠٤
١٢ — « التوكل على الله له	« « ٢٠٥ = ٢١٢
١٣ — « مكارم الأخلاق له	« « ٢١٣ = ٢٦٤

وكتاب الحلم له وهو من ورقة ٢٦٥ الى ٢٧٦ وهي آخر الكتاب

وفي آخر الرسالة الاولى سماع جاء فيه :

سمع جميع الجزء على الشيخ الامام الثقة ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري بحق سماعه من الشيخ ابي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري رحمه الله — الشيخ تقي الدين ابو الحسين احمد بن حمزة بن علي الشافعي والفقيه عبد السلام بن ابي بكر بن احمد الشافعي والفقيه بدل بن ابي المعمر التبريزي والشيخ عبد الرحمن بن طالب بقراءة مثبت السماع الحسين ابن موسى بن الحسين الخويي في كلاسة جامع دمشق حماها الله تعالى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والله اعلم . »

وتحت ذلك إجازة هذه عبارتها :

صحيح ذلك وقد أجزت لهم جميع مسموعاتي وأحاديثي على الشرائط المعتبرة عند اهل الحديث رضي الله عنهم . وكتب اسمعيل بن علي بن ابراهيم الجبرري في التاريخ المذكور . « والجبرري هنا بزيادة راء عما في الرواية المذكورة في اول الرسالة وفي السماع المحرر اعلاه وكذلك في السماع المحرر أدناه .

ويأتي بعد ذلك إجازة أخرى وهي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد نفعه الله بالعلم ورفعه بالحلم هذه الأحاديث التي قرأتها على الشيخ الاجل ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبرري في المسجد الجامع بدمشق المكتوبة قبل خطي بقراءتي عليه وأذنت له ان يرويها عني بشرطه وذلك يوم الاحد سابع ذي القعدة سنة احدى وستمائة وكتب والده الفقير الى رحمة الله غفرانه الحسين بن موسى بن الحسين الخويي بخطه .

وفي الصفحة التي تلي تلك الاجازة ثبت شيوخ يغلب على الظن انه لصاحب الكتاب وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حدثني الشيخ الامام عبدالقادر بن عبد الله الرهاوي بمدينة حران بمسجد الصخر في منتصف شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني الشيخ الامام الحافظ ابوطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي في منزله بثغر الاسكندرية وهو اول حديث سمعته منه . قال حدثنا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج اللغوي ببغداذ وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني ابونصر عبد الله بن سعد بن حاتم السجزي الحافظ بمكة وهو اول حديث سمعته منه قال اخبرنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي بنيسابور وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا ابوحامد احمد بن محمد بن يحيى وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الراحمون يرحمهم الله « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . »

قال الشيخ عبد القادر قال شيخنا الحافظ السلفي قال لي ابن السراج لما دخلت مصر حضرت مجلس ابي اسحق الحبال فأخرج لي هذا الحديث وكان يرويه عن ابي نصر فقلت هو سماعي منه فقال اقرؤه[1] فتسمعه انت مني واسمعه انا منك فقرأه .

وجاء في آخر رسائل فضائل الشام سماع هذه عبارته :

سمع جميع فضائل الشام على الشيخ الامام العالم الحافظ الثقة بهاء الدين صدر الحفاظ ناصر[2] محدث الشام جمال الاسلام ابي محمد القاسم ولد[3] الامام العالم الحافظ ثقة الدين شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي رضي الله

(١) في الاصل اقراوه (٢) لعلها سقطت كلمة الدين بعد ناصر . (٣) في الاصل والد وهو سبق قلم فالقاسم هو ابن علي بن الحسين وهو المشهور بابن عساكر والظاهر انهما لم يكونا يضعان هذه النسبة في تواقيعهما او انهما لم يعرفا بها الا بعد موتهما .

عنه وقدس روح والده بحق سماعه من الشيخ ابي الفضائل ناصر بن محمود بقراءة صاحب النسخة وكاتبها الشيخ الفقيه الامام ابي المحاسن الحسين بن موسى بن الحسين الخوبي — الشيخ الامام ابوجعفر احمد بن علي بن ابي بكر بن اسماعيل القرطبي وابنه ابوالحسن محمد والفقيه ابوالحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي والامام ابوالفرج ابراهيم بن يوسف ابن محمد المعافري البوني والفقيهان ابو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث وابو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيان وابو القاسم محمود بن محمد والشيخ ابو الفضل احمد بن محمد ابن علي بن ابي عقيل وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقاني وابوعبدالله محمد بن عبدالوهاب ابن مان (هكذا) وابراهيم وبركات بن ابراهيم الحسوعي (لعله الخشوعي) وابو العساكر المطهر بن محمد بن المطهر وابو . . العباس بن احمد بن ابراهيم بن ابي العلاء الأزدي واحمد ابن محمد بن احمد الكناني ومحمود بن احمد بن دارا ومحمد بن ميمون بن مالك وعمر بن احمد ابن محمد وابو يعلى حمزة بن ابي الفضل بن ابي الفوارس وعمر بن محمد بن ابي الفضل العربي . . . . ابن يوسف ومثبت الاسماء بدل بن ابي المعمر بن اسماعيل بن ابي خضر التبريزي وآخرون . . . وذلك في مجلسين آخرهما يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وتحت ذلك إجازة الشيخ المسمع وهي :

هذا صحيح وكتب القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي [1] .

---

(١) ترجم محمد بن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م لقاسم المذكور في كتاب ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة . ولم يفرد له ترجمة خاصة بل ذكره استطراداً في ترجمة محمد بن نافع بن عبد الله العفيفي الشافعي لان المترجم كان سأله عن تراجم بني عساكر فكتب له تراجم احد عشر شيخاً منهم ثم ساق هذه التراجم في تلك الترجمة بهذه المناسبة فقال عن القاسم ما نصه :

« ومنهم البهاء بن عساكر وهو القاسم بن الحافظ الاكبر ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقي الشافعي الحافظ بهاءالدين ابومحمد بن عساكر كان قد شارك اباه في اكثر شيوخه سماعاً وإجازة وصنف عدة مصنفات وخالف اباه

وجاء في الصفحة الاولى من رسالة فضائل البيت المقدّس :

« ولي اجازة لفضائل البيت المقدس عن الامام الحافظ بهاء الدين ثقة الاسلام ابي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الشافعي الدمشقي رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ الامام ابو القاسم نصر بن احمد بن مقاتل بن مطكود (؟) السوسي قراءة عليه في الثامن والعشرين من رجب سنة احدى واربعين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن يونس المصري سنة ثنتين وثمانين واربعمائة قال اخبرنا الشيخ ابومحمد عبدالعزيز بن احمد بن عمر النصيبيني عن الخطيب ابي بكر محمد بن احمد الواسطي المصنف رحمهم الله[1] .

وجاء في آخر كتاب المنام ما يلي :

سمع مني ولدي الأعزّ ابوالمعالي محمد أعزّه الله وطوّل عمره كتاب المنام لابن ابي الدنيا بقراءتي عليه وأجزت له روايته عني بشرطه وكتب والده الراجي عفو ربه

في القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب ابيه واسماعها بالجامع ودار الحديث النورية وبعّض تاريخ والده لدمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل الى مصر وأسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر سنة ستمائة ودُفن بعد العصر على ابيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين من جهة الشرق قال ابوشامة ولي منه اجازة وقد اقتصر تاريخ دمشق في أصغر واكبر وكلاهما تام فالاول في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمسة مجلدات اه . قلنا ولقاسم المذكور كتاب الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى ومنه الجزء ١٢و١٣و١٤و١٥ في الخزانة التيمورية بالقاهرة وعندي نسخة منقولة عنها بالتصوير الشمسي تفضل باهدائها لي صاحبها العلامة احمد تيمور باشا .

(١) نظن ان هذه الرسالة هي الوحيدة من نوعها فاننا لم نقرأ عن وجودها في دار من دور الكتب العامة . وقد رأينا القاسم بن عساكر ينقل في جامعه المستقصى عن ابي القاسم السوسي عن ابراهيم بن يونس عن عبد العزيز النصيبيني عن ابي بكر الواسطي المذكور الذي لم نطلع له على ترجمة .

تعالى الحسين بن موسى بن الحسين الخويي في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة .

« صاحب الرسائل »

وقد علمنا من إجازة القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ان صاحب هذه الرسالة وناسخها هو الحسين بن موسى بن الحسين الخويي .

وتمتاز هذه الرسائل عن الكتب الأخرى بالدقة والتثبت ذلك لان ناسخها لم ينقلها عن الكتب وانما نقلها من أفواه الثقات من شيوخه واليك مثالاً من طريقته قال في مطلع الرسالة الاولى : بسم الله الرحمن الرحيم . حدثنا الامام الثقة الامين ابو الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري الدمشقي بها في كلاسة الجامع قراءة عليه يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابوالبركات هبةالله ابن محمد بن علي البخاري في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمسمائة قال اخبرنا القاضي ابوالطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري قراءة عليه وانا اسمع في يوم السبت رابع شعبان من سنة سبع واربعين واربعمائة قال اخبرنا ابواحمد محمد بن احمد بن الغطريف بجرجان في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال اخبرنا الامام ابوالعباس احمد بن عثمان بن شريح ، اخبرنا ابو يحيى الضرير بن محمد بن سويد بن عمر العطار اخبرنا عبيدة بن حميد اخبرنا الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الرسالةالاولى التي قيل عنها انها لابن ابي الدنيا والرسالةالثانية المسماة «الاحاديث الاربعين » والتي يبتدئ سندها بالشيخ الامام مجد الدين ابى الفرج يحيى بن ابي الرجاء محمود بن سعد بن احمد بن محمود بناحمد بن محمود الثقفي الاصفهاني في سنة ٥٨٣ بدمشق وينتهي الى عبد الله بن مسعود لاذكر فيها لابن ابي الدنيا حتى تنسبا اليه .

ولهذه الرسائل امتياز آخر وهي انها كتبت في سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٣ م والحروب الصليبية مستعرة النيران في ديار الشام بل في بلاد الاسلام وحملات الغربيين تقض المضاجع من الشرقيين .

فانصراف العلماء الى الدرس والأخذ في مسجد بني أمية بدمشق وفي غيرها من

المدن والأمصار يدلنا على ان المسلمين كانوا يعملون لدينهم ودنياهم وسط تلك الخطوب والنكبات التي كانت تكتنفهم عن أيمانهم وشمائلهم ولم يكن كل ذلك ليصرفهم عن طلب العلم و بحث الحقائق ·

واذا كان في هذا الأمر ما يؤسف له فهو إهمال المؤرخين ترجمة العلماء الأعلام المعاصرين الذين جاء ذكرهم في السماعات المتقدمة · ولعل ذلك نشأ عن الحالة الحربية التي كانت البلاد تتخبط في ديجورها وتعاني آلامها وشرورها ·

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي العربي

المحاضرة التاسعة عشرة

احساس المتنبي (١)

- ١١ -

عرفنا ناحيةً من اخلاق المتنبيء ، فلنجتهد في معرفة ناحية من نواحي إحساسه وعواطفه ، والإحساس (٢) انما هو القوة التي تميزنا من بين غيرنا من الناس ، وتطبعنا بطابعنا الخاص ، فهو الذي تحدد خصائصه طبيعة دخيلتنا اي طبيعة شخصيتنا ودرجة هذه الشخصية ، فالمدارك العقلية لا يختلف بعضها عن بعض الا قليلاً ، واختلافها هذا لايكون الا من حيث الدرجة فقط ، اي من حيث قوة نفوذها وضعف هذا النفوذ ، أو من حيث سرعة تغلغلها في بواطن الامور ، وابطائها في هذا التغلغل ، ولكن هذه المدارك كلها قادرة من حيث تركيب جواهرها على فهم الحقائق ، من اجل هذا اننا لانجد الا علماً واحداً في الهندسة او في الطبيعيات مثلاً ، وكذلك ارادتنا فانها لايختلف بعضها عن بعض الا من حيث قوتها او ضعفها ، اما حواسنا وعواطفنا فانها على خلاف مداركنا وعلى خلاف ارادتنا ، فهي يختلف بعضها عن بعض من حيث طبائعها فلالذّاتنا ولا آلامنا واحدة في كل رجل منا ، فالامور التي نلاقي فيها لذتنا قد لايلاقي فيها غيرنا الا الألم ، وما أصدق ما قاله المتنبيء في هذا المعنى :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم

وما أصدقه في هذا البيت :

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجبه اني بما انا شاكٍ منه محسود

فقد يحسدنا الناس على امور يظنونها برداً وسلاماً ، ونحن لا نجدها الا عنتاً وتعباً ، فالأذواق تختلف باختلاف الناس ، هذا الامر يبكينا وهو نفسه يضحك غيرنا ، وذاك

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

(٢) رأي الاستاذ برونتير .

ينفعنا وهو ذاته يضر سوانا ، وقد يكون لون من الألوان زاهياً في نظرنا وكامداً في نظر غيرنا ، وقد يستطيب الأنف رائحة من الروائح و يستكرهها أنف آخر ·

فالذي يستنبط من هذا الكلام ان ما يميز بعضنا عن بعض انما هو الإحساس ، فالحس في الشعر هو القوة المميزة ، فلا بد للشاعر من ان تهيجه الهوائج ، ولا بد له من ان يجد لهذه الهوائج صوراً مناسبة لها ، فالشاعر يختلف عن الشاعر من حيث طبيعة الحس والخيال ، فقد تأخذ العيون مشاهد شتى فيها كثير من الألوان والأصوات والروائح اي فيها كثير مما يهيج الحواس ويثير العواطف ، فيعجز احدنا عن تصوير شيء من هذه المشاهد كلها لان حواسه لاتنبسط الى لون من ألوانها او الى صوت من أصواتها او الى رائحة من روائحها ، ولان نفسه لا يستفزها مشهد منها ، فاذا الشاعر لم يكن له روح يعمل فيها مختلف المشاهد ، ويترك في باطنها آثاراً ورسوماً ، ولم يكن له خيال يخلع على هذه الرسوم والآثار مايناسبها من ضروب الخلع ، فعبثاً يتطاول الشعر ، وعبثاً يجهد قريحته ، ولذلك قالوا : يولد المرء شاعراً ، اي يولد قوي الحس او ضعيفه ، غليظه او رقيقه ، وعلى حسب طبيعة هذا الحس يكون تبريزه في ميدان الشعر ، وتحليقه في سمائه التي لا تطاولها سماء ·

هل كان المتنبي قوي الإحساس ، هل كانت المشاهد تفعل فيه فعلتها ، هل كان عصبي المزاج يحركه أقل شيء وما هي طبيعة إحساسه وعاطفته ؟

لنبحث عن إحساس المتنبي في بعض مواطن من المواطن التي تظهر فيها آثار الإحساس والعاطفة ، لنبحث عن شيء من هذا في مقامات النسيب والغضب والحزن ·

هل عشق المتنبي في حياته او هل كان صادق العشق في نسيبه ، اننا نجد في شعره كثيراً من الغزل ، فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الغزل ، ولكن الذي أراه ان النسيب كان مذهباً من مذاهب الشعراء ، يصدّرون به مطالع قصائدهم وصولاً الى مدح الممدوح ، فلست أرى في أضعاف هذا النسيب آثار نفس ذللها الهوى ·

اذا كان مدح فالنسيب المقدّم   أكلُّ فصيح قال شعراً متيَّم

ولست أرى في هذه لأضعاف هائجة من هوائج النفس ، وانما هذا النسيب عبارة عن تشبيهات او صفات ضاع رونقها لكثرة تكرارها ، فاذا لم يعشق الشاعر حقيقة كان

نسيبه مضجراً مقلقاً ، وما مثله في ذلك الا كمثل النوّاحات اللواتي ينحن على ميت بشيء من المال يأخذنه على نواحهن ، فان اغماءة لام التي تفقد طفلها لا يكاد يوازنها كل الدموع الكاذبة التي تذرفها النواحات ، وكذلك العشق فان صفرة لون العاشق أبلغ من التشبيهات والصفات الرائعة التي يلجأ اليها غير العاشق في شعره ٠

فالمتنبي عمد الى النسيب في شعره ولكني لا أبالغ اذا قلت ان في هذا النسيب اثر ضعة لاتدل على شيء من حقيقة الهوى ، ولكنه لا يعترف بهذا فهو يقول :

وما أنا الا عاشق كل عاشق   أعق خليليه الصفيين لائمه

ثم يرجع فيقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه   ولكن من يبصر جفونك يعشق

فانظر في هذا كله ، ففي احدى قصائده في سيف الدولة واولها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي   وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وصف ابو الطيب بكاءه فقال :

وبين الرضي والسخط والقرب والنوى   مجال لدمع المقلة المترقرق

وا كد هذا البكاء :

عشية يعدونا عن النظر البكا   وعن لذة التوديع خوف التفرق

ثم انصرف بعد البكاء الى التوديع فقال :

نودعهم والبين فينا كأنه   قنا ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق

وانا لنجده يبكي خوف التفرق ، وانا لنجده يودع اذ ينصرف فجأة الى قنا ابن ابي الهيجاء ، اي الى الممدوح نفسه وهو سيف الدولة ، فمتى مسح دموعه ، ومتى نسي حبيبه ، فلم يخطر بباله الا سيف الدولة ، قد يكون في هذا كله براعة في الذي يسمونه حسن التخلص ، وقد يكون شيء من البلاغة في هذا التخلص الحسن ، ولكني لا أجد في هذا النسيب شيئاً من الحقيقة ، فلست أرى خيال روح يذللها الهوى ، وانما ارى فناً يستخدمه صاحبه في تمهيد السبيل الى المدح ، والهوى الصحيح لا كلفة فيه فاذا ظهرت الكلفة عليه ذهب أثره ٠

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره واليكم مثلاً آخر :

في قصيدته في سيف الدولة التي يقول في اولها :

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

وصف احتماله للنائبات من بُعد أحبته وطلب الى النسيم ان يحمل اليه روائح هؤلاء الأحبة :

اذا كان شمّ الرَوح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

وخاطب الحبيب فقال :

لقيت بدرب القلة الفجر لقية شفت كبدي والليل فيه قتيل

ويوماً كأن الحسن فيه علامة بعثت بها والشمس منك رسول

وانه ليسترسل الى هذا كله اذ يذكر في الحال ان سيف الدولة ينتظر مدحه فيفتش عن البيت الذي يصل به الى سيف الدولة :

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ولا طلبت عند الظلام ذحول

ثم الأمثلة من هذا القبيل كثيرة فلست أعتقد ان نسيب المتنبي في مطالع قصائده يفصح عن عشق حقيقي ، وماهذا الغزل الا ضرب من التقليد ، فقد كان هذا هو أسلوب الشعراء في أماديحهم ، يتغزلون ثم يتخلصون من التغزل الى المديح ، والنفس العاشقة تنصرف عن كل شيء في جوانبها ، ولا تفكر الا في الذي تحبه ، فلا سيف الدولة يصرفها عنه ، ولا غير سيف الدولة ، فالعاطفة في هذا النسيب بعيدة عن ان تكون صادقة فضلاً عن انه قد يميل في تصوير بعض نحوله الى شيء من المبالغة التي لا يحمد أثرها :

ولو قلم القيتُ في شق رأسه من السقم ماغيّرت من خط كاتب

هذا هو نسيب المتنبي ، فالتقليد ظاهرة آثاره عليه ، وقد يخرج في هذا النسيب من المقدار :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاكل

كل هذا لا يخلو من شيء من المبالغة والعاطفة لا يحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية . على انه لا يخلو في بعض الاحيان من الاعتدال المقبول :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امريءٍ ناحل

ولو زلتم ثم لم ابككم بكيت على حبيَ الزائل

هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في النسيب ، ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس انما هي مواطن الغضب ، سواء أكان غضبه على الأقدار ام كان غضبه على الذين يشمتون بموت جدته ، وسواء أغضب على الذين مدحهم ولم يعطوه ما تستحقه اماديحه أم غضب على الذين اساؤا اليه ، وكذبوا عليه .

اذا غضب المتنبي على احد من الناس اهتزت أعصابه كل الاهتزاز فلا يكاد يستطيع ان يسكنها ، ولا يجد اشباهاً للرجال الذين يحنق عليهم الا الحيوانات :

وانما نحن في جيل سواسية ... شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق ... تخطي اذا جئت في استفهامها بمن

ولا يبالي بعد هذا التعميم بان يخصص الحيوانات التي يشبههم بها :

فقر الجهول الى قلب بلا ادب ... فقر الحمار بلا رأس الى رسن

على ان هذا الهياج الذي هاجه في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة التي ثارها في هجاء كافور ، فقد كان مضطرباً كل الاضطراب ، مغتاظاً كل الاغتياظ ، فتارة كان غضبه ممزوجاً بشيء من الهزء :

فان كنت لا خيراً أفدت فانني ... أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ... ليضحك ربات الحداد البواكيا

ومرة كان مختلطاً بشيء من الشتم :

لا تشتر العبدَ الا والعصا معه ... ان العبيد لأنجاس منـا كيد

وحيناً كان يلجأ في غضبه الى شيء من الايلام :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني ... لكي يقال عظيم القدر مقصود

ومنه قوله :

من ايّة الطرق يأتي نحوك الكرم ... اين المحاجم يا كافور والجلَم

واذا قابلنا بين اهاجيه في كافور وبين تعريضه بسيف الدولة وجدنا ان ابا الطيب على شدة اهتزاز اعصابه في ساعات الغيظ يستطيع في بعض الأحوال ان يضبط نفسه ، فلم يغضب على سيف الدولة غضبه على كافور ، وانما ملك من حركته وضبط من نفسه فجعل لكل مقام من الغضب مقالا ، فهو لا يشبه هؤلاء الشتامين الطعانين الذين اذا نقموا على احد

من خاصة الناس نقموا عليه نقمتهم على احد من عامة القوم ، واذا شتموا كبير قوم شتموه كما يشتمون صغير القوم حتى يضيع اثر كلامهم فلا تبقى له قيمة .

فالمتنبي كان في غضبه يشتم ، ولكنه كان يجعل لكل مقام من مقامات الغضب مقالاً فما رمى سيف الدولة بمثل مارمى به كافوراً ، لقد كان في تعريضه به شيء من الايلام ولم يكن فيه شيء من الهزء اوالشتم اوالفحش .

فلننظر الى طبيعة عاطفته في مراثيه ، فان المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر اكثر من غيرها من الشعر ، لان الشاعر يقولها وعينه تدمع ، وقلبه يحزن ، قال الاصمعي لاعرابي : مابال المراثي أشرف اشعاركم ، فقال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة ، لقد صدق الاعرابي في كلامه ، فالمراثي هي الشعر الذي تظهر عليه آثار حرقة القلوب . وما أبرد هذه المراثي التي يقولها اصحابها فلا نجد فيها اثراً لهذه الحرقة ، وانما نرى فيها صوراً اذا انتزعناها من اماكنها والصقناها بمرثي آخر فلا نكاد نجد فرقاً بين الرجلين المرثيين ، فما أشبه هذه الطبقة من الشعراء بالنواحات اللواتي يبكين ولا جرح في قلوبهن ، اننا لانرى في أمثال هذه المراثي الا استنفطاع الخطب ، والنقمة على الأقدار وما شابه هذه الأساليب المتكررة ، فالرجل المرثي ينبغي ان تكون له صورة في المرثية تليق به ولا تليق بغيره من الموتى ، واما اذا كانت هذه الصورة تصلح لكل واحد يموت ، ولكل واحد يبكى عليه ، فلا قيمة لها ولا قيمة لقائلها ، فلننظر الى المتنبي في مراثيه ، هل نجد فيها عاطفة تختلف عن عاطفته في النسيب .

أقرب الذين رثاهم اليه جدته ، فقد كان شعره في مرثيته في جدته شعر الألم الحقيقي الذي يشتمل على الحزن من كل وجوهه ، لقد بكى على جدته بكاء شديداً فقد كانت من النساء الصالحات ، فلا نكاد نقرأ بيتاً من هذه القصيدة الا ونجد فيه اثراً لعاطفة المتنبي الصادقة في محبة جدته التي كانت تحبه حباً جما :

لكِ الله من مفجوعة بحبيبها　　　قتيلة شوقٍ غير ملحقها وصما

فكان من الطبيعي ان يبادلها المتنبي في هذا الحب الشريف :

أحنّ الى الكأس التي شربت بها　　　واهوى لمثواها التراب وما ضمّا

فليس في عاطفته هذه شيء من الصنعة والكلفة ، انه أحب جدته حباً شديداً

فظهرت حرقة قلبه ولوعة كبده ومهما حاول ان يتجلد :

ألا لا أري الأحداث مدحاً ولا ذمّا فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ومهما حاول ان يتعزّى بشيء من الفلسفة :

الى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدي ويُكري كما أرمي

فقد أبى قلبه الا ان يفيض حزناً بعد هذا التجلد وهذا العزاء :

حرام على قلبي السرور فانني أعد الذي ماتت به بعدها سما

وان جدة تموت سروراً بكتاب اتاها من حفيدها :

أتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غما

لا يكثر على المتنبي ان يكون بعد موتها كالاعمى لانه لا يراها :

وما انسدّت الدنيا عليّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

ولا يكثر عليه ان يأسف على غيبته عند وفاتها :

فوا أسفا ألاّ اكبّ مقبّلا لرأسك والصدر اللذي ُملئا حزما

ولا يكثر عليه ان يغضب على الذين شمتوا بيومها :

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

نعم كل هذا غير كثير ، فالعاطفة في هذا الشعر صادقة ، شريفة كريمة ، ولا عجب اذا غضب المتنبي على الذين شمتوا بموت جدته ، واذا أبرق وأرعد في هذا الغضب :

كأنْ بنيهم عالمون بانني جلوب اليهم من معادنه اليتما

ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المرثية وبين عاطفته في غيرها من المراثي ، كالمرثية التي قالها في محمد بن اسحق التنوخي :

خرجوا به ولكل باكٍ خلفه صعقات موسى يوم دكّ الطور

والشمس في كبد السماء مريضة والأرض واجفة تكاد تمور

لتبين لنا الصدق من الكذب في العواطف ، فلا الشمس تمرض من موت رجل من الرجال ، ولا الأرض تمور ، فيكاد ابو الطيب في هذه المرثية يكون في زمرة هذه الطبقة من الشعراء التي تشبه النوّاحات في البكاء .

على اننا نجد في مراثيه في أم سيف الدولة :

مشى الأمراء حوليها حفاةً ... كأن المروَ من زفِّ الرئال
وأبرزت الخدور مخبآت ... يضعن النقس امكنة الغوالي
أتتهن المصيبة غافلاتٍ ... فدمع الحزن في دمع الدلال

وفي أخته :

يظن ان فؤادي غير ملتهب ... وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية ... لحرمة المجد والقصاد والادب

وفي عبده يماك :

لأبقى يماك في حشاي صبابة ... الى كل تركي النجار جليب

وفي مراثيه في ابي شجاع فاتك :

برّد حشايَ ان استطعت بلفظةٍ ... فلقد تضرُّ اذا تشاء وتنفع

شيئاً من العواطف الصادقة ولكنها لاتشبه عاطفته في بكائه على جدته ، فان قلبه في مرثيته في جدته هو الذي يملي عليه فيكتب .

هذا هو اليسير من الكلام على طبائع احساس المتنبيء وعاطفته ، فالمتنبيء صاحب إحساس شديد ، ولايخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة ، واي قلب اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده ، فلقد ذكر ابوالطيب الدم في كثير من شعره ، ولا يبعد ان يكون الرجل ميالاً الى الفتك ، ماذا أذكر من أبياته التي فاضت دماً ، أأذكر قوله :

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ... ونحن أناس نُتبع البارد السخنا

أم أذكر قوله :

ما زال طرفك يجري في دمائهم ... حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

أم أذكر هذا البيت :

ألقت اليك دماء الروم طاعتها ... فلودعوت بلاضرب أجاب دم

والابيات من هذا النحو مستفيضة في ديوانه ، ان حواسّه لتنبسط الى رؤية الدم ، فلا يختلف عن صناديد القوّاد الذين ألفوا الدم في حروبهم ، فلا يستفظعونه ، فما اصدق ماقاله فيه الشريف الرضي : واما ابوالطيب المتنبي فقائد عسكر .

دمشق : في ٢٦ نيسان سنة ١٩٣١ .

اسامة بن منقذ

— ٢ —

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في ايراد نكته كل الابداع . ولو عاش اليوم لتأهل لمركز أستاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الوقائع وسرد الحوادث . خذ مثالاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الافرنجي بازاء الطبيب العربي[1] او قصة جزاء الامانة[2] فان الفن الحديث يكاد يعجز عن الاتيان باحسن منها .

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها . وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث انفسح له المجال للدرس والتأليف . ولقد ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢) « تاريخ القلاع والحصون[3] » . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » . (٥) « نصيحة الرُّعاة » . (٦) « التجائر المربحة والمساعي المنجحة[4] » . (٧) « اخبار النساء[5] » . (٨) « كتاب العصا[6] » . (٩) « ديوان أسامة[6] » . (١٠) « كتاب النوم والاحلام[7] » . (١١) « كتاب المنازل والأديار[8] » . (١٢) « كتاب لباب الآداب[9] » . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صدده .

---

(١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ — ٩٨ . (٢) ايضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى ص٣٦ يقول ان « عز الدين أسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون » ويلوح لنا ان صالحاً خلط بين أسامتنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في (Vie d,ousama) ٣٣٠ — ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .

(٦) نشر درنبورغ منتخبات منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الاسيوي في لنينغراد ذكرها الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .

(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع « المقتطف » كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقرّبين لدى السلطان[١] . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على ما يظهر لأسامة ، فعاد خمرُ الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً ، وتنعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البديع ، ويدرّس في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر وأدت فيه ميلاً للتشيع لحظهُ صلاح الدين[٢] « محيي دولة امير المؤمنين[٣] » و « سنة الخلفاء الراشدين[٤] » . ولا نعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى[٥] ذكر ان صلاح الدين ولّى بيروت عز الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعته واهله ، فهجاه احدهم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلّم الحصن ما عليك ملامهْ   لا يلام الذي يروم السلامهْ

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ما صورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة ، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرّب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d' ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ١٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ — ٣٦ .

فعطاء الحصون من غير حرب   سنة سنّها ببيروت أسامة

ويظهر من هذا ومن ابن الاثير[1] انه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف باسامة ولكنه هو غير ابن منقذ فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨[2] ٠

* * *

بعد ان توقّل أسامة « ذروة التسعين[3] » وهو في دمشق يتفيأ في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين ، اخذ يطلّ من ذاك العلو الشاهق على سابق اختباراته ويدوّنهـا — او يلقنهـا — بانشـاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل[4] — تلك هي المذكرات الخالدة الموسومة بـ« كتاب الاعتبار » ٠ أملاها أسامة وهو يردّد :

اذا كتبتُ فخطّي جدّ مضطربٍ   كخط مرتعش الكفّين مرتعـدِ
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً   من بعد حطم القنا في لبّـة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلت   رجلي كأنّي أخوض الوحل في الجلد[5]

ولسان حاله :

قد كنتُ مسعرَ حربٍ كلما خمدت   أذكيتُها بافتداح البيض في القُلل

اما الآن :

فصرتُ كالغادة المكسال مضجعُها   على الحشايا وراء السجف والكللِ
قد كدت أعفنُ من طول الثواء كما   يصدي المهندَ طولُ اللبث في الخللِ
أروحُ بعد دروع الحرب في حُلل   من الدّبقي فبؤساً لي وللحُلل[6]

بين كتب الادب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتب في عصر أسامة بالذات : كسيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

---

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ ٠ (٢) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسامتين الأب شيخو محرر صالح بن يحيى فانه في حاشية ٢ ص٣٥ جعل الاثنين واحداً ٠
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ ٠ (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف أسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين عليه ص١١٩ — ١٢٤ ٠ (٥) ص١٢٢ ٠
(٦) ص ١٢٠ ٠

الكاتب الاصبهاني ، وأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنونتين « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو اول سيرة في الآداب العربية — على ما نعلم — المترجم والمترجّم له فيها واحد .

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم أمثولة ادبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجى منها ان يعتبر القارئ بما حلّ بغيره و يستفيد لنفسه[1] . اما العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارئ بحيث لا تمحى فهي « ان ركوب اخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فانني رأيت ... معتبراً بوضح للشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، ان العمر موقت مقدّر ، لا يتقدم اجله ولا يتأخر[2] ، وان الله مقدّر الأقدار وموقت الآجال والأعمار[3] » وانه يجب ان لا يظنّ ظانٌّ ان الموت يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[3] ، وان « النصر في الحروب من الله تبارك وتعالى ، لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير[4] » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة ، واحياناً التناقض والمخالفة » كان السلك الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القارئ ان الراوي قد رشّ شيئاً من (البهار) على القصة لتحسينها ، او مطّ الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الاولياء ومنافعهم (الباب الثاني ص١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً[5] . بيد ان ذلك كله لا يعني ان مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عالياً .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حلّل فيه أسامة الأثر الذي آثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها

(١) ص١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) تجد اشارة الى « كتاب النوم والاحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

منزلتها ، ولكنها لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة . الافرنج في نظر أسامة ، لهم شجاعتهم ولكنهم خالون من «الغيرة» الجنسية[1] . طبهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على ما مثّله ثابت[2] وابن بطلان[3] النصرانيان . محاكماتهم غبية غريبة[4] . « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين[5] » . المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين[6] » و « كافرين[7] » ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم[8] » عملاً بمصطلح كتّاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهّر الدنيا منهم[9] » . لذلك يلذ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « يااخي[9] » و يرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى أسامة يسمي الفرسان الداوية (Templars) «أصدقائي[10]» ونري هؤلاء يخلون له في المسجد الاقصى مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، وتعرض أمام أبصارنا صوراً شتى من صور الحياة السورية العربية . فقد علمنا ان القطن كان من غلة كفرطاب[11] ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأسود والنمور والغزلان وحمُر الوحش[12] ، وان جلاء العروس[13] — على ماهو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار ندّابات تندب في المآتم[14] كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم .

و يتناول آخر فصول الكتاب (ص١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابناء ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل . حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم تفت أسامة فانه وصفها[15] كأنك ترى العملية بعينيك .

* * *

(١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ . (٢) ٩٨ . (٣) ١٣٥ — ١٣٨ .
(٤) ١٠٣ . (٥) ٩٩ . (٦) ٨٧و٩٥ . (٧) ١٠٠و٩٥ . (٨) ١٠٣ الخ .
(٩) ٩٧ (١٠) ٩٩ (١١) ١١٢ : س٨ (١٢) ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ .
(١٣) ١٣٣ س٨ (١٤) ٨٥ (١٥) ١٦١ .

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لاأخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود وبالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا .

وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب مامثاله :

قرأت هذاالكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدّي الاميرالأجل العالم الفاضل الصدرالكامل عضدالدين ، جليس الملوك والسلاطين ، حجةالعرب خالصة اميرالمؤمنين ، أدام الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطّر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر[1] وستمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً » .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ[2] — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فنسختنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتب بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقّعة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن١٨٨٤) . وهي التي نعدّها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النحوية الصرفية التي لايتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في «البديع» وصاحب «ديوان» — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية ممايدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي النساخ عبثت به .

واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ اوالنساخ : (دشني) (دشن)[3] (موز)

(١) «عسره» في الاصل . (٢) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدمها لمطبوعته «كتاب الاعتبار» . (٣) ص ٣٨ .

(موزا)[1] ، (الرحا) (الرحى)[2] ، (قاسم) (قسيم)[3] ، الى آخر ماهنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او اكثر في سطر واحد او صفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالتـه على سلاسة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان اواختباره — لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيهـا — فأمره يهمنا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفـاظ والاصطلاحات مع مايماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطوّر اللغة العربية المحكية . وهاك امثلة من أسامة :

(أ) « أيش (اي شيء) انتم ؟ » (ص٨) — « ايش (اي شيء) كان من خبر الصبية ؟ » (ص ١٢٩) — « مافي (لايقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص٣٣) — « تموا (مازالوا) يطردونهم » (ص٣٧) — « خفت لا (لئلا) يكون لهم » (ص٤٧) — « دار حول الصخرة وطّلع (تطلّع) تحتها » (ص١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (اللي — في العامية) ماناله ضرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : — « الكلاب نطعمهم (نطعمها) من عيشنا » (ص ٩) .

(ج) استعمال المثنى المنصوب في حالة الرفع : — « ديواني كل شهر دينـارين (ديناران) » (ص٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : — اطمرهم (اطمرهما) » (ص١٤٣) « يبست رجلاي ودقّت (دقّتا) » (ص١٣١) — نخرج فارسان . . . فصـادفوا (فصادفا) رجلاً . . . فأخذوه (فأخذاه) » (ص٤٧) .

(هـ) لغة اكلوني البراغيث : — « فاقتطعوهم (فاقتطعهم) الروم » (ص٦٩) .

(و) الميل لاهمال الهمزة او تحويلها ياء : — « الحيط (الحائط) » (ص٥٥) — « خبّيتـه (خبّأته) » (ص٣٤) « غار (أغار) » (ص ٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص٦٥) .

---

(١) ص ٥٣ . (٢) ص ٧٨ . (٣) ص ١٢٥ .

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين ياءً : = « دلّيت (دللت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص١٠٨) .

(ح) الاشباع : = « روحْ (رُحْ) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صيغة المؤنث : = « غار معلّقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « جحر ثانيـة » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « سكيناً صغيرة » (ص ٧٦ س ٢٣) - « طارت الحجل » (ص ١٤٦ س ١٥) .

وللمخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت الينا خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن اكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثالاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة تمر جاء به احد الحلبيين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على مايظهر قرأها (عَدْل) (ص٨٣) وترجمها [1] (La séance) ، وهي في الحقيقة (عِدْل) بمعنى كيس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (يسبقهم) فقرأها درنبورغ (تسبقهم) (ص ٥٤) ، وقرأها لاندبرغ [2] (تسنبقهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (يشنقهم) . بين (السبق) (والشنق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرّار ، جزّار ، جزّاز ، خرّار ، حرّاز ، حراز ، خراز ، خرّاز ، خزّار ، خزّاز — عشر قراءات فقط لاغير و كلها واردة في اسماء اعلام الذهبي (المشتبه) [3] ، فاخترلك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

---

(١) « Autobiographie d, Ousàma » (Paris ١٨٩٥) ص ١١٠ .

(٢) Landberg « Crtica arabica »N° 2 (Leiden ١٨٦٦) ص٢٦ .

(٣) (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ — ١٠٠ .

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية . ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ وصفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاة) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ نكرة وترجمها (La ville hause) [١] . اما « قرية خربة » (ص ٦٠) فحسبها علماً [٢] .

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية . ولمكان الاشكال فيه جعل درنبورغ يحسب مرة ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص ٤٦) [٣] ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص ١٠٧) [٤] ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه [٤] ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص ١٠٧) .

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس تتضمن الجمل الحكية . وهذا ما جعل درنبورغ [٥] يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخلة في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص ١١) . ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي وُلُك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » . فدرنبورغ [٦] ضمّن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج . والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج ، فيكون أسامة سميناً قصيراً .

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية . ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ماندري ما يقولون » . وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « تبربر بلسانهم وانا لا أدري ما تقول » (ص ١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الغرسياني « التفت الى غلام له كلّه بالتركي ولا أدري مايقول » (ص ٧٥) . وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالتركي ولا أدري مايقولون » (ص ١١٢) . على ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال

---

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ .

(٣) قابل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ .

(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ .

كلمات افرنجية كـ: «سرجندي» (ص٥٦) و« سرجند » (ص٤٩) (sergeant) = «تركبولي» (ص٣٧) (Turcopole) = « برجاسي» (ص١٠٤) (bourgeoisie) « البسكند » (ص١٠٢) (viscount) = « الداما » (ص١٠٠) (madame) = « البرونس» (ص٨٧) (prince) .

والذي يهمنا اكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم . ومما يجب ملاحظته ان معظم أسماء آلات الحرب انما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن جيرانهم الفرس . واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعرّبة :

(سندروس) (ص٨س١٣) (سَندروس ، معدن شبيه بالكهرباء — سَمرْفسار) (ص٩س٢٠) (سَمرْفسار ، راس العنان — كُزاغند) (ص٣٤س٣٧) (كَژاگند ، كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع — (دركاه) (ص٣٦س١٩) (دركاه ، بلاط الملك = (دُشني) (ص٣٨س١٦) دشنه ، خنجر = (خِشت) (ص٣٨س٢٠) خشت ، حربه = (موزا) (ص٥٣س٢٣) = مُوزه ، خف = (اوزبه) (صفحة٥٤س١٠) = اوزبك ، اميرالجيش = (بُشت) (صفحة٨٦س٢٤) = پشت ، عباءة = (تَرْكَش) (صفحة١٥٨س٨) = تَرْكُش ، جعبة = (ديدب) (صفحة ٩٤ س١٠) = ديده‌بان ، راقب .

وهنالك لفظتان فارسيتان اشتبه امرهما على درنبورغ فحسبها عربيتين : (برجم) (صفحة١١٨س٩) = پـرجم ، شعر ذنب عجل البحر . فظنها درنبورغ (براجم) العربية وترجمها (Articulatoins de doigts) [1] . و(نشاف) (صفحة٩٨س١) وهي في الراجح (نِشاف) الفارسية = بلَه . وترجمها درنبورغ [2] (Consomption) .

واليك مثالاً من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب : (يَرَق) (صفحة٧٦س٦) يراق ، سلاح = (جوبان) (صفحة٧٨س١٣) = چوبان ، راعٍ [3] .

(١) (Autobiographie) ١٥٦ . (٢) ايضاً ١٢٩ . (٣) اما درنبورغ (صفحة١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubân al-khail) .

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة ٧ س ٢١) = ثياب موشّاة = (قنطارية) (صفحة ٤٢ س ٢١) = الرمح او قناته = (زُرْبول) (صفحة ٨١ س ٧) = حذاء ·

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معمياتها ، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم المراد ·

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لِ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها :[1] (Usama Ibn munkidh memoiren) اعتمد فيها الكاتب على الترجمة الافرنسية مع تصريحه في مقدمة الكتاب بانه ترجمه عن الاصل العربي · وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً في ترجمته[2] اسم خطيب إسعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل (صفحة ١٢٥) ، وكذلك فعل شومان[3] · اقحم درنبورغ في مكانين من ترجمته[4] كلمة (نصر) بعد (ناصر الدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠ س ٢ و ١٢) ، وشومان اتبع اثره[5] · في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة ٧٧ س ١٩) على درنبورغ فحسبها (ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars)[6] بدلاً من ثمانمائة دينار كما في الاصل العربي ، وشومان اقتفى خطواته (على العمياني) وترجم[7] hundert denaren

ولقد نشرت في العام الفائت عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان: (An Arab-syrian gentlema nauel warrior ui the period of the Cruisades) (New york) ·

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها · وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى انكليزية[8] لاقيمة علمية لها ولاجديد فيها لانهـا مبنية على الترجمة الافرنسية السابقة ·

---

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ · (٢) (Autobiographie) ١٦٥ ·
(٣) (Memoiren) ٢٢٩ · (٤) (Autobiographie) ٢٦ س ١٤ وس ٣٧
(٥) (memoiren) ٥٠ و ٥١ · (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩ وس ٢٨ · (٧) (Memoiren) ١٥٤ س ١٥ ــ ١٦ و ٢٤ ·
(٨) « Autobiography of Ousama ibn Mounkidh »

فيكون الكتاب قد ترجم للافرنسية والالمانية والانكليزية .

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ هـ (١٦ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الافرنج ، توفي أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت [1] بانه (مُعظَّم مُقدَّس) . ولقد دُرس قبره مع مادرس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة [2] . ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأتُ عنده شيئًا من القرآن وترحمت عليه » [3] .

جامعة برنستون : فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ .

(٢) هذه خلاصة تقرير تكرم به بتاريخ ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الاستاذ « المغربي » احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر التنقيب عن قبر أسامة . (٣) ١ : ١١٢

جامع التواريخ

« نشوار المحاضرة »

او اخبار المذاكرة

— ٨ —

حدثني «١» ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن البحري «٢» القاضي الداوودي «٣» وهو شيخ من خلفاء قضاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف في الحكم . قال حدثني ابو الحسين عبد الله ابن احمد بن محمد بن المفلس الداودي قال كان ابو بكر محمد بن داود وابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج رضي الله عنه كثيراً ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه في الحضور ابو بكر يوماً فسأله خلق «٤» من الشافعية عن العود الموجب للكفارة «٥» ما هو قال

«١» طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٨٩ .

«٢» عند السبكي : البختري .

«٣» م ، ع ، في طبقات السبكي الداوردي هنا وفيما يلي .

«٤» م ، ع ، في الطبقات فسأله حدث .

«٥» م ، ع ، في طبقات السبكي للكفارة في الظهار .

انه اعادة القول ثانياً وهو مذهبه (١) وحضر ابن سريج فاستشرحهم ماجرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود ولا ياابا بكر اعزك الله هذا قول من (؟)من المسلمين تقدمكم(٢)فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال أتقدر ان من اعتقدت ان قولهم اجماع في هذه المسألة اجماع عندي احسن احوالهم ان اعده (٣) خلافاً وهيهات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال له انت ياابا بكر بكتاب الزهرة (٤) امهر منك في هذه الطريقة فقال ابوبكر بكتاب الزهرة تعيرني والله ماتحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم وانه لمن احدى المناقب اذ كنت اقول فيه :

اكرر في روض المحاسن مقلتي　　وامنع نفسي ان تنال محرما
وينطق سري عن مترجم خاطري　　فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم　　فما ان أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال القاضي ابو العباس بن سريج أعليّ تفتخر بهذا القول وانا الذي اقول :

ومساهر بالغنج من لحظاته　　قد بت امنعه لذيذ سباته (٥)
صبا بحسن حديثه وعتابه　　واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ماالصبح لاح عموده　　ولي بخاتم ربه وبراته (٦)

«١» عند السبكي : ومذهب داود. «٢» م.ع. في الطبقات تقدمكم فيه. «٣» عند السبكي : اعدهم. «٤» يعني كتاب ادب الفه ابو بكر «٥» م.ع.في الطبقات سناته. جمع سنة اي النعاس . «٦» بالاصل وفراته ،الصواب عندالسبكي.

فقال ابن داود لابي عمر ايد الله القاضي قد اقر بالمبيت على الحال التي ذكرها وادعى البراءة مما يوجبه فعليه اقامة البينة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقراراً وناطه بصفة كان اقراره موكولا الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان قال ابن سريج فهذا القول اختياري الساعة

حدثني مبشر مولى ابي قال قدمت سوق الاهواز من غيبة كان مولاي غائبها فكتب من المشرعة الى ابي ايوب داود بن علي بن ابي الجمد الكاتب وكان بينهما أنسة ومودة وعرفه قدومه فالتمس منه ان ينفذ اليه مركوبا ليركبه من المشرعة الى داره فانفذ اليه ابو ايوب المركوب وكتب اليه :

عبدك داود به علة تمنعه ان يتلقاكا
والبغلة الشهباء قد اسرجت فاركب فديناك فديناكا
عيني الى الباب واذني الى مبشري قد جاء مولاكا

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال وكان ابوه المكنى بابي حامد قد تقلد القضاء وابو علي هذا قد خلف عدة قضاة على غير بلد قال حدثني ابن حجا الاصفهاني قال قيل لابي مسلم محمد بن بحر لما دخل اصبهان واليها وصارفا لابن رستم ان ابن رستم قد اخذ طالعاً في دخولك وهو يذكر أنه غير جيد فقال ان كان قد اخذ طالعي فقد أخذت غاربه

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال كان (١) ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل علي بن عيسى واليه اذ ذاك الديوان فقلد ابو الحسن سليمان الديوان باسره فأقام يتقلده نحو سنتين فقام يصلي المغرب فسقطت من كمه رقعة بخطه نسخة سعاية بابن الفرات واسبابه وسعى لابن عبد الحميد كاتب السيدة بالوزارة (٢) واخذها بعض اسبابه وتقرب بها الى ابن الفرات فقبض عليه للوقت فانفذه الى واسط في زورق مطبق وصودر وعذب بواسط ثم رجع له ابن الفرات لما وقف من كتاب صاحب الخبر (على) ان ام سليمان ماتت ببغداد ولم يحضرها ولا رأته قبل موتها فاغتم لذلك وبدا (٣) فكتب اليه بخطه كتابا اقرأنيه سليمان بعد ذلك لحفظته ونسخته:

ميزت اكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم وتفكرت في سالف خدمك في المنازل التي فيها ربيت وبين اهلها غذيت فثناني اليك وعطفني عليك واعادني الى افضل ماعهدت واجمل ماالفت فثق اكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح مااختل من امرك عليه واعلم انني أراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد السبب مقام اللحمة والنسب وتسهل ماعظم من جنايتك وتقلل ما كثر من اساءتك ولن ادع

«١» تجارب الامم ١: ١٥ وكتاب الوزراء لهلال ص: ١٠٢ . «٢» م.ع.: في كتاب الوزراء فوقعت في يد احد الحواشي فحملها الى ابن الفرات ولما وقف عليها قبض عليه الخ «٣» م.ع.: لعل الاصل بداله

مراعاتها والمحافظة عليها ان شاء الله وقد قلدتك اعمال دستميسان(١) لسنة ٢٩٨ وبقايا ماقبلها وكتبت الى احمد بن حبش بحمل عشرة الآف درهم اليك فتقلد هذه الاعمال وأظهر فيها اثراً حميداً ينبيء عن كفايتك ويؤدي الى ما احبه من زيادتك ان شاء الله

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن العباس الترمذي قال حدثنا عمر عن اليزيدي الاكبر مؤدب المأمون قال دخل ابو العباس الفضل بن الربيع على ابي علي يحيى بن خالد البرمكي وهو جالس للحوائج وابنه جعفر يوقع بين يديه فعرض عليه رقعة فقال هذا لايمكن واخرى فقال هذا مما قد حظره امير المؤمنين واخرى فقال هذا يفسد به الاولياء (واخرى) فقال هذا يثلم الارتفاع الى ان عرض عليه عشر رقاع واعتل فيها بعلل مختلفة ولم يوقع له بشيء فجمعها الفضل وقال ارجعن خائبات ونهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عثور
فتقضي لبانات وتشفي حسائك(٢) ويحدث من بعد الامور امور

فسمعها يحي فقال عزمت عليك ياابا العباس مارجعت فرجع فوقع له في الرقاع كلها

«١» م.ع. : قال ياقوت دستميسان كورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي الى الاهواز اقرب. وقيل هي كورة قصبتها الابلة فتكون البصرة من هذه الكورة.
« ٢ » م.ع. جمع حسيكة او حساكة وهي العداوة والحقد.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن عيسى قال حدثنا ابي قال حدثنا ابو داود بن الجراح قال قال لي الفضل بن مروان كنت اعمال في ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظمت في الحساب السنة التي نكب فيها البرامكة ووجدت قد ثبت فيه ثمن هدية دفعتين من مال ضياع الرشيد واهداهما الى جعفر بن يحي بضعة عشر الف دينار وفيه بعدشهور من هذه الهدية قد ثبت في الحساب لثمن نفط وحب قطن ابتيع وحرق به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله نفطويه قال حدثنا ابو العباس ابن الفرات قال قال لي ابو عبد الله ابن سليمان قال قال لي ابي سمعت ابا الحسن عبيد الله بن يحي بن خاقان قال سمعت ابا جعفر احمد بن يوسف يقول وهو اذ ذاك وزير المأمون لما قال الشاعر بعد قتل ابي سلمة وزير السفاح:

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

كذبت الوزراء من يشناك فلا يدخل في هذا الامر الا منحوس.

حدثني ابو علي بن ابي حامد قال سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبيء بها اذ ذاك كان في بادية السماوة ونواحيها الى ان اخرج اليه لؤلؤ من حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلا فاعتل وكاد ان يتلف حتى سئل في امره فاستتابه

وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وانه تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه قال وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن نزل عليه وكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة فضاعت وبقي اولها (في) حفظي وهو:

والنجم السيار. والفلك الدوار. والليل والنهار . ان الكافر لفي اخطار. امض على سبيلك. واقف أثر من كان قبلك من المسلمين (١) فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله .

قال وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها غير هذا قال وكان المتنبيء اذا استوعب (٢) في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب يذكر له هذا القرآن وامثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده. قال وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة لولا ان الآخر جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان متنبيء معناه كاذب ومن رضي لنفسه ان يدعى بالكذب فهو جاهل فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على الامتناع. فاما انا فاني سألته بالاهواز في سنة ٣٥٤ عند اجتيازه بها الى فارس في حديث طويل حدث بيننا —عن معنى المتنبيء لأني اردت ان اسمع منه هل تنبأ ام لا فأجابني بجواب مغالط لي وهو ان قال: هذا شيء كان في الحداثة اوجبته الصورة فاستحييت ان ان استقصي عليه وامسكت. وقال لي ابو علي ابن ابي حامد قال لي ابي ونحن

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري من المرسلين. «٢» م.ع. كذا في الاصل .

بحلب وقد سمع قوماً يحكون عن ابي الطيب المتنبيء هذه السورة التي قدمنا ذكرها لولا جهله. أين قوله امض على سبيلك الى آخر الكلام - من قول الله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) الى آخر القصة وهي(١) تتقارب الفصاحة بينهما او يشتبه الكلامان .

حدثنا ابو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي قال : حدثنا ابو سلمة العسكري احد غلمان ابي علي الجبائي قال كنت بحضرته يوماً وهو يصلي ونحن جلوس نتحدث فقال رجل منا اليوم كنت عند صديق لي فأطعمني معقود العسل ودهن اللوز فقالوا...... (٢) ليس بها من يكون هذا عنده الا العامل واست ممن يأكل طعام العمال (٣) فمن الرجل يشوش الكلام وسلم ابو علي من صلاته فقال لنا لا يهوسكم(٤) لعله كان اليوم عند الصيدلاني وتناول (٥) لطريقك (٦) فقال الرجل هكذا كان.

وحدثنا ابو الحسين ايضاً قال حدثنا ابو محمد الحسن بن عمرو قال(٧) كنت بالاندلس فقيل لي ان بها تلميذاً لابي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيد ويكنا (٨)

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري وهل . «٢» بياض بالاصل . «٣» م.ع. لعله فمر الرجل يشوش او وتشوش الكلام اي اختلط . «٤» كذا في الاصل ولعله لا يهولنكم . «٥» م.ع. كذا في الاصل ولعله تناول اطريفلا وسماه ابن البيطار في مفرداته طريفلن وقال هو اسم يوناني ومعناه ذو ثلاثة الاوراق وشرح له فوائد طبية كثيرة الى ان قال : (وقد يقع اصل هذا النبات في اخلاط الادوية المعجونة) فليراجع . «٦» لعله كطريقك . «٧» معجم الادباء - ٦ : ٧٤ - «٨» م.ع. كذا في الاصل والصواب يكنى.

ابا خلف فأتيته فرأيت شيخاً همّا فسألته عن سبب اجتماعه مع ابي عثمان ولم يقع ابو عثمان الى الاندلس فقال كان طالب العلم (١) يشرف عند ملوكنا فوقع الينا كتاب التربيع والتدوير له فاشاروا اليه ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين فبلغ الرجل الصكاك(٢) بكتابة هذين الكتابين قال فخرجت لاعرج على شيءٍ حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل هو بسرمن رأى فأصعدت اليها فقيل قد انحدر الى البصرة فانحدرت اليه وسألته (٣) عن منزله فأرشدت فدخلت اليه واذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره قال فدهشت فقلت ايكم ابو عثمان فرفع يده الي وحركها في وجهي وقال من اين . فقلت من الاندلس قال طينة حمقاء . فما الاسم ؟ قلت سلام قال اسم كلب القراد. ابن من ؟ قلت ابن يزيد(٤) قال بحق ماصرت (٥) ابو من ؟ قلت ابو خلف قال كنية قرد زبيدة. ماجئت تطلب؟ قلت العلم قال ارجع بوقت فانك لا تفلح قلت له ماانصفتني فقد اشتملت على خصائل (٦) اربع : جفاء البلدية (٧) وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة الداخل. قال فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري . ما كان يجب

«١» م.ع. في ياقوت طالب العلم بالمشرق يشرف عندملوكنا بلقاء ابي عثمان «٢» م.ع. الصواب اسقاط لفظة بكتابة كما في ياقوت والصكاك كغراب لغة في السكاك وهو الهواء الملاقي عنان السماء . اي بلغ غاية الرفعة الخ «٣» م.ع. كذا في الاصل والظاهر . اليها. وسألته . «٤» كذا في خطنا وعند ياقوت وسبق ان اسم ابيه زيد . «٥» لعله صرف «٦» م.ع. كذا في الاصل ولم نجد خصائل بهذا المعنى فالظاهر خصال كما في ياقوت «٧» م.ع. الظاهر البادية.

ان تعرفني بها قال فأقمت عليه عشرين سنة قال وكان سلام هذا يحسن العلم قال وبلغني عن ابي بكر بن مجاهد انه قال: الناس اربعة مليح يتبغض فلا احتمله. وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذي لادواء له. وبغيض يتبغض فيعذر لانه طبيعة. ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة

حدثنا ابو الحسين قال كنت بتامه(١) من بلاد الهند فسمعتهم يتحدثون ان ملوك الهند يغالون في الافيلة (٢) الحربية على قدر عظم بطشها فربما بلغ الفيل الفاره المنقطع النظير مائة الف دينار ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينار قال فاذا بلغ الملك ان فيلا قد يعرف وله بطش عظيم وانه يصلح للحرب امر بصيده قالوا وليس له حيلة في صيده الا بان يخرج قوم من الفيالين ومعهم فيلة انثى اهلية معلمة فيهاافضل خبث(٣) وتأنيث والافيلة فيها من الفطنة امر عظيم قال فيخرج الفيالون وهي معهم الى حيث قد بلغتهم موضعاً يتفرب الفيل فيه فيقاربون الموضع ويلجأون الى موضع يختبئون فيه: (في) (٤) شجرة (٥) عظيمة لايمكن الفيل فيها حيلة او شيء يحفرونه ويغطونه ويدعون الفيلة الانثى ترعى فحين يشم الفيل رائحتها يقصدها وتقصده فتلاعبه وتطاعمه (٦) بخرطومها وتوانسه ولا يبرح من حيث هي

«١» لعلها تانه التي ذكرها حمد الله المستوفي في نزهة القلوب (ص ٢٦٢) والدمشقي (ص ١٧٣) قيل انها بومباي. «٢» م.ع. جمع الفيل أفيال وفيول وفيلة ولايقال افيلة. «٣» م.ع. الظاهر خنث. «٤» بالاصل ما. «٥» م.ع. الظاهر ان الاصل اماشجرة الخ. «٦» م.ع. الاظهر تطاعمه من تطاعمت الحمامتان اذا ادخلا فماً في فم.

ويرعيان في موضع فيّالها (١) والفيالون مختبون شهراً لا يفرقون بينهما فاذا كان بعد شهر اقل (٢) او اكثر على حسب علمهم باستحكام الالفة استدعوا الفيلة في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه فتجيئهم فيركبوهـا (٣) فحين يراهم الفيل ويراها يتبعهم فيروم ان يودي (٤) الفيالين فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه وتسرع ويسرع خلفها فاذا رأوه قد ولى ردوها اليه فتلاعبه فيرجع معها فلا يزالون يمشون به خلفها يومين او ثلاثة الى ان يروا منه ضجراً او شدة في اذيتهم فيقفون ليلة في موضع ويتهاربون عن ظهرها الى موضع يختبئون فيه فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ويحرزون انفسهم في المختبأ ويدعونه معها دون تلك المدة ثم يسيرون بها على ذلك الوجه فيتبعها الفيل فيسيرون بها يومين او ثلاثة او حسب مايمكن الى ان يبدو ضجره فينزلون على رسمهم فلا يزالون كذلك حتى يقربوه من البلد في مدة على حسب بعد المسافة او قربها فاذا بلغوا المدينة اخرج ملكها جميع اهل البلد او اكثرهم وجمعهم وصعد عامتهم على السطوح النساء والصبيان مزينين. فحين يرى الفيل اجتماعهم يستوحش وينفر ويولي ويطلب الصحراء فيرجع فاذا رأى الناس بعر (٥) فيرجع اليه فيرده فلا يزال كذلك معه حتى يدخله بين الناس ويقربه منهم ويقيمونه (٦) الفيالون اياماً كذلك حتى يألف الناس فاذا الفهم امر الملك بجمع

«١» لعله وفيالها. «٢» م.ع. لعله او اقل. «٣» م.ع. الصواب فيركبونها.
«٤» م.ع. لعله يؤذي او يردي. «٥» كذا بالاصل والجملة محرفة.
«٦» م.ع. الظاهر ويقيم

اصحاب الدبادب والطبول والصنوج فحين يسمع ينفر نفوراً شديداً اشد من ذلك ويهرب فتمضي الفيلة خلفه فحين يراها وقد بعد عن الصوت قليلاً يقف لها فتداعبه وترده وتداريه فحين يقرب من الصوت يهرب ثم يرجع معها هذا دأبه معها يفعل به ذلك اياماً متتابعات الى ان يألف الصوت فاذا الف المناظر والاصوات ادخل الفيالون الفيلة الى البلد ويتبعهم الفيل فيجيئون بها الى ساحة كبيرة معدة لها فيها اربعة اوتاد ساج أثقل مايكون واعظمه متقاربة منصوبة على اساسات شديدة (١) فتدخل الفيلة من بين تلك الاوتاد وتقف فيدخل وراءها ويقف معها فينزل الفيالون وفي اصول تلك الاوتاد حلق عظام وثيقة في كل دقل(٢) حلقة وفيه قيد عظيم ثقيل فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الاوتاد ولا يمكنه قلعها ولا ان يطرح ثقله على شيء ليساوي احرانه (٣) في التقييد اليها فلا يزال على ذلك اياماً والفيلة الى جانبه فاذا مسه الجوع جاءه الفيالون بالارز والسمن المطبوخ فاطمعوه اياه بان يرموا اليه من بعد فللجوع (ما) يا كله ولا يزالون يدارونه ويتقربون منه على تدريج حتى يا كله من ايديهم بعد مدة فاذا اكل من ايديهم فهي العلامة في استئناسه فحين يأكل من ايديهم مراراً كثيرة ويستمر على هذا يركبونه ويضعون الحديد في رأسه

«١» بالاصل اسسات شديد . «٢» م.ع. الدقل صاري السفينة والمراد هنا الوتد المذكور. «٣» كذا بالاصل والجملة محرفة. م.ع. الظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم وجمع كأنه صير كل جزء جرما.

اياماً ويعرونها عليه حتى يأ لفها ويعلمونه ويكلمونه فاذا مضت ايام على هذا حلوا قيوده وهم فوقه فيمشي ويصرفونه(١) بحسب مايصرفونه عليه ويصير في حكم الاهلي.قال وسمعت ان ملك الصنف (٢) وهو البلد الذي يجيء منه العود الصنفي له الف فيل اذا اخرجت تمتد نحو فرسخ قال وسمعت ان الملك اذا اراد قتل انسان سلمه الى الفيل فيكلمه الفيال في ان يقتله قال فيقتله بالوان من القتل منها انه ربما لف خرطومه على رجل الرجل ويضع احدى يديه على ساق الرجل الاخرى ثم يعتمد عليه فاذا هو قد خرق الرجل بنصفين من اوله الى آخره وربما ترك الرجل واستعرضه بالعرض ثم وضع يده على بطنه فيسحقه قلت انا رأيت بالبصرة في سنة ٣٣٩ فيلاً لطيفاً حمله صاحب عمان الى معز الدولة فاجتاز بالبصرة وحمل الى دارنا فأدخل الى صحننا فرأيناه وسمعت عدداً كثيراً من اهل البصرة يخبرون اذ ذاك ان هذاالفيل اجتاز في سوق الجامع فقرب منه صبي دون البالغ فصاح به الفيالون ليتنحى عن طريق الفيل فدهش الصبي وادركه الفيل فلف خرطومه عليه وشاله فرفعه الى الفيالين فأخذوه منه فصاح الصبي فطار عقله فما ازالوه الا بدراهم وانهم اجتازوا بعد ذلك بايام فادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله بخرطومه ورقاه في الهواء ثم استقبله بنابه فادخله في جسمه فقتله .

حدثني ابو الحسين (٣) قال حدثنا الفضل بن باهماد(٤) اني السير بها وكان

«١» م ع . كذا في الاصل . «٢» م ع . الصنف موضع في بلاد الهند او الصين . «٣» الفرج بعد الشدة ٢: ١٢٩ . «٤» في الفرج هامان .

مشهوراً بسلوك أقاصي بلدان البحر قال قال لي رجل من بعض مياسير (١) بلاد الهند والبيسير هو المولود على ملة الاسلام في بلاد الهند (٢) انه كان في بلد من بلاد الهند وكان فيه الملك حسن السيرة وكان لا يأخذ مواجهة ولا يعطي مواجهة انما يقلب بيده الى وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاما الملك وسنة لهم هناك وانه توفي فوثب رجل على ملكه فاحتوى عليه وهرب ابن كان له يصلح الملك خوفاً على نفسه من المتغلب. ورسوم ملوك الهند ان الرجل اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس فاخر من اليواقيت والجواهر مضربا بالابريسم في الصدرة ويكون قيمة ذلك ما ان اراد ان يقيم به ملكا قامه . قال ويقولون ليس بملك من قام من مجلسه وليس معه ما ان حدثت عليه حادثة فهرب به امكنه اقامة ملك عظيم منه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه انه مشى ثلاثة ايام قال ولم اطعم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولا وانفت ان استطعم ولم اقدر على اظهار ما معي قال فجلست على قارعة الطريق واذ برجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت اين تريد ؟ فقال الجدام الفلاني ومعنى الجدام

---

(١) في الفرج بياسرة...والبيسر.والارجح ان الكلمة محرفة اصلها مسلمان وكتبها بعض سياحي الافرنج بسرمان. (٢) م ٠ ع ٠ الظاهر انه البياسرة قال في التاج البياسرة جيل بالسند « او بالهند » تستأجرهم النواخذة وهم اهل السفن لمحاربة العدو والواحد بيسري

الرستاق فقلت له هذا الجدام الفلاني اريد فنصطحب قال نعم فطمعت في ان يعرض علي شيئاً من مأكوله قال فحمل السكارة واكل وانا اراه ولم يعرض علي وانفت ان ابتدئه بالسوءال وقام يمشي وقد شدها فمشيت معه وتبعته طمعاً في ان تحمله الانسانية والموانسة والعرض (١) فعمل بالليل معي كما عمل بالنهار قال واصبحنا من غد ومشينا فعاملني بمثل ذلك على هـذا سبعـة ايام لم اذق شيئاً فاصبحت في اليوم الثامن ضعيفاً لاقدرة لي على الحركـة فرأيت جداما في حـاشية الطريق وقوما يبنون وقيما عليهم يأمرهم قال ففارقت الرجل وعدلت الى الوكيل فقلت استعملني باجرة تعطنيها عشياً مثل هوءلاء فقال نعم ناولهم الطين قال فكنت آخذ الطين فلعادة الملك اقلب يدي الى ظهري واعطيهم الطين فكما (٢) أذكر ان ذلك خطأ علي (٣) وسفك دمي ابادر بتلافي ذلك فارد يدي بسرعة قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت سيدها بخبري وقالت لابد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدم عليها (٤) بحبسي عن المضي مع الصناع فحتبستني وانصرف الصنـاع فجاءني بالدهن والمروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لاعظامهم فتغسلت بذلك فجاءوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة نفسها على التزويج فعقدت عليها ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين أربا حالها وكانت لها نعمة فانا يوماً جالس على باب دارها فاذا انا برجل من بلدي فاستدعيته فجاءني

«١» لعله على العرض. «٢» لعله كلما. «٣» م.ع. لعل الاصل خطأ مني وسبب لسفك دمي او خطر علي. «٤» لعله تقدم اليها اي امرها.

فقلت له من اين انت؟ قال انا من بلد كذا و كذا وذكر بلدي فقلت ماتصنع ها هنا فقال كان فينا ملك حسن السيرة فمات ووثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة رعيته فوثبوا عليه فقتلوه وانبثثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفي لنجلسه مكان ابيه فما نعرف له خبراً قال فقلت له : تعرفني؟ قال لا فقلت انا طلبتكم قال واعطيته العلامات فعلم صحة ماقلت له فكفّر لي قلت اكتم امرنا الى ان ندخل الى الناحية فقال افعل قال فدخلت الى المرأة واخبرتها بالخبر وحدثتها بالصورة وبامري كله واعطيتها الصدرة وقلت فيها كذا ومن حالها كذا وانا ماض مع الرجل فان كان ماذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيئك رسولي فيذكرك الصدرة فانهضي معه وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى مع الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك وانفذ الى الزوجة من حملها وجاءت فحين اجتمع شمله واستقام ملكه امر فبنيت له دار عظيمة وامر ان لايجتاز في عمله مجتاز الا حمل اليها ويضاف ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام اخر وكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي استصحبه في سفره ويقدر ان يقع في يده واراد ان يبني الدار شكراً لله تعالى على الخلاص مما كان فيه وان يكفي الناس المؤونة التي كانت لحقته (فلما كان) بعد حول استعرض النـاس قال وقد كان يستعرضهم كل شهر فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان ذلك اليوم رأى الرجل بينهم فحين وقعت

عليه عينه اعطاه ورقة تانبول (١) وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك بانسان من رعيته . قال فحين فعل الملك بالرجل ذلك كفر له وقبل الارض فامره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فامر بتغيير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال له اتعرفني قال وكيف لا اعرف الملك وهو من حاله وعظم شانه وعلو سلطانه (بحيث هو) قال لم ارد هذا أتعرفني من قبل هذه الحال قال لا قال فاذكره الملك الحديث والقصة في منعه الطعام سبعة ايام في السفر قال فبهت الرجل وقال ردوه الى الدار ونسوه (٢) وزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم الرجل فلما اراد النوم قال الملك لامرأته امضي فغمزيه (٣) حتى ينام قال فجاءت المرأة ولم تزل تغمزه الى ان نام فجاءت الى الملك وقالت قد نام فقال ليس هذا نوما حركوه فانه ميت (٤) قال فقالت له المرأة ايش هذا قال فساق اليها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهيت في اكرامه والهند لهم كبود عظام وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم فدخل عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن اليّ ذلك الوقت فقتلته الحسرة وقد كنت أتوقع موته قبل هذا مما تتوهمه واستشعره من العلة في نفسه والحسرة والاسف فقتلته

« للبحث صلة »

«١» م.ع. التانبول يقال له التامول وهو نبت طيب الريح ينبت نبات اللوبياء طعمه طعم القرنفل يمضغ فيطيب النكهة . «٢» م . ع الظاهر وآنسوه «٣» م.ع الصواب فاغمزيه «٤» في الفرج : فحركوه واذا هو ميت

رسالة الكرم

— ٣ —

ويقال أفصد الشجر وانفصد : انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه .

وفي اللسان السّفير ماسقط من ورق الشجر وتحاتّ ومما سقط من ورق العشب .

وقال الخطيب : ويقال قد حبب عقد قضبانه في مطلع العناقيد فاذا استدار قيل فلك فاذا طلع قيل نجم ثم يقال قد اورق واعنم .

« ورق الكرم وتوريقه »

الورق[1] من الشجر كل ما تبسط تبسطاً وكان له عَيْر[2] في وسطه تنتشر عنه حاشيتاه . واحدته ورقة والجمع اوراق .

أورق الشجر ايراقاً وورق يرق كوعد يعد وورق توريقاً خرج ورقه وقال ابو حنيفة ظهر ورقه تاماً واورق بالألف اكثر .

وفي اللسان . ورقت الشجرة توريقاً وأورقت ايراقاً أخرجت ورقها واورق اي خرج ورقه . والوراق بالكسر ككتاب . الوقت الذي يورق فيه الشجر . والوَراق بالفتح كسحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق اي ورق الارض . وقال ابو حنيفة هو ان تطرد الخضرة لعينك قال أوس بن حجر وقيل ابن زهير يصف جيشاً بالكثرة :

كأن جيادهن برعن زُمٍّ جراد قد اطاع له الوَراق

وشجرة وارقة وورِيقة وورقة[3] كثيرة الورق او خضراء حسنة الورق . و يقال ورَقت الشجرة ورقاً . ألقت ورقها . وورَق الشجرة يَرِقُها وَرْقاً أخذ ورقها فهي مورقة . وفرع وريق كثير الورق .

و يقال في القوس ورقة اي عيب وهو مخرج الغصن اذا كان خفياً فاذا زادت فهي الأبنة فاذا زادت فهي السخية هكذا في التاج وفي اللسان فهي السعسه هكذا بغير نقط ولم نجد للسخية معنىً ملائماً ولعلها محرفة عن الشجنة وهي الشعبة من كل شيء . وفي المخصص فان

(١) في اللسان الرِقّ ورق الشجر . (٢) عير الورقة الخط الناتئ في وسطها كأنه جُدَيِّر و كل ناتئ في وسط مستوٍ فهو «عير» . (٣) على النسب لانه لا فعل له .

كانت اخفى من الأبنة فهي أرفة · وفي التاج الأرفة العقدة ·

الخاب · ورق الكرم العريض ونحوه وهو بكسر الخاء على ماتقتضيه عبارة القاموس والتاج وقد ضبط بالشكل بضم الخاء في عبارة اللسان والمخصص · ومبادي اللغة للاسكافي وضبط بالشكل في اللسان في مادة (غلفق) بضم الخاء وتشديد اللام ·

الغلفق كجعفر ورق الكرم مادام على شجره ·

الجَفْنة ورق الكرم عن ابن سيده ·

الغار ورق الكرم وبه فسر بعضهم قول الاخطل :

آلت الى النصف من كلفاء أتأفها[1] علج ولثمها بالجفن والغار

ويقال أغلى الكرمَ خذف من ورقه ليجود ويرتفع · وكل ماارتفع فقد غلا وتغالى ·

والغَمْل ان يحت عنب الكرم فيخففوا من ورقه فيلتقطوه وفي المخصص الغمل ان يُخَفّف حمل الكرم ·

« قضبان الكرم »

القضيب · الغصن · وكل نبت من الاغصان يقضب والجمع قُضُب وقُضْب وقُضبان وقِضبان الأخيرة اسم للجمع ·

السَرْع بالفتح وبكسر قضيب الكرم الغض لسنته والجمع سُرُوع وهي تسرُع سرُوعاً وهن سوارع والواحدة سارعة · وفي المخصص وهي السوارع ما دامت عيونها تقودها وفي التهذيب والسِرْع اسم القضيب من ذلك خاصة ·

السَرَعْرَع · القضيب مادام رطباً غضاً طرياً لسنته والانثى سَرَعْرَعة · قال في اللسان : وكل قضيب رطب سَرْع ومرعرع ·

والأساريع شكر تخرج في اصل الحبلة · والأساريع[2] التي يتعلق بها العنب

(١) هكذا رواه صاحبا اللسان والتاج ولم نجد معنى لاتاف ولا ذكرا فيهما ولعلها أتأقها اي ملأها من قولهم أتأقت السقاء اي ملأته · والكلفاء الخمر سميت بذلك للونها وهي التي تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد

(٢) هكذا في اللسان وفي التاج وهي التي يتعلق الخ · وفي الأصمعي والذي يتعلق به العنب

وربما اكلت وهي رطبة حامضة . الواحد أُسْرُوع .

السَّرْغ . قضيب الكرم الرطب جمعه سُرُوغ قال الازهري والسرغ بالغين المعجمة لغة في السرع بمعنى القضيب الرطب . وسَرِغ الرجل كفرح اذا أكل القطوف من العنب باصولها . ورواه الليث بالعين المهملة .

النَّفْض قضبان الكرم بعدما ينفو ورقه وقبل ان تتعلق حوالقه[1] وهو أغض مايكون وارخصه وقد انتفض الكرم عند ذلك . واحدته نفضة . ونَفَضُ الشجرة حين تنتفض ثمرتها .

والنَفَض ماتساقط من غير نَفْض في اصول الشجر من انواع الثمر . وفي اللسان والنَفَض اغض مايكون من قضبان الكرم .

وفيه ايضاً والنَفَض بالتحريك ماتساقط من الورق والثمر وهو فَعَل بمعنى مفعول . والنُفاضة والنُفاض بالضم[2] ماسقط من الشيء اذانفضته اي حركته . والمِنْفض وعاء ينفض فيه الثمر .

والنِفاض بساط يحت عليه ورق الثمر وغيره وذلك ان يبسط له ثوب ثم يخبط بالعصا فذلك الثوب نفاض والجمع نفض بضمتين وما انتفض عليه من الورق يقال له نِفاض والنفوضة والجمع انافيض . الزمخشري الانافيض ماتساقط من الثمر في اصول الشجر .

العُسْلُج والعُسْلوج مالان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ماينبت ويقال العساليج عروق الشجر وهي نجومها التي تنجم من سنتها . ابن سيده : العُسْلُج والعُسْلوج والعِسْلاج الغصن لسنته وقيل هو كل قضيب حديث وقيل العسلاج الغصن اذا يبس وذهبت طراوته . وعسلجت الشجرة اخرجت العسلوج .

النامية من الكرم القضيب الذي عليه العناقيد . وقيل هو عين الكرم الذي يتشقق

بالثمر يسمى الاساريع . واساريع العنب شكر تخرج في اصل الحبلة وربما اكلت رطبة حامضة . وفي المخصص الاساريع معاليق العنب في الكرم وربما اكلت الخ .

(١) في مبادي اللغة حوالفه والصواب ماذكرنا .

(٢) في التاج ان النفاض يجوز فيه الكسر .

عن ورقه وحبه وقد أنمى الكرم · قال المفضل يقال للكرمة انها الكثيرة النوامي وهي الاغصان واحدتهـا نامية واذا كانت الكرمة كثيرة النوامي فهي عاطبة [1] · الأصمعي فاذا صارت لها قضبان قيل انمى · ويقال ما احسن نواميه · وقال الحجنة والنامية شعب الشكير · وفي المخصص اذا نبت الشكير ثم شعب فتلك الشعب النوامي · وانمى الكرم صار له قضبان ·

ويقال استظل الكرم اذا التفت نواميه وتظلل مثله ·

الحَالِق من الكرم ونحوه ماالتوى منه وتعلق بالقضبان · وفي المخصص ويقال لخيوطه الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق وكذلك الحالق وفي اللسان والحالق والحالبق ماتعلق بالقضبان من تعاريش الكرم · قال الازهري كل ذلك مأخوذ من استدارته كالحلقة [2]

الإِطار ككتاب : قضبان الكرم تلوى للتعريش ·

العَقْش [3] : أطراف قضبان الكرم ·

العنَم : محركة خيوط يتعلق بها الكرم في تعاريشه واحدتها عنمة محركة ·

العَرْدم والعِرْدام : العذق الذي فيه الشماريخ واصله في النخلة كذا في اللسان · وفي التاج العود الذي فيه الشماريخ نقله الجوهري عن ابي عبيد ·

الأُظفور بالضم : الدقيق الذي يلتوي على قضيب الكرم · وقال ابو حيان جمع خيوط تلتوي على قضبان الكرم ·

العرجون : اصل عود العنقود وهو من العنب عرجون صغير وفي المخصص ويقال لاصل عود العنقود العرجون كما يقال في الكباسة ·

---

(١) هكذا رواية اللسان والتاج وهي خطأ والصواب غاطيـة من قولهم غطت الشجرة اذا طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها ·

(٢) والحَاْلِق شجر ينبت نبات الكرم و يرتقي في الشجر وله ورق شبيه بورق العنب حامض يطبخ به اللحم وله عناقيد صغار كعناقيد العنب البري الذي يخضر ثم يسود فيكون مراً ويؤخذ ورقه ويطبخ و يجعل ماؤه في العصفر فيكون أجود له من حب الرمان واحدته حَاْلِقة · (٣) وفي التاج والقعش والعقش أطراف الخ ·

العرجود كزنبور اصل المذق من التمر والعنب حتى يقطفا · الاصمعي العرجود اصل المذق وهو الاهان · وهو من العنب عرجود صغير فلا يزال عرجوداً حتى يقطع عنبه وفي اللسان والعرجود العرجون وهو من العنب عرجون صغير قال ابن الاعرابي هو العُرجُدُ والعُرجُدُ والعرجود لعرجون النخل ·

الإهان عرجون الثمرة والجمع آهِنَة وأُهُن وعن الليث هو العرجون يعني مافوق الشماريخ و يجمع أُهُناً والعدد ثلاثة آهنة · وفي اللسان العُرْهون والعرجون والعُرجُد كله الاهان ·

الحجَن : القضبان القصار التي فيها العنب واحدتها حَجَنَة ·

العِطفة بالكسر : أطراف الكرم المتعلقة منه · والعطفة بالكسر والفتح شجرة تتعلق الحبلة بها ويقال لها العَصْبة والعَصَبة محركة و بالضم والجمع عَصْب وعَصَب وعُصَب وهي اللبلاب ·

وقال الأصمعي وتلك التي تعلق بها الحبلة بالشجر تسمى العِطْفة وقال ونحن نسميها عَطَفة ونقل في اللسان عن النضر انها عَطَف واحدتها عَطَفة ·

وفي المخصص ويقال لخيوطة الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق صاحب العين وكذلك الحالق · ابوحنيفة والعِطْفة مثله وهو كذلك من كل ماأشبه الكرم ·

الرُّعْل : الأطراف الغضة من الكرم الواحدة رُعْلة وقد رعَّل الكرم ·

الغصن : ماتشعب عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها والجمع أغصان وغصون وغِصَنَة والغُصْنة الشعبة الصغيرة منه وجمعها غُصْن · وغَصَن الغصن يَغْصِنه قطعه وأخذه ·

وفي اللسان القَطيع الغصن تقطعه من الشجرة والجمع أقطِعة وقُطُم وقُطُعات وأقاطيع كحديث وأحاديث والقِطْع من الشجر كالقطيع والجمع أقطاع · وأقطعته قضباناً من الكرم اي اذنت له في قطعها ·

الشعبة : الغصن ومن الشجر ماتفرق من أغصانها والجمع شُعَب · وشعب الغصن أطرافه · وقيل مابين كل غصنين شعبة والشعبة الطائفة من الشيء ويقال شعب من العنقود شعبة اي قطعها منه · وفي يده شعبة من مال اي قطعة وطائفة منه ·

ويقال أغلى الكرمُ · اذا التف ورقه و كثرت نواميه وطالت وفي المخصص واذا التف

ورق الكرم وكثرت نواميه وطالت قالوا قد أغلى وغلا واغلولى وأغطى بغطى وكذلك غيره من الشجر والنبات . وفي اللسان غطت الشجرة وأغطت طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها وقوله أنشده ابن قتيبة .

ومن تعاجيب[1] خلق الله غاطية يعصر منهـا ملاحي وغربيب

انما عني به الدالية لسموها وبسوقهـا وانتشارها والباسها . المفضل يقال للكرمة الكثيرة النوامي غاطية .

عِقّان الكرم والنخيل ما يخرج من اصولها واذا لم تقطع العقـان فسدت الاصول وقد أعقت النخلة والكرمة أخرجت عقانها .

القِذْرِد كزبرج الغثاء اليابس في اصل الكرم . وفي قعر العين .

« للبحث صلة » عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

(١) التعاجيب العجائب لا واحد لها من لفظها .

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »
— ٣ —

(٢٥) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١٤ من كلام عمر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (فتود لو ان سقيت بالكأس التي أبيتها ورددت الى حالتك التي استغويتها) الخ . يقول الاستاذ : (انه لا معنى للاستغواء هنا) ونقول : ان المعنى ظاهر لا خفاء فيه فان عمر يريد بهذا الكلام ان يقول لعلي رضي الله عنهما : اذا صار الامر اليك وتبينت الطمع من أتباعك والغش في النصيحة من بطانتك ندمت على مخالفتك لابي بكر وتمنيت ان لو رجعت الى الحالة التي استغويتها اي التي كنت تعدها قبل ذلك ضلالاً وغياً وهي الدخول فيما دخل فيه المسلمون من بيعة ابي بكر ، هذا ما فهمناه من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ومن قوله : « استغويتها » وإذن فلا موجب لتغييره برواية أخرى من الروايات .

(٢٦) — وجاء في ص ٢٤٠ س ١١ من كلام لأحنف بن قيس لعمر رضي الله تعالى عنهما حين وفد عليه في وفد العراق : (فان كل امريء انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن عسى ان تقتحمه الأعين فلا يوفد اليك) الخ . يريد بهذه العبارة ان كل امريء انما يدخر لنفسه ويجمع المال في خزائنه لخاصته الا الاقل ، اي الا الأصغر في المكانة والمنزلة من الذين تقتحمهم الأعين اي تتخطاهم لصغر شأنهم فلا يوفدون اليك لترفع مايثقلهم من المظالم وتجبر بالاحسان اليهم ما لحقهم من فقر وخصاصة . هذا ما فهمناه من كلام الأحنف ويرى الأستاذ ان « الا » في قوله : « الا الأقل » زائدة يجب إسقاطها وجعل العبارة انما يجمع وعائه الأقل وقد ظهر مما بيناه ان لهذه الكلمة فائدة في الجملة بل لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢٧) — وجاء في ص ٢٤١ س٣ من كلام أم الخير لمعاوية حين سألها عن خطبتها في جيش علي بن ابي طالب يوم صفين قالت لم اكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما

كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة) الخ . يقال : زوّر الخطبة اذا هيأها في نفسه قبل إلقائها وتريد بقولها : (ولا رويته بعد) انهـا لم تحفظ هذا الكلام بعد الانتهاء منه وهذا هو الجواب الذي يطابق سؤال معاوية حين قال لها : (كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر) ويقول الاستاذ ان الأصوب ان تضبط الواو بالتشديد في قولها «روّيته» وذلك لان الاستاذ يرى ان قولها (ولا رويته) ليس من الرواية وهي الحفظ وانما هو من قولهم روّأته مهموزاً يقال : (روّأ في الامر وروّى فيه بتشديد الواو اذا نظر فيه وتأمل ومنه الروية) الخ . ونقول : انه يمنع من حمل الكلام على هذا المعنى قولها : (بعد) فان البعدية تقتضي حمل قولها : « ولا رويته » على معنى الرواية ، اي الحفظ واما التروّي في الكلام انما يكون قبله لا بعده على ان قولها فيما سبق : « لم أكن زوّرته » كاف في هذا المعنى فلا موجب إذن لتكرير المعنى بالعبارة الثانية وإذن فلا مندوحة من حمل قولها : « رويته » على معنى الرواية .

(٢٨) — وجاء في ص ٢٥٤ س ٣ : (فما الذي يبرد غليلك و يشفي إجاج صدرك) اه وقد كتبنا على كلمة (إجاج) في حاشية الكتاب انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوهجه اه . و يقول الاستاذ اعتراضاً على هذا التفسير (ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ، واستدل على ذلك بان الزمخشري في أساس البلاغة لم يشر اليه) اه . ونقول : ان الزمخشري لم يحط في كتابه اساس البلاغة بجميع الألفاظ المجازية المستعملة في كلام العرب بل نقول : ان أمهات اللغة لم تحط بذلك . و يدل على ذلك ايضاً قول الزمخشري عند ذكر المجازات في كل مادة (ومن المجاز) بمن التي تدل على التبعيض وان ما يذكره انما هو بعض المجازات لا كلها على ان علماء الوضع قد ذكروا في كتبهم ان الفاظ المجاز موضوعة بالوضع النوعي وهو الوضع العام وليست موضوعة بالوضع الشخصي وهو الوضع الخاص اي وضع كل كلمة على حدتهـا للمعنى المجـازي الا على رأي القليل منهم .

(٢٩) — وجاء في ص ٢٦٠ س ٥ : (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) الخ . يقول الاستاذ : صوابه بانسان ، لان (أوصى) يتعدى بالباء لا بعلى) اه . ونقول : ان هذا الخاطر قد عرض لنا عند تصحيحنا لهذه العبارة غير اننا

وجدنا انه من المستبعد جداً ان يغلط الناسخ في الباء فيحرفها الى قوله : (على) للفرق البعيد بين الكلمتين وإذن نقول (على انسان) من كلام المؤلف لا من غلط الناسخ وهذا التعبير شائع في كلام المتأخرين فيقولون (أوصيت عليه) ولهذا التعبير وجه حسن لا تنكره اللغة فانهم يريدون أوصيت عليه بكذا فمتعدي أوصى محذوف للعلم به ولفظ (على) في هذه العبارة معناه التعليل ، اي أوصيت لاجله وليس للتعدية كما فهم الاستاذ ومنه قول احد الشعراء في خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني :

رجوت ابا صالح للنـدا فلم يغن عني رجائي بشي
ولم استفد بعد طول الرجا سوى وعده ان سيوصي علي

والحق انه كان ينبغي ان ننبه الى ذلك في حاشية الكتاب كما نبهنا الى غيره .

(٣٠) = وجاء في صفحة ٢٦٦ س ١٠ من كلام ابن العميد : (في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء ندي) الخ . قال الاستاذ لعل صوابه (وهواء عذي) بالعين المهملة والذال المعجمة والياء المخففة وتشدد اي طيب . وقال : واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية كما نقول نحن طيبة المناخ) اهـ . ونقول ان وصف الهواء بانه ندي بتشديد الياء أقرب الى أسلوب ابن العميد وأشباهه من الكتّاب واكثر ملاءمة لسياق الرسالة لسهولة لفظها وقرب معناها وانسجامها مع بقية ألفاظ هذه الرسالة وانها مألوفة في الاستعمال ووصف الهواء بها بخلاف كلمة (عذي) فانه لفظ غريب لم يعهد استعماله في رسائل الكتّاب امثال ابن العميد كما انه لم يعرف ان احداً وصف الهواء به .

(٣١) = وجاء في صفحة ٢٦٧ س١٣ من كلام الصاحب ابن عباد يمدح شخصاً : (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) اهـ . وقد استصوب الاستاذ حذف الباء من قوله (بمن) وقال (ان فعل كاثر يتعدى بنفسه) فصواب العبارة إذن (عن مكاثرة من) الخ ما قال . ونقول ان معنى المكاثرة هنا المغالبة والمفاخرة بالكثرة ولا ينبغي حملها على غير هذا المعنى في مثل هذا التركيب الا على ضرب من التكلف البعيد ولا مراء بان المكاثرة بهذا المعنى تتعدى الى المفعول بنفسها لا بالباء غير ان الباء في هذه العبارة ليست للتعدية كما فهم الاستاذ ولكنها للظرفية على حد معناها في قولهم (فاخر فلان

فلاناً بعلمه) وطاوله بمجده ، اي في علمه وفي مجده مثلاً وإذن فمفعول المكاثرة محذوف للعلم به ؛ والاصل عن مكاثرة المنافسين بمن ينسب الخ فلو حذفت البـاء وجعلت (من) في موضع المفعول لكان الكلام ذماً لامدحاً كأن الكاتب يريد ان يفاخر المكتوب اليه و يغالبه كما هو ظاهر مع انه يريد ان يقول : من ذا الذي لا يودّ ان يكاثر خصومه و يفاخرهم بصحبة شخص تنسب نضـارة الربيع ومحاسنه الى محاسن خلاله وطيب شيمه ، كأن الكاتب يقول ان هذا الممدوح وان كان واحداً في نفسه الا انه كثير في نفعه وغنائه حتى ان من صاحبه اذا كاثر الخصوم بصحبته غلبهم في الكثرة وإذن فلا مندوحة من اثبات الباء في قوله (بمن) الخ .

(٣٢) — وجاء في صفحة ٢٨٠ س٦ قوله في رسالة ابن زيدون (وأظهر وأضمر ، وابتدأ وأخبر ، واستفهم وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند) اه . يقول الاستاذ : الصواب اسقاط لفظ (واستفهم) واحتج لذلك بطول السجعة به . وان ذلك مخـالف لاصول السجع اه . ونقول ان مجرد طول السجعة عما قبلها اوما بعدها لا يسوّغ لنا بحال اسقاط كلة من الاصل فقد قدمنا ان اسقاط كلة من الاصل امر خطير لا ينبغي للمصحح الامين ان يرتكبه الا عند الضرورة الشديدة كفساد المعنى بها ، او تأكد زيادتها في الجملة ، اوغيرذلك من الضرورات ولسنا نرى ان طول السجعة عن سابقتها اولاحقتها من الضرورات الموجبة لتقصيرها بحذف بعض كلماتها ما دام المعنى صحيحاً والغرض مستقيماً .

(٣٣) — وجاء في صفحة ٢٨١ س٩ (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فحم) الخ . وقوله (في غير فحم) اي في غير نار فأطلق الفحم هنا وأراد النار اطلاقاً مجازياً لان النار تحل في الفحم وتشتعل به والقرينة هنا تعين ذلك وهذا كما يقال (عذبه بالتنور) اي بالنار التي فيه وإذن فلا مقتضى لتغيير كلة (فحم) بـ (ضرم) كما رآه الاستاذ ونقله عن نسخته (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ما دامت الرواية ظاهرة الصحة كما بينا ، ولا سيما اذا عرفنا ان البعد عظيم بين الكلمتين في رسم الحروف بحيث لا يمكننا ان نحكم بان احداهما محرفة عن الاخرى ، وليكن ما في سرح العيون رواية ثانية في العبارة اذ لا مانع من تعدد الروايات . واما قول الاستاذ (ان النفخ في الفحم لا يوري ناراً بخلاف النفخ في الضرم فهذا انما يصح اذا أريد بالفحم معناه الحقيقي قبل اشتعال النـار

فيـه اما وقد ظهر انـ المراد به النار المشتعلة فيه كما تعينه القرينة فلا مجال لاحتجاج الاستاذ بما احتج به ·

(٣٤) — وجاء في صفحة ٢٨٧ س٦ من كلام ابن زيدون ايضاً (وان كنت انما بلغت قمر تابوتك وتجافيت القميصك عن بعض قوتك) اه · قال الأستاذ (قوله : «القميصك» يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في شرح العيون المطبوع في المطبعة المليجية) اه · ونقول : قوله (القميصك) يجب اثباتها لا اسقاطها لظهور فائدتها في الجملة ولعدم استقامة العبارة بدونها فان مراد ابن زيدون بهذا الكلام ان يتهكم بهذا الرجل الذي يخاطبه فهو يقول له : انك توفر من قوتك الذي به قوام حياتك ، وتجافى عن بعضه لتحسن ملبسك بما توفره ، وتجمل ثيابك بما تقتطعه من قوتك لتخدع الناس بجمال منظرك ، ولا يدرون ان تحت ذلك الحسن الظاهري الجوع والطوى وهذا نهاية في التهكم والسخرية ·

(٣٥) — وجاء في ص ٢٨٨ س ١ من كلام ابن زيدون ايضاً : (وقلدك عمرو بالصمصامة) الخ · يقول الاستاذ صوابه (وقلّدك عمرو الصمصامة) باسقاط الباء واحتج لذلك (بان فعل قلّد يتعدى بنفسه لا بالباء) اه · واقول رأيت في عبارة بعض اللغويين ما يفيد ان فعل قلد يتعدى بالباء كما يتعدى بنفسه فقد جاء في اللسان ج٤ ص٣٦٨ في تفسير حديث « قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار » ما نصه : (انما نهاهم عنها لانهم كانوا يعتقدون ان تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والاذى) اه · ففي هذه العبارة ما يفيد ان تعدية (قلّد) بالباء جائزة فانه قال (بالأوتار) باثبات الباء ·

(٣٦) — وجاء في ص٣١٨ س٦ من كلام ابي حفص عمر بن برد الاصغر الاندلسي يعاتب بعض اخوانه (فإما ان تبهرني بحجة فأنتصل عندك ، واما ان تفي بحقيقة فأستديم خاءك ، واما ان تأزم على يأسك فأقطع حبلي منك) اه · فأنت ترى من هذه العبارة ان الكاتب قد خير صاحبه بين ثلاثة امور : اولها يقول له : اما ان تأتيني ببرهان على خطئي فاعتذر اليك ، وهذا معنى قوله (فاما ان تبهرني بحجة فأنتصل عندك) ، ثانيها يقول له واما ان تكون وفياً بحق فأستديم إخاءك ، وهذا معنى قوله (واما ان تفي بحقيقة فأستديم خاءك) ، ثالثهـا يقول له (واما ان تأزم على يأسك) اي واما ان تواظب وتدأب على

اليأس الذي عندك وقطع الرجاء في مراجعة ما سلف من عهد الأخوة فأيأسَ انا منك وأقطع حبل المواصلة بيني وبينك ، وإذن فالتقسيم ظاهر مستقيم لا خفاء فيه ولا موجب لتغيير لفظ (يأسك) بكلمة (فأسك) بالفـاء كما رآه الاستاذ ، واما قوله (ان هذا ليس من جنس كلام البلغاء) فاننا لم نتبين وجهاً لذلك مع استقامة المعنى وظهور الغرض .

مصححه

احمد الزين

تصحيح قصة

الحكاية التي نقلها الاستاذ الشيخ كامل الغزي عن لسان الامير أسامة بن منقذ التي تفيد اجتماعه بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحانه لقوة ذاكرته — نسبتها الى الامير الموماليه ليست بصواب واعتراض الدكتور فيليب حتي (مجلة المجمع ج٥ ص ٣١٧) بان بينهما قرناً كاملاً والواحد منهما لم يعاصر الآخر هو في محله .

وقد ذكر القصة على الصواب المؤرخ الكبير ابن العديم في كتابه (الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري) الذي نشرته على نقص فيه في تاريخي الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج٤ ص٧٨) والقصة مذكورة في ص١٣٥ ونصها: وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف ابو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني نزيل بغداد وهو من ولد الشريف ابي ابراهيم العلوي الحراني واصله من حلب وكان ابوه حاجب الباب ببغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً اهله بها فذكر فيه قال حدثني والدي رضي الله عنه وارضاه يرفعه الى ابن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب الخ .

وبعد ان ذكر القصة استبعد ان تكون واقعة في انطاكية لاسباب ذكرها (ثم قال) ويحتمل عندي ان يكون هذا بكفر طاب فقد كانت كفر طاب مشحونة باهل العلم وكان بها من يقرأ الادب و يشتغل به قبل ان يهاجمها الافرنج في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة وكانت لابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في ايام ابي العلاء فلعله تصحف كفرطاب بانطاكية

وتصحيفها غير مستبعد فان كان كذلك فابن منقذ الحاكي لهذه الحكاية هو ابوالمتوج مقلد ابن نصر بن منقذ وابوه نصر وكفرطاب قريبة من معرة النعمان ويحتمل ان ذلك كان بحلب فان اباالعلاء دخل حلب وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبدالله بن سعدالنحوي ورد عليه خطأه في شعر المتنبي على ماذكرناه في ذكر شيوخه الذين اخذ عنهم فيحتمل ان هذه الحكاية التي حكاها ابن منقذ كان بحلب وابو المتوج بن منقذ كان بحلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرفية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم الخ .

وابوالمتوج مقلد بن نصر له ترجمة في تاريخي في هذا الجزء (ص ١٨٠) نقلتها عن تاريخ ابن خلكان ووفاته سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب فتكون وفاته بعد وفاة ابي العلاء بسنة فاجتماعه به محقق ولعل الاستاذ الغزي عاق ذلك من ذاكرته فكتب في المقالة أسامة بن منقذ بدل ابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فوقع بهذا الخطأ وجل من لا يسهو .

عضو المجمع العلمي العربي

محمد راغب الطباخ

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٣ —

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور — المشهور بمناسبات البقاعي : لبرهان الدين ابي اسحاق بن عمر البقاعي الدمشقي المولود سنة ٨٠٩ والمتوفى بدمشق في شهر رجب سنة ٨٨٥ . اوله الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً سوره وآياته ، متشابهاً فواصله وغاياته .

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من أسرار القرآن ماتتحيرفيه العقول وذكر في آخره انه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٨٥ وكان ابتداؤه في شهر شعبان سنة ٨٦١ فمكث في تأليفه اربعاً وعشرين سنة ثم قال مؤلفه في تفسيره

هذا . اني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبانيه ووصلت الى قريب من نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه واحكام وصفه ، دب داء الحسد في جماعة اولي نكد ومكر فنصبوا من سهام الشرور والأباطيل وأنواع الزور ما كثر بسببه الوقائع وطال الامر في ذلك سنين وعم الكرب ، وصنفت بسبب ذلك كتابي (مصاعد النظر في الاشراف على مقاصد السوَر) ثم صنفت (الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة) وثبت الله تعالى ورزق الصبر والاناة حتى كمل هذا الكتاب اه منه نسخة كاملة في خمس مجلدات وفي المجلد الاول خط المؤلف أجازلكاتبه وناسخه خليل الذهبي المقري فرغ من نسخه سنة ٨٨٥ (رقم ١٣٩ — ١٤٥ التفسير) .

اللباب في علوم الكتاب — تأليف ابي حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي من علماء القرن التاسع الهجري : وهو تفسير جليل وطريقته فيه ان يقول عند ذكر الآية قوله تعالى كذا ، ثم يشرع في تفسير الآية مبيناً سبب النزول والنسخ واوجه الاعراب وغير ذلك ، وهو في ست مجلدات كبار كل مجلد نحو (١٠٠٠) صحيفة كتب سنة ١٠٦٥ هـ بخط نفيس (رقم ١٨ — ٢٣ التفسير) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

المتنبي

« تأليف السيد شفيق جبري ص ٢١٠ طبع بمطبعة ابن زيدون في دمشق »
« سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ »

عرف قراء هذه المجلة مبلغ الاجادة في كلام الاستاذ جبري على المتنبي مما نشر فيها من المحاضرات التي القاها في كلية الآداب بدمشق في السنة الدرسية المنصرمة . ووقفوا ولا شك في أسلوبه الدقيق وعنايته في التحقيق على شيء من التجدد الجميل مما لم يكد يجري به غير عدد قليل من أقلام الباحثين من المعاصرين في أدبنا العربي .

واستفاد محاضروه من مجالسه في الكلية اموراً في الأدب كان عنها الباحثون من القدماء بمعزل . هذا ان صح ان نحكم عليهم حكماً مسمطاً بالنظر الى جملة ماانتهى الينا من اسفارهم واخبارهم . وماهيأت الاجادة للاستاذ الباحث الا لمعاناته الادب الافرنسي كما عانى الأدب العربي فرأى بنفسه ماينقص هذا من صور البحث ليكون ادب العرب على سمته وجماله زائداً في الامتاع والافادة ويخرج عما يرميه به خصومه ممن تذوقوا الادب الافرنجي فقط من وصمه بانه ادب جامد لاروح فيه ولاحياة ، وأداة مختلة التراكيب قلما ينتفع بها في التأثير بالعقول والمجتمعات . ولقد رأينا المؤلف في دروسه الطريقة التي جوّد القاءها ايضاً على أساليب البلغاء يأتي في تحليل شعر المتنبي اوشك معه ان لا يترك بعده خاطراً في النفس ، يصوره لتلاميذه في كل مظاهره تصوير شاعر ماهر . ولاعجب ان كان في كلامه على المتنبي شاعراً فهو شاعر محسن . والثوب لايلمح جودة نسجه غير النساج الحاذق . والمتنبي (مالئ الدنيا وشاغل الناس) كما قال فيه احد واصفيه لم يرزق شاعر من الحظوة مارزقه ، ولاخدم العلماء والادباء ديواناً من دواوين العرب بمثل ماخدم به ديوانه . ومن تمام حظ المتنبي الذي اثر في الناس بشعره منذ الف سنة ان يقوم اليوم من المعاصرين من ينظر في كلامه نظراً أوسع وأتم مما نظر فيه الأسلاف . وحبذا لو حذا الباحثون في تحليل حياة عظمائنا في الأدب والعلم هذه الطريقة التي لا يرضى الدارسين بعد اليوم غيرها .

م . ك

تأثيرات سياحة

« تأليف السيد موسى كريم طبعت في سان باولو في براز يل ص ٥٩٢ »

هذا وصف رحلة ارتحلها وطنينا وصديقنا المؤلف من ٢٣ حزيران عام ١٩٢٧ الى ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ وصف فيها ما شاهده في البورتقال واسبانيا وفرنسا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وصفاً شفافاً جميلاً استعمل فيه الاستاذ حرية الفكر وبعد النظر ورمى الى أغراض وطنية شريفة ومنازع قومية يحمد عليها و يستغرب نقيضها من رجل باحث يعرف الغرب معرفة جيدة و يعرف الاثر الناتج من نزع التعصبات المذهبية والجنسية . وقد أهدى كتابه الى أم المدن المقدسة دمشق والى النهضة الوطنية في الشرق الخ فدل على تعلقه ببلاده وسروره فيها بعد غيبته عنها سنين طويلة بما شاهده من نهضتها الحديثة . وقد ذكر احاديث وقعت له مع رجالات الشام ومصر تكشف القناع عن محيا حقائق العصر وربما لا يرضى بعضهم عما أفضوا به اليه لان منهم من يعيش في تقية ممقوتة بل لا يعيش بغيرها . والكتاب بلذك باسلوبه تقرأوه كل الطبقات فتستفيد منه فوائد ممتعة وقد زينه بصور المشهورين من رجال العلم والسياسة في هذا الشرق القريب و برسوم معاهد أخرى في البلاد التي ساح فيها . فاستحق بعمله ثناء الآداب وخلد له بما كتب ذكراً عطراً أثبت فيه كيف يكون اثر التربية العالية في النفوس فينزع صاحبها يده من التقاليد الممقوتة و ينظر في العالم الى الحقائق المجردة . م . ك

الجاحظ

« بقلم الاستاذ خليل مردم بك »

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالة وجيزة في الجاحظ تكلم فيها على شيء من حياة الجاحظ وصفته ومذهبه وأشار الى سعة علمه وجلالة قدره ولمح الى دعابته وفكاهته وحسن محاضرته ، وذكر كتبه المطبوعة و كتبه المخطوطة ، و بحث عن اتهامه في دينه ، وروى طائفة من شعره . وختم رسالته بالكلام على زمن الجاحظ وعلى عوامل نبوغه وعلى مواهبه وقيمة أدبه وأثره وأضاف الى هذا كله طائفة من منتخب كلام الجاحظ .

من خصائص البحث في عصرنا هذا ان الكاتب اذا تكلم على شاعر او على أديب او على عصر من عصورنا الأدبية لزمه ان يصوّر لنا نواحي هذا الشاعر او هذا الأديب او هذا العصر تصويراً متكاملاً حتى اذا وقع نظرنا على الصورة أخذ النظر جملة هذه النواحي ومن خصائص البحث ان يطبع الباحث هذه الصورة بطابعه الخاص واعني بالطابع الخاص ان تظهر على بحثه آثار فكره في الانفراد بالرأي والاستقلال بالتمييز ٠

ومن يمن الطالع ان ادباءنا شعروا بهذا كله فنشطوا اليه فكان نجو يدهم العمل على قدر مواهبهم واستعدادهم ٠

والاستاذ خليل مردم بك حاول في رسالته ان تظهر على كلامه آثار البحث المناسب لروح هذا العصر وليس بضائرنا ونحن في بدء النهضة الأدبية ان نقصر بعض التقصير في مباحثنا الادبية وانما الشأن ان نشعر بخصائص البحث المطابق لاوضاع هذا العصر وقد شعرنا بذلك وهذا شيء ليس بقليل ٠

نعم ليس بضائر الاستاذ خليل مردم بك ان تفوته نواحٍ كثيرة من نواحي الجاحظ فان الكلام على الجاحظ يستغرق كتاباً مطولاً فضلاً عن رسالة وجيزة ٠

فليس بضائر الاستاذ ان يفوته الكلام على اساليب الجاحظ في تحقيقه العلمي فالجاحظ عالم من العلماء سواء أكان علمه موافقاً لحقائق علم هذا العصر ام كان غير موافق فهو لا يختلف في تحقيقه العلمي عن اكابر علماء هذا العصر وفي مقدمتهم « باستور » فكانت أساليبه في التجريب والاختبار والتدقيق مطابقة لاساليبهم

وليس بضائره ان يفوته الكلام على طبائع تهكم الجاحظ فقد كان الجاحظ يتعمد في بعض الاحايين النادرة فكأنه كان يتعمد الإضحاك ٠

وليس بضائره ان يفوته الاستقصاء في الكلام على أساليب الجاحظ في النقد الأدبي وعلى مذاهبه الأدبية وعلى خصائص لغته الأدبية والعلمية وعلى طبيعة الانقلاب الأدبي والانقلاب الفكري في عصره وعلى طبائع فلسفته التي جمعت بين معرفة السماع وعلم التجربة وطبائع مذهبه الديني فقد أشرك الجاحظ بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ٠

فقد فات الاستاذ خليل مردم بك الكلام على هذا كله فكأنه وضع رسالته لتلاميذه حتى يمهّد لهم السبيل الى الاستئناس بالدراسة الأدبية .

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي العربي

تاريخ اللغات السامية

« تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية »
« وهو يقع في ٢٥٠ صفحة »

للجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية فضل كبير في سبيل النهضة العلمية العربية بما تنشره من حين الى آخر من نفائس مطبوعاتها العلمية . وتاريخ اللغات السامية من أنفس ما اتحفت به العالم العربي . يحتوي على تاريخ موجز للغات السامية وهو الوحيد من نوعه . فقد سد المؤلف بكتابه هذا ثلمة عظيمة في نهضة اللغة العربية الحديثة فله الفضل العظيم ، اذ انه اول من وضع كتاباً بهذا الموضوع باللغة العربية . وقد الحق المؤلف في نهاية كتابه تعليقات العلامة الاستاذ ليتمان على هذا الكتاب ليتيسر للقارئ الاستفادة منها وهذه الملاحظات ثمينة جداً لمكانة هذا العالم في عالم المشرقيات . فقد نبه المؤلف الى مسائل عديدة ذات شأن . وقد لفت نظري بعض ملاحظات ربما لم ينتبه اليها العلامة ليتمان فوجدت ان انبه المؤلف اليها ليتلافاها في طبعة تالية . واعتمدت في تصحيح بعض الاعلام على ما اصطلحنا عليه نحن معشر العرب في كتابتها او كما وردت في نسخة الكتاب المقدس العربية طبعة نيورك : وجاء في (ص٣) قال آل عيلم وعيلم وصوابها آل عيلام وعيلام (عز٢ : ٣١ ونح ٧ : ٣٤) . وجاء في صفحة ٢٠ قال سمارية صوابه السامرة (امل ١٦ : ٢٤) . وصفحة ٤٢ قال الحثية وكررها غير مرة والاظهر ان تكتب الحثية . وصفحة ٥٠ قال عش عصفور (كن) وصوابه وكن او وكنة . وصفحة ٥٦ قال الفريزي وصوابه الفرزي اوالفَرِزيون (تك ١٣ : ٧ و٣٤ : ٣٠) . وصفحة ٥٦ قال جبال وصوابه جبيل . وصفحة ٥٧ قال (ارواد) بنواحي اسكندرونة وصوابه بين طرابلس

واللاذقية . وصفحة ٥٧ قال عشترت والاظهر في كتابتها عشتاروت . وصفحة ٥٨ قال اتباعل صوابه اتبعل (امل ١٦ : ٣١) . وفيها قال احاب صوابه اخاب (امل ١٦ : ٢٩) وصفحة ٦٣ قال نقش ويريد بها الكتابة المزبورة على الحجر والاصح ان يقال رقيم فهي اوفى بالمعنى . وصفحة ٦٧ قال (ان كتابة يحوملك ترجع الى القرن الخامس (ق . م) . وهي من اقدم الكتابات الفينيقية التي اكتشفت في ارض كنعان) مع ان كتابة احيرام التي اكتشفت في جبيل في سنة ١٩٢٤ هي اقدم عهداً ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر (ق . م) . وصفحة ٨٤ (كتابة عبرية على ورق نقدي) مع ان هذا النوع من النقد غير معروف في ذلك العصر . وصفحة ٩٠ اسرة المكابيم وصوابه أسرة المكابيين . وصفحة ١٠٠ صادي ترجمتها شبكة الصيد وصوابه حربة الصيد . وصفحة ١١٦ بيت رحوب على ضفاف اليرموك والصواب هي جهات مرجعيون وبانياس . وصفحة ١٣٠ أهمل اسم الشهر في السطر ٢١ . وصفحة ١٤٥ قال (مدينــة اودسا) والصواب ادسا كي لا يحصل التباس بينها وبين اودسا من سواحل البحر الاسود . وصفحة ١٥٩ قالـــ (الملوله) والصواب معلولا ثم ان هنالك قريتين اخريين تتكلمان بالسريانيــة الى اليوم غير قرية معلوله وهما جبعدين وبخعة . وصفحة ١٧٨ قال سنة ١٠٦ وصوابه ١٠٥ . وصفحة ٢٠٦ قوله ان القصائد والأساليب الشعرية لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن الاول وهذا قول مبالغ فيــه لان المعروف ان معاوية لما جلب من اليمن عبيد بن شرية الجرهمي وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم امر معاوية ان يدوّن ذلك فلو لم يكن التدوين موجوداً كيف كان يقول له ذلك . وورد في الصفحة ٢٢٣ قوله في بلاد الشام حيث لا ملك عظيم ولا معاهد منتجة بعد ان انقضى العصر الاموي . فهذا القول ينفيه الواقع لان تاريخ انشاء المدارس في بلاد الشام يرجع الى أواخر النصف الاول من القرن الخامس . ايام انشأ بدمشق رشأ بن نظيف بن ماشاء الله ابو الحسن الدمشقي سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرشائيــة اتخذها داراً للقرآن وكان الحسن بن عمار حاكم طرابلس للفاطميين والمتغلب عليها أقام في طرابلس دار حكمة او شبه مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي انشأها الحاكم بامر الله في مصر سنة ٤٠٠ وفضلاً عن مئات المدارس التي أنشئت فيما بعد . وورد في الصفحة ٢٢٤ قوله ان كلمات افرنجيــة وخاصة افرنسية

اندمجت باللهجة الشامية من عهد الحملة الصليبية مسألة فيها نظر لان اللغة الشائعة كانت في الحروب الصليبية هي الايطالية ولا نذكر كلمات شاعت منذ ذاك العهد . وورد في الصفحة ٢٣٤ قال الآله بكوس : آله الخمور والمجون عند اليونان والصواب ان يقال الآله باخوس رب الخمور والمجون عند الرومان . اما عند اليونان فكان يدعى ديونيزوس . وورد في الصفحة ٢٣٥ سترابو وفي الصفحة التالية استرابو وصوابه استرابون .

جعفر الحسني

هدايا كتب

أهدى الينا السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي أستاذ العربية في كلية عليكرة رسالة لطيفة الحجم والطبع ضمنها ماعثر عليه من قطع الشعر والقصائد من شعر المتنبي وهي ليست موجودة في ديوانه المتداول بين الناس قال (وهي نيف واربعون قطعة او قصيدة) .

وأهدت الينا مكتبة العرب بالفجالة في مصر لصاحبها الشيخ يوسف الشيخ توما البستاني الجزءين الاول والثاني من رواية (التائه في بيداء الحياة) وهي اجتماعية اخلاقية فلسفية .

(الانطاكيات) مقالات في ضروب اجتماعية مختلفة كتبها الاديب بطرس كاش الانطاكي ثم جمعها في كتاب بلغت صفحاته ٣٠٧ على ورق جيد وحرف مشرق . وقد أهدى نسخة منها الى المجمع فنشكر له هديته .

الجزء ١١ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٩ هـ ٦٤١

وليمة ابن واسانة

وصف المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي أحوال القرون الاسلامية الماضية وذكر مميزات كل قرن منها . وقال : ان القرن الرابع قد امتاز على بقية القرون بغلبة (خيالات الصوفية) عليه .

وقوله هذا مسلّم بالنسبة الى ماعدا قطرنا الشامي من مجموعة الأقطار الاسلامية . اما هو فأرى ان خيالات الصوفية لم تكن الغالبة عليه وانما الغالب عليه كان اللهو والطرب والتمتع بملذات الحياة على اختلاف ضروبها . وتنوع أشكالها : فقد كان لسوريا في القرن الرابع حالة سياسية متقلقلة جعلت السوريين يستسلمون للقدر فيما يتعلق بامور الملك والسياسة . ومن طبع الاستسلام للقدر ان يولد في نفس صاحبه فتوراً عن الكد والعمل وميلاً الى الراحة في ظلال النعيم . والتفريج عن القلب باللهو والطرب . وضروب المسليات . ومن هنا يمكن التوفيق بين ماقلناه عن طبيعة القرن الرابع وبين ماقاله الكواكبي : فهو يقول ان خيالات الصوفية كانت الغالبة عليه وقلنا نحن ان الاستسلام للقدر ثم للهو هو الغالب على أهله . ولكن أليس هذا الاستسلام اثراً من آثار خيالات الصوفية ؟ أليست خيالات الصوفية التي تسربت الى أذهاننا من متصوفة الأعاجم هي التي زهدتنا في الملك والسياسة وسهلت علينا الخضوع للعناصر الأعجمية . وجعلتنا نستسلم للقدر . ونهيم بالسوالف

(١) محاضرة للاستاذ المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ ٢ و ٩ تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ م .

والطور · ولهو بشرب الراح وعزف الوتر ·

وهذا عمر الخيام الأعجمي ما الذي جمله يعيش معيشته الابيقورية لولا الخيالات الصوفية ·

حالة سوريا في القرن الرابع

كانت سوريا كالزورق المستمسك بحبل الخلافة العباسية فلما ضعف شأن هذه الخلافة بتغلب آل بويه الأعاجم عليها في القرن الرابع للهجرة انقطع حبل السفينة فتاهت في عرض البحر · واذ ذاك اخذ أمراء مختلفو الجنسية يتجاذبون تلك السفينة من كل جانب: بعضهم يدعي ولايتها باسم خلافة بغداد العباسية وبعضهم باسم خلافة مصر الفاطمية · ولا ننسوا علوج الروم الذين كانوا في ذلك القرن يتواثبون على سوريا من ثغور آسيا الصغرى · ولا القرامطة وفرق الباطنية · ولا شراذم الأعراب التي كانت تعيث فساداً في الشامات فتروع آمنيها · وتقلق راحة ساكنيها · وقد اتصلت هذه الحالة المزعجة بزمن ابي العلاء المعري فوصفها وأشار الى ان عاطفة حب الوطن هي التي جملته يألف الشام وحببت اليه الإقامة فيها · فقال مشيراً الى ما كانت تقاسيه البلاد من أذى الأعراب :

(أَلِفتُ بلاد الشام إلف ولادةٍ نلاقي بها سود الخطوب وحمرها)

(فطوراً نداري من سُبَيْعة ليثها وحيناً نصادي من ربيعة نمرها)

ويظهر ان ابا العلاء في آخر الامر ملَّ مداراة قبيلتي ربيعة وسبيعة ولم يعد يطيق الصبر على أذى ليثها ونمرها · فرحل عن الشام الى بغداد وقال يخاطب ناقته :

(اذا دنوتِ لشامٍ او مررتِ به فنكّبيه وراء الظهر او حيدي)

(قد غيّر الدهر منه كل مبتهج وألحد السيف فيه بعد توحيد)

ثم عمَّ الخطب بلاد الشام : فزحف عليها الصليبيون ونقصوها من أطرافها · واستولوا على معرة النعمان فرحل عنها ساكنوها يحملون معهم البؤس والشقاء · حتى قال قاضيها ابو المجد المعري واصفاً ما كابده في غربته · وما قاساه من بلادة غلامه (شعيا) الذي كان في خدمته :

(زمان غاض اهل الفضل فيه فسقياً للنوك به ورعيا)

(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبةٍ ورفاق شعيا)

ولكن في ظل هذا الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي الذي استحوذ على بلاد الشام كانت تنمو العلوم والآداب . وتزدهر فنون الحكمة والطب والفلك : فكان في ذلك العصر أكبر المؤلفين . وأشهر الفلاسفة والشعراء والمتأدبين . وقد غصت دور الكتب بالأسفار وآثار العلم الخالدة . وناهيكم مكتبة آل عمار الشهيرة في طرابلس الشام .

وما أشبه حالة القرن الرابع بعد الاسلام بحالة عرب الجاهلية قبل الاسلام : فقد كانت عرب الجاهلية في أحط الدركات من الوجهة الاجتماعية وان شئت قلت السياسية ايضاً . لكنهم كانوا في مستوى راقٍ من بلاغة القول والنبوغ في الشعر والحكم وضرب الأمثال . وكما كانت ربوع العلم والعرفان زاهرة في بلاد الشام . وكانت مجالس رؤسائها أشبه بنوادي أدب وشعر — كذلك كان شأن الحضارة وانفساح العمران وتوفر اسباب الترف والنعيم ورغد العيش .

هكذا كانت البيئة الشامية يومئذ .

نرى من جهةٍ حكاماً أعاجم يسوسون البلاد بالظلم والقهر . ومن جهة ثانية كنت ترى سوق العلم والأدب والشعر رائجة . وقد مهّدت الحضارة امام الكافة طرق العيش الهني . والحياة الرغدة .

بيئةٌ هذا شأنها لابد ان يطرح اهلها عن عواتقهم عبء الاهتمام بالسياسة والشؤون العامة وان يقبلوا على اللهو والطرب . والاصغاء الى أغزل الشعر وأفكهه . وعدم التصوّن من سماع أمجن القول وأفحشه .

في مثل هذا الوسط كان يعيش عبدالله بن الحجاج وابن سكّرة والببغاء والحسين بن واسانة صاحب الوليمة . وأضرابهم ممن كانوا يجنون ثمار الملذات . من بين اشواك الفتن والاضطرابات . و يرشفون كؤوس المسرّات . ولو تحت مشتجر القنا وظلال المشرفيات .

نرجع القهقرى في عصور التاريخ الى حوالي (سنة ٣٨٥هـ) لنتصور حالة دمشق نفسها : الأمر والنهي فيها يومئذ للعامة والأحداث [١] وجنود المغاربة . اما الخاصة والأشراف فماذا يكون لهم من التأثير والنفوذ إزاء هذا الجيش المختلط المتذمر .

(١) وكأنهم يريدون بالأحداث ما نريده اليوم بكلمة قبضايات وفتوات .

نزور جامع دمشق . ونمر في أسواقها . ونغشى دور عظمائها . ومجالس علمائها . فلا نسمع الا همساً . والا قولهم تباً وتعساً .

نسمع هذا يقول :

ومتى ينظر المولى تعالى الى دمشق فينقذها من ظلم عمال الفاطميين ؟ ها إننا لم نكن ننجو من (منجوتكين) و (ابن تميم) حتى جاءنا هذا الجبار (ابن الصمصامة) . حقاً ان ظلم هؤلاء هو الذي جعل بني حمدان امراء حلب يستنجدون بباسيل (باسيليوس) ملك الروم .

فأجابه آخر :

وهل تظن ان الروم أشفق علينا . وأرحم بنا من امراء الفاطميين ؟ أنسيت ما فعله (البرجي) عامل الروم على انطاكية — باهل اللاذقية ؟ بل أنسيت ما كان من (باسيل) نفسه مذ جاء بلاد الشام على اثر استنجاد الحمدانية به . فنزل على أبواب حلب . فرحب به امراؤها آل حمدان . ثم سار الى حمص ففتحها وحاصر طرابلس الشام اكثر من اربعين يوماً ثم عاد الى القسطنطينية . اما والينا الفاطمي (ابو تميم) فلا أتمّ الله عليه نعمته : جاءنا بعد ان غدر بنا اخوه (علي) فواسانا . وطيب خواطرنا في اول الامر . ثم ظهر لنا من حاله ما لم يكن في الحسبان . وإن انسَ لا انسَ ذلك اليوم الذي جاء فيه الى جامع بني أمية يصلي الجمعة في ذلك الموكب الفخم . وقد ظهر على الناس بزيّ أهل الوقار . وبين يديه القرّاء والحجاب يفرّقون الدراهم على المساكين . وبعد ان صلى عاد الى قصره بظاهر دمشق وجعل ينظر في الظُلامات ويأمر باطلاق من في الحبوس . و بهذه الصورة استمال اليه قلوب العامة فأحبوه . ولكن ما عتّم ان انكشف امره . اذ تبين للناس انه مع سياسته وحسن ادارته كان مستهتَراً بالملذات . فنقمت منه العامة والجنود . وهجموا عليه في قصره . ونهبوا خزائنه . وأوقعوا برجاله . وهرب هو فلم يوقف له على أثر . وسادت الفوضى في دمشق . وخلا الجوّ للأحداث والشطار ولرئيسهم (الدُهيقين) الذي تولى قيادتهم . وعرف كيف يستثمر شطارتهم . واستمر الهرج والمرج حتى جاءنا (ابن الصمصامة) موالي من قبل الفاطمي صاحب مصر . فخاف زعيم الأحداث (الدهيقين) من (ابن الصمصامة) فتسلل هارباً الى مصر طالباً الأمان لنفسه .

ولم يكد صاحب الحديث يتم حديثه حتى ناداه آخر — ويظهر من لهجته انه من اهل الساحل — فقال :

ما أشبه دهيقينكم يااهل دمشق بعلاّقة امير اهل صور . وأظنكم لاتعلمون من امر علاّقتنا هذا شيئاً : هو رجل نوتي . عصى مع اهل صور مارقاً من طاعة ملك مصر . وضرب سكة باسمه وكتب عليها (عزّ بعد فاقة الامير علاّقة) . فأرسل اليه ملك مصر اسطولاً مشحوناً بالمقاتلة . فاستنجد الامير (علاّقة) بالروم كما استنجد بهم قبله الحمدانيون ملوك حلب . فأنفذ ملك الروم الى معونة علاّقة اسطولاً فالتقى الاسطولان ثم كانت الغلبة للمصريين على الروم . وفي آخر الامر أمسك علاّقة . وعاد الى الذلّ والفاقة . وأرسل الى مصر فسلخ وصلب غير مأسوف عليه .

ثم قال الساحلي يخاطب اهل دمشق : كيف رأيتم : أليس ان دُهيقينكم كان أشد فطانةً من (علاّقة) صور مذ بادر الى مصر وطلب الامان لنفسه ؟

فقال احد الحاضرين : دعونا بالله عليكم من(علاقة) و (دهيقين) وفكّروا في حالتنا الحاضرة : فكّروا في (ابن الصمصامة) الذي عاد من مصر الينا . ونزل نزول البلاء علينا . استقبلناه وهتفنا بالدعاء له وأخلينا له قرية (بيت لهيا) في الغوطة ليكون مقامه فيها مع عسكره . فأظهر لنا في اول الامر العدل . وتخفيف الثقل . و بالغ في الحفاوة : فخلع على رؤساء الأحداث . وحملهم على الخيل والبغال . ووهب لهم الجواريَ والغلمان . وعين بعضهم له حجابا . ثم لم يلبث ان قلب لهم ظهر المجن فأوقع بهم وزحف بعسكره من (بيت لهيا) على سور دمشق فثلمه . وسمح لجنوده المغاربة ان ينزلوا في منازلنا وجعل يطوف في دمشق للبطش والتنكيل والناس يلوذون به مستغيثين طالبين لرحمته . فكفَّ عنهم واستدعى اليه أشراف دمشق فجاؤوه مطمئنين حتى اذا استراحوا اخرج رؤساء الأحداث الذين في سجنه فضرب أعناقهم والأشراف ينظرون اليهم . ثم صلب كل واحد في محلته . وجرّد عسكراً الى المرج والغوطة وامرهم بوضع السيف في من بها من الأحداث . ثم عاد فقبض على الاشراف ونفاهم الى مصر وصادرهم في اموالهم ونعمهم . ووضع غرامة على اهل البلد بلغت خمسمائة الف دينار . اما الذين قتلوا في هذه الكارثة فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف نفس .

هكذا كانت نارالفتنة تضطرم في دمشق : رقاب تُضرب · وشبان تُصلب · واموال تُنهب · وأشراف تُنفى وتغرّب · وابن واسانة[1] منهمك في إعداد وليمة في قرية (جمرايا) لضيوف قادمين عليه من دمشق ·

اليوم صحو · والهواء عليل · وغوطة وادي بردى كحسناء مستلقية في ذلك الوادي · قد نقعت قدميها في مياه النهر وأسندت رأسها المكلل باغصان الحور الى هضبة من هضاب الربوة · واستغرقت في نوم عميق لم يوقظها منه الا أشعة الشمس · وخرير المياه · وزقزقة العصافير · وإلاّ ضوضاء الضيوف المسرعين الى وليمة (ابن واسانة) ·

فكنت ترى هؤلاء المدعوين يتراكضون على ظهور عتاق الخيل · وفُرْه البراذين : هذا يغني · وذاك ينشد الشعر · والآخر يطارح رفيقه النكتة · ولطيف المداعبة · يتخلل ذلك كله صهيل الصوامر · وأصوات وقع الحوافر · وعطعطة الخدم والاتباع · يتبادلون السباب · ويتنابزون حسب عادتهم بالألقاب ·

وليمة (ابن واسانة) هذه في قرية (جمرايا) لها دويّ في أعماق كتب الأدب والتراجم : فقد دوّنها الثعالبي في اليتيمة (جزء ١ ص٢٦٦) وخلد ذكرها ياقوت في معجم الادباء · وهاهي قد مضى عليها زهاء الف سنة ومازالت رطبة في الافواه · حلوة الوقع على الاسماع ·

إذن يلزمنا ان نعرف (١ً) من هو ابن واسانة ؟ (٢ً) اين هي قرية جمرايا ؟ (٣ً) كيف كانت هذه الوليمة ؟ (٤ً) ماهي حالة جمرايا اليوم ؟ ·

ابن واسانة

هو ابوالقاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني · و يظهر من هذا النسب ان (واسانة) اسم لاحدى جداته او أجداده فنسب اليها اواليه · وسماه (ياقوت) في معجم الادباء (ابن واسان) · وقال صاحب اليتيمة (جزء١ ص ٢٦١) في نعته

(١) الحوادث التاريخية التي سردناها في هذه المحاضرة وقعت حوالى سنة ٣٨٥ هـ ولاريب ان وليمة (ابن واسانة) وقعت ايضاً في ذلك الزمن · لكن لانعلم في اي سنة كانت · اما وفاته هو ففي سنة ٣٩٤ هـ ·

(هو اعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره و باقعته ، وهو احد الفضلاء ، المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه) هذا ماقاله الثعالبي ، ويستنتج من تضاعيف كلامه ومن قصيدة هجوية لابن واسانة هجا بها ابا الفضل يوسف بن علي — ان ابا الفضل هذا كان واليًا على ديوان الخراج والضياع في دمشق وكان ابن واسانة كاتبًا عنده وكان "مَنَشّا" او ("مَنَسّي") بن ابراهيم القزّاز اليهودي موظفًا في ديوان الخراج بل ربما كان رئيس كتّاب ذلك الديوان ، فحمل الطيش ابن واسانة على نظم قصيدة في هجاء رئيسيه (ابي الفضل ومنسي) وكان هجوه غاية في الاقذاع والفحش ، فما كان من ابي الفضل الا ان عزله فبقي من دون عمل طول عمره ثم مات (سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) .

اما إفحاشه في شعره فربما فاق فيه رصيفه ومعاصره عبد الله بن الحجاج (٣٩١ هـ ١٠٠٠ م) فكان ابن الحجاج زعيم الهجائين في العراق ، كما كان ابن واسانة زعيمهم في بلاد الشام .

وكان شعراء ذلك العصر الهجاؤون يخيفون الرؤساء وكبار رجال الدولة ويحملونهم على إكرامهم وتقليدهم الوظائف والاعمال ، لا بالالتماس او ابراز شهادة بل بقوة التهديد والهجو وهتك الاستار عن قبيح الاسرار وهي الطريقة التي يسميها أدباء الافرنج شانتاج (Chantage) فالشاعر البسامي البغدادي المتوفى في زمن الخليفة المقتدر (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) هدد رؤساء الدولة ان لم يولّوه عملاً فقال :

(قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يُؤمل فيه النفع والعمل)
(ان تشغلوني باعمال أُصيّرها شغلاً والا ففي أعراضكم شغل)

ابن واسانة دمشقي او حلبي ؟

في قصيدة (ابن واسانة) الآتية بيت من الشعر وصف نفسه فيه بانه (غريب ناءٍ عن الاوطان) إذن هو غير دمشقي ، وفي حلب حمام يسمى (حمام الواساني) فهل ابن واسانة حلبي؟

جاء في كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) مانصه : (الحمام الذي يعرف بالواساني و يقال له (الواسانو) قديم جداً : قال صاحب كنوز الذهب : في هذا الحمام جرن اسود يُذكر ان الخليل ابراهيم عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الامر مشهوراً حتى

الآن . وهو حمام مبارك يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام و يحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصاً النساء . ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام ان الجرن موجود فيه حتى الآن والحمام من أوقاف الحاج موسى الاميري اه .

وكتب اليّ بعض فضلاء حلب وقد سألته عن الواساني فقال :

« الواساني رجل له حمام بحلب ينسب اليه . والحمام موجود الى اليوم في سويقة حاتم وراء الجامع الكبير تابع لوقف الاميري ويسميه العامة (حمام الويسيني) بالإمالة . قال الرضيّ الحنبلي في كتابه (الزُبْد والضَرَب) الواساني هو الذي ينسب اليه الحمام بحلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاءً وان كان العوام يعتقدونه اليوم من الاولياء وارباب المزارات اه .

ومن هذا يفهم ان باني الحمام في حلب هو ابن واسانة صاحب الوليمة في قرية جُمرايا بدليل ماوصفه به من انه كان شاعراً هجاءً . غير انه سماه الحسن وصوابه الحسين كما في يتيمة الدهر . فهل يصح لنا الحكم بانه حلبي ؟ كلا : فان الشبهة في نسبته الى حلب مازالت موجودة بدليل ان في كتاب (يتيمة الدهر) قصيدة هجوية لابن واسانة ومطلعها :

(ياساكني حلب العواصم جادها صوب الغمامة)

(انا في مدينتكم غريب لست من اهل الإقامة)

فالله يعلم اين كان مسقط رأس ابن واسانة قبل انه يسكن (حلب) و (دمشق) اولعله يريد بقوله (انا في مدينتكم غريب) انه كالغريب في عدم وجود اصدقاء له او في سهولة رحيله عنها فهو لايهاب من يهجوهم ولايخشى بطشهم على حد قولهم (لاتعاند من اذا هدّ رحل) فيكون حلبياً وأقام في دمشق طويلاً .

قرية جمرايا

هذه القرية من قرى دمشق وقد كان لها يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة منذ الف سنة شأن عظيم . ثم انحطت في عمرانها حتى أصبحت مزرعة صغيرة واخذ اسمها (جمرايا) يتضاءل و يتلاشى من الالسنة شيئاً فشيئاً اللهم الا من ألسنة أكَّارها القليلين الخاملين . ومما زاد في غموض امرها وضياع اسمها ان جيمها كانت تتصحف في كتب الأدب واللغة :

في (اليتيمة) اسمها (حمرايا) بالحاء المهملة . وكذا في تاج العروس : فقد روي مؤلفه بيتي احمد بن منير هكذا :

(بالنيربين فمقرى فالسريرِ فحمـ ـرايا فجوِّ حواشي جسر جسرين)
(فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلبين)

وذُكرت (جمرايا) في معجم الادباء باسم (خمرايا) بالخاء المعجمة . اما في (معجم البلدان) فذكرت مرتين مرة باسم (حمرايا) بالمهملة ومرة باسمها الصحيح (جُمرايا) بالجيم المعجمة وذلك بمناسبة الكلام على نهر بردى فقد قال : ان عيوناً تظهر على مقربة من الزبداني فتصب في قرية الفيجة وتنضم اليهـا عين أخرى . ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمرايا (وقد ضبطها بالشكل بضم الجيم) فيفترق الماء حينئذ فيصير اكثره في بردى ويحمل الباقي نهر يزيد » اه .

هكذا تصحف اسم هذه القرية وكادت هي نفسها تنطمس ايضاً حتى اني سألت القدماء المعمرين من اهل دمشق عنها فلم يعرفوها لا باسمها الحقيقي ولا باسمها المصحَّف . وأجدر الناس بالحيرة هم أدباء دمشق وعلماؤها الذين كانوا يقرأون حكاية وليمة ابن واسانة في كتاب اليتيمة المطبوع في بلدهم ويتمنون لو يعرفون اين هي قرية جُمرايا التي أقيمت فيها الوليمة وكان أشدهم حيرةً المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فقد مات وبقيت في قلبه حسرة من (جمرايا) كما مات الاصمعي وفي قلبه حسرة من (حتى) .

ولما طالعت (اليتيمة) في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وقرأت وصف الوليمة الواسانية شاركت الاخوان في حيرتهم وأخذت أتساءل عن قرية (جمرايا) وأراجع عنهـا في المظانّ وكنت كلما أوغلت في المراجعة ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في اثناء الحرب العامة ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب احد خطباء الجامع الأموي ملك قطعة ارض في مزرعة (جمرايا) فعلم من أكَّاريها ان اسم مزرعتهم (جمرايا) بالجيم و بالطبع كان اسمها كذلك في اوراق التمليك الرسمية التي بيده . وقد بنى الاستاذ ثمة داراً حسنة وجعل يحدّث اخوانه عن (جمرايا) وجمال موقعها وطيب هوائها . و يدعوهم الى زيارته و بهـذه الصورة نشرت قرية (جمرايا) من مطمورة العدم وعادت

فولدت من جديد باسمها الحقيقي وظهر ان محلها وادي بردى على قيد غلوة من قرية الهامة متنزه اهل دمشق المشهور ·

وقال بعض الفضلاء « ان قرية جمرايا كانت موقوفة على احدى مدارس دمشق » وإذن لا بد ان يكون لها ذكر في كتاب (الدارس في المدارس) فلعلنا نظفر به ونحن نصحح هذا الكتاب اليوم ونعدّه للطبع والنشر ·

وسمعت فاضلاً آخر يقول : ذكر ياقوت في معجم البلدان (ان قرية يقال لها جمرايا واقعة بين الهامة والأشرفية كانت قديماً مصيفاً لملوك دمشق) ولم أعثر على هذا النص في المعجم ·

وليمة ابن واسانة

عرفنا ترجمة (ابن واسانة) وشيئاً عن قرية (جمرايا) بقي علينا ان نعرف ماهي الظروف التي جعلت ابن واسانة يقيم هذه الوليمة في جمرايا ؟ ·

لم توصف هذه الوليمة نثراً في كتب الأدب وانما وصفها صاحبها ابن واسانة شعراً بقصيدة قالها فيها : والقصيدة نحو مائتي بيت ذكرها الثعالبي في (اليتيمة) ثم قال مانصه :

« قد أحسن في هذه القصيدة غاية الاحسان · وأبان فيهـا عن مغزاه احسن بيان · وتصرّف فيها واطال · وامكنه القول فقال · واذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف هـذا التخلص · سلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص · فهو الذي لا يدرك غوره · ولا يخاض بحره اه ·

ويمكننا ان نستخرج اسباب هذه الوليمة من القصيدة نفسها التي قيلت فيها : فقد كان يوجد في دمشق في ذلك العهد رجل من الاشراف يكنى (اباالقاسم) ولهاخ اسمه (الفضل) ويظهر انها كانا صديقين للشاعر ابن واسانة وانهما من أصحاب الجاه والظهور والخول والأتباع · فكلفا ابن واسانة ان يصنع لها وليمة في قصره في قرية (جمرايا) وكان معهما جمع من الأصدقاء والأدباء · منهم رجل اسمه (الشمولي) ولعل الشمولي هذا هو (بدر الشمولي) الذي تقلد ولاية دمشق سنة ٣٦٣ هـ وان لم يكن هو فواحد من ذريته · وكان في جملة المدعوين (بنوابي صفوان) ورجل اسمه (ابن المبشر) وصديقان لابن واسانة لم يصرح باسمها : احدهما أديب والآخر كاتب · ويفهم من القصيدة ايضـاً ان لابن واسانة ولداً صغيراً يحبه اسمه

(ميمون) يذكر في القصيدة ان الخروج الى الوليمة كان ليلة الخميس المصادفة لليلة عيد المرافع . ولم يعين في أية سنة كانت الوليمة . وأشار الى ان قرية (جمرايا) تبعد عن دمشق تسعة أميال . وقد مر ان جمرايا على غلوة من الهامة والهامة تبعد عن دمشق ١٣ كيلومتراً . وفيما عدا ذلك استوعبت القصيدة اسماء المآكل والمشارب ونتفاً من أحوال ذلك الزمن الأخلاقيـة والاجتماعية مما يحرص عليه كل من يهمه الوقوف على تاريخ دمشق وأخلاق اهلها وحالة عمرانها منذ الف سنة .

ولعمري ان في هذه القصيدة الخـالدة اكبر دليل على درجة الترف والرغد الذي كان يتمتع به اهل دمشق في ذلك العهد . ولا نطيل في وصف القصيدة وما يستخرج منها من الفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية بل ندع ذلك لها ولقائلهـا (ابن واسانه) فهما أفصح لساناً . وأروع بياناً .

تعلمون ايها السادة ان الإلفة وارتفاع الكلفة اذا استحكما بين شخص وبين من يدعوهم الى ضيافته فكثيراً ما يأخذ هؤلاء الضيوف ينهبون الطعام تارةً . ويستقلونه طوراً . ويكلفون صاحبهم احياناً ان يُحضر لهم ألواناً أخرى من الطعـام وأطايبه . بل يقومون فيفتشون عنها في زوايا البيت ومخابئه . فيأخذ صاحب الدعوة اذ ذاك في الصراخ والعويل والتبرم بالقوم ورفع الصوت في الدعاء عليهم . بل يحلف انهم خربوا داره . وأفقروا اهله وصغاره .

يقع هذا بين الأصدقاء في هذه الايام . وعلى هذا الاساس بنى ابن واسانة قصيدته التي قالها منـذ الف عام : فهو يصف المدعوين بالشَرَه والنهم وانهم كالجراد المنتشر لم يدَعوا في قريته أخضر ولا يابساً الا التهموه . ولا متاعاً او إناءً الا حطموه . وقد سلك في الوصف مسلك الغلو والتهويل . زيادةً في الإحماض والمداعبة واظهار المقدرة في نظم الشعر وحسن التصرّف في أفانين القول وابتكار المعاني . حتى قال ياقوت في كتابه (معجم الادباء) : « انه احسن في هـذه القصيدة كل الإحسان . وابان عن مقاصده احسن بيان » . وموعدنا بالقصيدة العدد الآتي :

« المغربي »

المحاضرة العشرون

روح المتنبي (١)

- ١٢ -

لكل شاعر روح تفيض على جنبات شعره ، ومهما حاول ان يخفي هذه الروح فلا بدّ لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا تعبس الدنيا في نظره فنرى في أضعاف شعره ظلمة الدنيا وعبوسها ، وهذا تبتسم الايام في وجهه فنجد في اثناء شعره ضياء الايام وابتسامها ، هذا يسترسل الى جد الحياة فلا نقع في شعره على شيء من هزلها ، وهذا ينبسط الى هزل العيش فلا نشعر في فيض قريحته بشيء من جدّه ، شاعر ضياء الامل مستفيض في شعره ، وشاعر ظلمة اليأس شائعة في قريضه ، لكل شاعر روح ، ما هي روح المتنبي ، ما هي هذه الوثبات التي وثبها في كل مذهب من مذاهب شعره ، في نسيبه ورثائه ، وفي أماديحه واهاجيه ، ماهي هذه النزعات التي نزعها في فقره وغناه ، وفي صبوته القلقة ، واكتهاله المضطرب .

نشعر ونحن نقرأ شعر ابي الطيب بان الحياة مظلمة الجوانب في عينيه ، كامدة الألوان في نظره ، فلسنا نجد في هذا الشعر اثراً من آثار بشاشة الدنيا وابتسام الزمان ، ان في روح المتنبي شيئاً من الانقباض ، ليس معنى هذا ان اباالطيب لم يعرف قيمة الحياة ، ولم يقدرها حق قدرها ، فان الذي يقول :

أنعم ولذّ فللأمور اواخر ابداً اذا كانت لهن أوائل

مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل

للهو آونة تمرّ كأنها قُبَل يزوّدها حبيب راحل

لعارف بموارد الحياة ومصادرها ، وبمداخلها ومخارجها .

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

وان الذي يقول :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من ان يُمل واحلى
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولّى

لا يغفل عن اسرار انبساط النفس وانشراح الصدر ، وربما أحاط من هذه الاسرار بما لم يحط به أعرف الناس بمقدار الحياة ، وما هذه الأسرار الا الصحة والا الشباب ، واذا المرء لم يرفل من الصحة في برد قشيب ، ولم يتفيأ من الشباب وارف الظلال ، لم يجد للحياة لذة ، نعم لم يجهل ابو الطيب قيمة الحياة وهو حريص عليها لانها شهية :

المرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر والشبيبة انزق

والقد بكى على شبابه :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق

وفي هذه الدموع دليل على حبه الحياة ، وحرصه عليها ، وربما اشتد هذا الحرص حتى أخرجه في صباه من شيء من الشجاعة ، وأقحمه في شيء من ذل الجبن في بعض الحالات ، فمن قوله في مدح الحسين بن اسحق التنوخي وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء الى ابي الطيب :

وما أربت على العشرين سني فكيف مللت من طول البقاء

ومنه قوله للوالي وهو في الاعتقال :

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد

كل هذا حجة على رغبة المتنبي في الحياة ، وتمسكه بها . ومع هذا فاننا لا نجد في شعره اثراً لضياء الحياة وبشاشتها ، فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها ، او كأنه لم يكن له من نضارة شبابه وكمال صحته آلة يستعين بها على ذوق هذه اللذة ، أفكان المتنبي يشتكي صحته ، فكثيراً ما اشار في شعره الى نحوله ، ومن هذه الاشارات :

روح تردد في مثل الخيال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ومنها :

جمعت بين جسم احمد والسـ ـقم وبين الجفون والتسهيد

ومنها :

ولا وقفت بجسم مُسْيَ ثالثة ذي أرسم دُرُسٍ في الارسم الدرس

أفكان مصاباً بشيء من المالنخوليا التي نجد آثارها في شعره ، فقد اسودت الدنيا في عينيه ، وقلّ سروره فيها ، وضاع عمره :

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الأمم

اتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم واتيناه على الهرم

واستخفّ بامر الحياة فلم يبال أطال العمر ام قصر :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عيشه مثل ذاهب

وافضى به هذا الاستخفاف الى شيء من القسوة في مواطن البكاء :

أأبكي لموتا على غير رغبة تفوت من الدنيا ولا موهب جزل

وما الدهر اهل ان نؤمّل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل

نعم لم ينظر الى الدنيا من وجهها الجذل ، وانما نظر اليها من أفقها الكئيب ، ففاض شعره كآبة ، فهو يتصور الموت في كل حالة من حالاته ، في صحته واعتلاله :

وان اسلم فما ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

ومن كان هذا نظره في الدنيا فلا عجب اذا هاجت به المالنخوليا في بعض الاحيان فطلب الموت ، لان الموت هو الذي يشفيه مما يكابده من الم النفس ، واي ألم اشدُّ من رؤية الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل ابي الطيب ، يعادونه على فضله الذي يستوجب محبته ، وينام عنهم ولا ينامون عنه :

أعادى على مايوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار فيّ تجول

لا عجب اذا طلب المتنبيُّ الموت ، ولقد طلبه لانه فتش عن صديق مخلص له فلم يجده ، وعن عدوٍّ مداجٍ فأعياه ، فالحياة التي ليس فيها صديق مخلص ولا عدو مداج لا يكثر

على رجل مثل المتنبيء ان يطلب فيها الموت ، وهو من هو في شدة احساسه واهتزاز اعصابه وسرعة حركة نفسه :

كفى بك داءً ان ترى الموت شافيا   وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى   صديقاً فأعيا او عدواً مداجيا

لا عجب اذا كانت المنايا من اماني المتنبيء لانه بين ظهراني رجال ودهم خداع ودينهم نفاق :

فلم ار ودّهم الا خداعا   ولم ار دينهم الا نفاقا

ان رجلاً هذا هو نظره في الحياة ، ان رجلاً يستوي عنده قصر الحياة وطولها لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال لبعيد عن التفرغ لمغالبة الايام ، والسعي في الحصول على شيء من عظمة الدنيا ، سواء أكانت هذه العظمة في المال ام في الجاه ، نعم ان رجلاً هذا مذهبه من عادته ان يقضي في ظلال الهدوء وراحة البال هذه الايام القليلة التي يعيشها مستهزئاً بكل عظمة ، ساخراً من كل جاه ، لان الحياة في نظره احقر من ان يزاحم عليها ، ان رجلاً من امانيه المنايا لانه لم ير صديقاً مخلصاً له ولا شبه صديق ، ليغلب اليأس عادةً على قلبه ، فلا يضرب في مناكب الارض ابتغاء لشيء من عظمة الدنيا ، ولكن المتنبيء بعيد عن هذا كله ، وهذا موطن من مواطن تناقضه في أخلاقه فقد كانت حياته تجمع بين الفأل والشؤم ، وتؤلف بين اليأس والرجاء ، وانه ليرى ظلمة الدنيا الى جانبه اذ يسعى الى ضيائها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة وقصرها اذ يستنفد وسعه في الوصول الى شيء من ظواهر العظمة في هذه الحياة ، ما اقلق ابا الطيب ، ما اشد اضطرابه :

كريشة في مهب الريح ساقطةٍ   لا تستقر على حال من القلق

فكان يغضب على الحياة و يرضى عنها ، بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياج اعصابه وهدوءها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسوّدة ، ولكنه سعى في الوصول الى الذي خالج قلبه في هذه الحياة سعياً تقصّر دونه سوابق الاقدام ، وربما كان يخط في بعض سعيه الى طبقات المستعطين فمرة كان استعطاؤه صريحاً :

أمطر عليّ سحاب جودك ثرّة   وانظر اليّ برحمة لا أغرق

ومرة كان نعريضاً :

فما بفقير شـام برقك فاقة ولا في بلاد انت صيبها محل

وحيناً كان الاستعطاء مشتملاً على شيء من التفنن :

فان تقل : ها فعادات عرفت بها او : لا ، فانك لا تسخو بلا فاكا

نعم سعى في هذا كله ما كلّت عزائمه ولا فترت هممه ولا وجد اليأس الى قلبـه سبيلاً ، فقد عمل لدنياه كأنه يعيش ابداً ، وكان مذهبـه في عمله : الدنيا لمن غلب ، حاول ان يغلب فما فصّر سخر من كل نائبة نابتـه ، وذلل كل عقبة اعترضته ، فلو تجسم العزم لكان ابوالطيب جسمه ، ولو تصوّر العمل لكان صورته الناطقة ، ان شعره ليفيض رجولية ، ان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة ، يتطاول له عدوه المبين فلا يخضد من شوكته ، ولا يضعف من عزمه ، واذا نبـا به مكان انتجع مكاناً غيره ، سواء أ كان منتجعه بعيداً ام كان قريباً ، ما اعظم المتنبيّ في هـذا الجلد على التمرس بالآفات ، والمطاعنة للايام فيكاد يكون المثل الأعلى في النزاع والمغالبة ، اوتي من العزم ماصغّر اليه كل عظيم من عظائم الدنيا ، حتى نشأت له من هذا كله قوة منيعة استعان بها كل حيـاته ، يحبس الرجل في سبيل امر من الامور ، فيخرج من حبسه ، ويضرب في الارض لا مطية له الا النعل والاالخف ، فيمدح من يمدح ، ومن ممدوحيه من لا يعطيه على قصائده الا ديناراً ، فيصـبر ولا يقطع امله من الحياة ، ويتصل بسيف الدولة فيغرق في نعمه ، فيكيد له من يكيد ، ويحسدونه ، فيترك سيف الدولة ويرجع الى ديدنه في السعي والجهد ، فيأتيه وعد السودان فينجو من شرهم ، ويقصد حضرة كافورالاخشيدي فلا يكرمه اكرام سيف الدولة ، ولا يسمح له بالجلوس في مجلسه ، ويبث عليه العيون والأرصاد ، ويضمر قتله ، فينفلت منه ويعود الى سعيه ، فيتآمر عليـه عبيده فيجز على احدهم ، ويغلب على امرهم ، ويعود الى العراق فيثور عليـه شعراء العراق ، فيهرب من بغداد ويصل الى بلاد فارس ، ثم يستأذن عضد الدولة في العودة الى وطنـه فيحذرونه من الموت فلا يعبأ بالموت ويهجم عليه فيموت . اظن ان في هذه الامور كلها سلسلة حياة تكاد تكون منقطعة النظير في الصبر على الشدائد ، والاستعداد لمطاعنة الدهر ، واظن ان الرجال الذين يصبرون بعد الصدمة الاولى من صدمات الحياة قليل عددهم ، ان كثيراً

من الناس تضعف عزائمهم في اول ضربة من ضربات الزمان ، فالمتنبيء من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام ومارستهم ، وصارعوها وصارعتهم ، فما استسلموا ولا انقادوا ، يباغتهم الدهر من ناحية فيستعدون له من ناحية ثانية حتى تمل الايام طوال نزالهم ، فتلقي اليهم سلاحها وتنطوي دون عزائمهم ، فلو صوّر العراك والغلاب والمراس لكان المتنبيء صورة هذه الامور كلها ، فكأنه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بعض شعره :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

هنا تظهر رجولية المتنبيء ، هنا يكون ابوالطيب القدوة لمن يريد ان يقتدي به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فضلهم حتى تتضافر عليهم المكايد ، وتتواطأ عليهم الغوائل فاذا جبنوا واستسلموا اطفأ الحساد من نورهم ، واذا شجعوا ومضوا في سبيلهم ملّ هؤلاء الحساد حسن ثباتهم وماتوا من سخرية الذين يحسدونهم فلا يجدون الى اطفاء النور سبيلا ٠

في شعر ابي الطيب رجولية تفيض في كل جنبة من جنبات هذا الشعر المنيم ، وما هذه الرجولية الا صورة روحه ، ولقد ابت هذا الروح الا الظهور في كل مذهب من مذاهب شعره ، فسواء عليه أمدح أم هجا ، وسواء عليه أتغزل أم بكى ، ان روحه لتغلب عليه في أماديحه واهاجيه ، وفي غزله وبكائه ٠ ان هذه الروح ابت الا الوضوح في كل حال من حالاته ، وفي كل طور من اطواره ، سواء أكان فقيراً أم كان غنياً ٠ انكم لتجدونه يبكي شِقوته ويضجر من رقة حاله وخشونة عيشه ، ومع هذا فان روحه لا تغفل عن التغني بالتكرم ، وعن التنديد بالذل ٠

فبعد ان يقول :

الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم

لا يلبث ان يقول :

والا تمت تحت السيوف مكرّما تمت وتقاس الذُلّ غير مكرّم
فثب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجا جني النحل في الفم

وما كان المتنبيء الا صادقاً في قوله ، ولقد امتلأ شعره من هذه النزعات السامية والوثبات الكريمة فما خلت قصيدة من قصائده من هذه الروح العالية ، وبينا نجده يقول :

ضاق صدري وطال في طلب الر ـ زق قيامي وقلّ عنه قعودي

اذ نجده يقول :

عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العزّ في لظى ودع الذل ولو كان في جنان الخلود

فالعز والمجد والعلياء وكرم النفس الفاظ جرت على لسان ابي الطيب المتنبيء في كل شعره فكانت تفصح عن حقائق روحه وبواطن نفسه ، ولقد ادّى به تغنيه بهذا العز وبهذا المجد وبهذه العلياء الى مواطن الموت ، مثّلوا له الموت وحذّروه منه فما حذره ولا خافه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه انه جبان ، فما أبعد اباالطيب عن احتمال الأذى ورؤية جانيه :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الاجسام
ذلّ من يغبط الذليل بعيش ربّ عيشٍ أخفّ منه الحِمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميتٍ ايلام

ما أبعد اباالطيب عن احتمال الأذى ، لقد غرق في نعيم سيف الدولة وفي مكارمه ومع هذا كله لما عبث به سيف الدولة واحسّ المتنبيء بالانقباض عنه ما لبث ان عاف هذا النعيم وهذه المكارم :

ومامنزل اللذّات عندي بمنزل اذا لم أبجّل عنده وأكرّم
سجيّة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرمياً بها كل مخرم

نعم يأبى ابوالطيب الا ان أبجّل والاّ ان يكرّم واذا سكت في حضرة كافور عن شيء من هذا التبجيل والتكريم فما معنى هذا ان الرجل هانت عليه نفسه ، وانما طمع وهو في حضرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول حياته ، فصانع كافوراً ارادة الوصول الى هذه الولاية التي أملها ولما احسّ بالشر و بالاذى ولّى عن كافور .

أبت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب هذا الشعر ، لقد ظهرت في أماديحه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان يصوّر روح الممدوح وربما جعل للافصاح عن روحه في اماديحه النصيب الاوفى :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وتضريب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر

نعم لم يغفل عن اظهار روحه في اماديحه حتى في اماديحه في سيف الدولة :

وانا لنلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ان تصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول

والقد ظهرت روحه في مراثيه اي في المواطن التي يذهل فيها الانسان عن كل عظمه وعن كل عز ، ففي رثائه لجدته وقلبه ملتهب ، ودمعه منسكب لم يغفل عن روحه :

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

روحه غالبة عليه فأنتم تعلمون مقدار محبته لجدته ومقدار اسفه على وفاتها ومع هذا فلم تنسه وفاتها روحه فكأن في باطنه شيئاً يخزه حتى يظهر وما هذا الشيء الذي يحركه الا روحه ، وكذلك حاله في غزله :

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا بصاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل

وكذلك شأنه في أهاجيه :

وإنها خطة ويلم قابلها لمثلها خلق المهرية القود
وعندها لذ طعم الموت شاربه ان المنية عند الذل قنديد

ما اعظم روح ابي الطيب ! ما اظهرها على شعره !

دمشق : ٣ ايار سنة ١٩٣٠

المحاضرة الحادية والعشرون

فلسفة المتنبي

- ١٣ -

علمنا بطائفة من اخبار المتنبيء وأحطنا بشيء من جملة اخلاقه وروحه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان نعرف درجة عبقريته وخصائص هذه العبقرية ، هل يخلد شعر المتنبيء ما هو السر في خلوده . وقبل ان أتفرغ لهذا كله ارى ان الواجب عليّ ان انظر في فلسفة المتنبيء .

اشار القاضي الجرجاني والثعالبي الى ان اباالطيب خرج عن رسم الشعر الى طريق الفلسفة واضاف الثعالبي الى هذا الكلام ان المتنبيء امتثل الفاظ المتصوفة واستعمل كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة فمنه قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانته قربك الايام

حتى قال الصاحب « ولو وقع هذا القول في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعه المتصوفة دهراً طويلاً »

ومنه قوله :

يا ايها الملك المصفى جوهراً من ذات ذي الملكوت اسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتيّه فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

ومنه قوله :

ولقد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدي فادركت كلا

فالجوهر المصفى واللاهوت والبعض والكل من الفاظ رجال الفلسفة والمنطق .

ولمّح الى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكمائهم امثال جالينوس وبقراط ورسطاليس وبطليموس .

وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية .

من هذه المذاهب :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب

ومنها :

الا فني يورد الهندي هامتــه كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذي القلوب بهــا من دينه الدهر والتعطيل والقدم

ومنها :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقيــل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

واظن ان شيوخ ابن خلدون لم يعيبوا شعر المتنبي بمخالفته الاساليب العربية الا بسبب لجوئه الى هذه المصطلحات الفلسفية واشباهها لان الشعر كما قلت في « سحر العبقرية » غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات وعبارات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ولكنكم ستجدون في فصل الكلام على شعر المتنبي ان ابا الطيب اذا خلد فان خلوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ ابن خلدون، فاذا خلد المتنبي فان الذي يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي استفاضت في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما يقتضيه مقام الاستشهاد فكأن ابا الطيب لسان حال البشر باجمعهم . فقد يقذف المتنبي في بيت او في بيتين مذهباً فلسفياً او علمياً يشتغل به المفكرون كل حياتهم من هذه المذاهب قوله :

فقل ما يلؤم في ثوبه الا الذي يلؤم في غرسه
من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن قنسه

ومنها :

راعتك رائعة البياض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسحم

ومعنى هذا البيت : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان الشعر يكون أبيض في اول امره ثم يسود لراعك الشعر الاسود ، فكأنما ابو الطيب أراد ان يمثل للناس على نحو (بيرون) في القديم ان آراء الخلق سريعة التبدل والتغير مما يدل على شك

الناس في حقائق الامور ، اعتاد البشر ان يروا الحسن في الشعر الاسود والقبح في الشعر الابيض ولو تعودوا ان يروا المحاسن في الشعرة البيضاء والمساوئ في الشعرة السوداء لما كان لاشتعال الرأس شيباً اثر شنيع في العيون فكأنما لا حقائق مطلقة في العالم وانما الحقائق نسبية للامر الواحد كما قال «اناتول فرانس» مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم منفيس في طلوع الشمس ثم انظر اليه في غروبها فانك تجده في الصباح مخروط الشكل ينبسط عليه ضياء وردي ، وتجده في المساء مثلثاً اسود اللون ومن الذي ينفذ فكره الى مادة هذا الهرم فالعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا ٠

قد تكثر هذه النظرات الفلسفية في شعر المتنبي ولكني أمر بها كما مر بها ابو الطيب نفسه لانها لا تؤلف الفلسفة التي أريد الكلام عليها ، اي لا تؤلف فلسفة المتنبي ، وانما هي خطرات قد يجوز ان يكون اقتبسها من الكتب المترجمة او دلّه عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وانما الذي توسع فيه النظر في الحياة واخلاق اصحاب هذه الحياة فلننظر في صورة الحياة التي يريدها ابو الطيب ٠

صوّر ابو الطيب المتنبي الحياة في شعره في اشرف صورها وعرضها في اكرم معارضها فهو يريدها سالمة من كل ضيم ، بعيدة عن كل ذل فلا تجدون في شعره الا الفاظ العز والمجد والكرامة وماتقتضيه هذه الالفاظ من تعب الاجسام وسفك الدماء ، فالمعالي لا تكون رخيصة فلابد من ابر النحل دون الشهد ، ولابد من مرارة الزمان دون حلاوته ، ليس الفقر ان تفقد المآكل انما الفقر ان تفقد الكرامة ، فلا تكاد عيشة العز تفارق صورها شعره ، وان كان هذا العز في جهنم وان كان الذل في جنات الخلود ، علامَ تخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سربه ، وقد يوقّى الشجاع وهو غارق في الدماء ، علامَ تخاف الموت والموت لابد منه وسواء أأفرط الرجل في سلمه ام أفرط في حربه ، ان غايته الموت فاذا كان الموت غاية كل واحد فلمَ تخفق الافئدة من الرعب فالحتف في العز محبوب والذل في طول العمر بغيض ٠

صوّر الحياة في اكمل صورها ، ينبغي للناس ان يهون عليهم رزء جسومهم اذا سلمت في هذا الرزء عقولهم واعراضهم لا تحتمل الاذى ، لا تغبط الذليل ، لا تهن ٠ هذه هي الوصايا التي لم يخل منها شعره ، دع نفسك تأخذ ما يمكنها اخذه من هذه الدنيا ، ولكن

لاتحسبن هذا الاخذ في زق اوقينة ، فما المجد الا السيف والفتكة البكر ، ما المجد الا ضرب أعناق الملوك وترك دوي في الدنيا ، اسع الى المجد ما استطعت اليه سبيلاً ، اطلب المال في المجد ، اطلب المجد في المال ، خلف ذكراً طيباً فالذكر عمر ثان ، اكسب هذا المجد من مضارب السيف ومن سنان الرمح ، قاتل في سبيل العلى ، قاتل في سبيل السلم ، السعادة في سفك الدماء ، ابن المالك على الاسل ، سلّم شرفك من الاذى باراقة الدم على جوانبه، اطلب حقك بالطعن بالضرب ، الدنيا نزاع ، والدنيا لمن غاب ومن استطاع ان يلتمس الاشياء اغتصاباً لم يلتمسها سؤالاً ، اذا غامرت في شرف فلاتقنع بما دون النجوم فالموت واحد في عظائم الامور وفي صغائرها ، لاتتعلل بالآمال ، لاتقنع بالاقلال ، لاتسكر فمعاطاة الصفائح والعوالي الذ من المدام ، الموت في الوغى عيش ، لاتداج ، لاتقصر في امرك ، لا تعجز ، لا تتكل على احد ، اياك والنقص اذا كنت قادراً على التمام ، جالس كتبك فان الكتاب خير جليس ، اكرم الكريم فتملكه ، لاتكرم اللئيم فيتمرد ، احرص على الحياة فان الحياة شهية واحرص على اللذات ، لتكن في حرصك على هذه الحياة وعلى هذه اللذات مجلاً مكرما ، اياك والغواني فانهن ضياء في بواطنه ظلام ، لاعهد لهن ، يحقدن فلايبقى في قلبهن رضى ويرضين فلايبقى في قلبهن حقد . هذه هي الحياة التي يريدها المتنبي ، انها الحياة سامية ولكنها ممزوجة بالدم ، بعيدة عن الهدوء والسكينة ، مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها نزاع ، وكلها غلاب ، وهل الدنيا الا غلاب . ان الحياة التي يريدها ابو الطيب انما هي حياة القوة وهل يكون عزيز الجانب غير القوي ، قاتل ، غالب ، هذا هو الهدف الاعلى الذي يرمي اليه المتنبي ، وقد قاتل وغالب كل حياته ، فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطبعه ، جمعت هذه الفلسفة بين سلطان المادة وكرامة الادب ، فلا خير في المال اذا لم يزينه المجد ولا خير في المجد اذا لم يؤيده المال وهل نكسب هذا المجد الا بعد ازعاج البدن واقلاق الروح وهل نصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلاوة هذا المجد وهذا الموت تنسينا مرارة الايام التي انقضت في كسب المجد والمال .

هذه هي الحياة التي يريدها ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل نظر ابي الطيب فأخلق به ان يكون متشائماً لان المجد والعز والكرامة كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق واين مكارم الأخلاق في زمن لاصديق فيه مخلص ولاعدو مداج اين مكارم الاخلاق

في زمن ودّ الناس فيه خداع ودينهم نفاق عالمهم فدم وحازمهم وغد وبصيرهم اعمى وشجاعهم قرد بلي المتنبيء بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح لها الخشاش ليس من العجب ان يكون المتنبيء متشائماً اذا كان في زمن وقته فيه ضائع ليس من العجب ان يحذر الناس انهم لا يرحمون فلا ترحمهم روّ رمحك من دمائهم اقتلهم ولا اثم عليك ليس من العجب ان يري ابو الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل .

من مزاجه السويداوي ومن شبابه المضطرب ، واكتهاله القلق ، ومن فرط حسه وعصبيته ، ومن الذي لاقاه في زمنه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في خلق المتنبيء ، والتشاؤم كما قال فيه الاستاذ «فاكه» مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقرية على شرط ان يكون المصاب به حاصلاً على النصف الآخر من هذه العبقرية وهو الخيال المديد .

ماهو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها ، ومن اشد نواحيها ظلمة ، واذا لم يكن هذا التشاؤم صادقاً كان ضرباً من السخرية ، واذا كان صادقاً ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعاً من الهزء ، لانه قد يفضي بالمبتلي به الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسيها كل الناس ، ولكن تشاؤم رجل مثل ابي الطيب صاحب عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة .

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم الذي قاساه المتنبيء كل حياته صدرت افكار سامية من جملة هذه الافكار : العبقرية تجعل صاحبها في شقاوة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ما أصدق هذه الحكمة ! انبحث عنها قليلاً :

مَلِك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله : يكاد فورد يستصفي ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعباً ، انه ليستطيع ان يدرك امانيه كلها بالمال فلا يشك احد في عظم سلطانه ، فقد اذعنت له الدنيا بجذافيرها . ومَلِك العلم في هذا العصر (اديسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد ضبط أصوات البشر وقرّب بين متباعد المسافات بعد ان قاوم الطبيعة فهو يجد في معمله اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء ، يعترف بسلطانه الملأ بمجامعهم . لا ريب في ان (فورد) و(اديسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المتنبيء في شعره ، فهل شقيا في نعيمها كما قال المتنبيء ، ام هما نعما على

خلاف رأي ابي الطيب ، لننظر الى رأي كل منهما في سعادة الآخر .

يقول (اديسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى بسيارته هذه الى انحاء العالم ، وقد وفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يجب على فورد ان يكون سعيداً كل ايامه بسبب توفيقه هذا ، ومن موجب الأسف ليس له شيء من هذه السعادة ان (فورد) سيكون سعيداً زمناً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا يدوم سرورهم طويلاً ان عقله ليعذبه في كل حين لان هذا العقل تشغله امور حديثة لاحد لها ، فاذا تم له امر منها فرح به ، ثم فكر في امر آخر وعلى هذا فانه يجري من ارب الى ارب من غير ان يكون راضياً .

فاذا لم يستطع الرجال ان يحددوا مطامعهم فانهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء فالذي يجدر بنا ان نحسدهم في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد همهم ان يقبضوا على فراشة ، أسعد الناس انما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطامع .

يظن بعضهم ان المستر (كولدج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده بضعة أيام فكان كل همه ان يتولى رئاسة الجمهورية فلما ألقيت اليه مقاليد هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الأبيض خوفاً من تبعاته .

اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً فلم يكن لي فيها مطمع او هم ولكني لما كبرت أضعت السعادة فاذا رميت بنظري الى الاثنين والثمانين عاماً التي عشتها وجدت فيها اياماً كنت أستطيع ان اكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .

ويقول (فورد) في سعادة (اديسون) :

أرى (اديسون) يعد عدة السعادة الكاملة لانه غارق في مشاغله فليس به حاجة الى ان يجهل الشغل واسطة العيش وهذا السعادة كلها على خلاف ما كان يذكره العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا ، كان سعيداً في طفولته وشبيبته فقد كان عاملاً في البرق والصحافة وصار عالماً في شبابه ، صاحب مكتشفات عظيمة ، حصلت له اسباب العمل في كل حين ، فقد أراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق ، وشاء ان يردد اصداء

الصوت البشري فتمت مشيئته ، لقد وجد لذته كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من اجل غايات شريفة ، ان الرجل الذي يعمل من اجل العمل نفسه ، انما هو سعيد كل السعيد ·

فاذا كان (فورد) يغبط اديسون بطراز حياته ، وهو من هو في الثروة ، واذا لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم ، فما أصدق ماقاله المتنبيُّ من ان صاحب العقل يشقى بسبب عقله في النعيم ، وان اخا الجهالة ينعم في شقاوته ·

وانكم لتجدون في شعر المتنبيُّ كثيراً من أشباه هذه الحكمة الرائعة استنبطها من الحياة نفسها ، فكأن الحياة قد عرضت عليه صورها المختلفة وأشكالها المتباينة فاستنبط من خيرها وشرها ومن حلاوتها ومرارتها ومن كرمها ولؤمها امثالاً قذفها في أبيات وانصاف أبيات ، فالرجل قد جرّب كثيراً حتى احكمته التجاريب وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها ، فلا يكاد يحدث حادث في هذه الحياة الا ونجد في شعر ابي الطيب ما يمثل هذا الحــادث ، فما أقرب الحكمة من طرف لسانه ، وما أجراها على شق قلمه ، والحكمة اذا كانت بنت التجاريب كانت أعلق بالأذهان ، وأسير في الايام ، والمتنبي ابن التجاريب :

اذا ما الناس جربهم لبيب فاني قد أكلتهم وذاقا

دمشق : ١٧ أيار سنة ١٩٣٠

عبقرية المتنبي (١)

- ١٤ -

أحفظ من تسع عشرة سنة بيتاً من الشعر قاله الشاعر الفرنسي « بوالو Boileau » في الشاعر « مالرب Malherbe » وهذا هو صدر البيت : حتى جاء مالرب ... واذكر انا كنا ندرس في مدرستنا تاريخ الأدب الفرنسي الذي وضعه الاستاذ « دوميك Doumic » صاحب سر الاكاديمية وقد افضى بنا الدرس الى الفصل الذي عقده «دوميك» في الكلام على «مالرب» فالاستاذ «دوميك» يقول في تاريخه ان «حتى» هذه تنقص من مقادير من تقدم « مالرب » من الشعراء ٠

ولما وقفت على كلمة ابن رشيق الشائعة : (٢) ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس خطرت ببالي في الحال كلمة «بوالو» : حتى جاء مالرب ... فقلت في نفسي أفيجوز لي ان أقول في «ثم» هذا ما قاله «دوميك» في «حتى» تلك ٠ أفيجوز لي ان اقول ان كلمة ابن رشيق تنقص من مقادير من تقدم المتنبي من الشعراء أفيريد ابن رشيق ان يقول ان المتنبي عفّى على آثار من سبقه ٠

الصحيح ان اباالطيب المتنبي كان مشغلة للناس متعبة لهم ولكن هل كانت عبقريته وحدها السبب في شغله الناس أفلم يكن لحوادثه تأثير في هذا الشغل أفلم يكن لاتصاله بسيف الدولة وبكافور الاخشيدي و بابن العميد وبعضد الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة أفلم يكن في تزاحم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة وعلى الخصوص فان في جملة هؤلاء المتزاحمين رجالاً علت منازلهم في الادب كابن العميد مثلاً او كالصاحب ابن عبّاد الذي لم يكن نصيب من أماديح المتنبي أفلم يكن في

(١) هذا الفصل والذي يتلوه لم أحاضر بهما في كلية الآداب وانما كتبتهما في اثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تتميماً للكلام على المتنبي ٠

(٢) العمدة — الصفحة ٦٤ ٠

تضافر اكابر رجال اللغة على شرح ديوان المتنبيء وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة ابي الطيب ان شاعراً يقول فيه الثعالبي[(١)] : فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتّاب الرسائل أجرى به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوّالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد الفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وعونه وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتعصب له وعليه ... » وان شاعراً يقول فيه القيرواني[(٢)] : قد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش عن جمانه ودره وقد طال به الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج تتغايا في جرحه ... » ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء فيه لا بد له من ان يملأ الدنيا و يشغل الناس .

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر ابي الطيب المتنبيء ان نتقيد بما تقيد به المتقدمون افلا يليق بنا ان ننسلخ عن عوامل الشيعة التي غلت في مدحه والخوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون نظرنا في شعره صحيحاً أفلا يليق بنا ان ننظر الى هذا الشعر من وجهه الشفّاف حتى يتبين لنا ماوراءه وسواءٌ عليّ اكنت من المعجبين بابي الطيب العابدين له ام كنت من الذين يستوي عندهم ابوالطيب وكثير من الشعراء لا استطيع ان امر بفلتات عبقريته دون الاشارة اليها او ان امرّ بسحر هذه العبقرية دون التنبيه عليه .

فلا بد لنا اذا نظرنا في طبائع عبقرية المتنبيء وفي خصائصها ونقبنا عن محاسنها ومساوئها من النظر في آفاقها والسماء التي حلّقت في عليائها حتى ينكشف لنا كل أفق على حدة فنرى ألوان هذا الأُفق سواءٌ أكانت هذه الألوان كامدة ام كانت زاهية نضرة لابدّ لنا من النظر في مذاهب ابي الطيب كلها : في غزله وفي بكائه وفي أهاجيه

(١) يتيمة الدهر : الجزء الاول ص ٧٨ .

(٢) اعلام الكلام : ص ٢٥ .

وفي أماديحه وفي وصفه على اختلاف اشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تستبين لنا طبائع شعر المتنبي ٠

اول ما أتعرض له من مذاهب المتنبي انما هو الغزل هذا الغزل الذي صدّر به معظم قصائده اتباعاً لاصول بنى عليها الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج عن الاساس على انه لم يؤثر عنه انه عشق وقد عرضنا حوادثه كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشق فعلامَ هذا النسيب في صدور قصائده يقول الاستاذ «فاكه» في معرض كلامه على «هوغو» : اذا لم تكن أبيات الغزل أبيات شاعر عاشق كانت مقلقة مضجرة وقد تكون هذه الابيات حسنة فلمَ عرض المتنبي غزله للاضجار والاقلاق وان كان في غزله شيء من الحسن ٠

لم أجد في كثير من نسيب المتنبي الا ما أجده عادة في الشعراء المتغزلين الذين جاؤوا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم القيرواني[1] : قد استحوذت الصبابة على أفكارهم واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم فكل مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه » لم اجد للمتنبي في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كمناجاة الديار وكاستيقاف الصحب عليها او كالضجر من نيران القلب ومن الشيب وما شاكل ذلك فهذه صور مألوفة ومذاهب معروفة لم يكن للمتنبي فيها ابداع ولا اختراع وانما مشى فيها على آثار غيره ٠

ففي فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها
شاب من الهجر فرق لمته فصار مثل الدمقس أسودها

قرأت مرة رواية وأظنها : رغائب يوحنا سرفيان وهي من روايات «اناتول فرانس» اذكر ان يوحنا هذا وهو بطل الرواية احب فتاة رومانية ممثلة وقد ملك عليه حبه عقله فكانت الدنيا في نظره صورة والحاناً اي كانت الدنيا في نظره صورة الممثلة التي شهد تمثيلها وألحانها التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنبات الليل البهيم فلا يزال هائماً حتى يصل الى دار حبيبته فيتأمل في أطرافها المظلمة ويقبّل بابها وربما أغمي عليه فلا يفيق

(١) اعلام الكلام ص ٢١ ٠

الاّ على صوت هذه الممثلة فالعاشق كل العاشق من نظر الى حبيبه نظرة « يوحنا » هذا الى فتاته أفيشتمل غزل المتنبيء على صور مثل هذه الصورة أفكان المتنبيء في غزله مثل اولئك العشاق الذين نعرض لهم الطبيعة مشاهد كثيرة فلا يحفلون الا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعهم اصواتاً متباينة فلا يطربهم الا صوت حبيبهم اظن انه يصعب على الباحث ان يجد في غزل المتنبيء شيئاً من هذا كله ·

انم لم أجد في كثير من غزل ابي الطيب الا ما أجده في غزل كثير من الشعراء فاذا شبه القوام شبهه بالغصن و ذا شبه الوجه شبهه بالشمس اوالقمر واذا شبه الشعر شبهه بظلام الليل فمن هذا الشكل قوله :

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار تقلّ ليلاً مظلما

فالألوان في غزل المتنبيء مرددة والأصوات مكررة فالصور التي صورها انما هي صور عتيقة بالنسبة الى عصرنا هذا وبالنسبة الى عصر المتنبيء نفسه فأي ابداع في تشبيه الخد بالورد وتشبيه العين بعيون المهى او بالسيوف :

كم قتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلى وورد الخدود
وعيون المهى ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود

ومن هذا القبيل قوله :

من طاعني ثغر الرجال جآذر ومن السلاح دمالج وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

فلم يتحام ابو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين ولا ارتفع عن السماء التي حلّق فيها هؤلاء الشعراء فلم يخل معظم غزله من الاضجار والاقلاق لان هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمه الحب فالصور التي صورها انما هي صور بالية لاتهز المخيلة فما مثلها الا كمثل الرماد الذي يبقى من النار الهامدة · وعلى الرغم من قوله في بعض شعره :

جهد الصبابة ان تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق

لم أجد في شعره اثراً لسهد عينه وخفقان قلبه ·

لولا ظباء عدي ما شغفت بهم ولا بربرهم لولا جآذره

من كل احور في انيابه شنب　　خمر يخامرها مسك تخامره
نعج محاجره دعج نواظره　　حمر غفائره سود غدائره

فهذه نغمات كثيراً ما رددها الشعراء قبل المتنبي وربما كان لهم في الاجادة فيها نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب فقد سلك المتنبي في غزله طريقاً كثر من سلكه حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز مذهبهم .

وقد تعوزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اولئك العشاق المتيمين الذين يفنون في عبادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب القاسية الذين اذا رقد احبابهم وسهروا هم في التفكر فيهم أسفوا على لياليهم التي تقضت في هذا التفكر :

بئس الليالي سهدت من طرب　　شوقاً الى من يبيت يرقدها

فان الضنى الذي يضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي يجدها في هذا الضنى انما هي لذة جهل :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً　　لذذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

فهنا العقل يملي عليه ولا اثر في هذه الامالي للعاطفة الرقيقة على ان له من الابيات ما يدل على فنائه في حبيبه :

زيدي اذى مهجتي ازدك هوى　　فأجهل الناس عاشق حاقد

ينظر المتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان المرء يعشق عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا عشق رحل عقله :

وما هي الا لحظة بعد لحظة　　اذا نزلت في قلبه رحل العقل

ومنه قوله :

الى مَ طماعية العاذل　　ولا رأي في الحب للعاقل

ومنه قوله :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم　　عرضاً نظرت وخلت اني أسلم

فعقله في غزله اكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو ابن العاطفة على انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه :

الحب ما منع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنا

نعم هذه هي حقيقة الحب فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن المتنبيء لم يغلب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر اخلاق المرأة في الشعر لا كمثل العاشق الذي يحب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صبابة وان فركت فاذهب فما فركها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادي و يخفى بها الرشد

فالمتنبيء لم يضل باخلاق النساء .

على انه قد وردت في طائفة من غزله ابيات نكاد نلمس فيها اثر العاطفة ولست أعني بهذه الابيات قصيدته المشهورة :

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلي والمطايا والجلابيب

التي قال فيها الثعالبي : وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معان كلا ولست اعني بها البيتين المشهورين :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

اللذين قال فيهما الثعالبي : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه او البيتين التاليين :

حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا مسنَ في اجسادهن النواعم
ويبسمن عن درٍّ تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم

او غير هذه الابيات كلها من ابيات المتنبيء الحسنة في الغزل كلا اني لا اشير الى هذا كله لان هذا الشعر كله لايخلو من اثر الصنعة فهو حسن ولا شك ولكنه قليل النصيب من العاطفة وانما أريد بالابيات التي تشتمل على العاطفة قوله :

أحبه والهوى وأدؤره وكل حب صبابة وله

هذه هي روح المشتاق وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب فالعاشق

يحب كل شيء من اجل حبيبه ، فهو يحب حبيبه ويحب الهوى ويحب دار الحبيب و يقسم بالهوى وبدار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب العقل ومن هذا الشكل قوله :

واني لأعشق من اجلكم نحولي وكل امرىء ناحل

ومنه قوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحى اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبّا

ومنه :

اذا كان شم الروح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

ومنه :

فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها

نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الابيات قليلة في شعر المتنبيء ، فلم يكن ابوالطيب من اصحاب النسيب الخالد .

فاذا لم يخلد نسيب المتنبيء ، أفتخلد مراثيه ، أفكان ابوالطيب في هذه المراثي شجرة الاختراع وثمرة الابداع ، فلننظر في هذا كله .

ما اظن المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاريء فيتبين له في تضاعيفه اثر اللوعة والحرقة ، او كرامة الميت ومبلغ تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من الكلام على أخلاقه وخصائصه ، فأقبح المراثي هذه القصائد التي لا ترى فيها الا صوراً عامة تصلح لكل رجل يبكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشتمل على الغلو في كل شيء حتى اصبحت مدعاة الى الضحك بدلاً من ان تكون مجلبة للدمع ، فما هي خصائص مراثي المتنبيء ؟

رثى ابو الطيب محمد بن اسحق التنوخي ورثى جدته التي كان يحبها حباً جمّا ورثى والدة سيف الدولة وابنه ابا الهيجاء عبد الله وعبده يماك واخته الصغرى واخته الكبرى وابا وائل تغلب بن داود حمدان واباشجاع فاتكاً وعمة عضد الدولة .

تختلف المراثي في عظم شأنها وحقارته على اختلاف موضوعاتها فاذا كان المرثي جليلاً استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه جليلاً وتختلف العواطف فيها على قدر اتصال

الشاعر بالمرثي ، ولقد رثى ابوالطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرم ورثى من يتصل بها محكم الاتصال وهي جدته فلننظر الى دموعه في هذه المراثي .

أرخى ابوالطيب في طائفة من مراثيه زمام الخيال فجمح به هذا الخيال حتى بلغ به أفقاً مشتركاً يسرح فيه كثير من الشعراء وكان هذا الامر في مقتبل عمره اي في الوقت الذي لم يثقف فيه خياله كل التثقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم ينزعون في فاتحة الامر الى التقليد ولكنهم اذا كانوا من اصحاب العبقرية لا يلبثون ان يخرجوا من هذا التقليد الى الابداع وهكذا كان المتنبيء في اول رثائه كرثائه للتنوخي :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى رضوى على ايدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم دك الطور
والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجنحة الملائكة حوله وعيون اهل اللاذقية صور

لجأ الى الغلو في وصف الخطب وهذا مذهب كثير من لجأ اليه من الشعراء فلم يكن لابي الطيب فيه اجادة او احسان ففي استطاعة الشاعر ان يقول هذه الأبيات في كل رجل يموت فليس لها طابع خاص ودواوين العرب مشتملة على كثير من اشباه هذه المعاني العامة .

ولئن لم يكن لمرثية ابي الطيب في التنوخي طابع خاص فان في مرثيته في جدته طابعاً ظاهراً وقد اشرت الى هذه المرثية في كلامي على احساس المتنبيء فلست أجد حاجة الى الدلالة على موطن من مواطن العاطفة فيها فالقصيدة كلها مبلولة بدموع ابي الطيب فلم ينزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .

ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبيء مجال القول ذا سعة ، ووجد لساناً قائلاً فقال :

أطاب النفس انك مت موتاً تمنته البواقي والخوالي
رواق العز فوقك مسبطر وملك علي ابنك في كمال

اي نعش اكرم من نعش يمشي الامراء فيه حفاة :

مشى الامراء حوليهـا حفاة ... كأن المروَ من زِف الرئال
وابرزت الخـدور مخبآت ... يضمن النقس امكنة الغوالي
اتتهن المصيبة غافلات ... فدمع الحزن في دمع الدلال

لقد استنزل ابو الطيب جلالة وحيـه من جلالة الميت فظهرت آثار العظمة على شعره.

وكذلك فقد استطاع ان يطبع بكاءه على ابن سيف الدولة بطابع خاص :

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل ... وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي
كأنك أبصرت الذي بي وخفته ... اذا عشت فاخترت الحمام على الثكل
تركت خدود الغانيات وفوقهـا ... دموع تذيب الحسن في الاعين النجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده ... وقد قطرت حمراً على الشعر الجثل
فان تك في قبر فانك في الحشا ... وان تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه ... ولكن على قدر المخيلة والاصل

ولما بكى المتنبي على اخت سيف الدولة الصغرى كان عقله قد اختمر فنظر الى الحياة نظراً صحيحاً ومزج الفلسفة بالشعر فجاءت نظراته صادقة فيهـا تجربة الفيلسوف وقالب الشاعر :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس ... وأشهى من ان يمل واحلى
واذا الشيخ قال أف فمـا مل ... حياة وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب ... فاذا وليـا عن المرء ولّى
ابداً تسترد ما تهب الدنيا ... فيـا ليت جودها كان بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغم ... وخل يغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ ... عهداً ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها ... وبفك اليدين عنهـا تخلى
شيم الغانيات فيهـا فما أدري ... لذا أنَّث الناس اسمها ام لا

ولم يكن بكاؤه على أخت سيف لدولة الكبرى باقل من بكائه على أختـه الصغرى ففي هذه المرثية أجرى قلمه في وصف المصيبة فكادت المصيبة تتكلم :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
تعثرت به في الأفواه ألسنها والبرد في الطرق والاقلام في الكتب

ثم أفاض في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وألف بين هذا الكلام وبين صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم يبق له طمع في العودة اليه :

ارى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب
يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والأدب
ومن مضت غير موروث خلائقها وان مضت يدها موروثة النشب
وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب
يعلمن حين تحيّا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب

هذا هو الرثاء لا تلك الصور الجامدة التي صوّرها في رثاء التنوخي فان مراثيه من بعد مرثية التنوخي طبعت بفرط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وصدق النظر في الحياة وقد لجأ الى «النظرات» الفلسفية في رثائه فمرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه و يسومها طلب المحال فتطمع
اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً و يدركها الفناء فتتبع

ومرة كان يتوسع فيها :

لا بد للانسان من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبيه لم يسبه
لم يُر قرن الشمس في شرقه ... فشككت الانفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله ... ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره ... وزاد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب ... فؤاده يخفق من رعبه

هذه جملة القول في مراثيه فاذا كان لها طابع خاص فما هذا الطابع الا جلالة الشأن ولئن قلّد ابو الطيب في نسيبه ومشي فيه على آثار غيره فقد ابدع في مراثيه ·

« للبحث صلة »

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

٩

حدثنا ابو الحسن قال حدثني ابي قال رأيت بالهند قوماً يقال لهم الجبارية يأكلون الميتة ويقذرهم جميع الهند عندهم انهم اذا ماسوهم نجسوا قال فهم يمشون وفي اعناقهم طبول يطبلون بها ليسمع اصواتهم فيتنحون عن طريقهم فاذا لم يتنح الرجل عند سماع الطبل فلا شيء على الجبارى وان لم يضرب الجباري الطبل حتى يلاصق جسده جسد غيره قتله الذي يلتصق جسده به ولا يعدى عليه لان هذا من شرطهم وسنتهم. قال ولا يشرب احد من ماء هؤلاء الجبارية ولا يأكل من طعامهم ولا يخالطهم فهم ينزلون في ظاهر البلد ناحية. قال وهم ارمى الناس ومعاشهم من الصيد. قال وهناك قوم يقال لهم البابوانية يجرون مجرى المستقفين هاهنا والسلطان يطلبهم فاذا وقعوا في يده وظفر بهم فعل بهم كما يفعل باللصوص والمحاربين قال وهم يصطادون الناس لايعرضون لغير ذلك قال والواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون اليهم من المسلمين والذمة فاذا رأى الواحد من التجار في طريق خال قبض عليه فحين يقبض عليه قد علم التاجر بامره فيسكت لانه ان استغاث او نطق قتله الهندي وقتل نفسه في الحال لا يتألم لذلك لاعتقادهم المشهور في القتل قال ويراهم الناس وقد اصطادوا الرجل فلا يعرضون لخلاصه لئلا يقتله ويقول

لهم الرجل الله الله ان عارضتموه فلا يمكن سلطاناً ولا غيره انتزاعه من يده في تلك الحال لئلا يعجل بقتله قال فاخبرني رجل من الهند ان رجلا من البابوانية قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار فقال له اشتر نفسك فتوافقا على ان يشتري نفسه منه بالف درهم فقال له التاجر تعلم اني خرجت ولاشيء معي ومالي في البلد فتصير معي الى داري في البلد لاؤدي ذلك اليك قال فأجابه وقبض على يده و لم يزل يمشي معه حتى اجتازا في طريقهما بقرية الجبارية طريقهما في سكة منها فسلكاها لحين حصلا فيها وظن التاجر الحيلة في الخلاص وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية فلم يزل يمشي معه حتى رأى باباً مفتوحاً من دور الجبارية فجذب يده بحمية شديدة من يد البابواني وسعى فدخل دار الجباري فقال له مالك قال انا مستجير بك من يد بابواني اصطادني وتعريت منه قال لا بأس عليك فاجلس فصاح البابواني ياجباري ياجباري اخرج اليّ قال وهم لا يدخلون دور الجبارية لاستقذارهم اياهم قال فخرج ووقف وبينهما عرض الطريق لانه لا يجوز لاحدهما ان يدنو من صاحبه فقال له البابواني اعطني صاحبي قال قد استجار بي فهبه لي قال لا افعل هذا رزقي فان لم تعطنيه لم ندع جبارياً حتى قتلناه قال فطال الكلام بينهما الى ان قال الجباري اسلمه اليك في الصحراء فامض براً تسبقه الى الموضع الفلاني قال فمضى ودخل الرجل عليّ وقال لي اخرج لا بأس عليك فخرج معه واخذ الجباري قوسه وخمسين نشابة قال وسهامهم من القصب قال فملق المسلم بكم الجباري ولصق به علماً منه بأن البابواني

لايدنو منه فلما صار الى الصحراء قال له الجباري تهيه واجتهد به فلم يفعل قال فاني لا اسلمه او لا يبقى معي سلاح قال شأنك قال وهم لا يخطئون البتة في الرمي ففوق نحوه سهمه فحين اطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه فاعترض السهم باثنين (١) فقطعه باثنين وسلم منه فتحير الجباري قال فلم يزل يرميه بنشابة نشابة ويفعل بها البابواني مثل ذلك الى ان ذهب النشاب ولم يبق منه الا نشابتان فضعفت نفس التاجر وايقن بالهلاك وقال للجباري الله الله في دمي قال فقال له البابواني لا يقع لك انك قد افلت ثم اخذ سهماً فقال له الجباري لا تقدر على ذلك وسأريك من رمي (٢) ما تحدث به ابداً انظر الى هذا الطائر الذي يطير في السماء فاني أرميه فأصرعه على رأسك ثم أرميك فلا اخطئك قال فشال البابواني رأسه ينظر الى الطير فرماه الجباري فاصاب فؤاده فخر صريعاً يضطرب ومات وقال للتاجر ارجع الآن آمناً فرجع الى داره واقام عندهم الى ان اجتاز بهم صحبة رحل معها الى مأمنه.

حدثنا ابو الحسن (٣) قال حدثني رجل من اهل دار الزبير بالبصرة دقاق قال اورد عليّ رجل غريب سفتجة باجل فكان يتردد الى ان حلت ثم قال ادعها عندك وآخذها متفرقة فكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته الى ان نفدت وصارت بيننا معرفة والف الجلوس عندي وانست به وكان يراني اخرج كيسي من صندوق لي فاعطي منه النفقات التي تحل عليّ فقال لي

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله فاعترض السهم بالشيء فقطعه اثنين. «٢» بالاصل ذمي «٣» الفرج بعد الشدة ٢ : ١١٠ كتاب الاذكياء.

يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينفي الظنة عنده عن عياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه واري قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت من فلان القفال في خانات (١) الصفارين قال فما شعرت الا وقدجئت وطلبت صندوقي لأخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل الي ففتحته فاذاليس فيه شيء من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرابات شيئاً فقال لا فقلت ففتش هل ترى في الدكان نقباً ففتش فقال لا فقلت فمن السقف حيلة فقال لا فقلت اعلم ان دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكت واقمت في دكاني لاأدري ما اعمل فتأخر عني الرجل فلما تأخر اتهمته وتذكرت مسألته لي عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح الدكان وتغلقه فقال رسمي اذا اغلقت الدكان اغلقه درابتين درابتين والدرابات في المسجد احملها دفعات اثنتين وثلاثاً في كل دفعة فاشرجها ثم اقفل وكذا افتحها فقلت البارحة واليوم كذا فعلت فقال نعم فقلت فاذا مضيت لترد الدرابات او تحضرها على من تدع الدكان قال خالياً فقلت فمن هاهنا وقع الشر ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك انسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم وحكى عن صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه جاء واختبأ للغلام (٢) وقت المساء حتى اذا انصرفت انا ومضى وهو يحمل

«١» بالاصل حوبات.«٢» عبارة الفرج اوضح : احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت انا وذهب الغلام يحمل الدرابات

الدرابات دخل الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه الذي يقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليلة خلف الدرابات فلما جاء الغلام وفتح درابتين او ثلاث وحملها ليدفعها خرج هو وانه مافعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد قال فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سأل عني فعرفه اني خرجت الى ضيعتي قال وخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدئ بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية (١) طلبت خاناً في الجسر (٢) انزله فارشدت اليه فصعدت واذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله فقال رجل قدم من البصرة اول امس فقلت اي شيء صفته فوصف صفة صاحبي فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً الى جنبه ورصدت البيت حتى انصرف القيم وقمت ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه ملقىً فيه فاخذته وخرجت وقفلت البيت وتركته ونزلت الى السفينة التي جئت فيها وارغبت الملاح في زيادة أخرى (٣) حتى حملني وانحدرت في الحال وما اقمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى البصرة بمالي .

حدثنا ابو الحسين حدثني رجل من اهل بغداد ان بعض من تاب من اللصوصية حدثه قال كان في الناحية الفلانية صيرفي كثير المال يطلبه اللصوص فلا يتم عليه حيلة ولا يقدرون عليه قال فتواطأ عليه جماعة لصوص كنت احدهم فقالوا كيف نعمل في دخول داره فقلت اما الدخول فعليّ لكم واما ما بعد

«١» م . ع السميرية ضرب من السفن. «٢» في الفرج : في الكتبيين. «٣» لعله : اجرته

ذلك فلا اضمنه فقالوا فما نريد الا الدخول قال فجئت وهم معي عشاء فقلت لواحد منهم (١) فتصدق فاذا خرجت الجارية اليك بشيء فتباعد وتعام عليها لتجيء اليك تعطيك الصدقة وكن على خطا من الباب لادخل انا وهي متشاغلة معك قد بعدت عن الباب فلا تراني الى ان ادخل فاختبيء قال ففعل ذلك وحصلت مختبئاً في مستراح في الدهليز فلما عادت الجارية قال لها (سيدها) قد احتبست قالت (٢) حتى اعطيت السائل الصدقة قال ليس هذا قدر دفعك اليه قالت لم يكن على الباب فلحقته في الطريق واعطيته فقال وكم خطوة مشيت من الباب قالت خطا كثيرة قال لعنك الله اخطأت عليّ قد حصل معي في الدار لص لا اشك فيه قال فحين سمعت هذا قامت قيامتي وتحيرت فقال لها هات القفل فجاءته به فجاء الى باب دهليز الدار والصحن بعد (٣) باب الدار فقفله من عنده ثم قال لها دعي اللص الآن يعمل مايشاء قال فلما انتصف الليل جاء اصحابي فصفروا على الباب ففتحت لهم باب الدار فدخلوا الدهليز واخبرتهم بالخبر فقالوا ننقب العتبة ونخرج الى الصحن ونقبوا فلما فرغوا قالوا ادخل معنا فقلت نفسي قد نبت عن هذا الرجل واحسست بشر وما ادخل البتة فاجتهدوا بي فقالوا لا نعطيك شيئاً فقلت قد رضيت فدخلوا فحين حصلوا في الصحن وانا في الدهليز اتسمع عليهم مشوا فيه فاذا المولى زبية في اكثر الصحن محيطة به يعرفها هو وعياله فيتقون المشي عليها ليلاً ونهاراً وهي منصوبة للحفظ من هذا وشبهه وعليها بارية من فوق خشب رقيق جداً فحين

«١» لعله سقط : دق الباب. «٢» بالاصل قال. «٣» لعله سقط : قفل.

حصلوا عليها سقطوا اليها فاذا هي عميقة جداً لايمكن الصعود منها فسمع المولى صوت سقوطهم فصاح وقع هؤلاء وقام هو وجاريته يصفقون ويرقصون وتناولوا حجارة معدة لهم فمازالوا يشدخون رؤسهم وابدانهم بها واصحابي يصيحون وانا احمد الله على السلامة الى ان اتلفهم (١) وهربت انا من الدهاليز ولم اعرف لاصحابي خبراً كيف دفنوا او كيف اخرجوا فكان ذاك سبب توبتي من اللصوصية.

حدثني ابو الحسين قال حدثني رجل من البغداديين قال كنت انا حدثاً حسن الوجه فلما اتصلت لحيتي وهي طرية بعد (٢) طلبت التصرف فكتب لي الى ابي احمد النعمان ابن عبيد الله فلقيته في عمله فاكرمني وبالغ في بري وامرني بالجلوس فجلست وكلما اردت القيام احتبسني الى ان لم يبق عنده احد الا خواصه ثم احضر المائدة فاكلنا فلما فرغنا قمت لاغسل يدي فحلف ان لا اغسلها الا بحضرته فغسلتها وقمت فقال الى اين فقلت الى منزلي فقال انت هاهنا غريب ولعلك في خان فقلت هو كذلك فقال وموضعنا اطيب وهو خير وخيشنا بارد فاقم عندنا فقلت السمع والطاعة ولم اعرف ما في نفسه فدخلت الخيش فلما حصلت عنده فيه جعل يستدنيني ولا اعلم غرضه الى ان صرت بقربه فضرب بيده يولع بي فعلمت ان شرطه في اللواط اصحاب اللحى الطرية فصعب علي ماتم من ذلك وقلت كيف اصنع ليس الا التطايب قال فقلت له ياسيدي اي شيء تريد قال اريد ان افعل كذا وكذا

«١» الصواب: اتلفاهم. «٢» بالاصل بعيد.

فقلت ياسيدي براءتي مني وقبضت على لحيتي قال لاتفعل هذه براءة مزورة قلت كيف؟قال لاني ماوقعت فيها بقلمي

انشدني ابوطاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

هات اسقنيها جموح البرق مامزجت
الا لتسيير سقلاطونها فينا

اذا لواعب اذرءوا بها غلبت
بجلنار سناها زهر (١) نسرينا

اريدني الناس ذر الشمس (٢) اذ رقصت
والماء يعرف في نار كما شينا

وانشدني لنفسه من ابيات:

ما اكثر الشعراء مذ قتل الندى
والشعر اعوز من دموع الارقم

وانشدني لنفسه قصيدة يمدح بها ابا الحسن عمران ابن شاهين امير البطيحة وفيها (ذكر) الهدرى (٣) الذي يقاتل به هو واصحابه وهو شبيه الحراب يقول :

يسبي النفوس حراب ما ادرت بها
كاس المنية الا رحت ذا طرب

تظل من فضة حتى اذا وردت
اصدرتها من دم الابطال من ذهب

«١» بالاصل : هر.«٢» لعله : ادر في النار.«٣» لعله :المدرى.

من كل مقلية(١) الجنبين ماضية قدت من الشمس اوقدت من اللهب

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال انشدني ابو اسحاق ابراهيم بن هليل (٢) الصابئ الكاتب لنفسه :

تورد دمعي فاستوى ومدامتي وفي(٣) مثل مافي الكاس عيني تسكب
فوالله ماادري أبالخمر أسكبت (٤) جفوني ام من دمع عيني أشرب

وانشدني قال انشدني لنفسه(٥) :

مازلت في سكري ألمع كفها وذراعها بالقرص والآثار (٦)
حتى تركت اديمها وكأنما غرس البنفسج منه في الجمّار

قال وانشدني لنفسه (٧) :

فديت من شارفني لحظها (٨) من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجى زاهياً (٩) وغاظها ذلك من شيمته
سرت له البرقع عن وجهها فردت البدر الى قيمته

وانشدني قال قرأت على ظهر دفتر:

كنا نزوركم والدار دانية في كل وقت فلما شطت الدار
صرنا نقدر وقتاً في زيارتكم وليس للشوق في الاحشاء مقدار

«١» م . ع لعلها مجلية لغة في مجلوة . «٢» م . ع المشهور هلال . «٣» م . ع المعروف فمن مثل مافي . «٤» م . ع المعروف : اسبلت. «٥» معجم الادباء ١ : ٣٥٦ «٦» م . ع في معجم الادباء والآثار . «٧» معجم الادباء ١ : ٣٤٨ . «٨» م . ع كذا في الاصل ولعل صوابه سارقني لحظها . وفي معجم الادباء لاحظني طرفها . «٩» م . ع في معجم الادباء تائهاً .

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان الطبيب قال كان عندنا بالبصرة في البيمارستان رجل موسوس يعرف بالحسن بن عون من اولاد الكتاب حبس في البيمارستان للعلاج في سنة ٣٤٢ وكان حبسه سنين ثم صلح فاستخدم في البيمارستان الى ان تكامل صلاحه وكنت اختلف الى البيمارستان لتعلم الطب فكنت اشاهده كثيراً فاول يوم علمت انه يقول الشعر سمعته وهو يقول :

ادافع همي بالتعلل والصبر وامنع نفسي بالحديث عن الفكر
وارجو غداً حتى اذا ماغد اتى تزايداني همي فيسلمني صبري
فلا الهم يفنيني ولا العمر ينقضي ولا فرج يأتي سوى ادمع تجري
الى الله اشكو ما اقاسي فانه عليم باني قد تحيرت في امري

وعرفت حاله في ادبه بانشاده اياي كل يوم من قطعة شعره يعملها بحضرتي وشاهد عمل الجلنجبين(١) في البيمارستان .

فقال وانشدنيه لنفسه:

انظر الى الورد في أكفهم يطيع(٢) للقاطفين من ورقه
كالقلب نار الهوى تحرقه والقلب يهوى الهوى على حرقه

وحملت اليه شيئاً من المأكول اشتهاه عليّ فكتب الى جانب حائط :

حضرت من طرف مابعثت به(٣) وقلت ياسيدي ومولاي

«١» م.ع الجلنجبين معجون يعمل من الورد والعسل فارسي مركب من «كل» اي ورد و«انجبين» اي عسل«٢» لعله يضيع يعني يضوع . م.ع اطاع يطيع اي لم يمتنع على قاطفه ولم نجد مايستأنس به لمجيء يضيع بمعنى يضوع الا تضيع بمعنى تضوع.«٣»م . ع لعل اصله حصرت من ظرف ما بعثت به . اي عييت وعجزت عن الثناء بسبب ظرافته وحسن مابعثت به.

لو ان اعضاء شاكر نطقت بالشكر اثنت عليك اعضاي
ما نفثت للكرام كلهم و يا صباحي كمثل ممساي
لو ان مابي ببعض اعدائي بكيت مما ارى باعداي

حدثنا القاضي ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين انه بلغه عن رجل قليل المشيرة(١) ردي الدين كان يجمع بين زوجته وبين اهل الفساد في منزله قال عشق امرأته رجل وكان مفتناً(٢) عليها في منزله واحلفها بحضرته انها لا تطاوع زوجها على الجماع قال وكانا ليلة على شأنهما في اسفل الدار التي للزوج فصعدت المرأة الى السطح هناك واحتبست فلما جاءت خاصمها العشيق وقال لعله فعل بك زوجك كذا فقالت وحلفت انه ماجرى من ذلك شيء وسمع الزوج الكلام فقام يصلي في السطح ويصيح الله اكبر ليسمع العشيق ويعلمه انه لم يكن يصلي وهو جنب حتى يصلح بينه وبين المرأة بذلك .

وهذا ضد ما حدثني به ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي ان امرأة من اهلهم بالانبار كانت قد جازت الاربعين سنة وخرجت من بيتها الى بغداد في محنة عرضت لها فلما حصلت في الطريق رأت جملا يدير دولاباً فقالت ماهذا ؟فقيل لها دولاب الجمل فحلفت بالله انها ما رأت جملا قط .

حدثنا ابو الحسين احمد بن محمد بن طريف المعروف باحمد الطويل قال كتب اليّ ابو محمد عبد العزيز المافروخي وانا اتقلد حصن مهدي والغرض

«١» م . ع الصواب قليل الغيرة . «٢» م . ع الظاهر ان اصلها ينفق عليها وهو اقرب الى الاصل .

والاعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك وهو يتقلد البصرة يسألني اطلاق تمر له اجتاز عليّ ويعرض بان مكافأة ذلك لا تذهب عليه فأطلقت له التمر بلا ضريبة ولا مؤونة وكتبت اليه اعاتبه على هذه اللفظة فكتب اليّ كتابا يعتذر حفظت منه قوله :

ووصل كتابك الذي أبان الله به فضلك وسهل الى سبل المكارم سبقك وفهمته فهم معجب به ومتعجب منه وسرني صدره لا لقدر الحاجة في نفسي ولا في نفسك ولكن لما انفذه من بصيرتي فيك وقواه من معرفتي بك ووجدتك وقد اضطربت من لفظة ذكرت أني ضمنتها كتابي وهي الايضاح والتلويح بالمكافاة والتعويض ومعاذ الله ان ينطق بذلك لساني او تجري به يدي لان مثله لايجري الا عن ذي عطن ضيق الى ذي باع في المحامد قصير ولا هذه صورتك ولا صورتي واذا كانت الانفس واحدة والاموال مشتركة فأي فائدة لي في ان اتناولك ببعض مالك او ارد اليك ماهو لك فان تكن الصورة كما يخيل لي فانت أيدك الله المليم دوني وانت كنت بحمد الله ومنّه من كلما يقع عليه اللوم بعيداً وان تكن الاخرى وهبت زلتي لمعذرتي فاني بشر غير معصوم والخطأ والنسيان جاريان عليّ .

انشدني ابو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال انشدنا ابو محمد المهلبي في وزارته وعمله بين ايدينا وقد نصبت له في داره بالاهواز كلّة قصب وحركتها الريح فاستحسن ذلك وقال :

رأيت من الهوا فشمت بها اختلاس لحظ وخلت فيها وجيب قلب (١)

وحدثني ابو الفضل قال حدثني رجل من شيوخ المتصرفين ببلدنا يقال له عباد بن الحريش قال لما كتب علي بن المرزبان عم أبيك (٢) لعمرو بن الليث ورقت حاله بعده (٣) حتى قلده عمالة شيراز صادر المتصرفين على اموال الزمهم اياها وكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بثمانين الف درهم قال فأديت منها أربعين الف درهم ونفدت حيلتي وحالي ولم يبق لي في الدنيا الا داري التي اسكنها ولا قدر لثمنها فيما بقي عليّ فلم ادر ما اعمل وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلاً سليم الصدر فعملت رؤيا واجمعت رأيي على ان القاه بها واجعلها سبباً لشكوى حالي والتوصل الى الخلاص قال فجلست وعملت الرؤيا وحفظتها واحتلت خمسين درهماً وبكرت من الغد قبل طلوع الفجر فدققت بابه .... (٤) كان له يجري مجرى حاجب من خلف الباب من انت فقلت عباد بن الحريش قال في هذا الوقت قلت نعم ففتح لي فدخلت وشكوت حالي وقلت هذه خمسون درهماً لا املك غيرها فخذها وادخلني اليه قبل تكاثر الناس عليه فان فرج الله عني فعلت بك وصنعت قال فدخل واستأذن لي وتلطف حتى ادخلني اليه وهو يستاك فقال ماجاء بك في هذا الوقت فدعوت له وقلت بشارة رأيتها في النوم البارحة فقال وما هي فقلت رايتك كأنك تجيء الى شيراز من حضرة الامير وتحتك فرس اشهب عظيم لم ير قط احسن منه وعليك السواد وقلنسوة الامير على رأسك وفي

«١» كذا بالاصل . «٢» الاصح: عمك . «٣» لعله عنده . «٤» يظهر انه قد سقط شيء .

يديك خاتمه وحواليك مائة الف انسان من فارس وراجل وقد تلقاك امير البلد فترجل لك وانت تجتاز وطريقك كله اخضر منور مزهر والناس يقولون ان الامير قد استخلف (١) على جميع امره قال وقصصت الرؤيا وهذا معناها فقال خيراً رأيت وخيراً يكون انشاء الله فما تريد ؟قال فشكوت حالي وذكرت امري فقال أنظر الك بعشرين الف درهم وتؤدي عشرين الف درهم قال فحلفت بالطلاق انه لم يبق لي الا مسكني وبكيت وقبلت يده واضطربت بحضرته فرحمني وكتب لي الى الديوان باسقاط ذلك عني وانصرفت ولم يمض الا شهور حتى كتب عمرو بن الليث الى علي بن المرزبان يستدعيه ويامره بحمل ما اجتمع له من الاموال وكان قد جمع له مالم يسمع قط باجتماع مثله في وقت واحد من اموال فارس فانه جمع له ستين الف الف درهم قال فحملها الى سابور (٢) وخرج وتلقاه عمرو بن الليث بجميع قواده واهل عسكره وهاله عظم ذلك المال فاستخلفه على فارس واعمالها حرباً وخراجاً وفوض اليه الامور كلها واذن اليه في الحل والعقد بغير استئمار وخلع عليه سواداً له وحمله على فرس اشهب عظيم الخلقة كان يعظمه عمرو ويكثر ركوبه ودفع اليه خاتمه ورده الى فارس قال فوافاني في زمن الربيع ولم يحل الحول على قصتي معه فخرج امير البلد وقد صار من قبله ليستقبله وخرج الناس فتلقوه على ثلاثين فرسخاً واكثر وخرجت فتلقيته في مضيق على العطفة التي في طريق

«١» م . ع الظاهر استخلفه

«٢» م . ع سابور كورة بفارس

خراسان وقد ذكرها (١) وبينها وبين البلد نصف فرسخ قال فوافى وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره وحوله اكثر من مائة الف انسان وعليه قلنسوة عمرو بن الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد وتحته الفرس الاشهب وقد تلقاه امير البلد فترجل له . قال فحين رأيته ترجلت ودعوت له فلما رآني تبسم واخذ بيدي وادنى (٢) السواد بي ثم تفرق الجيش بين يديه فلحقته الى البلد فلم استطع القرب منه لازدحام الدواب فانصرفت وباكرته من غد في مثل ذلك الوقت الذي كنت جئته ليلة الرؤيا فقال لي الحاجب من انت فقلت عباد فقال ادخل واستأذن فدخلت وهو يستاك فضحك الي وقال قد صحت رؤياك يا عباد الحمد لله فقال لا تبرح من الدار حتى انظر في امرك قال وكان باهله باراً ورسمه اذا ولي عملا ان لا ينظر في شيء من امر نفسه حتى ينظر في امر اهله فيصرف من يصلح منهم للتصرف او يبره واذا فرغ منهم عدل الى الاخص فالاخص من حاشيته فاذا فرغ من ذلك نظر في امر نفسه قال فجلست في الدار الى قرب العصر وهو ينظر في امر اهله والتوقيعات تخرج بالصلات والارزاق وكتب التقليدات الى ان صاح الحاجب عباد بن الحريش فقمت اليه فقال اني ما نظرت في امر احد غير امر اهلي فلما فرغت

«١» م . ع قوله وقد ذكرها . مقدم وموضعه بعد قوله الآتي في المنام الموضوع

«٢» م . ع الظاهر ان اصلها وادنى سوادي . من قولهم وادنى سواده من سواده اي قرب شخصه من شخصه .

منهم بدأت بك قبل الناس كلهم فاحتكم ما تريد .فقلت يرد عليّ المال الذي اديته وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه.قال فوقع لي برد المال وتقليد العمل وقال امض فقد اوعز لك بالعمل فخذ ارتفاعه كله. قال وكان يستدعيني في كل مدينة ويحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً انما يكتب لي روزات (١) من مال العمل ويصلح حسبانات ويقبلها ويخلدها (٢) الديوان وارجع الى العمل وكنت كذلك الى ان زالت ايامه فرجعت الى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم صودرت منه على شيء يسير وجلست في بيتي وعقدت «٣» نعمة بالمال ولم اطلب تصرفاً الى الآن .

حدثني ابو الفضل قال حدثني ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني الطبيب انه رأى رقعة يتواردونها (٤) بخط جبريل بن بختيشوع المتطبب فيها ثبت ما وصل اليه من يحيى بن خالد البرمكي وبيته وجواريه واولاده من ضيعة وعقار ومـال وغير ذلك يحتوي على سبعين الف الف درهم وتفصيل ذلك شيئاً شيئاً وانهم يحفظونها للعجب والاعتبار قال فاستهولت ذلك وانصرفت فحدثت بذلك بعض الرؤساء ببغداد وكان بحضرته ابو الحسن

«١» م . ع يقال رازه روزاً اذا اختبره وجرب ما عنده والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي ومعناها بالفارسية يومي او يومية ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش والمعنى على هذا انه كان يكتب لي عطاء من مال عملي . «٢» م . ع الظاهر ان الاصل يخلدها في الديوان او يدخلها الديوان .«٣» م . ع ولعل الاصل واعتقدت عقدة بالمال والعقدة كل مال يتأثل كالضيعة والعقار . واعتقده اشتراه.« ٤ » م . ع يقال وارده الماء وتوارده اذا ورده معه وبين الشاعرين توارد على معنى واحد ولعلهـا يتوارثونهـا .

علي بن هارون المنجم فقـال وأي شيء تتعجب من هذا .

حدثني ابي عن ابيه قال (١) كنت بحضرة المتوكل في يوم مهرجان او نيروز وهو جالس والهدايا تحمل اليه من كل شيءٍ عظيم ظريف مليح الى ان ضربت دبادب (٢) الظهر وهم بالقيام فدخل بختيشوع الطبيب وهو ابن جبريل بن بختيشوع الاكبر فحين رآه المتوكل استدناه جيداً حتى صار مع سريره واخذ يمازحه ويلاعبه ويقول اين هدية اليوم فقال له بختيشوع يا امير المؤمنين انا رجل نصراني لا اعرف هذا اليوم فاهدي فيه فقـال دع هذا عنك ما تأخرت الى الآن الا انك اردت ان تكون هديتك أخير الهدايا فيورى (٣) فضلها على الهدايا فقال ما فكرت في هذا ولا حملت شيئاً فقال له بحياتي عليك . فضرب بيده الى كمه فاخرج منه مثل الدواة معمولاً من عود هندي لم ير قط مثله كالابنوس سواداً وعليه حلية ذهب محرّق (٤) لم ير قط احسن منها عملاً ولا من الدواة قال فقدر المتوكل ان الهدية هي الدواة فاستحسنها فقال لا تعجل يا مولاي حتى ترى ما فيها ففتحها واخرج من داخلها ملعقة كبيرة محرق من ياقوت احمر قال فخطفت ابصارنا ودهشنا وتحيرنا فبهت المتوكل وابلس «٥» وسكت ساعة متعجباً مفكراً ثم قال يابختيشوع والله ما رأيت لنفسي ولا في خزائني ولا في خزائن

«١» راجع عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤٣ «٢» م . ع الدبادب حكاية صوت دب دب والدبداب الطبل ودبدب ضرب به ويحتمل ان يكون جمع دبداب.
«٣» يريد فيرى وهي لغة العامة . م . ع : الظاهر فيدري فضلها . «٤» يقال حرقه بالمبرد اذا برده وحك بعضه ببعض كحرقه. «٥» م . ع ابلس تحير ودهش وسكت غماً .

اباني ولا سمعت ولا بلغني انه كان للملوك من بني امية ولا لملوك العجم مثلها فمن اين لك هذه ؟ فقال الناس لا يطالبون بمثل هذا وقد اهديت اليك ما قد اعترفت بانك لم تر ولم تسمع بمثله حسناً فليس لك مسألتي عن غيره .قال بحياتي اخبرني فأمتنع . الى ان كرر عليه احلافه بحياته دفعات وهو يمتنع فقال ويحك احلفك بحياتي دفعات ان تحدثني حديثاً فتمتنع وقد بذلت لي ما هو اجل من كل شيء قال فقال له نعم يامولاي كنت حدثاً اصحب ابي جبريل بن بختيشوع الى دور البرامكة وهو اذ ذاك طبيبهم لا يعرفون خدمة طبيب غيره ولا يثقون برأي غيره ويدخل الى حرمهم ولا يستتر اكثرهم عنه .قال فصحبته يوماً وقد دخل الى يحي بن خالد فلما خرج من عنده عدل به الخادم الى حجرة دنانير جاريته فدخلت معه وافضينا الى ستارة منصوبة في صدر مجلس عظيم وخلفها الجارية فشكت اليه شيئاً وجدته فاشار عليها بالفصد وكان لا يفصد بيده وانما يحمل معه من يفصد من تلامذته ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار قال فندبني ذلك اليوم للفصد واخرجت يدها من وراء الستارة ففصدتها وحملت الي في الحال خمسمائة دينار عيناً واخذتها وجلس ابي الى ان يحمل اليها شراب تشربه بحضرته ورمان اشار عليها باستعماله قال فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة وتناولت منه ما ارادت وخرج الظرف مكشوفاً فرآه ابي فقال للخادم قدمه الي فقدمه اليه فكان في جملته جامة فيها رمان وفيها هذه الملعقة فحين راها ابي قال والله ما رأيت مثل هذه الملعقة ولا الجامة قال فقالت له دنانير بحياتي عليك ياجبريل خذها

قال ففعل وقام ينصرف فقالت له تمضي ففي اي شيء تدع هذه الملعقة قال لا ادري قالت أهدي اليك غلافها فقال ان تفضل «١» فقالت هاتم «٢» تلك الدواة فجاءوا بهذه الدواة فوضع ابي فيها الملعقة وحملها والجامة في كمه وانصرفنا . فقال له المتوكل جامة تكون هذه ملعقتها يجب ان تكون عظيمة القدر فبحياتي ما كان من الجامة؟ فاضطرب وامتنع امتناعاً عظيما الى ان احلفه مراراً بحياته فقال اعلم اذا قلت اي شيء كانت طالبتني بها فدعني امضي واجيء بها واتخلص منك دفعة واحدة فقال افعل قال ومضى فلم يهن المتوكل الجلوس ولم يأخذه القرار حتى جاء بختيشوع «٣» واخرج من كمه جامة على قدر الزبدية او الجامة اللطيفة من ياقوت اصفر فوضعها بين يديه .

«للبحث صلة»

«١» كذا بالاصل يريد تتفضلي . «٢» م . ع : لم نجد هاتم والمعروف هاتوا «٣» كذا بالاصل والمراد جبرئيل

رسالة الكرم

ـ ٤ ـ

« مقاربة الأثمار وبواكيره »

في المخصص اذا قارب الشجر ان يثمر فانه يقال له المُلِمّ وفي اللسان في ارض فلان من الشجر الملم كذا وكذا وهو الذي قارب ان يحمل . ويقال أحنط الشجر والعشب وحَنَطَ يحنُط حنوطاً اذا أدرك ثمره .

الأصمعي وتقول انه لمُحيل وربما حوّل العنبُ اذا ماأثمر في عام وأحال في الآخر . وفي المخصص واذا لم تحمل الشجرة عاماً بعد ان كانت تحمل قيل اخلفت وحالت تحول حيالاً وهي شجرة حائل في شجر حوائل فاذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً فقد عاومت وفي مبادي اللغة وشجر واعد مرجو الثمر . وحائل لم تحمل سنتها .

وعوّم الكرم تعويماً اذا كثر حمله عاماً وقلّ آخر . وعنب معوّم اذا حمل عاماً ولم يحمل عاماً . كذا في اللسان والتاج . وفي الاصمعي . وعنب معوّم اذا ماحمل عاماً وقلّ حمله عاماً وفي مبادي اللغة ويقال شجرة معاومة وكرم معاوم اذا حملت سنة ولم تحمل أخرى .

البِكْر الكرم الذي حمل اول مرة (١) والجمع ابكار قال الفرزدق :

اذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل او ابكار كرم تُقَطّف

أراد الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

وفي المخصص . واذا عجلت الشجرة بالأثمار وبالينع قيل بكَّرت وأبكرت وبَكَرَت تبكُر بكوراً وهي بَكُور وجمعها بُكُر واذا كان ذلك عادتها فهي مِبكار والثمرة باكورة ثم قال واذا أخّرت فهي مِئخار . والباكورة اول ما يدرك من الثمر . وفي المصباح باكورة الفاكهة اول مايدرك منها وابتكرت الفاكهة اكلت باكورتها . قال ابو حاتم : الباكورة من كل فاكهة ماعجل الاخراج والجمع البواكير والباكورات . وفي اللسان

---

(١) وفي اللسان الذي حمل اول حمله .

والباكور من كل شيء المعجّل المجيء والادراك والانثى باكورة . وابتكر الرجل اكل باكورة الفاكهة . واول كل شيء باكورته . وفي اللسان وتسرّع الكرم بسوقه غرّته وغُرّة الكرم سرعة بسوقه . وغرة النبات رأسه وغرة كل شيء اوله واكرمه .

المِعْلاق والمُعْلوق . ماعلق من عنب ولحم وغيره كذا في اللسان . وفي التاج وفي بيته معاليق التمر والعنب جمع معلاق وفيه ايضاً وكل ماعلق به شيء فهو معلاقه .

ويقال أثلث الكرم . فضل ثلثه وأكل ثلثاه .

« حب العنب وثمره »

الحب اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنبل والاكمام جمعه حبوب كفلس وفلوس وواحدته حبة وتجمع على حبات على لفظها وعلى حباب ككلبة وكلاب . وفي اللسان والحب الزرع صغيراً كان او كبيراً واحدته حبة والحب معروف مستعمل في اشياء جمة . حبة من بر . وحبة من شعير حتى يقولوا حبة من عنب والحبة من الشعير والبر ونحوهما والجمع حبات وحب وحُبُوب وحُبّان والاخيرة نادرة . وفيه ايضاً والحِبّة بزور البقل والرياحين و بزر كل نبات ينبت وحده من غير ان يبذر . وفي التاج الحبة بالضم عجم العنب وقد يخفف فيقال الحبة كثبة وسيأتي .

وفيه ايضاً والحبة كثبة حبة العنب وقيل هي العنب اول ماينبت من الحب ما لم يغرس جمعه حبي كهدى .

الأصمعي اول مايخرج من العنب نسميه ثمراً . وفي القاموس الثمر محركة حمل الشجر ثم قال والواحدة ثَمَرة و ثُمُرة كسَمُرة[1] . وفي المصباح الثمر بفتحتين والثمرة مثله فالاول مذكر و يجمع على ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع الثمار على ثُمُر[2] مثل كتاب و كتب ثم يجمع على أثمار مثل عنق وأعناق . والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات . والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل او لا فيقال ثمر الاراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب . قال الازهري وأثمر الشجر

---

(١) جمعها ثُمُر كسَمُر ولا تكسر لقلة فعُلة في كلامهم .

(٢) في اللسان وقد يجوز ان يكون الثُمُر جمع ثَمَرة كخَشَبة وخُشُب .

أطلع ثمره اول مايخرجه فهو مثمر · وفي اللسان والتيمار كالثمر · وفيه وثمر الشجر وأثمر صار فيه الثمر وقيل الثامر الذي بلغ أوان ان يثمر والمثمر الذي فيه ثمر · وشجر ثامر اذا أدرك ثمره وشجرة ثمراء ذات ثمر ·

وثمّر النبات نفض نوره وعقد حبه · وقال ابن الاعرابي أثمر الشجر اذا طلع ثمره قبل ان ينضج فهو مثمر ·

الحَمْل ثمر الشجرة والكسر لغة فيه · وقيل الحمل بالكسر ما ظهر من ثمر الشجر والحمل بالفتح مابطن منه كأنه ذهب به الى ما تحمله المرأة في البطن · وحملت المرأة والشجرة علقت · وشجر حامل · وفي التاج شجرة حاملة ذات حمل · وفي المخصص الحامل منها المطعم · وفي المصباح حملت الشجرة حملاً أخرجت ثمرتها فالثمرة حمل تسمية بالمصدر وهي حامل وحاملة ·

وأطعمت الشجرة أثمرت وأطعمت الثمرة أدركت اي صارت ذات طعم وأطعمت الشجرة أدرك ثمرها[1] وشجر مُطعِم مثمر يؤكل ثمره والطعم بالفتح الأكل وما يؤديه الذوق من حلاوة وحموضة ونحوهما · وما يشتهى من الطعام ·

والطعم بالضم الطعام · والحب الذي يلقى للطير ·

الأُكُل الثمر يقال أكل بستانك دائم وكل مايؤكل فهو أُكُل وآكلت الشجرة أطعمت وآكل النخل والزرع وكل شيء اذا أطعم وأُكُل الشجرة جناها ·

« العنب وحبه »

العِنَب والعِنَباء[2] بالمد ثمر الكرم واحدته عنبة · وقال الجوهري فان جمعته في ادنى العدد جمعته بالتاء فقلت عنبات وفي الكثير عنب وأعناب · وقد عنب الكرم

---

(١) واطّعمت الشجرة على افتعلت أدركت ثمرتها يعني اخذت طعماً وطابت ·

(٢) قال الشاعر :

تُطعِمن أحياناً وحيناً تسقين العنباء المنقى والتين
كأنها من ثمر البساتين لا عيب الا انهن يلهين
عن لذة الدنيا وعن بعض الدين

تعنيباً . والعَنَّاب كشداد بائع العنب ورجل عانب ذو عنب . والعنب الخمر كما ان الخمر العنب في بعض اللغات . قال في المخصص العرب تسمي العنب خمراً والخمر عنباً . قيل ومن الاول قوله تعالى : (اني أراني أعصر خمراً) اي عنباً . ونقل ان رجلاً رأى يمانياً قد حمل عنباً فقال ما تحمل فقال خمراً فسمي العنب خمراً وقيل انها لغة يمانية ومن الثاني قول الراعي :

ينازعني بها نُدْمان صدق   شواء الطير والعنب الحقينا[1]

فقد أراد الخمر . ويقال عنب خمري يصلح للخمر .

الجَنَى العنب قال الشاعر : (حب الجنى من شُرَّع نزول)

يريد ما شرع من الكرم في الماء وكل ما يجنى فهو جنى وجناة وجمع الجنى أجن وقد يجمع على أجناء . واكثر ما يستعمل الجنى فيما كان غضاً . ويقال أجنى العنب وأجنى الكرم اذا خرج جناه وأجنى الثمر أدرك وأجنى الشجرُ صار له جنى يجنى فيؤكل . وثمر جني كغني جني من ساعته وقيل الجَني الثمر المجتنى ما دام طرياً وجنى الثمر ونحوها وتجناها واجتناها تناولها من شجرتها . ويقال علّل الرجل تعليلاً اذا جنى الثمرة مرة بعد أخرى فهو معلل كمحدث وفعله التعليل .

الفِطْر بالكسر والضم العنب[2] اذا بدت رؤوسه لان القضبان انفطر عنه .

البرم بفتحتين حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر اوفوقة . وقد أبرَمَ الكرمُ .

العرجود كزنبور اول ما يخرج من العنب كالثآليل .

الحَثَر محركة حب العنب وذلك بعد البرم حين يصير كالجُلجُلال[3] . وفي اللسان والحثر حب العنقود اذا تبين . والحثر من العنب ما لم يونع وهو حامض صلب لم يشكل ولم يتموه . وفي الاصمعي فاذا فرغ من نفضه قيل حثر وفصل .

---

(١) هكذا رواه في اللسان والتاج وفي المخصص ونازعني بها الخ والحقين المجعول في الزق . (٢) هكذا في التاج واللسان وفي المخصص اذا بدت رؤوس حب العنب كان فطراً ثم كان زمَعاً اذا كان مثل رؤوس الذر . (٣) هو ثمر الكزبرة وقيل حب السمسم ويقال لما في جوف التين من حب الجلجلان .

النفض (١) . حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض . ويقال نفض الكرم اذا تفتحت عناقيده وانتفض الكرم نضر ورقه .

وجدّر العنب صار حبه فويق النَفَض . وفي اللسان جَدَر (٢) النبت والشجر وَجدُر (٣) جدارة وجدّر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او نصف شهر وكذلك الارض .

و يقال قَصَّل الكرمُ . خرج حبه صغيراً أمثال البُلْسن (العدس) فاذا عظم فكان مثل الحمص قالوا أعْبَر اي خرج عبره وفي التاج العُبْر والعُبْرة . حب العنب .

أعْصى الكرمُ خرجت عيدانه او عِصِيّه ولم يثمر . قال الأصمعي وهو حين يكون في العيدان مثل حب الخردل . «للبحث صلة»

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) هكذا في اللسان . وفي المخصص النَفَض حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض او ينقبض وفي عبارة الأصمعي ثم يكون نفضاً حتى يأخذ بعضه ببعض او ينتفض . وفي القاموس والنفض بالتحريك ماسقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض وقد زاد الزبيدي شارحه على الجملة الثانية فقال والنفض ايضاً ما تساقط من حب العنب الخ عبارة القاموس وقد تبين ان هذه الزيادة ليست في كلام اللسان والمخصص والأصمعي فلعلها سهو . فتأمل .

(٢) من باب قعد . (٣) ككرم .

مطبوعات حديثة

مختارات المقتطف

« وهي طائفة منتخبة ومبوبة من انباء ارتقاء العلوم في الثلث الاول من »
« القرن العشرين ، عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة وفيه عدة أشكال »

نعم الهدية هذا الكتاب من المقتطف الى مشتركيه فلقد حوى من الانباء العلمية التي اعتدنا قراءتها في آخر صفحات المقتطف عدداً وافراً رتبت على ثلاثة اقسام وهي اولاً العلوم الطبيعية والرياضية ومنهـا النور والحرارة والجاذبيـة والكهرباء والكيمياء والفلك والجيولوجية · ثانياً علوم الاحياء ومنهـا العلوم المختصة بالنبات والزراعة والحيوان والانسان · ثالثاً العلوم التطبيقية وأشير بها الى علم الآثار والعاديات وما كشف العلماء منها في اوائل هذا القرن ، ثم تقدم المواصلات في البر والبحر والجو وتقدم المخاطبات بلا أسلاك · الخ ·

وأعظم فائدة للكتاب ان القارئ يجد فيه معلومات شتى في تقدم العلوم المذكورة مجموعةً في مجلد واحد لولاه لكان القارئ يحتاج الى مراجعة عدد كبير من اجزاء المقتطف او المجلات الاجنبية · ثم انه يتذوّق فيه سلاسة اللغة العلمية لغة العلامة الفقيـد يعقوب صروف الذي لم يجاره بها احد في حياته ولم يبلغ مبلغه بعد مماته على ماتعلم ويعلم رفاقنا في المجمع العلمي العربي بدمشق ·

ولا شك ان لغة المقتطف العلمية تدنت قليلاً بعد الفقيد وهذا امر لايستغرب لانه لايمكن للسيد فؤاد صروف ولا لغيره اياً كانوا ان يبحثوا في العلوم الحديثة على كثرتها بلغة يعقوب او يصلحوا مقالات الكتاب كما كان يصلحهـا ولكنني (وانا قائم على تتبع المصطلحات العلمية الطبيعية والزراعية في المقتطف وغيره) أتوسم بالسيد فؤاد انه سيكون خير خلف للفقيد في هذا الباب وهذا مايسر كل الذين يغارون على لغتنا الكريمة ·

وكنت فيما مضى قرأت في مجلدات المقتطف معظم الأبحاث الواردة في هذا الكتاب واقتبست كثيراً مما حوته من المصطلحات العلمية وقد عثرت اليوم في الصفحة ١٧٧ على لفظة

« زبانيين » بمعنى قرنين صغيرين وهـذه اللفظة فصيحـة وهي خير اسم للعضوين اللذين يسميان في علم الحشرات (Antennes) .

ولا بد لي وانا اكتب في مجلة المجمع من لفت نظر السيد فوآد المحترم الى بعض هفوات منها استعماله في الصفحة (ب) من المقدمة لفظة نوع بدلاً من صنف او ضرب فالانسان لا يستطيع اليوم ان يولد بالوسائل العلمية نوع الورد مثلاً بل يولد أصنافاً من نوع الورد (اوضروباً) . وكنت اود لو استعمل لفظة الجسور بدلاً من الكباري في الصفحة (ح) لان اللفظة التركية الأخيرة لا يفهمها غير المصريين فلذلك يمكن وضعها ضمن هلالين لا الاقتصار عليها . وفي الصفحة نفسها لفظة أنسجة وهي شائعة مع انني لم أجدها في الامهات لجمع نسيج نُسُج وجمع نسيجة نسائج . وجاء في الصفحة ٥٠ « نتروجين الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا» والصحيح «نترات الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » او « نتروجين نترات الصودا اسرع فعلاً من نتروجين سلفات الأمونيا » .

وبعد اننا نهنئ اصحاب شيخ المجلات بهذا الكتاب الذي هو يد جديدة تضاف الى ما لهم من الأيادي البيضاء على لغتنا العربية .

« الشهابي »

الاسمدة واستعمالها

« تأليف السيد حسني المقدادي ، وهو يحتوي على ١٦٥ صفحة »

« بقطع صغير »

يشتمل هذا الكتاب على أبحاث في النبات وغذائه والتربة وعناصرها والأسمدة وتركيبها واستعمالها في أهم الزروع والأشجار .

ويظهر ان المؤلف حديث العهد بالتأليف لان رأيه في كثير من الامور لا يزال فطيراً فقد قسم أنواع الأتربة في الصفحة (٤٣) ومايليها تقسيماً ناقصاً ومغلوطاً وجعل الكلس في أهم سهول الشام « اقل من كاف للمزروعات » ولا سيما في الاتربة الطينية الكلسية حيث مقدار الكلس عظيم . وقال ان الآزوت (نتروجين) في اكثر نموذجات الأتربة التي أخذت من انحاء الشام وحللت هو أقل من نصف في الألف مع انني نشرت

الى اليوم نتيجة تحليل اربعين نموذجاً من الأتربة مأخوذة من أم أصقاع الشام الزراعية وجميعها تحتوي على أكثر من نصف في الألف من الآزوت .

وسمى الدم والعظم زبلاً (ص٧٢) كما سمي الروث والخثي والبعر بقايا (٧٨) . املائة الكتاب فسقيمة ولا تكاد تخلو صفحة من غلطة او غلطات .

وبعد اننا ننصح للمؤلف وامثاله من الذين درسوا الزراعة في احدى المدارس الأجنبية سواء أحازوا اجازة مدرستهم ام لم يحوزوها ان لا يقدموا على التأليف قبل اتقان لغتهم وقبل فتل الموضوع الذي يؤلفون فيه درساً وتنقيباً . وليقتبسوا من كتب ابناء البلاد الذين سبقوهم الى الدرس والتأليف فان الاقتصار على كتب الأجانب تقصير . والاجنبي لا يعرف أقاليمنا وأتربتنا وزروعنا كما نعرفها نحن .

«الشهابي»

الجزء ١٢ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

١٢٠

وليمة ابن واسانة

- ٢ -

فأول ما افتتح به ابن واسانة قصيدته وصفه للمصيبة التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :

(من لعين تجود بالهملان   ولقلب مدلّه حيران)
(يا خليليّ اقصرا عن ملامي   وارثيا لي من نكبتي وارحماني)
(مَن عذيري من دعوة اوهنت عظـمي وهدّت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من اجل الدعوة فقال :

(ضرب البوق في دمشق ونادوا   لشقائي في سائر البلدان)
(النفيرَ النفيرَ بالخيل والرَّجْـ   ـلِ الى بيت ذا الفتى الواساني)
(جمعوا لي الجموع من جيل جيلا   نَ وفرغانة ومن ديلمان)
(ومن الروم والصقالب والترْ   ك وخلقاً من بُلْغَر واللان)
(ومن الهند والطماطم والبَرْ   برِ والكيلجوج والبيلقان)
(لم يخلّوا ممن عددت من الآ   فاق من مسلم ولا نصراني)
(والبوادي من الحجاز الى نجْـ   ـدٍ مَعَدِّيّها مع القحطاني)

هذه الأبيات تتضمن درساً في الجغرافيا . و(الكيلجوج) بحثت عنه فلم اهتد الى معرفته فلعل الكلمة محرفة . واما (اللان) فهي كورة بين ارمينية و بحر الخزر . و(البيلقان) بزيادة ياء بعد الباء اسم مدينتين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احداهما

في ارمينية والأخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في اقصى الشمال من بلاد الروسية يذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتحديدها : فان الشمس لا تكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد اقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً لنزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاهاتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فمن طوال ومن حد　　ب قصار والحول والعوران)
(وشيوخ مثل الفراخ وشبا　　ن رحاب الأشداق والمصران)
(معد جوعت ثلاثين يوماً　　بسلاح الأضراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتعجيلهم بالقدوم اليه فقال :

(رحلوا من بيوتهم ليلة المر　　فع من أجل أكلة مجان)
(يركضون البريد تسعة أميا　　ل بنص الوجيف والزملان)

(الوجيف) و (الزملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نبهنا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة لطيفة : ذلك ان الشاعر بذكره (ليلة المرفع) كأنه يتعجب الناس من النصارى الذين تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأسرعوا الى الوليمة شرهاً او عيثاً في طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم وشروعهم في التفتيش عما هيئ لهم ليطمئن قلبهم فقال :

(لست أنسى مصيبتي يوم جاؤو　　ني وقد غص منهمو الواديان)
(أشرفوا لي على زروع وأحطا　　ب وبيت من خبزه ملآن)
(آبن قارس ولحم طريـ　　وقدور تغلي على الدكان)
(وشواء من الجداء ومعلو　　ف دجاج وفائق الحملان)
(وشراب ألذ من زورة المعـ　　شوق بعد الصدود والهجران)

قوله (وقدور تغلي على الديكدان) في (اليتيمة) (الدادكان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الديكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (ديك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمعدان ومعنى (الديكدان) المنصب الحديدي الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد لفظها (ابن واسانة) باصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدمي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في صفة سد يأجوج ومأجوج : « وفي احد الحصنين آلات البناء التي بني بها السدّ من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان اربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا لفظها ابن واسانة والمقدمي . اما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شملال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعُدَّة دقدان القدر) اي ان معنى كلمة (العُدَّة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القِدْر .

واختلاف الأدباء واللغويين في لفظ (ديكدان) او (دقدان) راجع الى الخلاف بين سيبويه والجوهري : فالأخير اشترط في تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيبويه أحسن الله اليه لم يشترط هذا الشرط المتعب المُنْصِب .

ثم وصف ابن واسانة احد المدعوين الذي سماه الهاشمي وشرهه العجيب فقال :

(يقدم القوم هاشميٌّ هريت الشـ ـدق رحب المعى طويل اللسان)
(هو نمس الدجاج والبط والوزّ وذئب النعاج والخرفان)

ويظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشريف ابي القاسم واخيه الفضل اللذين يقول فيهما :

(والشريفان أشرفا في خلال الـ ـخيل في موكب من الحبشان)
(فابو القاسم الكبير على طـ ـرْفٍ كميت أقبَّ كالسرحان)
(واخوه الصغير يعترض الخيـ ـلَ على قارحٍ عريض الأبان)
(وهما يهويان بالسوط والزجـ ـل الى ما يسوءهم مسرعان)

وكأن قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أيُّ قلبٍ يُطيق شتم بني خيـ ـر البرايا وأكرم النسوان)
(غير اني يوم القيامة اشكو هم الى الحرة الحَصان الرَزان)
(وأنادي يا بنت خير النبيـ ـين ويا أم أكرم الفتيان)
(اي شيء صنعتُ بابنيك حتى غزواني بالسود والبيضان)

ثم جاء الدور للشمولي فوصفه قائلا :

(والشموليُّ حلقـه حلق ترّا س عريض الأكتاف عبل[1] اليدان)
(لست أنساه جاثيـاً جاحظ العيـ ن عبوساً في صورة الغضبان)
(كالعُقاب الغرثان يقتنص اللحـ مَ ويهوي الى طيور الخوان)

ووصف أديباً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت اعتدُّ غزا ني للحين فيمن غزاني)
(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومشتكى أحزاني)
(غيّرته الايام حتى أتاني جائعاً للشقاء مذ سنتان)
(كلما شقّق الفراريج شقّقـ ـتُ لغيظي من فعله قمصاني)
(وهو في امره مجدٌّ رخيُّ الـ ـبال لم يعنه الذي قد عناني)
(مُجزَهِدٌ[2] كالسوس في الصوف في الصيـ ـف بقلبٍ خالٍ من الإيمان)

ثم خاطب ابن المبشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن المبشر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني)
(ليس هذا من شهوة الاكل هذا من لهيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعوٌّ سماه (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً او انه يتهكّم به تهكماً وصفه فقال :

---

(١) قوله عبل اليدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثنى الالف كقوله :
(انّ اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها)

(٢) اي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأ   كل يغزو كعنتر الشجعان)
(ليت شعري أمن رسائل بقرا _ طٍ تفلست او بني يونان)

ثم حمل حملةً شديدة على احد المدعوين فوصفه باقبح الأوصاف من دون ان يسميه فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قو   م بلائي بذلك الطرمذان)

(الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان تقوم مقام كلمة (شارلاتان) الافرنسية · واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة فنقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ايضاً والثقيل الممقوت جدير بكلمة ثقيلة مثله ·

ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفنيق[1] فدمٌ بلا لـ   بٍّ طويل في صورة الشيطان)
(بقفا كالعمود يستعذبُ الصّفـ   ـعَ ورأس أصمّ كالسندان)
(واسع الحلق ناقص العقل والديـ   ـن غليظ الطباع كالصوان)
(يبلع المطجنـات بلعاً بلا مضـ   ـغٍ ويحسو النبيذ كالثعبان)
(لا تمتني يا ربّ حتى أراه   قد تدلى وعنقه شبران)

هذا دعاء عليه بالشنق لان المشنوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه ·

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان العزف فقال يهجوهما :

(وأتوني بزامرٍ زمره يحكـ   ـي حُباقَ العبيد والرعيان)

و (الحباق) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا النجباء في كتب اللغة ·

(ومغنٍّ غناؤه يطلق البطـ   ـنَ و يأتي بالقيء والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقةً واحدة فقال :

(قصدت هذه الطوائف حرا   يا لهتكي وذلتي وامتهاني)
(قلتُ ماشأنكم ؟ فقالوا أغثنا   ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

---

(١) الفنيق الفحل من الابل والفدم الاحمق البليد ·

(وأناخوا بنــا فيا لك من يو م عبوس عصبصب أرْوَنان)

(عصبصب أرونان) اي صعب شديد . واستعمال (ابن واسانة) لكلمات اللغة يدل على انه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيحها وغريبها .

(تركوني يا قوم أجردَ من فرْ خ وأعرى ظهراً من الأفعوان)

(أكلوا لي من الجداء ثلاثيـ ـن حنيـذاً بالخلّ والزعفران)

(الحنيذ) الجدي المشوي .

(اكلوا ضعفَهـا شواءً وضعفيـ ـها طبيخاً من سائر الألوان)

(اكلوا لي تبّالةً تبْلت َعقْـ ـلي بعشر من الدجاج سمان)

لعل التبالة هي ما نسميه اليوم متبّل .

(اكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضر سيه بلحم الدجاج والجديان)

(المضيرة) عند العرب لبن حامض يطبخ باللحم فلعلها ما نسميه اليوم لبنية او اللبنيــة يكون فيها أرز عادةً والمضيرة لا أرز فيها فهي إذن الشاكرية .

(اكلوا لي كشكية كشكشت قلـ ـبي وهاجت لفقدها أشجاني)

والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجح .

(اكلوا لي سبعين حوتاً من النهـ ـر طرياً من أعظم الحيتان)

يظهر ان محصول (بردى) من السمك منذ الف سنة كان اكثر منه الآن .

(اكلوا لي من القريشاء والبَرْ نيّ والمعقليّ والصرفان)

لعل (القريشاء) هي مانسميه اليوم قريشة وهي ضرب من الجبن المالح يكون مفتتاً غير متماسك و (البرنيّ) أجود التمر . اما (المعقلي) و (الصرفان) فلم اعرفها .

(اكلوا لي من الكوامخ والجَوْ ز معّا والخلاط والأجبان)

(الكوامخ) المشهيات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشهيات ايضاً يتخذ من الشوندر وابازير أخرى .

(ومن البيض والمخلّل ما تعـ ـجز عن جمعه قرى حوران)

(بذّروا لي من السفرجل والتفـ ـاح والرازقيّ والرمان)

(والرياحين ما رهنت عليه جبتي عند احمد الفاكهاني)

(الرازقي) و يسمى الملاحي (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طو يل الحب ولعله المسمى اليوم (ز يني) ٠

وهنا إشكال : وهو ان الوليمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والتفاح والعنب في جمرايا في ذلك الوقت ٠ اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء ٠ او لعلّ الذي اكلوه معقود التفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرُغم يا معشر النا س ثمانين من معيز وضان)
(ما كفاهم تذبيحهم غنم القر ية حتى أنحوا على الثيران)
(ذبحوها والدمع يجري على خـ ـدّي انسياباً مثل انسياب الجمان)
(اكلوا كلّ ما حوته يميني وشمالي وما حوى جيراني)
(ثم قالوا : هلمّ شيئًا فناديـ ـتُ غلامي: قم ويك خبيْ حصاني)

ولكن هل سكت الضيوف عن مضيفهم الذي سبهم كل هذا السبّ ؟ كلاّ بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأز يد . وقد وصف ذلك فقال :

(فتمالوا عليّ شتماً ولعناً واستباحوا عرضي بكل لساني)
(من له قدرة عن الهجو يهجو ني ومن كان مفحماً يلحاني)

وبعد ان فرغوا من الطعام والالتهام صدرت عنهم أعمال ممقوتة لا تليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنتي بكسر الاواني)
(ثم قاموا الى الجلاهق والبا شق والاحابل والزَربطان)

يعني انهم قاموا الى صيد مافي القرية من الطيور ليأكلوها فوق ما اكلوا ٠

و (الجلاهق) بندق من طين يرمى به الطير و (الأحابل) الشباك و (الزَرْبَطان والزربطانة) حرّفها عوام زمانهم عن (زَبَطانة) وهي قناة جوفاء كالقصبة توضع فيها سهام صغار ينفخونها نفخًا في صيد الطيور فلا تكاد تخطيء ٠ ومازالت الزربطانة والجُلاهق في خدمة الانسان حتى خلفتهما البندقية ٠

(فرأيت الحمام بعضاً على الأر ض وبعضاً ملقىً على الاغصان)
(ورأيت الدجاج في وسط القر يةِ مُمْنِيً مكسَّر السيقـان)
ثم وصف تنظيفهم لأيديهم من دسم الطعام فقال :
(اكلوا ما ذكرت ثم أضـاعوا يا شقائي حِملاً من الأُشنان)
(ومن المحلب المطيَّب بالبـا ن وماء الكافور سبعَ بَراني)
ذكر الأُشنان ولم يذكر الصابون مع انه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظفاً آخر لا عهد لنا به . وهو المحلب المطيَّب بالكافور و بالبان . والبان اسم شجر ورقه كورق الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ؟ او المراد بالبان بخور الحصى لبان ؟ وقد قال انهم استعملوا من هذا المحلب المطيب سبعَ برّاني اي سبع قدور من خزف .
ثم عاد الشاعر فذكر من تخريبهم وعيثهم وعربدتهم مالا يكاد يصدق فقال :
(وأقاموا سُوَّاسهم والمُكار ين الى ان سمعت صوت الأذان)
(ينقلون الاحطاب من حيث وافو ها : فبـالفأس ضاع لي غيضتان)
(جوزةٌ كان حملهـا أحسن الحَمْـ ل وكانت ظليلة الأفنان)
(كان لي في فنائها منزلـ رحـ ـب أنيق يحفه نهران)
(ورياض مثـل البرود علاها الـ ـطلُّ بين البهار والأُقحوان)
(وطيور ما بينهـا تتغنى بجميع اللغات والألحان)
(هي كهفي ومستظلي من الحـَ ـرّ وذخري لنائبات الزمان)
(أحرقوها يا قوم ظلماً فكانوا يرشقون الأحطاب بالنيران)
(كسروا السكر فاختلطت فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
(قطعوا اللوز والسفرجل قضبا ناً ومالوا بهـا على غلماني)
(والنواطيرَ مددوا وعلوهم حنقاً بالعصيّ والقضبان)
ثم ذكر ان ضيوفه أفحشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية ونسائها كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً ما بقي على جرايا الا ان نقدم لكم هذه الخدمة المغشوشة ونظم في ذلك أبياتاً رأينا ان نضرب صفحاً عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :

(ثم راحوا بعد العَشـاء الى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان)

(كانَ لي مقعدٌ وفرش مليح فوقه مطرح من المَيْسَاني)

(المطرح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان وهي كورة بين البصرة وواسط ٠

(وبساط من أحسن البسط مذخو رٌ لعرسٍ او دعوةٍ او ختـان)

(غرقوه بالبصق والبول والقيـ ـيء فأضحى وسعره بعرتان)

(سرقوا جبتي وسبني وسكيـ ـني وخفي وجوربيّ وراني)

(الران) شبه الطاقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً ٠ وقد قرر المجمع العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطاقات) التركية في ما قرر من الألفاظ ٠

(أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزانِ)

(خلتُ داري ياإخوتي الجامع الام ويّ ليلاً بالنصف من رمضان)

وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهم شدة البطـ ـنة خرّوا صرعى على الاذقان)

(هوّموا ساعةً كتهويمة الخا ئف في غير ارضه الفزعانِ)

(الفزعان) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير قاموسية اي غير موجودة في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فَزِع وفازع ٠ فهل يصح لنا ان نستعمل كلمة فزعان استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي ٠

ثم وصف الشاعر ما كان من ضيوفه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبحية فقال :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع النَّسْـ ـرُ ومال السماك والفرقدانِ)

(يصرخون الصَبوح ياصاحب البيـ ـت فأبكوا عيني وراعوا جناني)

(سحبوني من عُقر داري على وجـ ـهي كأني أدعى الى السلطانِ)

(بقلوبٍ أشدّ حراً من الجمـ ـر وأقسى من صخرةٍ صوّان)

ويظهر ان صنيعهم هذا أفزع نسوة بيته ولا سيما ابنه الصغير (ميمون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رقوا لذلك الطفل ميـ ـ ـون ولا تيتموه يا إخواني)
(ما ذنبي اكلة بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)

ثم ذكر من سوء صنيعهم به ما لا يكاد يصدق فقال :

(علّقوني بفرد رجل إلى السقـ ـ ـف وعُذّبت ليلتي بالدخان)
(لو رآني ابي وأمي معكو ساً ورجلاي بالعصا تنقران)
(بكيا رحمةً وفكّا وثاقي من يديهم بكل ما يملكان)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من البلاء استغاث بالشريفين فقال :

(قلت للفضل والشريف اغيثا ني ، وموتي قد حلّ بي خاصاني)
(واذكرا عشرتي وودّي واخلا صي وحنّا علي واستبقياني)
(أنتما ان قتلتماني وحق اللـ ـ ـه من أجل اكلة تندمان)
(أشهد الله ليس عندي مشرو ب ولا في خزانتي لقمتان)
(فاستشاطا غيظاً عليّ وقال الـ فضل قل لي بأيّ عين تراني)
(أنا من أحمق البرية ان صد فتُ ما تأتليه من أيمان)

ثم رقّ له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :

(قطع الحبل فانقلبت على رأ سي وظهري واندق لي ضلعان)

وبعد ان يئس المدعوون من طعام الصبوح شفوا قلبهم بنهب التبن فقال واصفاً ذلك :

(ثم لما تمكّن اليأس خلو ني ومالوا ميلاً على الاتبان)
(وأجيري مسخر ينقل الأتـ ـ ـبانَ بالذل عاريَ الجثمان)
(وهو يبكي . فقلت ويحك إماتصـ ـنع بالتبن بعد موتة الفدان)

وهل اكتفوا بالتبن ؟ كلا بل .

(سرقوا السُرْج والقناديل والزيـ ـت وأقداحنا وكل القناني)
(لو ترى الفضل وهو يحمل في السرْ ج قميصاً مربط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيـ ـن رغيفاً من اكبر الرغفان)

كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة . ولكن اما كان يوجد فيهم من يرحمك ويعطف عليك ؟ فأجاب .

(ما رثى لي سوى المبارك من ضُرّ يـ وذاك القُصيّر الدحدحاني)

(رفَّهاني وخفّفا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان)

لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا . نعم وجدت : الدودح والدحدح والدحدحة والدحداح والدحداحة والدحادح والدحُيدحة — كل ذلك بمعنى القصير . فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني . او ان كلمة الدحدحاني محرفة عن (الرحرحان) برائين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القريب القعر : يقال قدح رحرحان اي قريب القعر مع سعة فيه .

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضراتكم أيها السادة قائلاً :

(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا ن عراه في دعوة ماعراني)

كلاً والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا — أمر لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك .

جمرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولمها في قرية جمرايا منذ الف سنة وقد استنتجنا من القصيدة ان جمرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران ونوفر أسباب الرزق . اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاً ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطّى اسم الهامة على اسمها . فنسيها اهل دمشق حتى بنى الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا . وأخذ اسم (جمرايا) من يومئذ يدور على الأفواه وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى جمرايا . وعاد من جمرايا . وبات في جمرايا .

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهيئ محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عزمت على إحياء ذكر (جمرايا) فإني انا ايضاً أريد ان أحيي ذكر وليمة ابن واسانة .

في ضحى يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الاول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزيري المعارف والمالية الى (الربوة) (فدمر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جمرايا فتسللت اليها من طريق ضيق متمعّج غير معبّد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا الى نهر بردى واذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات .

ثم جرى بنا الاتومبيل صُعُداً في سفح هضبة . واذا دار تلوح لنا من بعيد . واذا بياضها الناصع يتلألأ في خضرة تلك الرياض كقطعة ماس على بساط زبرجد . واذا هي دار الاستاذ الخطيب ، واذا هو يستقبلنا ببشاشته وأُنسه المعهودين ، واذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، واذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد الف سنة من الزمان (وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون) وهكذا كانت لنا في دار الاستاذ الخطيب . وليمة ذات رفاغية وعيش خصيب . كان الاستاذ ابن واسانها لكن من دون تبرم بالضيوف . وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عربدة ولا إفساد ، ولا تكاليف سمجة دونها خرط القتاد .

قرية (جمرايا) اليوم أيها السادة ارض ضيقة يحدها الطرف ، وتقتحمها العين ، قناة الفيجة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقد امتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيها ، وتجري فيها بعض العيون : منها عين القرية وعين الشاعر . ولقد تجولت في جنباتها مستطلعاً طالع آثارها القديمة . فدلّوني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها . فاذا سعة فم القناة نحو متر . ولم يبق من تلك القناة الا بقية . ومن آثار القرية قساطل خزف كان يجري فيها الماء كالقساطل المعهودة عندنا . وفوق القساطل على سمك نحو ذراع ارض مبلّطة وبلاطها مرصوف بالفسيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها الى بعض . ثم على طول الزمان تراكمت الأتربة على الفسيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون . ويقول فلاحو (جمرايا) نقلاً عن آبائهم ان

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قريتهم سميت باسم شاعر كان يأوي اليها و يذكرها في أشعاره . هذا كل ما في جرايا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحيها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قريتهم كانت في القديم ذات عمران عظيم وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام وصنوف الفواكه ما أثار حسد ذلك الامير الجبار ولاسيما مذ عرف ان كل ما قدّم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرايا واستصفاء اراضيها . ولو كان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية تتدرّج الى هوّة التعاسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرب هي . ثم لم تقم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا ما يتحدث به فلاحو جرايا اليوم . و يغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعونه من أخبار وليمة ابن واسانة المدوّنة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرايا ويتحدثون — على مسمع من فلاحيها — بخبر وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها . فعلقت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرّف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

وبعد هذه الجولة في أرجاء جرايا عدتُ عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورُبى شاخصات للعيان ، شخوص نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات بساتين قرى الهامة والجديدة والأشرفية وغيرها من قرى الوادي . وتتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متمعجة تمعج الافعى التي تجدُّ في الهرب وتسعى .

(و بردى كالمُنْصل او صفحة السجنجل)

ثم رجعتْ بي الذكرى الى ماقبلَ الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني .

وما يدر بنا ان تكون الدار حيث الدار . كما ان الهضاب هضاب والأنهار أنهار ؟
بل ان هذه الشمس التي شهدتها في أفق (جمرايا) تهوي للغروب . أليست هي نفسها التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟

هاتِ أيتها الشمس حدثينا عن تلك الوليمة التي كانت منذ الف سنة ، كما ستحدثين أبناءنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم .

قصّي على أحفادنا اخبارنا كما قصصتِ علينا اخبار اجدادنا . صفي لابنائنا الآتين ما نحن عليه الآن ، من التفرق والخذلان ، و كلَب الزمان ، وتراكم الأحزان .

قولي لهم ان أجدادكم في القرن العشرين «كانوا [١] في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرّقت كلمتهم ، وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها و يشربون و ينامون . ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لاحدهم ان يضرّ اخاه لايقصّرُ في إلحاق الضرر به . فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في مراعيهم ، ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات ، وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئاً ، يصرفون اموالهم في مايقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخلُ في حسابها شيءٌ يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون و ينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية . فربَّ تنافر بين اميرين يضيع أمةً كاملة . كل منهما يخذل صاحبه . و يستعدي عليه جاره . فيجد الاجنبي فيهما قوةً فانية . وضعفاً قاتلاً . فينال من بلادهما-

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تعدي الاقوياء) مقتبسة من مقال (القضاء والقدر) احدى مقالات جريدة (العروة الوثقى) .

مالا يكافه عدداً ولا عدة . شملهم الخوف والذعر . وعمهم الجبن والخور . يفزعون من الهمس . و يألمون من اللمس . قعدوا عن السير الى ما يلحقون به الامم في العزة والشوكة . وخالفوا في ذلك كله اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم . يتقدمون عليهم . و يفاخرونهم بما يعلمون ويعملون . واذا أصاب قوماً من إخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لا يسعون في تخفيف مصابهم . ولا ينبعثون لمناصرتهم . ولا توجد فيهم جمعيات ملية ولا اخلاقية . يكون من مقاصدها إحياء الغيرة . وتنبيه الحمية . ومساعدة الضعفاء . وحفظ الحق من تعدي الأقوياء » .

هكذا أيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا . وصفي لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد اكفهرت وجوههم . وتقطعت من الأسى قلوبهم . عودي فارفقي بهم . وكفكفي من دمعهم . و بشريهم ايتها الشمس بنهضتنا الجديدة . التي شيدناها على العلم والاتحاد فكانت سبباً لسعادتكم انتم ايها الاحفاد . والسلام .

« المغربي »

عبقرية المتنبي

- ١٤ -

اما أهاجي المتنبيء فتارةً كان يهجر فيها ويفحش ، فمن هذا الشكل قوله :

وقد أرى الخنزير اني مدحته ولو علموا قد كان يهجى بما يطري

ومنه قوله :

اباالنتن قد قيدتني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروّع
وقدّرت من فرط الجهالة انني اقيم على كذب رصيف مصنّع
اقيم على عبد خصي منافق لئيم رديءالفعل للجود مدّع

او كقصيدته في ضبّة ، فلا تخرج هذه الأهاجي عما يتشاتم به عامة القوم فقد كان ابوالطيب يباده بها مباذهة دون ان يغطيها باغطية رقيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم ينج من هذه الشتائم حي ولا ميت واذا كان الطعن في الميت لا يعدّ من مكارم الأخلاق فالمتنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

ان مات مات بلا فقد ولا اسف او عاش عاش بلا خَلْق ولا خلق
منه تعلّم عبد شقّ هامته خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككعوب الرمح في نسق

وتارةً كان يتهكم في اهاجيه تهكماً امرّ من القذع والفحش والتهكم في الهجاء اشد إيلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فمنه قوله في كافور :

من علّم الاسود المخصي مكرمة أقومه البيض ام اباؤه الصيد

ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي مثلك الكرم اين المحاجم يا كافور والجلم

ومن هذا الشكل :

ومصر لعمري اهل كل عجيبة ولا مثل ذا الخصي اعجوبة بكرا
يُعدُّ اذا عدّ العجائب اوّلا كما يبتدا في العد بالاصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كلمات الخنزير والمنافق واللئيم وما شابهها من كلام العامة فهو اشد ايجاعاً وأرفع شأناً ·

واذا لم يراع المتنبي حرمة كافور في هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة في تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فعرّض المتنبي بتنغيص سيف الدولة وبمنه دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتائم السوقة ·

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبقرية المتنبي ارتفعت في هذه الآفاق الى سماء اعلى وصبغت بصباغ خاص ·

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لايخلو من بعض المساوئ ، من جملتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المتنبي ، والغلو في بعض مدحه ، واللجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة ·

اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم يطبع بها الشاعر اي ممدوح شاء حتى لانكاد نجد فرقاً كبيراً بين ممدوحيه ·

فمن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطب الذي قال فيه :

يعطي فلا مطلة يكدّرها بهـا ولا منّة ينكّدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطب فقد طبع بها المتنبي سيف الدولة فقال له :

انت الجواد بلا منٍّ ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل

ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي المنبجي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا

وهذا القول او مايقرب منه قاله في سيف الدولة :

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول

ومن هذا الشكل قوله في المنبجي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وهذا القول او مايشا كله قاله في سيف الدولة :

فكلما حلمت عذراء عندهم ... فانما حلمت بالسبي والجمل

والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في ابي المنتصر الأزدي :

أمريد مثل محمد في عصرنا ... لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق

لم يخلق الرحمن مثل محمد ... احداً وظني انه لا يخلق

ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المتنبي :

ومن علي بن عبد الله معرفتي ... بحمله من كعبد الله او كعلي

نعم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المتنبي في جعفر بن كيغلغ :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن اعوذ به مما أحاذره

وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي :

يا من نلوذ من الزمان بظله ... ابداً ونطرد باسمه ابليسا

ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وانما رغبت في ذكر انماط من اماديح المتنبي استدلالاً بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الاماديح ، فلم يكن للمتنبي في مدح بعض ممدوحيه صور خاصة اي لم يصل ابوالطيب الى اعماق الممدوح حتى يستخرج منها صورة خاصة بهذا الممدوح تناسبه ولا تناسب غيره من الممدوحين .

فلنجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المتنبي ، من هذه العيوب الغلو في وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه ... لما اتى الظلمات صرن شموسا

او كان صادف رأس عازر سيفه ... في يوم معركة لأعيا عيسى

او كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشق حتى جاز فيه موسى

او كان للنيران ضوء جبينه ... عبدت فكان العالمون مجوسا

فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتى ليكاد يكون مبتذلا .

ومن هذه العيوب ورود المتنبي في بعض مدائحه موارد مشتركة يردها ويصدر عنها كثير من الشعراء ، منها قوله :

يفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل ابيض وضاح عمامته ... كأنما اشتملت نوراً على قبس

ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها فلا يجاريه فيها مجار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلى قتالك والسلم ... وهذا المقام والاجذام
واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقرها ... في الدرب والدم في اعطافه دفع
فأوحدته وما في قلبه قلق ... واغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمتنع السادات كلهم ... والجيش بابن ابي الهيجاء يمتنع

ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالمنى ... ولكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا ... وانت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما ... ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح ... يؤديك غضباناً ويثنيك راضيا

ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة ... هول نمته من الهيجاء اهوال
تملك الحمد حتى ما لمفتخر ... في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة ... وقد كفاه من الماذي سربال

غير ان الحلبة التي جلى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابوالطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكَم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متاثماً وذاك انه اذاخاض فيوصف معركة كان لسانه امضى مننصالها واشجع منابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اداه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برّز فيها المتنبيء فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كان لروحه ولطباعه الاثر الابلغ في تبريزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع منالشعر لاصقاً بطبعه ممتزجاً بروحه فكانشعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب و نبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذيتأنس به نفسه .

ولقد مثّل ابوالطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكأن شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المتنبيء لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيفالدولة وغاراته فلم يغادر امراً من امور تلك الحروب الا وضحه حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومها وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المتنبي المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر تجافيف الخيل ومفاضات الفرسان وترائكهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يغادر لوناً او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأننا بمحضر جيش متكامل العدة مستتم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه ... على الفارس المرخى الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائل ... يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الاقطار حتى كأنه ... يجمع اشتات البلاد وينظم
وكل فتى للحرب فوق جبينه ... من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يديه في المفاضة ضيغم ... وعينيه من تحت التريكة ارقم
كأجناسها راياتها وشعارها ... وما لبسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال وطرفه ... يشير اليها من بعيد فتفهم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحى ... ويسمعها لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها ... فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا ... ولكن صدم الشر بالشر احزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يغفل عن ذكر ما يأخذ بمجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس الخيل وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمتنبي تكلم على هذا كله فما سها عن صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يفتقر اليه الشعر العربي .

ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يعد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف تنقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا الا لوناً من الالوان في وصف السفن :

فاسمتها تل بطريق فكان لها ... ابطالها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيار مقربة ... على جحافلها من نضحه رثم
دهم فوارسها ركاب ابطنها ... مكدودة وبقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها ... وما لها خلق منها ولا شيم

واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى نكاد نظن ان الروم ينهزمون برأى منا زرافات ووحدانا :

سراياك تترى والدمستق هارب ... واصحابه قتلى وامواله نهبى
اتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا ... وأدبر اذ أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا ... ويقفل من كانت غنيمته رعبا
وهل رد عنه باللقان وقوفه ... صدور العوالي والمطهمة القبا
مضى بعد ماالتف الرماحان ساعة ... كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة ... اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى ... وشعث النصارى والقرابين والصلبا

ولقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى خوفهم يصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحلمون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة ... وزال عنها وذاك الروع لم يزل
فكلما حلمت عذراء عندهم ... فانما حلمت بالسبي والجمل
ان كنت ترضي بان يعطوا الجزي بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحول

ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما نجا من شفار البيض منفلت ... نجا ومنهن في احشائه فزع
يباشر الامن دهراً وهو مختبل ... ويشرب الخمر حولاً وهو ممتقع

هذا هو الوصف الذي انفرد به ابوالطيب فلا تجاريه فيه أقلام النظراء ففي بيتين من الشعر يعرض علينا صورة الجيش :

وجيش يثنّي كل طود كأنه ... خريق رياح واجهت غصناً رطبا
كأن نجوم الليل خافت مغاره ... فمدت عليها من عجاجته حجبا

وفي بيت من الشعر يصف لنا تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم :

تسايرها النيران في كل منزل ... به القوم صرعى والديار طلول

وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء الروم :

واني اهتدى هذا الرسول بأرضه ... وما سكنت مذ سرت فيها القساطل
ومن اي ماء كان يسقي جياده ... ولم تصف من مزج الدماء المناهل

ومثل هذا السحر كثير في شعر المتنبي في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن ان في شعراء العرب شاعراً يعلو ابا الطيب في هذا المذهب .

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعرف اي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن اساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد ما لهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمّة ... فما يفهم الحدّاث الا التراجم
فلله وقت ذوّب الغش ناره ... فلم يبق الا صارم او ضبارم
تقطّع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفرّ من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب ... وصار الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتخ انك زرتها ... بأماتها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشّيتها ببطونها ... كما تتمشى في الصعيد الأراقم

فأبو الطيب شاعر العوالي والسوابق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كالكلام على سير الخيل وسير الجيش وكالكلام على حسن الثبات وقبح الهزيمة ، كالكلام على هيآت الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها مشاهد القتال والى خيال مديد يحيي هذه المشاهد . وقد اجتمع للمتنبي شيء من هذا كله واذا اضفنا ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده اكثر الغزوات والغارات والنشء للبدو في فاتحة امره لم نعجب من ابن يزد في هذا الميدان الذي لم يلحقه به لاحق فاذا خلد ابوالطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المتنبي ولا يذكر ابوالطيب الا ذكر معه سيف الدولة فلولا وصف المتنبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صور ناطقة ولولا معارك سيف الدولة لما كانت عبقرية المتنبي تخلد الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة المجتمع فشعر المتنبي مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .

واذا كان في وصف المعارك شيء يسير يؤاخذ به المتنبي فما هذا الشيء الا تكرار بعض الصور في هذا الوصف ، فمن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سرع

وهذا قريب من قوله :

وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عرّست فيها فليس تقيل

ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة :

ولو كانت الخيل حتى لا تحمله تحملته الى اعدائه الهمم

وهذا شبه قوله :

اكلما رمت جيشاً فانثنى هرباً تصرّفت بك في آثاره الهمم

ومنه قوله وقد اشار الى تحريق منازل الروم :

عبرت تقدمهم فيه وفي بلد سكانه رمم مسكونها حمم

وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طلول

لكن وحدة هذه المعاني لاتحط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل ابو الطيب المتنبي ناحية من نواحي « فتى الفتيان في حلب » فانه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد في شعر المتنبي ما نجده في شعر البحتري من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، ام كان المتنبي غارقاً في الكلام على الجماجم والغلاصم وعلى القساطل والجحافل ، فشغلته دماء لروم عن الكلام على شيء من المدامة والاوتار والنغم :

ألهى الممالك عن فخر قفلت به ... شرب المدامة والاوتار والنغم

فلم يصل الينا شيء من نعيم سيف الدولة الا هذه الصورة التي صورها لنا المتنبي فارتنا سيف الدولة جالساً في فازة من الديباج :

عليها رياض لم تحكها سحابة ... وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه ... من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به ... يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه ... تجول مذاكيه وتضحى ضراغمه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا ان المتنبي لا يقصر اذا شاء عن التصاوير المشتملة على ألوان برَّاقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر الى مذهب الصق بنفسه واعلق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على ان ما خلَّفه لنا من وصف شعب بوّان يدل على ان عبقريته قد تستهويها الطبيعة في بعض الاوقات فاذا استهوتها الطبيعة اوحت اليها خصائص الالوان فيطبع خياله مشاهدها بطوابع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وان كرمن من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحتري الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره انما هو وصف دقيق لا يخلو من روح وحياة فلما وصف الحمَّى :

وزائرتي كأن بها حياء ... فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها   فتوسعه بانواع السقام
كأن الصبح يطردها فتجري   مدامعها باربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق   مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر   اذا القاك في الكرب العظام

نفخ فيها حياة فجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق انما هو وصف الاسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الاشارة الى مهابة الموصوف :

وقعت على الأردنّ منه بلية   نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شارباً   ورد الفرات زئيره والنيلا

ولا غفل عن الاشارة الى هيأته :

متخضب بدم الفوارس لابس   في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا   تحت الدجى نار الفريق حلولا

ولا اهمل ذكر عيشته ومشيته :

في وحدة الرهبان الا انه   لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه   فكأنه آس يجس عليلا

ولا قصّر في تصوير استعداده للهجوم على فريسته :

ما زال يجمع نفسه في زوره   حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه   يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

الى غير ذلك من أسرار الوصف التي دلت على ان ابا الطيب يستطيع اذا شاء ان يتغلغل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالاً فيها حياة وشعور :

هذا شيء من الكلام اليسير على مذهب المتنبي في الوصف ، فاذا برز ابو الطيب فان تبريزه في وصف المعارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان المتنبيء شاعر الهيجاء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وامتحن الدنيا وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود عبقريته مادمنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس والى الموعظة والاعتبار والى ما يجري مجرى هذه الامور واشباهها ، لاخوف على خلود هذه

العبقرية مادامت العربية لغة كثير من الخلق ، ومادام اهل هذه اللغة يتمثلون بالابيات التي تشتمل على صور الحياة بجامعها ، كرمها ولؤمها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذلها ، وراحتها وتعبها ، وخيرها وشرها واملها ويأسها ، فلم يخطئ ابو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقرية المتنبي ، من هم الشعراء الذين اثروا في هذه العبقرية ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقرية ابي الطيب ، وهذا باب لا أحتاج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الثعالبي والجرجاني قد عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستعانوا بالفاظه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابواسحاق الصابي والاستاذ احمد بن ابراهيم الضبي وابوبكر الخوارزمي وابوالفرج الببغاء والمهلبي الوزير والسري بن احمد وابوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابو الحسن السلامي وابوالقاسم الزعفراني وغيرهم . واما الذين استعان بهم المتنبي هم ابوتمام وابن الرومي والاعشى وابونواس وعبدالله بن محمد المهلبي وموسى بن جابر الحنفي وعبد الله بن طاهر والعباس بن الأحنف والبحتري واسحاق الموصلي وابوهفان وعلي بن الجهم و يعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن المعتز وابوسعيد المخزومي وامرؤ القيس وكثير من أمثالهم فمن كان يهمه ان يعرف شيئاً من هذا الاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الثعالبي فقد شفى كل منهما وكفى و بالغ فأوفى ، اما انا فاني على مذهب الذي يقول : إلعق العسل ولا تسل عن نحله ، فسواء علي أسرق المتنبي من الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعنيني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى(١) .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيق جبري

(١) الحيوان : الجزء الثالث الصفحة ٤١ .

لغة المتنبي

- ١٥ -

اذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به ابوالطيب المتنبي ، ماهي اللغة التي كان يلجأ اليها في التصوير ، ماهي مصادر هذه اللغة ، ماهي محاسنها ومقابحها ، ولست اعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وانما أريد بها ايضاً جملة فنه ومايشتمل عليه هذا الفن من المعائب والقلائد .

اظن ان لغة الشاعر انما هي السحر الذي يسحر به والفتنة التي يفتن بها ، فلا يكون الشاعر شاعراً الا اذا احب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها ، فلا ريب في ان للغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هز العواطف وتحريك القلوب ، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية ان الدكتور «ماردروس Mardrus» ترجم القرآن بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة ، وقد تكلم على هذه الترجمة احد كتاب الفرنسيس فقال : لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم ، فاستنتج الدكتور (ماردروس) من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالا .

فهل تيسر للمتنبي ان يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمي شعره شعر اللفظ

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

قبل ان نتبين هذا كله لا بأس ان نعرف قليلاً من مصادر لغته ، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استعان ابوالطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه ، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابي نواس وكثيّر .

اما ابوتمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره ، لان حبيباً كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها و يعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البينة او كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرج خوفاً على دينه[1] .

فمرة كان يستعين بابي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصوّر بها الوان الصبح والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هذا المعنى فوصف اذربيجان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمست وليس الليل فيها باسود

فاستحسن ابوالطيب هذا الكلام فقال في وصف منبج :

فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح مذ رحلت عنها اسود

ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي تفصح عن دمع عيونه ، فقد رثى ابو تمام اسحق بن ابي ربعي فقال :

شق جيوباً من رجال لو اسطاعوا لشقوا ما وراء الجيوب

فأعجبت اباالطيب لفظة شق ماوراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يماك

علينا لك الاسعاد ان كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

وحيناً كان يستظهر بابي تمام على شكوى مشيب الفؤاد ، فابو تمام يقول

شاب رأسي ومارأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد

فما أحب المتنبي ان تفلته كلمة شيب الفؤاد فقال

الا يشب فلقد شابت له كبد شيباً اذا خضبته سلوة نصلا

وحيناً كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد بن يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر فيّ وقد يرى بنداك وهو اليّ منها تائب

فأنس المتنبي بتوبة الدهر فقال لعلي بن منصور الحاجب

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائبا

وكان ابو الطيب يستنزل وحيه في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت انت وهنّ منك اواهل

(١) العمدة : الصفحة ٨٧ .

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام

وقفت وأحشائي منازل للاسى · به وهو قفر قد تعفت منـازله

ولقد لجأ الى ابي تمام في التفتيش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن من قوله

همـة تنطح النجوم وجد · آلف للحضيض فهو حضيض

فأسكرته لفظة تنطح النجوم فقال

شرف ينطح النجوم بروقيه · وعزٌ يقلقل الأجبـالا

وعمد له في التفتيش عن الفاظ يجعل بها الممدوح في حفظ الله ، فأبو تمام يقول في المعتصم

لقد خان من يهدي سويداء قلبه · لحد سنانٍ في يد الله عامله

فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال

على عاتق الملك الأغر نجاده · وفي يد جبـار السماوات قائمه

ولم يشأ ابو الطيب ان يمر بتفخيم ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه فلما قال ابو تمام في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له · قدمًا نشوغًا في الصبا ولدودا

قال المتنبي لكافور

لبست لهـا كدر العجاج كأنما · ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا

ولما قال في اسحق بن ابراهيم

الا انّ الندى أضحى اميرًا · على مالـــ الامير ابي الحسين

قال ابوالطيب في بدر بن عمار

امير امير عليــه الندى · كأن له منه قلبًا حسودا

اما البحتري فقد كان يأخذ عنه المتنبيء الفاظ الغزل ووصف الطبيعة لرقة ابي عبادة فلما اراد ابوالطيب ان يجد صفة للعين عرض على خاطره بيت البحتري :

لو كان في جسمي الذي · في ناظر يك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أعارني سقم جفنيه وحملني من الهوى ثقل ماتحوي مآزره

ولما أراد ان يجعل للاماكن لوناً من الألوان تذكر قول البحتري :

في كل مشرقة حصاها لؤلؤ وترابهـا مسك يشاب بعنبر

فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوية :

وليلاً توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر في المرافق

بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبنه للمخانق

ولما أراد ان يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فالبحتري يقول في وصف البركة :

كأنما الفضة البيضـاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

والمتنبي يقول في وصف دار كافور :

ولو ان الذي يخر من الأمواه فيها من فضة بيضـاء

وربما لجأ ابو الطيب الى البحتري في التنقيب عن الفاظ تسير بهـا الأمثال فلما قال المتنبي :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البنـاء على فساد

نظر الى بيت البحتري :

اذا ما الجرح رمّ على فساد تبيّن فيه إفراط الطبيب

واما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس او صفة من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا تنكرن لهـا صرعة فمن فرح النفس مايقتل

ولما أراد ابو الطيب ان يجد صفة للفكر لم يجد غير الانقاد فقال :

أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وهذا الاتقاد اقتبسه عن ابن الرومي :

أخشى عليك اتقاد الفكر لا حذرا

واذا نظرنا الى اخذ المتنبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي تدل على هيبة الممدوح واتساع مناقبه فلما قال المتنبي لكافور :

يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

خطر بباله قول ابي نواس :

كأنما انت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

اذا بدا حجبت عينيك هيبته وليس يحجبه ستر اذا احتجبا

تذكر قول ابي نواس :

ان العيون حجبن عنك بهيبة فاذا بدوت لهن نكّس ناظر

اما كثيّر فقد كان يأخذ عنه كلمات النسيب ، فمن شعر كثير :

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جارح

وهذا البيت اوحي الى ابي الطيب قوله :

راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

***

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المتنبي ولا يتسع المقام لاستيعابها وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبو الطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ، يمشي على آثاره في الفاظه ، ويصب على قوالبه ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ، وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعدي[1] أفكان ابو الطيب يميل الى الشيء من البديع تحدياً لابي تمام ، والصحيح ان اباالطيب استرسل في البديع ففي شعره كثير من الاستعارة

(١) الوساطة : الصفحة ٣٢٠

والتمثيل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة ·

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب(١) فلا مندوحة للغتنا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعتقت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لاتهز المخيلة فاذا أحببنا ان نهز هذه المخيلة وجب علينا ان نبدع اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي يبقى من النار الخامدة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفخون في هذا الرماد حتى يتلهّب فلننظر في قسم من بديع المتنبي ·

من صور المتنبي ، الترديد :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا   قلاقل عيش كلهن قلاقل

ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها   أسد تكون له الاسود ثعالبا

ومن صوره التقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل علّ سلّ أعد   زد هشّ بشّ تفضل أدن سرّ صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيجا بن حمدان يابنه   تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث   وحارث لقمان ولقمان راشد

ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه   لما اتى الظلمات صرن شموسا

الى آخر الابيات ·

من هذه الأمثلة القليلة يتبين لنا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٧٧ ·

تقليده ابا تمام في النهج الجديد .

والى جنب هذه المطاعن مطاعن كثيرة نبّه عليها الائمة في القديم وفي طليعتهم الثعالبي فلم يتركوا في هذا التنبيه مجالاً لقائل ولو أعملنا الروية في بعض لغة المتنبي لتحقق عندنا ان جملة مقابحه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه المقابح في بشاعة الابتداآت :

آحاد ام سداس في آحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتبيت تسئد مسئداً في نيها اسآدها في المهمه الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور .

ام في التفاصح بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخش والتوراب .

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجرّدة من الصور كالجوهر والملكوت واللاهوت واشباه ذلك .

أظن ان هذه المقابح كلها اصلها فساد مسامع المتنبي فكأنّ ابا الطيب لا ذوق له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض التوقف رجّع بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انتهى منها (1) وفي هذه الرواية دليل على تعبه في الشعر واكثر الذين يتعبون في الشعر

(1) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٤١ .

يعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلى م كان ابو الطيب يلجأ الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه ٠

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي مالقي ولاحيث وقع(١) فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الابيات ، فالى جنب هذه المساوئ اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشر بعدُ كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وساطته واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساوئ كلها قلائد وفرائد بزّ فيها من تقدمه وايأس منها من تأخر عنه ، فما اصح ماقاله الثعالبي في تفاوت شعره :

« يجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط فبيناه يصوغ الخرحلي ويظم أحسن عقد وينسج انفس وشي ويختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تعويص اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بالسنة الطاعنين فمن متمثل بقول الشاعر :

انت العروس لها جمال رائق   لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه اياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر ٠

هذا ما قاله الثعالبي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اكابر الشعراء فقليلاً ماتتناسب قصائدهم وقليلاً ما تطرد حسناتهم وبينا ابو الطيب يقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول نزالنا   فتلقي الينا اهلها وتزول

---

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ٨٧ ٠

اذ يقول :

أغركم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش اكول

فلست أدري ماالفرق بين قوله : علي شروب .... وبين قول العامة في القوي الذي لا يبالي بالضعيف : يأكله اكلاً ، فقد اثر ابو تمام في المتنبي تأثيراً حمّله فيه كثيراً من سيئاته فان هذه الكلمات : شروب ، اكول اخذها المتنبيّ عن ابي تمام نفسه من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت اكيلا للمنايا في ظله وشريبا

وبينا نجده يقول :

اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجّل التنكيد

اذ يقول :

لامة فاضة أضاة دلاص أحكمت نسجها يد داود

فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا الكلام .

ولكن قلائد ابي الطيب غطت على هذه الهفوات فلم تذكر له سيئة الا ذكرت له حسنات فلئن قبح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى الممالك ما يبنى على الاسل

ولئن عوص بعض شعره فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الحضر ، غذيّ المدر ، مما يتمثل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمع اذكر منها قوله : مشى عليهـا الدهر – شبيبة الزمان وهرمه – يمج ظلاماً – مكرمات مشت على قدم البر – دمع الحزن – دمع الدلال – دموع تذيب الحسن – نبتوا تحت ربابه – نسج النقع عليها براقع – القت دماء الروم طاعتهـا – الى غير ذلك من آثار اللغة الشعرية ·

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة للموصوفات كل المطابقة لاتشبه الصفات العامة التي قد تطلق على كل موصوف دون شيء من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحمراء – الحسب الاغر – الرشأ الربيب – المروج الفيح – لجب الوفود – الارض الواجفة ·

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا تشبه لغة المتنبيء لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا فغنوا ، فلا يدخل ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين البحتري مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبيء لا يسحرنا بالفاظه ولا يفتننا بلغته الشعرية ، ومع هذا فاننا لانجو من سحره وفتنته فهو كالملك الجبار تهولنا جبرياؤه فيسلبنا مشيئتنا فنذعن لسلطانه سواء أعدل ام عسف ، اوكالصورة الحسنة في جملتها القبيحة في بعض نفار بقها ننظر الى جملة ألوانها فتحسن في نظرنا ونتأمل في بعض نفار بقها فتغطي متاعة الجملة على شناعة النفار يق فلا نبالي بالقبح اليسير الذي يصحبه حسن كثير ·

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعفّر في نجـد فوارسها بسيفه وله كوفان والحرم

ومن هذا النوع قوله

قائدو كل شطبة وحصان قد براها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عرّست فيهـا فليس تقيل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبنّ ركابي نحوه أحد ما دمت حياً وما قلقلن كيرانا

وقوله

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فالتصغير والبري والقلقلة الفاظ يكررها المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر غيرها من الألفاظ وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألفاظ او وحدة الأسلوب .

قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بجامع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان ننفلت من تأثيره ، فقد قالت ان المتنبي انما هو شاعر الهيجاء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اهتدى اليها ابو الطيب وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بدّ

فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزويق وانما تزويقها في حقيقة تعبيرها وسهولته والألفاظ التي تفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهراً قبل في القلل

فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدة تمثل شيئاً من اتقاد الهيجاء ولهيب نارها والمتنبي لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى الذهن قبل الألفاظ ومرة تتوعر فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحيناً تملي عليها الحضارة مألوف الكلام ومعتاده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحيناً تلهمها البداوة من وحشي الالفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجفى الأعراب طبعاً ، هذه خصائص لغة تارة تبرز انما مجردة من كل صورة معرّاة من كل نقش ، وتارة تختال في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذيك رثاثتها في بعض الأحيان و يرضيك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة يصورها صاحبها دون شيء من حشد الخاطر وتكلف الصناعة بحسب خلو الجو من التعقب والتهيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الحمل على القريحة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا حلّقت في سماء فلا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوئ فكان هذا الاختلاف عنوان عبقريته وعلامة خلوده ٠

قد تهزنا في المتنبي محاسن شتى أذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص وحسن التقسيم وسياقة الأعداد والابداع في التشبيهات والتمثيلات وافتضاض ابكار المعاني ، وقد تؤذينا في هذا الشعر مقابح متباينة أشرت الى ما تيسر لي منها لكن هذه المقابح لا تعفي على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي وفي شعره شيئًا لا أدري ما هو ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهوينا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي صورة الشاعر الجبار ٠

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

— ١٠ —

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقيما بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنها اذ ذاك (١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فتلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهر البلد فحمل اليه ابن مكتوم كل شيء من الالطاف والهدايا فقال له يوماً والله ما وردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجتراء (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك واشاروا عليّ بهذا ولكن قد استحييت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم نحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد على ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه ان يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض عليّ وليس لي اليه ذنب يقتلني به احب اليّ من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

«١» في بعض المواضع جاء ابومكتوم . «٢» بالاصل فلمه . «٣» لعله الاحتواء .
«٤» م . ع : كذا في الاصل والاولى وتخليفي جيشاً او تخليف جيش .

به فانه يظن اني واظبت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تجيئني بعد وقعة يحدس (٢) فيها رجل ولم يبرح واخلد الى خدمته العظيمة فنفعه ذلك وتخلص قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان فتح (٣) هذا البلد الذي اقصده ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك وفتوتك فنعود العشية الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى حضرته فاجلسنا في فازة (٤) بهنسى (٥) لم أر قبلها مثلها حسناً في صدرها سدة ابنوس مضببة بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر جداً وبين يديها بساط جهرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني ومخادّ وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . «٢» م . ع يقال حدس الشاة اضجعها ليذبحها وحدس بالشاة ذبحها وحدس بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن يخدش . وهي ابلغ .

«٣» م . ع : الظاهر افتح .

«٤» م . ع : الفازة بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر والجمع فاز وقال الجوهري والفازة مظلة تمد بعمود وفي القاموس بعمودين. «٥» م . ع بهنسى كورة بصعيد مصر . ولعله فازة بهنسية . قال المقدسي يصنع ببهنسة الستور والانماط . «٦» جهرم مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة « ياقوت » .

«٧» م . ع لعله كثيراً او كبير .

زرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام مالم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قال وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب وكوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفازة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس واباريق فضة ومجامع فضة فغسلنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الاصاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فازة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الاترج والبطيخ والدستبو «٦» او غير ذلك قال فدهشنا وتحيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس «٧» الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بعددنا يروحون وغلمان أخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

«١» م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . «٢» م . ع لعله المحلاة .

«٣» م . ع المجامر والاولى المحلاة .

«٤» لعله سقط : سدة . «٥» لعله طاولة .

«٦» م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شمامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . فالدستبو . منها . «٧» م . ع القُدُس والقُدْس قدح يتطهر به والقَدَس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور وقدح بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مدافات (٣) بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من العنب مما يعمل في جبل عمان لم نظن انه يكون في تلك (٥) بحسنهـا وطيبهـا فاختار ابن مكتوم نبيذاً منها فملئت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجرى يوسف حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته هذه قال فاخبره أن له الفي غلام اتراك (٦) واربعة آلاف بغل والفي جمل قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال وسبب خرج لم اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركن . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الخمر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي محرفة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع. «٤» م . ع جاشنكير كلمة فارسية معناها ممسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه ويطلق على صنف من الجند يقوم بخدمة المائدة في الولائم ويسمون بالعربية الندل من ندل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ على نوع من الآنية لانه يمسك الخمر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : النواحي .

«٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا اردت انما اردت الذخائر والجواهر وما يخف وبالجملة (١) الملوك (٢) معهم محملا لطيفاً اذا احزبهم(٣) امر قال فقال ابن مكتوم لا اعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان المقتدر قد وصل اليه فقال وما الحبل قال فص ياقوت احمر فيه خمس مثاقيل الا اني ابتعت له جوهرتين بمائة وعشرين الف درهم فقال قد انست بك واقتضى ان أريك ماصحبني في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بغلام وقال امض فهات الربعة(٤) الفلانية قال فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منهن مفتاح ذهب وتأمل اولاً ختم الربعة ثم فتحها بالمفتاح واخرج الينا قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة خاتم يواقيت وفيروزج وعقيق لم نر مثله فارانا اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال فتركناه ثم اخرج الينا عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها على قدر بيض الحية والعصفور فدهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في خزانة خالي احمد بن هليل وخزانتي من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر الينا يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

«١» م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملوك او محرف عن ما يجعله . «٢» لعله سقط : يحفظون .

«٣» م . ع كذا في الاصل والمعروف حزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتدعليه .

«٤» م . ع : الربعة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع فيه اجزاوءه . «٥» م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرج على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلا لطيفاً فحله واخرج قطناً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسلمه الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدما(١) في الطول والعرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه اين هذا يابا مكتوم (٢) من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربعة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبرئ من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي عما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع (٣) عنبر فوضعت تتقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانفذ ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يتوجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم وردها يوسف فلما وقف

«١» م . ع كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .
«٢» كذا بالاصل والصحيح يا ابن . «٣» م ، ع : لعله بشموع .
«٤» م ، ع : يقال توه نفسه حيرها وطوحها . «٥» كذا بالاصل .

على الكتب تذكر عهد ابي مكتوم وذكره بالجميل ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ الى ابي مكتوم هدية قيمتها مائة الف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ الى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع ابي مكتوم — عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل اليه ذلك .

حدثني ابو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من اهل قم قال ورد الينا وصيف كأنه اسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم اقبل يسأل عن امور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخه الى ان انتهى في السؤال الى رجل لم يكن جليلا ولا مشهوراً ولا عرفه منا الا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من امره ويسأل عن معيشته واولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني اياه احضاراً جميلا فإني اكره ان انفذ اليه من يستدعيه فاروعه قال فاحضرناه اياه فحين وقعت عينه عليه قام اليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) اعيننا وقلنا جاهل لامحالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجيب جواب ضجر باهت معظم لماعمله فقال له احسبك قدأنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الامير ايده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

«١» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .
«٢» م . ع : المعروف سقط من اعيننا . «٣» بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحملني الى قم واسلمني مع ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن التربية وفعل بي وصنع وجعل يعدد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ملكته حتى انه مايتأذا (٣) منه قط ولا ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي الدراهم لشهواتي ويعطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صبياً كلما وقع بيدي شيء جمعته عند بقال في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأل عنه فقيل هو باق فلما بلغت واشتددت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن اليّ ولا يعترض في شيء اريده عليّ قال واتفق ان بعض الجند رآني فقال هل لك في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملكني ولكن اشتري لنفسي دابة

«١» م . ع الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا م . ع كذا في الاصل ، وجعل يعدد له بابا ذكره . ولعل اصله يعدد ما شاء ذكره او يعدد لهم مآثره .

«٣» م . ع كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م.ع : المعروف كفه عن الشيء ويحتمل ان يكون الاصل ويكفيني من شهواتي

وسلاحاً واتبعك غلاماً لك مالكا لنفسي فمتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فجئت الى البقال فحاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعي دراهم وصحبت الجندي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان باسرها وتقلبت بي الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسألته ان يبيعني نفسي قال فاكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله والحمد بولائه وافتخر انا وعقبي بذلك قال فقال ياغلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسلمه الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات مايزيدقيمته على قدرالمال ثم استدعى ابنه فاحضروا كرمه وتطاول (٢) له ووهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال ووهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هـذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لاتحل شيئاً فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت الينا وقال يامشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخي وماعلى الارض اهل بلد أحب اليّ منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» م ع الظاهر ان الاصل ، واخذت آلتي اي اداتي ومتاعي او : اخذت ألتي اي سلاحي «٢» م . ع يقال تطاول عليه اي تطول وتفضل وتطاول الرجل تمدد قائماً .

وبيني الا فيما حظرته الديانة وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق قال ثم سأل كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبل في عيوننا نبلا شديداً وانقلبت المواكب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج والى ابنه فصارا رئيسي البلد ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ان وصيفاً لما ولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويتحبب الى العامة جداً حتى كان يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم قالوا وما رأينا اميراً اعقل منه واقد رأيته يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق راكباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكرية (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال فرأيته وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزحمه به فجاء بعض من كان معه ينكر ذلك وينحي الرجل فنظر اليه نظراً شزراً جزع معه الغلام ونحى

«١» لعله: فيها. «٢» م ، ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكر.

وتركه والحائك قال فرأيته قد تجمع في مكانه ووسع للحائك حتى قاموا للصلوة .

بلغني من جهة وثقت بها عن ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج قال لحضرت مجلس ابي القاسم عبيد الله بن سليمان وابو زنبور الكاتب يعذله في افضائه الى ابي العباس بن الفرات وتفويضه الامور اليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك الى ان قال له الناس يقولون أيها الوزير انك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله انا يتيم في حجر كل كاف

حدثني بعض اخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) ابو احمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت ابا علي بن مقلة الى بغداد واستكتبني كان يتعمد نفعي بكل شيء ويوصل اليّ أموالا جليلة فلم اكن أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي في القيان والشراب واتلفته قال فهويت جارية في القيان صفراء (٢) واشتهر امري معها وانفدت كل كسبي عليها حتى بلغ ابا علي وكان يعذلني ويوبخني ويمنعني من مفارقة حضرته وان اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت الى بيتي وقد حصلها غلامي واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظراف والشراب الفاخر قال

«١» معجم الادباء ٥ : ٤٤٤ «٢» عند ياقوت ان اسمها مهجة . «٣» لعله : اخلو. م . ع الصواب ما في الاصل يقال اخل بالمكان وغيره اذا غاب عنه وتركه. «٤» لعله التحائف م . ع . الظاهر انها محرفة عن التحايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان يزين به مجلس الشراب فاذا دخل داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيوه به . ومنه قول

فشربت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنية على ان كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء تحركت عليّ واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء وابا كر الخدمة في غد واسأل قبول عذري. قال فعاد اليّ الجواب بخط ابي علي بن مقلة في اضعاف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه ياهذا ظلمت الصفراء انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزاك في التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك منديلا مختوماً فاستغن (١) بما فيه قال ففتحت المنديل واذا فيه رطل ند وشيء كثير من الكافور والمسك ومائتا دينار عيناً .

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المنجم لنفسه في معنى الصفراء بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:

قال الطبيب وقد تامل سحنتي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء
فعجبت منه اذ اصاب وما درى قولا ومعنى (٣) ما اراد خطاء

حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصبية خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول العفو

النابغة (يحيون بالريحان يوم السباسب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك «١» الاظهر فاستعن بالمهملة
«٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً . «٣» في المعجم وظاهر .

العفو يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا فضحتنا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا تصيح تحمّ ساعة من ليلة فتصيح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لاتجلد عليه.

قال فأتي بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قال فتسلمهما وخرج فوقف المحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه الغلط (١) فيه لا يتلافى قال فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واتي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث. فقال له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) السياط فأحضرت وامر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجعه الضرب قال له يا امير المومنين اتق الله قد حكمت عليّ بخلاف حكم الله تعالى وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م . ع كذ في الاصل . ولعل اصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى . «٢» م . ع تقدم ان المعروف هاتوا . والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر .

الا بحقهما وحسابهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى ا كفر فمقتني قال فخجل المهدي وعلم انه قد اخطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الاهوازي قال حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره يدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كاتب السيدة يطالبني وابا يحيى الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممتنعون الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا امراً عظيما فكدنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت لابي يحيى يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لنتفكر اذا انصرفنا كيف نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجره ابو يحيى الى المحادثة واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيى قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف لابي يحيى افهمت يقول ابو يحيى لا فيعيد الحديث ويخرج منه الى حديث آخر قال فلم يزل كذلك حتى حمي النهار وقربت الشمس من موضعنا فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالعقد فقلت له انه قد حمي النهار وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورفقنا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا

« ١ » لعله بالساعات. « ٢ » لعله ابو يوسف البريدي. « ٣ » بالاصل محداً ماطس.

« ٤ » م.ع يقال رفق به اذا تلطف وألان جانبه ويحتمل ان تكون ورقنا له . اي زينا الكلام وحسناه .

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبتدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكننا نباكرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفينا امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمال متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شيء منها وكنت انا وجماعة من التناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهاب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تخلو بهذا الرجل وتبذل له مرفقاً وتكفينا اياه قال فجئته وخلوت به وبذلت له مرفقاً جليلا فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام ياهذا الرجل انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزيل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صُرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين اوثلاثة فتكون قد اهلكتنا وأثمت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفى ويجيء غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبذل

«١» لعله تزيد. «٢» م. ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار واني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني (١) من لس (٢) وقع لي انه قدوقع هذا قال فقد ثبته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم (٤) اليه رقاع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قال فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وعا (٧) ورد عليه فاوهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة.

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المومن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشحذ فكان يعلمهم مايعملون فسألناه عن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بهـا ثم لبست زي راهب وخرجت الى سر من رأى وبهـا قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر (٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيدا بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

«١» م . ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ اونحو ذلك
«٢» لعله حيث . «٣» م . ع ذكرت قبل بصيغة المفرد . والمرفق ما ينتفع به .
«٤» م . ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه . «٥» لعله خطه .
«٦» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشعرني . «٧» لعله : ويخبرني بما
«٨» م . ع الصواب المكدين بياء واحدة . «٩» العُمر الدير كما في معجم البلدان

وكنت نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه قد دخل الى نمري فدعاني الى الاسلام فأجبته فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لاسلم على يديك قال ففرح التركي فرحاً عظيما شديداً ولم يحسن ان ياخذ عليّ الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت الزنار واسلمت بحضرته قال فوصلني ماقيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم والثياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم بزي الرهبان وقلت له كما قلت الاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فاما كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم واتفق انه كان عنده دعوة فيها وجوههم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت عليّ القيامة فلما فرغت من حديث الروءيا واظهرت الاسلام على يد التركي وامرلي بالجائزة وخرجت أتبعني ذلك القائد بغلامه فلما بعدت من الدار قبض علي وحملني الى منزل التركي الاول فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذلت للغلام جميع ما كان معي ليدعني انصرف فلم يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يابا حصات (١) انسخر بالاتراك واحد واحد(٢) وتاخذ دراهمهم قال فقلقت فزعا وقلت ياسيدي انا رجل صفعان (٣) فقير مكد وانافعلت هذا لآخذ شيئا قال فقال لي اظننت

«١» م. ع لعله حلمت من الحلم وهو الروءيا. «٢» م. ع كذا في الاصل.

«٣» م. ع اي رجل يصفع

اني افضحك في بلدك ما كنت بالذي فعل وقد جازت السخرية عليّ حتى تجوز على الجماعة كما جازت عليّ ولكن البس انت. قال فطايبه وتصفعت له فضحك مني واستدعى بالنبيذ وشرب ولاعبته فاستخف روحي وحبسني عنده وخلع عليّ واعطاني دراهم ودعا جماعة من قواد الاتراك وخرجت عليهم في زي الصفاعنة فمطمطوا (١) عليّ وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا قال فأخذت منهم على تلك الحال مالا ثانياً جليلا وانصرفت الى بغداد فابتعت به عقاراً منه اعيش الى لآن.

تم الجزء الثامن

«١» م . ع المطمطة حكاية صوت المجان اذا قالوا : عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوماً — واختلاط الاصوات وتتابعها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

— ٥ —

« الحصرم »

الحِصرِم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً · ابن سيده الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين تنبت عن ابي حنيفة وقال مرة اذا عقد حب العنب فهو حصرم · الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض · ابو زيد الحصرم حشف كل شيء · وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً · وقال الأصمعي الحصرم ماطال من نبات العنب شيئاً · وقال ايضاً اذا لم يرو الغصن من الكرم وخرج حبه ضعيفاً متفرقاً فهو الحصاصة والحصرم ·

وحصرم كل شيء حشفه · ومن امثالهم تزبب قبل ان يتحصرم · ويقال حصرم الكرم · العُقَيلى بضم العين وفتح القاف المشددة الحصرم · عقّل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَيلاه ·

الكَحْب بالفتح الحصرم واحدته كحبة لغة يمانية · وقد كحّب الكرم تكحيباً اذا ظهر كحبه اي عنقود حصرمه · وكحّب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد تفقيح(١) نوره كذا في اللسان وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه ·

الكحم لغة في الكحب واحدته كحمة · وفي اللسان وقد كحب الكرم اذا ظهر كحبه · وهو البَرْوَق(٢) والواحد كالواحد ونحوه في التاج ·

الحثن(٣) بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الذر واحدته بالهاء

---

(١) فقّح الورد اذا تفتح وفقح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه وكل نور تفتح فقد تفقّح وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار ·

(٢) البروق كجعفر مايكسو الارض من اول خضرة النبات · وشجر اونبت ضعيف يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأى السحاب · والعرب تقول أشكر من بروقة · وأضعف من بروقة ·

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والمخصص بفتحتين : الحثن ·

هكذا في اللسان والتاج . وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحثن . وقال ايضاً واذا تجرد الحثن وعقد حبه فهو حصرم .

الغَضّ قال في المخصص والغض (١) من صفات الحثن وقيل كل ناعم غض وغضيض بين الغَضاضة والغُضوضة . وقيل هو غض من حين يعقد الى ان يسود و يبيض . وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج .

المحمّض الحامض من العنب اي من أخضره . وحمّض العنبُ .

« حب العنب وعجمه »

تقدم ان الحبة تستعمل في اشياء جمة فيقال حبة من بر وحبة من عنب وان الحُبَّة كثبة حبة العنب ايضاً (٢) وقال الاصمعي الحُبَّة الحب الذي في جوف الحبّة من العنب . وقال : حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .

العَوْز بالفتح حب العنب واحدته عوزة .

الهُبْر والهُبْرة حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر .

العُجْد والعُنْجُد حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه . وفي التاج العجد بالضم الزبيب وحب العنب وبفتح كالعنجد والعنجد . وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب كالعنجد . وعنجد العنب صار عنجداً . وحاكم اعرابي رجلاً الى القاضي فقال بعت به عنجداً مذ جهْر فغاب عني . الجهر قطعة من الدهر .

الأصمعي عن الخليل الفرصِد والفِرصيد حب الزبيب والعنب . وهي لغة اهل الطائف . وفي اللسان الفرصِد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العنجد ايضاً

---

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ما وقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من الخطإ والتحريف .

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كثبة . وفي المخصص ويسمون ايضاً ما في جوف الهَبْرة الخُبّة ضبط فيه بالشكل لهبرة بفتح الهاء وضريح القاموس انها مضمومة وضبط الخبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعني ولعلها الحبة بالحاء المهملة .

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة اخواتها من الحب فنتأت وظهرت وارتفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كأن عينه عنبة طافية فسرها ابوالعباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .

الخَدَلة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش . والجمع خِدال وخدالتها استدارتها كأنها طويت طياً .

الحَمْنان الحب الصغار بين الحب العظام ونوع من العنب وسيأتي .

الهُرور الهُرْهور بالضم فيهما ماتناثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت سروغها بقطوفها فسقطت أهرارها فأكلت هُرهورة فماوقعت ولاطارت (الجفنة الكرمة ، والسروغ قضبانها ، والقطوف العناقيد . ويقال لما لاينفع ماوقع ولاطار) .

وفي المخصص الهَرْهور والهَرور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط فيه الهَرور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن قال في التاج ضبطه الصاغاني بالضم وزاد والهرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي الهرور والهرورة والهرهورة قال وهو ماتساقط من الكرم من عنبه الردي . وهرَّ يهُرُّ هراً أكل هرور العنب .

الجَثيث ماتساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فراخ النخل ولم يغرس من النوى . وقيل الفسيل واحدته جثيثة . والجَثِيَّة والجِثاث بكسرهما حديدة يقلع بها الفسيل . والجَثّ انتزاع الشجر من اصوله .

القَثيث مايتناثر في اصول شجر العنب .

الرُّوَاء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمر .

وَمَرَق حب العنب يمرُق مروقاً انتشر⁽¹⁾ من ريح او غيره .

الخُراطة بالضم ماسقط من العنقود حين يخترط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه اخترطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عارياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

(١) كذا في اللسان وفي التاج انتثر .

اذا اجتذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابعك حتى تنقيه من عوده وذلك الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة ·

العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره · وفي الأصمعي وقشرة الهبرة اذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة ·

و يقال ماذقت أكالا ولا لَماجا ولا شَماجا (١) اي ما أكلت شيئًا واصله ما يرمى به من العنب بعدما يؤكل · والأكال مايؤكل والأُكُل بالضم ثمر النخل والشجر وكل مايؤكل فهو أُكل وآكل الشجر والزرع اطعم ·

الشحم ككتف من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء · وفي كتاب الاصمعي تقول العرب في العنب انه لشحم اذا كان ريانًا (٢) ·

الضمير كأمير العنب الذابل · ضمر فهو ضمير وذلك حين يتغير وفيه الماء · يقال اطعمونا من ضميركم · وقيل الضمير ماضمر من العنب فليس عنبًا ولا زبيبًا · وفي المخصص اذا ذبل العنب سمي الضمير فينضد في الجرين خصلة خصلة فاذا جفت اعاليه قلب فاذا جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثفاريق ·

الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف التمر ·

و يقال أَقْلَب العنبُ اذا يبس ظاهره فحول وقلب (٣) ليبيس باطنه و يقال جَبَذ العنبُ يجْبِذ اذا صغر وقف · وفي الاصمعي ربما كان العنب جابذاً وقد جبذ يجبذ اذا كان صغيراً مشققًا وقف ورقه · وفي المخصص جبذ العنب يجبذ اذا كان صغيراً متقففًا يعني منقبضًا · « للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العربي

---

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم ار من ذكر شمج · ولعلها محرفة ·

(٢) كذا في الاصل وصوابه ريان · (٣) يقال قلب الخبز ونحوه يقلبه قلبًا اذا نضج ظاهره فحوله لينضج باطنه واقلبه لغة ضعيفة · وأقلبت الخبزة حان لها ان تقلب والمِقلَب كمنبر الحديدة التي تقلب بها الارض للزراعة ·

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٩ -

حرث الارض على اشكال منها شكل يسمونه في بلادنا « النقب » وهو ان تكون الارض حرجة اوغيلاً اوعيصاً اومرجاً اومواتاً لم تعمر بعد فتقطع أشجارها وتكسر اوتنقل أحجارها ثم تحرث في عمق اربعين سنتيمتراً على الاقل وقد يبلغ المحراث اوالمرستين سنتيمتراً أحياناً · فشق الارض المذكورة لاتخاذها حرثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الخَرْق يقال خرق الارض خرقاً شقها للحرث (اي لجعلها حرثاً وهي الارض المصلحة للزرع) ·

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي قراحاً طيباً صالحاً للزرع مثل قطع الشجر وحرق الشوك وابادة الاعشاب بالحرث وتفتيت الصخور بالبارود اوالديناميت تسمى احياء الارض واعمارها و بالفرنسية (Défrichement) ·

والمواد التي يضيفها الأكارون الى الارض على قسمين الاول يراد به تزييد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزدرع ويغزر محصوله · والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها سعياً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات · فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والدبال) والاسمدة المعدنية والكيماوية وامثالها · ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما ·

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والدبال والسرجين فهو الزَّبْل والدَّبْل والسرجنة [1] وهو بالفرنسية (Fumer) · واما اصلاح الارض المندمجة فهو الدَّمْل والدَّمَلان · فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالدَّمال أصلحها به وذلك اذا كانت مدرتها لازبة مستحصفة فدملت لتسلس وترخو على عروق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما أصلح ما يكون للفظة (Amendement) الفرنسية ·

(١) انظر مادة دَمَل في القاموس ·

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراصفة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكتنز والمتداحس والمتراصف الحب و بالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشلشل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe làche) .

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنابل الحنطة مثلاً اذ منها السنابل المكتنزة والمتداحسة والمتراصفة الحب ومنها على العكس السنابل المتشلشلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما .

وتكون حبة العنب في بعض أصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحاء . فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشَحِم و بالفرنسية (Raisin charnu) .

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمونه (العومي والعواس) وهو اكثر الأصناف انتشاراً ويظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها و يبلغ رأس منخرها أحيانا . والصوفة متينة مرنة جداً ربما دقت فلم يزد ثخنها على ١٠ — ١٥ في الالف من المليمتر .

والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ، ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدنيتهم فيها واستعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في انحاء اوربة وافريقية والشرق العربي . ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين . وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها . ومن صوفه تصنع نُسُج الجوخ الدقيقة الحوك .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة ، ألف من بعض أعضائه لجنة لتصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسير موجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر ، ولم يكد يصدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما علقناه على الكتاب من تأويل وتفسير ، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم ، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنتها نقداً وتخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمؤاخذة حتى شملت مؤاخذتها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشئ عن سقوط الحروف وتكسرها وهي مما لا دخل له في عبارة الكتاب ، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطّراح النظر في النقد بالجملة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصلي من جهة — ولنبين من جهة ثانية عادة نساخ ذلك الزمان في كتابة مايكتبون ، وقد اعتاد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها ، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (يكنى) هكذا (يكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطإ الإملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنتقدون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القارئ . فيأتي احد المعترضين ويذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجحه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذَكَرَه احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعتنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد ما اعتمدنا . على اننا لا ننكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نبهنا عليه في مقال خاص نلحقه في كتاب النشوار بعد تجريده

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به الينـا الفاضل السيد رشدي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته .

« لجنة التصحيح »

* * *

وهذا نص ما أرسله الينا :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزءين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة الـ ١٥ : « وتقلد ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلقت المجلة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل . وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن مجيء كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذاك العصر كانت تطلق على احد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة الـ ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة » .

(٢) جاء في السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجدّ الموفق ، وانفذ اليه المعتضد في الجيش » . وقد علقت المجلة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمجيئها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربته او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جدّ وجد » .

(٣) جاء في السطر الـ ٤ من الصفحة الـ ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار — على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » . والجملة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علقت عليها المجلة بانهـا هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء . وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطإ الناسخ ولو حذفت لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف .

(٤) جاء في السطر الـ ٣ من الصفحة الـ ٨٩ ما يأتي : « فوعدته بها وادفعه اياماً » . وقد علقت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعته) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول : تأبط شراً :

فأضربها بلا دهش نخرت ضربها لليدين وللجران

(٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من اصحابه كثير احد » وقد علقت عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثير ين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ماتستعمل بمعنى جماعة بعد النفي و يراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فما منكم من احد) من جماعة ، (لستن كأحد من النساء) كجماعة من النساء[1] .

(٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة الـ ٨٩ : « والقارية ساجة عظيمة » . و يغلب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلى به الخشب صيانة له عن الرطوبة و يظهر انهم كانوا في ذاك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .

وحبذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الرواميز فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان لتصاون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة الـ ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « اكشف » بصيغة المتكلم .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٧٩ «لاتهلكي جذعاً» بالذال والصواب «جزعاً» بالزاي .

وفي السطر التاسع من الصفحة الـ ٧٩ « ديون المغرب » والصواب « ديوان » .

وفي السطر الثاني من الصفحة الـ ٨٢ «وقيع» بالواو والصواب «رقيع» بالراء .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ما عمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش » .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة الـ ٨٦ « فأقبل عليَّ صاحب الديوان » بتشديد اليـاء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .

وفي السطر الـ ١١ من الصفحـة الـ ٩١ « عرضون عمالهم » والصواب « يعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هـذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القارئ فوائد شتى في الادب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو مرآة جلية لاوضاع الحكومة في ذاك العصر وأحوالها وطرز ادارتها ·

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم (١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب · و يظن ان خزانة لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب همدان وبكيل) وقد اكد له الامير احمد اخو سلطان لحج ان مخطوط الجزء الثامن منتشر جداً في اليمن · وبما ان الاستاذ كرينكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر استنساخهما وانه لاحظ ان الهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبوريات) ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ كرنكو · وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحماد · والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث دوّنت بامر عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدلبرغ) بالمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ هـ وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب في ذاك التاريخ · وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن مروان وفيها بيان الأسمار وقد أوردها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية · ويحوي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند · وسيصدر الاستاذ قريباً كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري · وقد عثر في مدينة (لكهنوء) الهند على نسخة نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي ·

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتبار

« لأسامة بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »
« في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لناشر هذا الكتاب وهو من اعضاء المجمع العلمي العربي واحد أساتذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق لمختصره عبد الرزاق الرَّسعني ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لايعدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتد حاجة العلم والأدب الى احيائهما . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائدته قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النحاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عدَّ بها من الامهات التي لايستغنى عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندري السبب الذي حمل محرره على نشره ثانية بعد ان أحياه بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرتويغ درنبورغ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورغ .

لا جرم ان في خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حرية بالنشر لمن أراد الخدمة اكثر من نشر كتب تافهة او اعادة ماطبع منها . وقد قدّم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائد كتابه المعجب الذي حوى صورة بديعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودوّن فيه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الافرنج وفروسيتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيه أقاصيص وخرافات وغرائب ونوادر ، وألمّ بصيوده ونزهاته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليجعل طبعته على

أسلوب جديد . اما ماسها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقلّ عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البيان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كان السوريون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها لعهدنا ، وقد رأينا كيف يجوّد اهل الاختصاص من المصريين تآليفهم بحيث تجيء متسقة جيدة النسج والوضع . وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعسى ان ينشر الاستاذ حتّي بعد الآن من مؤلفات العرب ما نفاخر به جامعة برنستون ، وان يحذو حذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم تتعلق هممهم باحياء اثرانا . فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفورنيا بعناية العلامة پوپر كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونيغ ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة يال بعناية العلامة فوري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نافعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كان مدفوناً من أسرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية . ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين تافهين وآخر سبق غيرنا فعني بحل طلاسمه . م . ك

نور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية » تصدرها مشيخة الازهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين . وقد حوت هذه المجلة ابحاثاً ونبذاً علمية ودينية تنير الفكر وتلقن لباب الدين باسلوب رائع عصري تتذوقه النفوس ويرتاح الى مضامينه المؤمنون وغيرهم . وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية اكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فنرجو لها دوام الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتتلطف في إشرابه القلوب . وقيمة اشتراكها خارج القطر المصري ٥٠ قرشاً صحيحاً ولطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك

ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من اعضاء المجمع العلمي ، ومن تصفح كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ ولع الاستاذ باللغة وآدابها وحرصه على تلقين مسائلها للطلاب . وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول الفاظاً كتابية اي طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليق بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني نبذاً مختلفة في الأدب . وطائفة من جوامع الكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب وهكذا حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوادر الفصحاء مما فيه فكاهة وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معناها الفصيح فحولته العامة الى معان أُخر : من ذلك :

(استوى) في الفصيح تساوى . وتستعمله العامة بمعنى (نضج الطعام) .

(طفر) وثب من أسفل الى اعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .

(بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .

(الحمق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .

(شاطر) خبيث محتال . وعندهم بمعنى (الحاذق الماهر) .

(عبد) الرقيق زنجياً كان اوغير زنجي . وعندهم (الزنجي) رقيقاً كان او غير رقيق .

هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نمط ماذكرت ، يجدر بمحبي اللغة الاطلاع عليها واستعمالها فتحيى وتنتشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما ينشر عادة في صحف الاخبار ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة المتأدب) فياليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

«المغربي»

شرح الارجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حيناً من الزمن وقد خدمها نجله اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها اكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أبهم من الأرجوزة . وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فياض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس . وقد توخى فيه محاكاة المتن الاصلي لجاء عمله دليلاً على فضله وجلده . على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمه وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها وتناولها عن كتب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني .

(المغربي)

الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —

Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٨٤ »

L' Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشيئاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على حجج شرعية وقرارات مجلس الادارة وحلاه برسوم . فلا يخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الاول من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخية وتبعثر المصادر . غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة يتعذر على القارئ معرفة اصلها أذكر أهمها مع بعض ملاحظات :

قال في ص ٧٠ : عن نهر (ايانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٢ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر .

وقال في ص٤٨٧ أم الشرافيط صوابها أم الشراطيط . وفي ص٤٩٤ الحجج الشرعية تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف . وفي ص ٤٩٥ معضمية صوابها المعضمية او (المعظمية) . وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النفور . وقال في ص٥٠٤ شتي صوابه شتوي . وفي ص٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في يبرود لا في النبك . وفي ص٥١٠ جانبا طاموسية صوابه جامع الطواويسية . وقال في ص ٥١١ من العرب صوابه من القصب (مسجدالاقصاب) . وفي ص٥١٣ حماره صوابه حمورة . وفي ص٥١٣ بيت مسروا صوابه بيت سوا . وفي ص٥١٤ بيت سحن صوابه بيت سحم . وفي ص٥١٥ المنخرة صوابه المناخلية . وفي ص٥١٥ الفراجين صوابه الفرابين . وفي ص ٥١٧ صوارف صوابه صوّاف . وفي ص٥٢٧ السكاكي صوابه السكاكري . وقال في ص٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين . وقال في ص٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع انه يزرع فيها ولاسيما في قرية كفرسوسة وغيرها .

وقد نبهنا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً وقوله ان الفدان الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً وذكره احصاآت في المساحات التي تسقى بمياه بردى يبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً الى غير ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية .

« جعفر الحسني »

موجز

« في الصكوك الجزائية »

هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك الخوري ومحمود بك النحاس على طلاب الصف المنتهي في معهد الحقوق بدمشق .

وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفي شهرة الاستاذ الخوري ومقدرة الاستاذ النحاس مايكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتماد عليه .

عارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

« حرف الالف »

صفحة

٢٣٨ ابو شنب (ترجمته)

٥٨٤ احساس المتنبي (جبري)

٥٢٦ اخلاق المتنبي 〃

٩٣ الأدب 〃

١٧ الآداب العربية الحديثة (لكراتشقوفسكي)

٧٧٥ الارجوزة بالرجز (شرحها)

٢٣٠ و٣٠٥ أسامة بن منقذ (محاضرة للنعساني

٥١٣ و٥٩٢ 〃 〃 وكتابة الاعتبار

(لفيليب حتي)

٢١٧ الاسلوب (جبري)

٧٠٣ الأسمدة واستعمالها (كتاب)

٤٤٨ اصلاح الوعظ الديني 〃

١٦٦ أطوار النقد (جبري)

٧٧٢ الاعتبار (كتاب . تقريظه)

٦٢ الأعلام (كتاب . تقريظه)

٥٧٤ افريقية الغربية البريطانية (كتاب)

٤٣٩ اكليل الهمداني (كتاب . الامير شكيب

٢٤١ و٣٦٨ و٧٦٦ الفاظ عربية لمعان زراعية (الشهابي)

٣٧٧ الفاظ عربية زراعية (استدراك عليها)

صفحة

٥٠٧ الامتيازات الاجنبية (كتاب)

٣٣٦ اين تعلم المتنبي (جبري)

« حرف الباء »

١٨٣ و١٨٤ بشار بن برد (شعره)

« حرف التاء »

٦٣٦ تأثيرات سياحة (كتاب)

١٥٣ تاريخ الادب (جبري)

٢٥٣ تاريخ الحركة القومية (كتاب)

١٨٧ تاريخ سورية (اصوله العربية . كتاب)

٦٣٨ تاريخ اللغات السامية (كتاب)

٢٥٦ تاكرونة (نصوص عربية بلغتها . كتاب)

٤٠٨ التدوين في الاسلام (م . ك)

١٨٠ التذكرة الصلاحية (لحسن حسني عبد الوهاب . كتاب)

٦٣٢ تصحيح قصة (بشأن أسامة بن منقذ واجتماعه بابي العلاء)

١٩٣ تصنيف الاحياء (مقال فيه . كتاب) (الشهابي)

٤١٢ تقسيم نُوَب ماء دمشق ووضع اسماء لساعاتها (المغربي)

١٠٣ تمازج الثقافات (جبري)

صفحة
١٢٩ توهم الأصالة (او تأصيل اصل في اللغة العربية) (المغربي)
٤٤٥ التيجان (كتاب لابن منبه)

« حرف الثاء »

٩٨ ثقافة الذوق (جبري)

« حرف الجيم »

٦٣٦ الجاحظ (كتاب)
١و٧٧و١٣٨و٢٠١و٢٩١ و٤٢٠و٤٧٥و٦٠٤و٦٧٨ و٧٤٤ جامع التواريخ (او نشوار المحاضرة)
٤٩٢ جبر ضومط (ترجمته)

« حرف الحاء »

١١١و٣١٧و٦٣٢ الحافظة والمحفوظات (قوتها) (المغزي)
٥٠ الحروف العربية (اصلاحها) (خالد الفرج)
١٠٤ حوليات مصر السياسية (كتاب)
٣٩٤،٤٤٩ حياة المتنبي (جبري)

« حرف الخاء »

٤٤٨ خطرات نفس (كتاب او مجموعة مقالات)
٥٩ خطط الشام (تقريظه)
٥٣٧ الخيام والمعري (مقارنة بينهما) (محاضرة الصراف)

« حرف الدال »

صفحة
٤٤٧ دانتي شاعر الطليان (كتاب)
٥٧٦ دليل الاصطياف في سورية (كتاب)
٥٧٢ دمية القصر 〃
٥٧٣ ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى 〃

« حرف الذال »

٧٧٤ ذخيرة المتأدب (كتاب · تقريظه)

« حرف الراء »

٦٥٢ روح المتنبي (جبري)
٧٧٥ الري في غوطة دمشق (كتاب افرنسي)

« حرف السين »

٢٢٣ سحر العبقرية (جبري)
٥٠٩ السوريون في مصر (رسالة)
١٢٦ سيد قريش (كتاب · تقريظه)

« حرف الشين »

٢٥٤ شرقي الاردن (خمسة أعوام فيه)
٣٨٢ الشعر الجاهلي (كتاب) (جزؤه الاول لمؤلفه السقا)

« حرف الصاد »

٢٩ صدر الدين الشيرازي (٣) (الزنجاني)

« حرف الطاء »

٣٨١ طنطاوي جوهري (تفسيره المسمى بالجواهر)

« حرف العين »

صفحة

٤٤٥ عبيد بن شرية (كتابه في اخبار اليمن)
٦٦٧ و ٧٢٠ . عبقرية المتنبي (جبري)
١٨٩ العراق (جغرافيته)
١٧٦ و ٣٧١ عربية (أصلها) (الكرملي ، منش)
٣٢١ و ٣٢٩ عروبية المتنبي (جبري)

« حرف الغين »

٣٧٨ غادة الكميليا (كتاب . تقريظه)
١٨٨ غولدصهير (أعماله العلمية)

« حرف الفاء »

٣١٩ فاوست (كتاب . تقريظه)
٥١ و ١٠٨ و ١٧٣ فصح وشوارد (كلمات لغوية) (سالم رزق)
٦٦٠ فلسفة المتنبي (جبري)
٥١٠ في اوقات الفراغ (كتاب او مجموعة مقالات)

« حرف القاف »

٥٧٤ قلب الطفل (كتاب . تقريظه)
٥٧٥ قواعد الافعال السامية (كتاب فيها)

« حرف الكاف »

٣٨٣ كامل المبرد (شرحه للمرصفي . كتاب)
٢٤٤ و ٤٦٦ و ٥٦٢ و ٦٢١ و ٦٩٧ و ٧٦٣ الكرم (رسالة فيه) (الجندي)

صفحة

٦٥ كلمات لغوية (صحفت في المعاجم) (نللينو)

« حرف اللام »

٢٥٤ لبنان وسورية (كتاب)
٧٣٢ . لغة المتنبي (جبري)

« حرف الميم »

٥١٢ مبادي الميكانيك (كتاب)
٢٧١ المتنبي (جبري)
٦٣٥ المتنبي (كتاب . تقريظه)
٢٧٦ المتنبي (وطنه) (جبري)
١٢٥ المجمع العلمي اللبناني
٥٧٧ مجموع نادر (عبد الله مخلص)
٢٥١ و ٣١٧ و ٦٣٣ مخطوطات دار الكتب الظاهرية (نوادرها)
٧٧١ مخطوطات قديمة (كرنكو)
٤٤ محمود الكواكبي (ترجمته) (راغب الطباخ)
٢٥٧ و ٣٤٧ المسكرات ومضارها (محاضرة اسعد الحكيم)
١٨٧ معجم الادباء (جزؤه الخامس)
٤٠٣ و ٤٦١ معجم الدكتور شرف (نظرة فيه للشهابي)
٥٣٧ المعري والخيام (مقارنة بينهما) (محاضرة الصراف)

صفحة

١٩١ المغرب الاقصى (الادب العربي فيه) (كتاب)

٧٠٢ المقتطف مختاراته

٦٢ مكناس (كتاب في تاريخها)

٧٧٦ موجز في الصكوك الجزائية (كتاب)

« حرف النون »

٢٤٩ النبت الطروب (احمد رضا)

٣٨٥ نبوة المتنبي (جبري)

٤٩٨ نجوى آدم (قصيدة) (جبري)

٢٥٠ نزهة العيون (كتاب)

٢٨٣ نسب المتنبي (جبري)

١و٧٧و١٣٨و٢٠١ و٢٩١و٤٢٠و٤٧٥ و٦٠٤و٦٧٨و٧٤٤ و٧٦٨ } نشوار المحاضرة او جامع التواريخ وملاحظات على اغلاطه

صفحة

١٦٠ نقد المؤرخات الادبية (جبري)

٧٧٣ نور الاسلام (مجلة دينية)

٥٠٠و٥٦٧و٦٢٧ نهاية الأرب (حول تصحيح جزئه السابع)

٥٠٨ نيل الوطر (كتاب تراجم اليمانيين)

« حرف الواو »

٦٤١و٧٠٥ وليمة ابن واسانة (محاضرة المغربي)

٤٤٥ وهب بن منبه (كتابه التيجان في ملوك حمير)

« حرف الهاء »

٦٣و١٢٧و٥٧٦و٦٤٠ هدية مكتبة وهدايا كتب

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

« حرف الالف »

صفحة

٢٩ ابو عبد الله الزنجاني

٥٣٧ احمد حامد الصراف

٢٤٩ احمد رضا

٥٠٠و٥٦٧و٦٢٧ احمد الزين

٢٥٧و٣٤٧ اسعد الحكيم

١٧٦ انستاس الكرملي

« البـاء »

٢٩٢ بولس الخولي

« الجيم »

٣٧١ جرجس منش

٢٥٦و٥٧٥و٥٧٦و٦٣٨و٧٧٥ جعفر الحسني

« الحاء »

١٨٠ حسن حسني عبد الوهاب

٢٥١و٣١٧و٦٣٣ حسني الكسم

« الخاء »

٥٣ خالد بن محمد الفرج

« الراء »

٤٤و٦٣٢ راغب الطباخ

٧٦٩ رشدي الحكيم

صفحة

« الزاي »

١٨٤ زكي مغامز

« السين »

٥١و١٠٨و١٧٣ سالم خليل رزق

٢٤٤ و٤٦٦و٥٦٣ و٦٢١و٦٩٧و٧٦٣ سليم الجندي

« الشين »

٩٣و٩٨و١٠٣و١٢٦و١٥٣و١٦٠ و١٦٦و١٩١ و٢١٧و٢٢٣ و٢٧١ و٢٧٦و٢٨٣ و٣١٩و٣٢١ و٣٢٩ و٣٣٦و٣٧٨ و٣٨٥و٣٩٤ و٤٤٩ و٤٩٨و٥١٠ و٥٢٦و٥٨٤ و٦٣٦ و٦٥٢و٦٦٠ و٦٦٧و٧٢٠ و٧٣٢ شفيق جبري

٤٣٩ شكيب أرسلان

« الطاء »

٢٣٠و٣٠٥ طاهر النعساني

« العين »

٥٩و٥٠٧و٥٠٨ و٥٠٩و٧٧٦ عارف النكدي

٢٥٤ عبد الله رعد

٥٧٧ عبد الله مخلص

« الفاء »

صفحة

٣١٧و٥٠٣و٥٩٢ فيليب حتي

« الكاف »

١١١و٢٥٠ كامل الغزي

١٧ كراتشقوفسكي

١٨٤و٧٧١ كرنكو

« الميم »

٢٣٨ ماسيه (Massé)

١٨٣ محمد بدر الدين العلوي

٦٢و٦٣و١٢٤و٢٥٠و١٨٧و١٨٨
و٤٠٨و٤٤٥و٤٤٧ و٤٤٨و٥٧٢
و٥٧٣و٥٧٤و٦٣٥ و٦٣٦و٧٧٢
و٧٧٣ } محمد كرد علي

صفحة

١٢٧ و١٢٩ و٣٨١و٣٨٢
و٣٨٣و٤١٢و٥٧٦و٦٤١
و٧٠٥ و٧٧٤ و٧٧٥ } المغربي

١٨٩و١٩٣ و٢٤١و٢٥٣
و٣٦٨و٣٧٧و٤٠٣و٤٦١
و٥١٢و٧٠٢و٧٠٣و٧٦٦ } مصطفى الشهابي

« النون »

٦٥ نالينو (كارلو)

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص٢٤ س٢ ٠٠٠٠ والصواب ما في ٠ وفي ص٢٦ س٥ ٠٠٠٠ والصواب في ٠ وفي ص٢٦ س٦ ٠٠٠ والصواب يكون اساساً لدرس ٠ وفي ص٢٦ س٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ ٠٠٠٠ نقص عدة حروف من اول السطور ٠ وفي ص٣٠ س٨ ٠٠٠ والصواب الذي استراحت وفي ص٣١ س١٠ ٠٠٠ والصواب سوى هذه الطرق ٠ وفي ص٥٩ س ١٨ ٠٠٠ والصواب عم ٠ وفي ص٧٧ س١٥ كشف والصواب اكشف ٠ وفي ص٧٩ س٢ جذعاً والصواب جزعا ٠ وفي ص٧٩ س٩ دين والصواب ديون ٠ وفي ص ٨٢ س٦ أبي والصواب ابن ٠ وفي ص ٩١ س١١ عرضون عمالهم والصواب يعرضون أعمالهم ٠ وفي ص ١١٢ س٥ أ والصواب أي ٠ وفي ص١١٤ س٤ باو ماقه والصواب باوساقه ٠ وفي ص ١٢٤ س١٨ عواطه والصواب عواطفه ٠ وفي ص١٢٥ س١٣ قارير والصواب تقارير ٠ وفي ص١٢٥ س٢٠ والقر والصواب والقرى ٠ وفي ص ١٢٨ س١٠ وضمه والصواب وضمنه ٠ وفي ص ١٣٤ س ١٦ هذه ثلاثة عشرة كلمة صوابها هذه ثلاث عشرة كلمة ٠ وفي ص١٥٣ س١ وتدرسه والصواب وتدريسه ٠ وفي ص١٥٥ س١١ رنا والصواب رنان ٠ وفي ص ١٧١ س١٧ لرجل والصواب الرجل ٠ وفي ص١٨٠ س٦ ونحن اول ممن صوابها نحن اول من ٠ وس٨ منها الاب انستانس صوابها الاب انستاس ٠ وفي ص١٨٣ س١٨ ولابد لهذا العمل اذ كنا نم إنه صوابها ولابد لهذا العمل اذ كنا نعلم انه ٠ وفي ص١٨٥ س٢٤ داود بن يعقوب والصواب يعقوب بن داود ٠ وفي ص٢٣١ س ٩ ٠٠٠ والصواب على ٠ وفيها س٢٣ جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين صوابها جاءت الزلزلة سنة ثنتين وخمسين ٠ وفي ص٢٣٥ س٧ وسجنه ثم اعدمه صوابها وسجنه ثم قتله ٠ وفي ص٢٣٦ س٢٣ في سنة اثنين وثلاثين صوابها في سنة ثنتين وثلاثين ٠ وفيها س٢٤ في سنة اثنين واربعين صوابها في سنة ثنتين واربعين ٠ وفي ص٢٥٥ س٩ يعرف قارءه صوابها يعرف قارئه ٠ وفيها س٢٠ يجدونه في اعمل صوابها يجدونه في اعمال ٠ وفي ص ٢٥٦ س ٤ اثني عشر قطعة صوابها اثنتي عشرة قطعة ٠ وفيها س ١٨ بان والصواب أن ٠ وفي ص

٢٩١ س٩ القام صوابها القائم • وفي ص٢٩٣ س١٤ الفرابة صوابها القرابة • وفي ص ٣٠٢ س٨ فضاته صوابها قضاته • وفي ص٣٠٣ س٤ لمتي صوابها بلقي • وفيها س٤ سمته صوابها سمته • وفي ص٣١٤ س٢ فالرد الصواب فالردى • وفي ص٣٧٢ س٨ نقل الصواب ونقل • وفيها س٨ بعاد الصواب بعد • وفي ص٣٧٥ س٧ قوهقاف الصواب قرهقاف • وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العثمانية الصواب الدرر العمانية • وفي ٣٨٢ س٢٢ اسم الفاعل الصواب اسم المفعول • وفي ص٣٨٦ س١٤ بالمبني الصواب بالمثنى • وفي ص٤٢٧ س ١٣ وقد لزم الصواب وقد لزم • وفي ص ٤٣١ س ١١ وقفنا الصواب وقتنا • وفي ص٥٠٧ س٢٢ هدم الصواب هدماً • وفي ص٥٠٩ س ٤ خالطت الصواب خالط • وفيها س٥ لابتناء الصواب لابتناء • وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتها وادبها وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لهم فيكون لها • وفي ص ٦٠٨ س ١٧ يهدي الصواب مهدي • وفي ص٧٠٩ س٢ تفلست الصواب تفلسفت •

(تنبيه) — معظم الأغلاط في هذا المجلد ناشيء عن سقوط الحروف وتكسرها مما لا يغيب التفطن اليه عن ذكاء القاريء •